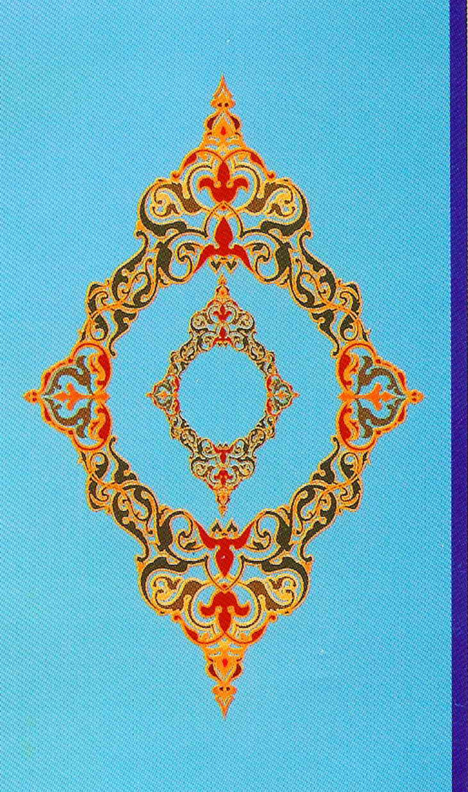


الفرقة النّاجية

تأليف

سلطان الواعظين

العلامة السيّد محمد الموسوي الشيرازي

(قدس سره)

تعريب وتحقيق وتعليق

الشيخ فاضل الفراتي

الطبعة العربية الأولى



الفرقة الناجية

مناظرات ومراسلات في العقائد والتاريخ
عن سبب افتراق المسلمين إلى ٧٣ فرقة

تأليف

العلامة السيد محمد الموسوي سلطان الواعظين الشيرازي

«مؤلف ليالي بيشاور»

تعريب وتحقيق وتعليق

فاضل الفراتي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾



العلامة السيد محمد الموسوي الشيرازي سلطان الواعظين قدس سره

مؤلف ليالي بيشاور و الفرقة الناجية

مقدمة المترجم

هذه ترجمة الجزء الاول من كتاب الفرقة الناجية لمؤلفه القدير العلامة الكبير السيد محمد سلطان الواعظين الموسوي الشيرازي (قدس سره)، كان من العلماء العاملين والخطباء البارعين الذين قدّموا خدمات كثيرة وجليلة للتشيع بلسانه وقلمه، و كان (قدس سره) سيداً جليلاً و اعظاً كاملاً فاضلاً ماهراً متتبعاً باحثاً، له مولفات كثيرة، منها (ليالي بيشاور) و (مائة مقالة سلطانية).

كانت ولادته فى ٧ ذي القعدة عام ١٣١٤ هـ في طهران وأخذ المقدمات والأوليات على أساتذتها. وفي سنة ١٣٢٦ هـ هاجر إلى كربلاء مع والده وحضر على أعلام حوزتها الماجدة أمثال السيد الميرزا علي الشهرستاني والشيخ غلام حسين المرندي والشيخ مو سى الكرمنشاهي حتى برع وكمل في كربلاء، ثم اتصل بالزعيم الشيخ عبد الكريم الحائري في قم وحضر دروسه. وتوفي يوم الاثنين ٢٠ شعبا ن عام ١٣٩١ هـ الموافق ١١ تشرين الأول ١٩٧١م[1].

يتألف هذا الكتاب من جزئين يضم بين دفتيه محاورات المؤلف مع مجموعة من طلاب الجامعة في بيته بطهران حول حديث افتراق المسلمين

---

(١) حوادث الأيام، القسم الأول، ص ٤٠٤ للمرحوم الشيخ عباس الحائري

وأسباب افتراقهم وما يتصل بذلك من مواضيع مهمة جداً، وهـذه هـي المـرة الأولى التي يترجم فيها هذا الكتاب المهم، وقد أدرجنا المصادر التي يـذكرها المؤلف بطبعاتها الحديثة غـالباً وأضـفنا بـعض المـصادر إليـها حسب أهـمية الموضوع.

وكان (قدس سره) قد كتب مقدمة طويلة في بداية الكتاب حول مواضيع منها سبب طباعة ليالي بيشاور، وكان ذلك بطلب من العلامة عبدالحسين شرف الدين العاملي وتهجم البعض عليه وما إلى ذلك من مواضيع لا علاقة لها بموضوع هذا الكتاب ولذلك لم نترجمها، هذا وقد عزفنا عن ترجمة بعض الأمور الأجـنبية عن البحث أيضاً وأشرنا إلى مواقعها في الهامش بين معقوفتين [...]

وسوف يصدر الجزء الثاني من هذا الكتاب بأسرع وقت إن شاء الله إذ لا يزال العمل فيه دؤوباً مستمراً، نسأل الله تعالى أن ينفع به أهل الإيمان وطلاب الحقيقة ويجعله ذخراً لنا في آخرتنا.

فاضل الفراتي

١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٠م

قصّة الكتاب

في شهر شعبان من عام ١٣٨٠هـ، قَدِم عدّة أشخاص من الشباب المتعلّم من جامعة طهران من الإخوة أهل السنّة، للّقاء بي. وبعد إظهار السرور بلقائي، وتقديم الشكر على نشر كتاب «ليالي بيشاور» و«مئة مقالة سلطانية»[1] الذي أدّى لتنوير أفكار المثقّفين، قالوا: بما أنّه كثر الكلام في صفوف الطلبة الشباب حول حديث نبوي زاد من حيرتهم فيه اختلاف أقوال الأساتذة، رأوا أن يكتبوا لكم رسالة وحمّلونا نقلها.

لو تفضّلتم على الطلبة الباحثين عن الحقيقة والطريق القويمة، وأجبتم على رسالتهم فلكم بالغ الامتنان.

طالعت الرسالة فرأيت أنّها تدور حول سؤال ذي خمسة فروع. ورد في الرسالة بعد العناوين ما يلي:

موضوع الرسالة:

بعد مطالعة كتابكم «ليالي بيشاور في الدفاع عن حريم التشيّع» وكتاب «مئة مقالة سلطانية في معرفة التوراة والإنجيل والقرآن المجيد» والتنوير والإيضاح في جميع الأُمور الدينية والمذهبية، وبعد اطّلاعنا على تبحّر جنابكم الكريم في

---

(١) بالفارسية: صد مقاله سلطانيه، نسبة إلى لقبه سلطان الواعظين.

كتب الفرق الدينية والمذهبية، بدت لنا عدّة أسئلة علمية ومذهبية ضرورية على سبيل الاضطرار والاحتياج، نقدّمها فيما يلي ونحن على أمل الحصول على جواب مفصّل وبسيط وواضح ومشفع بالأدلّة العقلية والنقلية منكم، يتّفق مع أفهام الشباب، ولكم الفضل.

السؤال الأوّل:

هل الحديث المعروف عند أهل العلم والفضل «ستفترق أُمّتي بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، يهلك اثنان وسبعون فرقة وتنجو فرقة واحدة» هل هو حديث صحيح في نظركم وجاء ذكره في الكتب المعتبرة أم لا؟ وفي حالة صحّته، هل نقله علماء الشيعة والسنّة؟

السؤال الثاني:

وكذلك في حالة صحّته، كيف تبدّدت جهود رسول الله ﷺ نحو وحدة المسلمين وكذلك دعوات القرآن نحو الوحدة؟ وفي أيّ زمان حدثت هذه التفرقة، ومَن كان سببها؟[1]

على حسب ما يُلاحظ في كتب الجماعة ويقول مشايخنا: إنّ موجد التفرقة هو اليهودي الصنعاني عبدالله بن سبأ، وذلك في خلافة عثمان بن عفّان، وهو الذي ذهب معارضاً الخليفة الثالث إلى مصر وأسّس هناك حزباً باسم الشيعة ولم يكن مثل هذا الاسم موجوداً بين المسلمين آنذاك، وعلى أثر ذلك ظهرت الفرقتان «الشيعة» و«السنة» في صفوف المسلمين، فهل هذه المقولة صحيحة أم

---

(١) ستدور مباحث هذا الجزء ـ الأول ـ حول جواب السؤال الأول والثاني فقط، وبقية الأسئلة يجيب عنها المؤلف في الجزء الثاني / المترجم.

لا؟

وعلى كلا الفرضين اذكروا لنا رأيكم واكتبوه من أجل تنوير وإيقاظ الشباب.

السؤال الثالث:

وهل هناك فرق أُخرى غير الشيعة والسنّة؟ وإذا كان لها وجود فنرجو أن تذكروها لنا لكي نعرفها؟[1]

السؤال الرابع:

ثمّ إنّ الاختلافات الحاصلة هل هي اختلافات في أصول الدين أم في فروعه؟ نتمنّى أن توضحوا لنا هذا أيضاً؟

السؤال الخامس:

وبلا شكّ فإنّ كلّ فرقة ترىٰ نفسها هي الناجية والبقيّة في النار، وعليه فبيّنوا لنا مَنْ هي الفرقة الناجية التي ذكرها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه من بين ثلاث وسبعين فرقة؟ وكيف يحقّ لكلّ فرقة أن ترى نفسها الناجية دون غيرها؟

نتمنّى أن تذكروا لنا كلّ ذلك مع الأدلّة العقلية والنقلية، وتعيّنوا لنا الفرقة الناجية مع الدليل؟

كما نرجو منكم أن تخصّصوا لنا ساعات معيّنة من وقتكم لكي نلتقي بكم في حالة عدم فهمنا لبعض المطالب التي تذكرونها لاسيّما وإنّنا نقضي ثمانية أو تسعة أشهر في طهران.

وفي الختام نقدِّم فائق احترامنا وشكرنا.

---

(١) سيكون هذا السؤال وجوابه مطلع الجزء الثاني / المترجم.

وبعد مطالعة الرسالة تكلّمت مع الشباب بشكل موجز حول أصل الموضوع ووافقت أن أُجيب على الرسالة أوّلاً، وأن يلتقوا بي يومين في الأسبوع من أجل الحوار والاستيضاح، ومضت مدّة من الزمن كنّا نلتقي بالشباب ونتحاور وكان يأتي معهم بعض علماء أهل السنّة المنصفين. والجميل في الأمر أنّ هذه الجلسات كان طابعها العام الهدوء والصفاء والإنصاف، وقد طُرحت فيها عدّة أسئلة مهمّة وجديرة بتسجيلها هنا لأنّها ترتبط بالبحث، وكنتُ أُجيب عليها بشكل كامل ممّا يُلزم الخصم وكانت تنتهي الجلسة بسكوت الطرف المقابل ورضوخه.

وكنت أكتب هذه الحوارات في دفاتر خاصّة فيما بعد الجلسة وجمعتها كلّها حتّى خرج اليوم على شكل كتاب باسم (الفرقة الناجية) أُقدِّمه للمسلمين عامّة بكلّ أدب واحترام وبعيداً عن التعصّب والعناد، لكي تنكشف الحقيقة لمن طلبها.

البداية

أمّا حول جواب السؤال الأوّل وهو عن نصّ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد ذكره كبار الفريقين الشيعة والسنّة وبأسانيد معتبرة. فقد روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والإمام جعفر الصادق عليه السلام وسليم بن قيس وأنس بن مالك وأبي هُريرة وأبي الدرداء وجابر بن عبدالله الأنصاري وأبي سعيد الخدري وأُبيّ بن كعب وعبدالله بن عمر بن الخطّاب وعمرو بن العاص وأبي أمامة وابن بندار وغيرهم، بألفاظ وعبارات مختلفة وفي أماكن متعدّدة بعد أن سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثمّ إنّ هذا الاختلاف في الألفاظ يفيد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يشير إلى تعدّد الفرق، لا أنّه أراد أن يعيّن نوع الافتراق؛ هل هو ديني مذهبي أم كلامي صرف أو غيره.

ففي بعض الأحاديث إشارة إلى فرقتين وفي بعضها إلى ثلاث وفي بعضها إلى أربع وفي بعضها اثنتين وسبعين، وأكثر هذه الأحاديث تشير إلى ثلاث وسبعين فرقة. وهذا الاختلاف في الألفاظ لا يعني أنّها متناقضة ومن ثمّ يُصادر أصل الموضوع وإنّما هذه الاختلافات لها دلالاتها الخاصّة بها، كيف وقد عدَّ بعض المسلمين هذا الحديث النبوي على اختلاف ألفاظه معجزة من معاجز النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه إخبار عن المستقبل.

وهنا يمكن القول: إنّ الحديث الذي وردت فيه عبارة (فرقتين) يُحمل على المؤمنين والمنافقين أو على الشيعة والسنّة.

والحديث الذي وردت فيه عبارة (ثلاث فرق) يُحمل على الأحداث التي حصلت بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد انقسم المسلمون إلى ثلاث فرق:

الأولى: فرقة كبراء الأنصار والذين التفّوا حول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ورفضوا بيعة أبي بكر، وذلك للنصّ النبوي الوارد في خلافة الإمام عليّ في

غدير خمّ وغيره[١].

الثانية: وفرقة التفّوا حول العبّاس عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره من الورثة وكونه أكبر سنّاً من غيره ـ وقد انقرض هذا التيّار تماماً في تلك العهود ـ.

الثالثة: وفرقة التفّت حول أبي بكر وبايعته.

وبعض هذه الفرق الثلاث قد كرّست معنى التفرقة في الأمّة الإسلاميّة في ذلك العهد، أو يمكن أن تكون الثلاث فرق هذه غير ما ذكرته أعلاه، وإنّما هي ما ذكره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه المروي الذي ذكره شيخ الطائفة ورئيس المحدِّثين أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه القمّي في كتاب المجالس، وذكره أيضاً أخطب خوارزم مؤيّد الدين الموفّق بن أحمد الخوارزمي في كتاب المناقب مسنداً عن سلمان الفارسي مع قليل من التفاوت:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تفترق أمّتي بعدي ثلاث فرق، فرقة على الحقّ لا يشوبونه بباطل، مثلهم كمثل الذهب كلّما فتنته بالنار ازداد جودةً وطيباً، وإمامهم هذا لأحد الثلاثة، وهو الذي أمر الله به في كتابه إماماً ورحمة.

وفرقة أهل باطل يشوبونه بحقّ، مثلهم كمثل خبث الحديد كلّما فتنتهم بالنار ازدادوا خبثاً ونتناً، وإمامهم هذا لأحد الثلاثة. وفرقة أهل ضلالة مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، إمامهم هذا لأحد الثلاثة. قال: فسألته عن أهل الحقّ وإمامهم؟ فقال: هذا عليّ بن أبي طالب إمام المتّقين[٢].

أو يمكن حمل الفرق الثلاث على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بحار الأنوار للعلّامة المجلسي نقلاً عن مناقب محمّد بن أحمد بن شاذان بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا عليّ مثلك في أُمّتي مثل المسيح عيسى بن مريم افترق قومه ثلاث فرق،

---

(١) سيأتي لاحقاً.

(٢) بحار الأنوار ج٢٨ ح١٦ كتاب الفتن والمحن ص١٠ ط المكتبة الإسلامية.

فرقة مؤمنون وهم الحواريّون وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان، وإنّ أُمّتي ستفترق فيك ثلاث فرق، ففرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة عدوّك وهم الشاكّون، وفرقة تغلو فيك وهم الجاحدون، وأنت في الجنّة يا علي وشيعتك ومحبّ شيعتك، وعدوّك والغالي في النار[1].

وأمّا الأحاديث التي وردت فيها عبارة (أربع فرق) فإمّا أن تُحمل على:

الطوائف الأربع وهم: القدرية والصفاتية والخوارج والشيعة وقد عدّهم الشهرستاني من أكبر فرق المسلمين.

وإمّا أن تحمل على المذاهب الأربعة: الأحناف والمالكية والشافعية والحنبلية، فإنّ هذه المذاهب ظهرت وانتشرت في أيّام أبي جعفر المنصور الدوانيقي، ويعود السبب إلى الفترة التي أُتيحت للإمام الصادقعليه السلام من سقوط الدولة الأمويّة الظالمة وتشكّل دولة بني العبّاس، فإنّ هذه الفترة بين الدولتين فسحت المجال سياسيّاً للإمام الصادقعليه السلام فتصدّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبثّ العلم من الفقه والعقائد وبقيّة العلوم حتّى رُوي أنّ تلاميذه وصل عددهم إلى أربعة آلاف طالب، وكان من ضمنهم أبو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس.

ونظراً لتوسّع قاعدة الإمام الصادق والتفاف الناس حوله شعر أبو جعفر المنصور أنّ هذا الوضع يهدِّده لأنّه يسحب البساط من تحته بمرور الزمن ولذلك أوعز إلى أبي حنيفة ومالك أن اعتزلا حلقة درس الإمام الصادقعليه السلام، فاعتزلا، فعيّن أبا حنيفة إماماً ومرجعاً دينيّاً في بغداد والكوفة، وعيّن مالكاً في المدينة. وصاحبَ ذلك سيل إعلامي من الدولة مع صرف مبلغ شهري لكلّ من يحضر دروسهما، وبذلك فتح الطريق للمذهب الحنفي والمالكي، وبعبارة أُخرى فتح المجال للاجتهادات والآراء الشخصية مقابل النصوص القرآنية وسنّة

---

(١) البحار، ج٢٨، ح١٧، ص١١، ط المكتبة الإسلامية، مع تفاوت يسير.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فظهر القياس على يد أبي حنيفة.

مع مرور الزمن ضُيِّق الخناق على الإمام الصادق عليه السلام وشيعة أهل البيت وفُتح المجال لأبي حنيفة ومالك، وبالتالي فإنّ أغلب الناس عبيد الدينار والدرهم فمالوا مع أبي حنيفة ومالك طمعاً في المال وخوفاً من سطوة السلطان.

من بعدهما جاء محمّد بن إدريس الشافعي، وأظهر مذهباً جديداً مغايراً في الفتوى لمن تقدّمه. وبعده جاء أحمد بن حنبل وهو تلميذ مالك بن أنس.

أمّا أبو حنيفة وأصحابه وأتباعه فقد عرفوا في العراق بـ(أصحاب الرأي والقياس) أي كلّما عجزوا عن فهم الآيات والروايات أفتوا بآرائهم، أو قاسوا بعض المواضيع على مواضيع أُخرى وأجروا الأحكام، وأمّا محمّد بن إدريس الشافعي ومالك وأحمد فإنّهم عُرفوا في الحجاز بـ(أصحاب الحديث)، إلّا أنّ هؤلاء الأئمّة الأربعة كان منحاهم الفقهي والعقائدي خلاف منحى الإمام الصادق عليه السلام، من أجل إرضاء خواطر السلطان!!

ولهذا السبب ظهرت الاختلافات إلى أن وصلت فرق أهل السُنّة إلى أربع وأربعين فرقة!![1] موزّعين على محورين:

١ ـ المعتزلة: أتباع واصل بن عطاء المعتزلي.

٢ ـ الأشاعرة: أتباع أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري.

وأمّا الشيعة فإنّهم انقسموا إلى عشرين فرقة كما ذكرها الشهرستاني، وسوف نفصّل هذا البحث لاحقاً إن شاء الله[2].

هذه الفرق المتعدّدة بمرور الزمن هي التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه.

---

(١) بل أكثر من خمسين فرقة كما عدّها الشهرستاني وغيره / المترجم.

(٢) في الجزء الثاني إن شاء الله / المترجم.

الحديث في مصادر أهل السنّة

وأمّا مصادر حديث رسول الله ﷺ (إنّ أُمّتي ستفترق بعدي...) في مصادر أهل السنّة فهي:

١ ـ ذكر العالمُ الزاهد البارع رضي الدين أبو القاسم عليّ بن طاووس طيّب الله رمسه في طرائفه وغيره من أكابر العلماء، كتفسير الحافظ محمّد بن موسى الشيرازي وهو من أكابر علماء أهل السنّة الذي استخرجه من اثني عشر تفسيراً، وهي:

(تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان) و(تفسير ابن جريج) و(تفسير مقاتل بن سليمان) و(تفسير وكيع بن جراح) و(تفسير يوسف بن موسى القطّان) و(تفسير قتادة) و(تفسير أبي عبيدة القاسم بن سلام) و(تفسير علي بن حرب) و(تفسير السري) و(تفسير مجاهد) و(تفسير مقاتل بن حيّان) و(تفسير أبي صالح)، وجميع هؤلاء نقلوا الحديث عن طريق أنس بن مالك الذي قال: «كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ فتذاكرنا رجلاً يصلّي ويصوم ويتصدّق ويزكّي فقال لنا رسول الله ﷺ: لا أعرفه. فقلنا: يا رسول الله! إنّه يعبد الله ويسبّحه ويقدّسه ويوحّده. فقال رسول الله ﷺ: لا أعرفه. فبينا نحن في ذكر الرجل إذ طلع علينا فقلنا: هوذا. فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال لأبي بكر: خذ سيفي هذا وامض إلى هذا الرجل واضرب عنقه فإنّه أوّل من يأتيه من حزب الشيطان. فدخل أبو بكر المسجد فرآه راكعاً فقال: والله لا أقتله فإنّ رسول الله ﷺ نهانا عن قتل المصلّين. فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي رأيته يصلّي. فقال رسول الله ﷺ: اجلس، فلست بصاحبه، قم يا عمر وخذ سيفي من أبي بكر وادخل المسجد واضرب عنقه قال عمر: فأخذت السيف من أبي بكر ودخلت المسجد فرأيت الرجل ساجداً فقلت: والله لا أقتله فقد استأمنه من

هو خير منّي. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله: إنّي رأيت الرجل ساجداً. فقال: يا عمر اجلس، فلست بصاحبه، قم يا علي فإنّك أنت قاتله إن وجدته فاقتله فإنّك إن قتلته لم يقع بين أُمّتي اختلاف أبداً، قال عليّ عليه السلام: فأخذت السيف ودخلت المسجد فلم أره فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما رأيته، فقال: يا أبا الحسن إن أُمّة موسى افترقت إحدى وسبعين فرقة؛ فرقة ناجية والباقون في النار، وإنّ أُمّة عيسى افترقت اثنتين وسبعين فرقة؛ فرقة ناجية والباقون في النار، وإنّ أُمّتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار. فقلت: يارسول الله، ومَن الناجية؟ فقال: المتمسّك بما أنت وأصحابك عليه، فأنزل الله في ذلك الرجل: ﴿ثاني عطفه...﴾[1].

٢ ـ ذكره شهاب الدين أحمد بن عبد ربه في العقد الفريد باختصار وذكر في ذيل الحديث قوله ﷺ: لو قُتل لما اختلف بعده اثنان. إنّ بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، وإنّ هذه الأُمّة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلّا فرقة واحدة وهي الجماعة![2].

٣ ـ ذكره الزمخشري في الكشاف بهذا النصّ «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة وهي الناجية، وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة، وتفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة»[3].

---

(١) دلائل الصدق، القسم الثاني، ج٣، ص ٥٠، والإصابة ج٢، ص٣٤١، رقم ٢٤٥٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥ وستمر بقية مصادره.

(٢) العقد الفريد ج١، ص ٣٥٠، ط الأزهر بمصر، عام ١٩٢٨م.

(٣) الكشّاف ج٢ ص٨٢ـ٨٣ ذيل آية ١٥٩ من سورة الأنعام.

٤ ـ جاء في هامش الكشّاف حول نفس الموضوع ما يلي: «أخرجه أصحاب السنن إلّا النسائي من رواية محمّد بن عمرو عن أبي هريرة دون ـ كلمة ـ كلّها.

٥ ـ ذكره أبو داود في سننه إلى آخر الحديث وعلاوة على ذلك، ففيه عبارة (وواحدة في الجنّة)[1].

٦ ـ ونقله الترمذي أيضاً بهذا النصّ «.. كلّهم في النار إلّا ملّة واحدة وهي الناجية، وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة. قالوا: مَن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي[2].

٧ ـ وعن طريق ابن حبان والحاكم والطبراني أيضاً بنفس الطريق نقلوه، وقد نقل الطبراني عن طريق عوف بن مالك في آخره: «فرقة في الجنّة وثنتان وسبعون في النار. قيل: مَن هي؟ قال: الجماعة»[3].

والحديث المروي عن طريق أبي أُمامة في الأوسط بلفظ «كلّها في النار إلّا السواد الأعظم».

٨ ـ عن أبي نعيم وابن مردويه عن حديث زيد بن أسلم عن أنس مثل ما تقدّم.

٩ ـ عن البزار والبيهقي في مطلع حديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص مثل ما تقدّم.

١٠ ـ أيضاً عن أسلم بن سهل الواسطي في تأريخه يرويه عن جابر كما

---

(١) سنن أبي داود ج٤ رقم الحديث ٤٥٩٧، ص٢٧٦ ط مصر، دار السعادة (١٩٥٠)م.

(٢) سنن الترمذي ج٥ رقم الحديث ٢٦٤١، ص٢٦، ط دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق إبراهيم عطوة.

(٣) الدرّ المنثور ج٢ ص٦١.

تقدّم إلّا أنّ السائل هو عمر بن الخطّاب.

١١ ـ وجاء في الدرّ المنثور للسيوطي عن رسول الله ﷺ: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة وإنّ أُمّتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلّهم في النار إلّا واحدة. قالوا: يارسول الله ومَن هذه الواحدة؟ قال: الجماعة[١].

١٢ ـ وجاء في تفسير أنوار التنزيل للبيضاوي عن رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا فرقة واحدة، وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا فرقة واحدة، وستفترق أُمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة»[٢].

١٣ ـ جاء في «تلبيس إبليس» عن رسول الله ﷺ: «ليأتينّ على أُمّتي كما أتىٰ علىٰ بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتّى إن كان منهم من أتى أُمّه علانية، لكان في أمّتي، من يصنع ذلك، وإنّ بني إسرائيل تفرّقت علىٰ ثنتين وسبعين ملّة، وتفرّقت أمّتي على ثلاث وسبعين ملّة كلّهم في النار، إلّا ملّة واحدة. قالوا: مَن هي يارسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي[٣].

١٤ ـ ومثله تقريباً في سنن أبي داود.

١٥ ـ وفي كتاب «الفَرق بين الفِرق» روي مسنداً عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة»[٤].

---

(١) الدرّ المنثور ج٢ ص٦٢.

(٢) أنوار التنزيل، ج٢، ص٢١٦، ط مصر، قديمة جداً.

(٣) تلبيس إبليس ص٧ جمال الدين أبو الفرج البغدادي.

(٤) الفرق بين الفرق، ص٣، ط ايران، باهتمام الدكتور محمد جواد مشكور.

١٦ ـ وأيضاً روي مسنداً عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبيّ ﷺ: ليأتينّ على أُمّتي ما أتىٰ علىٰ بني إسرائيل تفرّق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملّة، ستفرّق أُمّتي على ثلاث وسبعين ملّة تزيد عليهم ملّة، كلّهم في النار إلّا ملّة واحدة. قالوا: ما هي يارسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي[1].

١٧ ـ وأيضاً نقل مسنداً عن أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ: أنّ بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وأنّ أُمّتي ستفرق على اثنتين وسبعين فرقة كلّها في النار إلّا واحدة وهي الجماعة.

١٨ ـ وفي تفسير ابن كثير عن أحمد بن حنبل مسنداً عن عبدالله بن يحيى قال: كنت مع معاوية بن أبي سفيان في مكّة المعظّمة لأداء الحجّ ولمّا حان وقت صلاة الظهر قام معاوية خطيباً وقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ أهل الكتاب افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملّة وانّ هذه الأُمّة ستفرق على ثلاث وسبعين ملّة (يعني الأهواء) كلّها في النار إلّا واحدة وهي الجماعة[2].

١٩ ـ وجاء في كتاب المذاهب الإسلاميّة لمحمّد أبي زهرة أستاذ الشريعة في جامعة الأزهر: روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفرق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة.

ثمّ قال: إنّ المقبلي في كتاب العلم الشامخ قال: وحديث افتراق الأمّة إلى سبعين فرقة رواياته كثيرة يشدّ بعضها بعضاً بحيث لا تبقىٰ ريبة في حاصل معناه[3].

---

(١) تفسير: المنار، ج٨، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٩٠ لابن كثير الدمشقي.

(٣) المذاهب الإسلامية ص ١٤.

٢٠ ـ ونقل المولىٰ جلال الدين محمّد بن سعد الدواني عين الحديث المتقدّم في كتابه[١].

٢١ ـ وجاء في سنن ابن ماجة القزويني ثلاثة أحاديث مسندة حول افتراق الأمّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

وخلاصة القول: إنّ موضوع افتراق الأمّة الإسلامية من المواضيع المعروفة عند أهل السنّة، وقد ذكرنا (٢١) مصدراً كنماذج من مصادر أهل السنّة التي جاء فيها ذكر هذا الحديث.

نعم، اعترض الغزالي والفخر الرازي على هذا الحديث، إلّا أنّ أهل السنّة والجماعة لم يعتنوا باعتراضهما.

مصادر الحديث في كتب الشيعة

ومن أجل إيضاح الموضوع وتنوير الأفكار نذكر بعض المصادر الشيعيّة التي تناولت حديث افتراق الأُمّة:

١ ـ ذكر أبو المعالي في كتاب بيان الأديان عن هارون بن يزيد عن الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر ولمّا وصلنا إلى غدير خمّ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة جامعة فلمّا اجتمع الناس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

إنّ الله تعالىٰ خلق الخلق من أشجار شتّىٰ وخلقني وعليّاً من شجرة واحدة وأنا أصلها وعليّ فرعها والحسن والحسين أثمارها وأشياعنا أغصانها وأوراقها

---

(١) شرح العقائد العضدية.

(٢) سنن ابن ماجة ج٢ ص٤٩٢ باب ١٧ رقم الحديث ٣٩٩١ و٣٩٩٢ و٣٩٩٣ و٣٩٩٤ من كتاب الفتن.

ومن تعلّق بغصن منها نجا ومن تخلّف عنها تردّىٰ، ثمّ قال: ألستُ أولىٰ بكم وبالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: إذا أنا كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله وأدر الحقّ.

ثمّ قال: اختلف قوم موسىٰ من بعده على إحدىٰ وسبعين فرقة هلكت منها سبعون فرقة ونجت واحدة منهم، وهم من قال الله فيهم ﴿ومن قوم موسى أُمّة يهدون بالحقّ وبه يعدلون﴾ فهم الفرقة الناجية.

واختلف قوم عيسىٰ بعده على اثنتين وسبعين فرقة هلكت منها إحدى وسبعون فرقة ونجت واحدة منهم وهم مَن قال الله فيهم: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوا رأفةً ورحمة﴾ فهم الفرقة الناجية.

وستختلف بعدي أُمّتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، يهلك اثنان وسبعون وتنجو فرقة واحدة وهم مَن قال الله فيهم: ﴿الذين يتّبعون الرسول الأُمّي﴾ ألا إنّي تارك فيكم الثقلين؛ إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً كتاب الله جلّ جلاله حبل ممدود من السماء، وعترتي أي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض.

فقام القوم كلّهم يهنئونني بما ذكر رسول الله ﷺ حتّى قال عمر بن الخطّاب: بخ بخ يا أبا الحسن أصبحت مولىٰ كلّ مسلم ومسلمة[1].

---

(١) أبو المعالي محمّد بن عبيدالله بن علي بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكتابه من أقدم الكتب حول الملل والنحل ألّفه عام ٤٨٥هـ. باللغة الفارسية، والحديث المذكور في الباب الثالث.

←

وقد روي هذا الحديث بطرق أُخرى وبألفاظ قريبة جدّاً لما مرّ ولكن ما ذكرناه هو أتمّها وأفضلها طريقاً، وقد ذكره العلّامة الحلّي في «كشف الحقّ» أيضاً[1].

٢ ـ وجاء في الكافي عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجلٍ هل يستويان مثلاً﴾[2] قال: أمّا الذي فيه شركاء متشاكسون فلأن الأوّل يجمع المتفرقون ولايته وهم في ذلك يلعن بعضهم بعضاً ويبرأ بعضهم من بعض، فأمّا رجل سَلَمٌ لرجلٍ فإنّه الأوّل حقّاً وشيعته، ثمّ قال: إنّ اليهود تفرّقوا من بعد موسى عليه السلام على إحدى وسبعين فرقة منها فرقة في الجنّة وسبعون في النار وتفرّقت النصارى بعد

← أقول: وجاء في كتاب النهاية في الفتن والملاحم لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي بهذه الألفاظ:

- «افترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنّة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنّة. والذي نفسي بيده لتفترقنّ أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنّة واثنتان وسبعون في النار، قيل: يارسول الله مَن تراهم؟ قال: الجماعة.
- «إنّ بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإنّ أُمّتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلّها في النار إلّا واحدة وهي الجماعة».
- «ألا إنّ مَن قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملّةً وإنّ هذه الملّة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة وهي الجماعة».

أُنظر النهاية في الفتن لابن كثير ص٢٨ تحقيق عصام الصبابطي ج١ ط القاهرة. المترجم

(١) نهج الحق، ص ٣٣١، ط ايران، دار الهجرة، تقديم السيد رضا الصدر.

(٢) الزمر: ٢٩.

عيسىٰ عليه السلام على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها في الجنّة وإحدى وسبعون في النار وتفرّقت هذه الأمّة بعد نبيّها صلى الله عليه وآله على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وفرقة في الجنّة، ومن الثلاث وسبعين فرقة ثلاث عشرة فرقة تنتحل ولايتنا ومودّتنا اثنتا عشرة فرقة منها في النار وفرقة في الجنّة وستّون فرقة من سائر الناس في النار[1].

٣ ـ وجاء في تفسير العيّاشي عن زيد بن أسلم عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: تفرّقت أمّة موسىٰ على إحدى وسبعين ملّة سبعين منها في النار وواحدة في الجنّة وتفرّقت أُمّة عيسىٰ على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعين فرقة في النار وواحدة في الجنّة وتعلو أُمّتي على الفرقتين جميعاً بملّة واحدة في الجنّة وثنتان وسبعون في النار، قالوا: مَنْ هم يارسول الله؟ قال: الجماعات الجماعات[2].

٤ ـ وجاء في خصال الشيخ الصدوق رحمه الله مسنداً عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّ أُمّة موسى افترقت بعده على إحدى وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية وسبعون في النار، وافترقت أمّة عيسىٰ بعده على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية وإحدى وسبعون في النار، وإنّ أُمّتي ستفرق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية واثنتان وسبعون في النار[3].

٥ ـ وروي في نفس الكتاب عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: إنّ بني إسرائيل تفرّقت علىٰ عيسى إحدى وسبعين فرقة فهلك سبعون

---

(١) الكافي ج٨ ص٢٢٤ ح٢٨٣.

(٢) البحار ج٢٨ كتاب الفتن والمحن ح٢ ص٣ ط المكتبة الإسلامية، وكان العيّاشي من أهل السنّة في أوائل عمره وفي أيّام شبابه استبصر وتشيّع /المؤلّف.

(٣) الخصال للصدوق باب السبعين وما فوقه رقم الحديث ١١.

فرقة وتخلّص فرقة، وإنّ أُمّتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة يهلك إحدىٰ وسبعون ويتخلّص فرقة، قالوا: يارسول الله ﷺ مَن تلك الفرقة؟ قال: الجماعة الجماعة الجماعة.

وقال الصدوق موضّحاً هذا الحديث: الجماعة أهل الحقّ وإن قلّوا، وقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: المؤمن وحده حجّة والمؤمن وحده جماعة[1].

٦ ـ وروي في معاني الأخبار بطريقٍ مسند عن عبدالله بن عمر نقل عن رسول الله ﷺ: سيأتي على أُمّتي ما أتىٰ علىٰ بني إسرائيل مثل بمثل وإنّهم تفرّقوا على اثنتين وسبعين ملّة، وستفرق أُمّتي على ثلاث وسبعين ملّة تزيد عليهم واحدة كلّها في النار غير واحدة، قال: قيل: يارسول الله وما تلك الواحدة؟ قال: هو ما نحن عليه اليوم أنا وأصحابي[2].

٧ ـ وجاء في كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال ـ لرأس اليهود ـ: على كم افترقتم؟ قال: كذا وكذا فرقة.

فقال عليه السلام: كذبت ثمّ أقبل على الناس فقال: والله لو ثُنيت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل القرآن بقرآنهم.

افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، سبعون منها في النار وواحدة ناجية في الجنّة، وهي التي اتّبعت يوشع بن نون وصيّ موسىٰ عليه السلام.

---

(١) المصدر نفسه رقم الحديث ١٠ ومصدر الحديث «الجماعة أهل الحقّ..» في معاني الأخبار، باب معنى الجماعة ح١.

(٢) معاني الأخبار للصدوق، باب معنى الفرقة الناجية ص٣٢٣ ط جامعة المدرّسين، والشيخ الصدوق هو من أعلام الطائفة الحافظ لكثير من روايات أهل البيت وقد ألّف وصنّف مائتي كتاب وتوفي عام ٣٨١هـ. /المؤلّف.

وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة إحدىٰ وسبعون فرقة في النار وواحدة بالجنّة وهي التي اتّبعت شمعون الصفا وصيّ عيسىٰ عليه السلام.

وتفترق هذه الأُمّة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنّة، وهي التي اتّبعت وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وضرب بيده على صدره ثمّ قال:

ثلاث عشرة فرقة من الثلاث وسبعين فرقة كلّها تنتحل مودّتي وحبّي، واحدة منها في الجنّة وهي النمط الأوسط واثنتا عشرة في النار[1].

٨ ـ وجاء في كتاب أمالي الطوسي بإسناد هارون بن عمرو المجاشعي عين الحديث المتقدّم أعلاه[2].

٩ ـ وجاء في كتاب سُليم بن قيس قول أمير المؤمنين عليه السلام: أيّها الناس أنا أعلم من أهل التوراة بتوارتهم وأعلم من أهل الإنجيل بإنجيلهم وأعلم من أهل القرآن بقرآنهم، أنا أعرف كم انقسمت الأُمم، أخبرني به أخي وحبيبي وقرّة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة سبعون فرقة في النار وفرقة واحدة في الجنّة وهي التي اتّبعت وصيّه، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون فرقة في النار وفرقة واحدة في الجنّة وهي التي اتّبعت وصيّه، وستفرق أُمّتي علىٰ ثلاث وسبعين

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٦٣ ط الأعلمي بيروت عليها تعليقات الخرسان. هذا وقد جاء في العديد من الروايات عنهم عليهم السلام «نحن النمط الأوسط لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي».

(٢) أمالي الطوسي، المجلس ١٨ رقم الحديث ١١٥٩ / ٦٦ ط دار الثقافة، والشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي عماد الشيعة ورافع أعلام الشريعة شيخ الطائفة على الإطلاق، توفّي عام ٤٦٠ هـ. / المؤلّف.

فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة وهي التي اتّبعت وصيّي وضرب بيده على منكبي، ثمّ قال: اثنتان وسبعون فرقة حلّت عقد الإله فيك وواحدة في الجنّة وهي التي اتّخذت محبّتك وهم شيعتك[١].

١٠ ـ وجاء في تفسير روض الجنان لأبي الفتوح في ذيل آية (١٦٠) من سورة الأنعام عن أبان بن تغلب عن الفضل بن عبد الملك عن زاذان[٢] قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في المسجد فجيء برأس الجالوت (اليهودي) والجاثليق (النصراني) إلى المسجد بالتوبيخ والاستخفاف فقال عليه السلام:

ارفقوا بهما، ثمّ قال عليه السلام لرأس الجالوت: كم افترقت أُمّة موسىٰ عليه السلام؟ فقال رأس الجالوت: لا أعلم، عليَّ أن أنظر في الكتاب وأبحث عن ذلك، فقال عليه السلام: لعن الله من رئيس قومٍ إذا أتوك في حلالهم وحرامهم قلتَ أنظر في كتابي وأقول، أرأيت لو احترق الكتاب أو سُرق؟!

ثمّ التفت إلى رأس الجاثليق وسأله: كم افترقت أُمّة عيسىٰ؟ فقال: أربع وأربعون فرقة، فقال عليه السلام: والله انّي لأعلم بالتوراة منك وبالإنجيل منك.

١١ ـ وقد ذكر العلّامة المجلسي عين الحديث المتقدّم باختصار[٣].

١٢ ـ وجاء في تفسير البرهان عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «... إنّ اليهود تفرّقوا من بعد موسىٰ على إحدى وسبعين فرقة منها فرقة في الجنّة وسبعون في النار وتفرّقت النصارى بعد عيسىٰ عليه السلام على اثنين وسبعين

---

(١) بحار الأنوار ج٢٨ كتاب الفتن والمحن ح٢٠ ص١٣ ط المكتبة الإسلامية.

(٢) زاذان: هو من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكره العلّامة الحلّي في خلاصة الأقوال، ص٣٠٧، ط: مؤسسة الفقاهة ١٤١٧هـ والممقاني في تنقيح المقال: ج١، ص٤٣٦، ط: الحجرية.

(٣) البحار ج٢٨ كتاب الفتن ح٧ ص٥ ط المكتبة الإسلامية.

فرقة فرقة منها في الجنّة وإحدىٰ وسبعون في النار، وتفرّقت هذه الأُمّة بعد نبيّها على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وفرقة في الجنّة، ومن الثلاث والسبعين فرقة ثلاث عشرة فرقة تنتحل ولايتنا ومودّتنا اثنتا عشرة فرقة منها في النار وفرقة في الجنّة وستّون فرقة منها في سائر الناس(١).

١٣ ـ وجاء في تفسير الصافي، عن رسول الله ﷺ: ستفرق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلّا واحدة وهي التي تتبع وصيّي عليّاً(٢).

١٤ ـ وجاء في تفسير منهج الصادقين نقلاً عن أبي عمر زاذان الذي ذكرناه سابقاً من تفسير أبي الفتوح الرازي وفي ذيله قول رسول الله ﷺ: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة وتفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة(٣).

---

(١) تفسير البرهان ج٤ ص٧٤ ح١ نقلاً عن الكافي وقد ذكرناه آنفاً.
المحقّق والعلّامة السيّد هاشم البحراني من أكابر وأفاضل ومحدِّثي الشيعه عرف بكثرة تتبّعه للأخبار حتّى اعتبره البعض يلي العلّامة المجلسي في هذا الفنّ، توفّي عام ١١٠٩هـ. / المؤلِّف.

(٢) تفسير الصافي، ص ١٨٧، تفسير سورة الأنعام (آية ١٥٩، ١٦٠) ط حجرية.
والعالم الفاضل الحكيم مرتضىٰ مولىٰ محسن الملقّب بالفيض الكاشاني صاحب هذا التفسير يُعدّ من أجلّاء علماء الإمامية وهو صهر صدر المتألّهين وله مؤلّفات عديدة منها اليقين وعين اليقين والوافي والشافي وخلاصة الأذكار وبشارة الشيعة والمحجّة البيضاء وغيرها / المؤلِّف.

(٣) منهج الصادقين ج٣، ص٤٩٦، ط ايران، سنة (١٩٥٢م)، المولىٰ فتح الله بن المولىٰ شكر الله الشريف الكاشاني هو من أكابر علماء الإمامية عاصر الشاه طهماسب الصفوي وتوفّي عام ٩٨٨هـ. / المؤلِّف.

١٥ ـ وجاء في كتاب الأنوار النعمانية، بقوله: وفي الطريق المتواتر عن النبيّ ﷺ إنّ أُمّة موسى افترقت بعده إحدى وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وإنّ أُمّة عيسى افترقت بعده اثنتين وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار وإنّ أُمّتي ستفرق بعدي ثلاثاً وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار[1].

نتيجة البحث

والحاصل من جميع ما تقدّم من الأحاديث النبوية المتفاوتة في ألفاظها أنّ الاختلاف والافتراق حاصل في هذه الأُمّة.

وأنّ هذا الاختلاف في ألفاظ الأحاديث والروايات ـ قد يكون ـ من قِبل المستمعين الذين نقلوا الحديث بألفاظ متنوّعة، ولهذا الأمر نظائر كثيرة.

فمثلاً حينما يلقي أحد الأشخاص محاضرته على مجموعة كبيرة من الناس وبعد الانتهاء منها ينقل لنا الناس ألفاظاً مختلفة عمّا قاله الواعظ مع أنّ الكلمة التي قالها كانت واحدة، ولكن يأتي الاختلاف نظراً إلى قرب وبُعد المستمع ومقدار استيعابه وعلمه وفهمه للمطالب، أو نظراً إلى قوّة ذاكرته وضعفها، فمثلاً قال الواعظ: من قال (لا إله إلّا الله) مائة مرّة بعد الصلاة فإنّه يحصل على منافع كثيرة، بينما نجد هذا الرقم يختلف من سامع إلى آخر فالبعض قد يضيف عليه والبعض الآخر قد ينقص منه تبعاً للسماع وقوّة الحفظ والعدالة والضبط.

إلّا أنّنا نقطع أنّ المتكلّم قد ذكر العبارة بعدما نسمع من الناس ألفاظاً

---

(١) الأنوار النعمانية ج٢ ص٢١٣ ط الأعلمي بيروت. هو السيد نعمة الله الجزائري عالم فاضل و محدث شهير توفي عام ١١١٢ هـ/المؤلف

متعدّدة، وهكذا ما نحن فيه من حديث افتراق الأمم.

ولهذا قال السيّد نعمة الله الجزائري: «وفي الطريق المتواتر عن النبيّ ﷺ» أي التواتر المعنوي الناتج من تعدّد واختلاف ألفاظ الحديث[1].

---

(١) وأيضاً صرّح المناوي بتواتر هذا الحديث وهو من علماء أهل السنّة، انظر فيض القدير ج٢ ص٢١، وأيضاً العلّامة الكتابي في نظم المتناثر ص٥٧ ح١٨، ووثّقه الحاكم في المستدرك ج١ ص١٢٨ وقال العراقي: وأسانيدها جياد، انظر المغني ج٣ ص٢٣٠ وصحّحه الترمذي في سننه ج٢٥ ص٢٦، والحاكم النيسابوري والبغوي في شرح السنّة ج١ ص٢١٣، والسيوطي في الجامع الصغير ج١ ص١٨٤ والسخاوي والشاطبي في الاعتصام ج٢ ص١٨٩ وأثنى على سند الحديث الذهبي في تلخيص المستدرك ج١ ص١٢٨ والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١ ص٣٥٩ / المترجم.

بقيّة مصادر الحديث

وورد «ليأتينّ على أُمّتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتّى إن كان منهم من أتى أُمّه علانية لكان في أُمّتي مَن يصنع ذلك، وإنّ بني إسرائيل تفرّقت على اثنتين وسبعين ملّة وتفترق أُمّتي ثلاث وسبعين ملّة، كلّهم في النار إلّا ملّة واحدة» / سنن الترمذي كتاب الايمان ج٥ ص٢٦ وشرح السنّة ج١ ص٢١٣ ومشكاة المصابيح ج١ ص٦١.

وفي خبر آخر «إنّ هذه الملّة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة وهي الجماعة» / سنن أبي داود ج٤ ص١٩٨ ومشكاة المصابيح ج١ ص٦١ والدرّ المنثور ج٢ ص٢٨٦ والمطالب العالية ج٣ ص٨٧ وصحيح سنن أبي داود ج٣ ص٨٦٩ والجامع الصغير ج١ ص٥١٦.

وروي عن الإمام عليّ ؑ: لتفرقن هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، والذي نفسي بيده إنّ الفرق كلّها ضالّة إلّا من اتّبعني وكان من شيعتي / البحار ج٢٨ باب افتراق الأمّة كتاب الفتن ح١٧ نقلاً عن أمالي المفيد.

←

نعم، زعم البعض أمثال ابن حزم والغزالي والفخر الرازي أنّ الحديث غير صحيح وذلك لاختلاف ألفاظه، وبما أنّ الاختلاف مذموم في القرآن الكريم فإنّه لا يصدر عن النبيّ ﷺ، لأنّه لا يخالف القرآن ولا يرتكب القبيح.

ومن الغريب أن يقيم مثل هؤلاء هذا كدليل لردّ الحديث، لأنّ النبيّ ﷺ لم يأمر بالافتراق حتّىٰ يكون مرتكباً للقبيح وعمّا نهىٰ عنه القرآن، وإنّما هو أخبر عن الغيب كباقي إخباراته عن الملاحم والفتن، وقد لا يُدرك معنىٰ كلامه في حينها إلّا بعد حدوث الوقائع، فإنّ عدم الإدراك لا يصلح دليلاً لردّ الحديث.

لا سيّما وأنّ الحديث لا يرتبط بأصول أو فروع الدين لكي يثير أحاسيسهم ويعدّونه من الأحاديث الموضوعة، كيف وهم الذين كانت لهم الجرأة على ردّ أحاديث أُخرى لا ترتبط لا بالأصول ولا بالفروع.

وهنا علينا أن نوضّح لكم أنّ هدفنا ليس دراسة أسانيد الأحاديث وإنّما هو إجابة على سؤالكم الذي وجّهتموه إلينا وهو:

هل ذُكر حديث الافتراق في مصادر الشيعة والسنّة؟

وما تقدّم منّا عبارة عن جواب مختصر على هذا السؤال.

← ونقل العلّامة الحلّي عن شيخه نصير الدين الطوسي قال: سألته عن المذاهب؟ فقال: بحثنا عنها وعن قول رسول الله ﷺ: ستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها ناجية والباقي في النار، وقد عيّن ﷺ الفرقة الناجية والهالكة في حديث آخر صحيح متّفق عليه وهو قوله ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوىٰ».

فوجدنا الفرقة الناجية هي الفرقة الإمامية لأنّهم باينوا جميع المذاهب وجميع المذاهب قد اشتركوا في أصول العقائد..

انظر الأنوار النعمانية ج٢ ص٢٧٩ / المترجم.

الجواب عن السؤال الثاني

لقد كان سؤالكم الثاني حول زمان التفرقة هل كانت على عهد النبيّ ﷺ أم أنّ عبدالله بن سبأ هو موجد هذه التفرقة بعد رحيل النبي ﷺ؟

والجواب: أنّ الفُرقة لا علاقة لها بزمان عثمان ولا بعبدالله بن سبأ الملعون، وما ذكرتموه عن بعض كتب أهل السنّة ليس صحيحاً، وإنّما هو من وضع بعض المتعصّبين في زمان دولة بني أُميّة التي روّجت لمثل هذه الأباطيل وتزييف الواقع.

وأمّا تأريخ الافتراق فإنّه كان في عهد النبيّ ﷺ إذ بدأت أوّلياته من ذلك التأريخ فقد انقسم المسلمون إلى فرقتين:

١ ـ المؤمنون إيماناً خالصاً واتّبعوا الرسول وصدّقوا به وآمنوا بما جاء به، وما ذُكر في الأحاديث المتقدّمة عن (الجماعة) (ما عليه أنا وأصحابي) هم المقصودون من ذلك.

٢ ـ والمنافقون الذين آمنوا ظاهراً من خلال أداء الصلاة والصيام والحجّ وبقيّة الشعائر الدينيّة، إلّا أنّهم أبطنوا الفساد وعدم الايمان ولذا فقد أشار إليهم القرآن في خمس وخمسين آية. ومن خلالها ذمّهم وكشف بواطنهم.

سؤال أحد الحاضرين: هل هذه الآيات ذُكرت في سورة واحدة؟

الجواب: لا، بل ذُكرت خلال اثنتي عشرة سورة من القرآن، والسبب يعود إلى اختلاف زمان نزول هذه الآيات التي كانت تنزل بسبب صدور الأعمال القبيحة من هؤلاء، فكانت تذمّهم وتكشفهم.

سؤال أحد الحاضرين: هل بإمكانكم أن تذكروا لنا هذه الآيات؟

الجواب: رعايةً للاختصار فإنّي سأذكر لكم أرقام الآيات وأسماء السور:

١ ـ البقرة، الآيات: ٨ و٩ و١٠ و١٣ و١٤ و١٥ و٢١ و٢٠٢ و٢٠٤[1].

٢ ـ النساء، الآيات: ٦٤ إلى ٦٧ و٩١ و١٣٨ إلى ١٤٣[2].

---

(١) الآيات حسب الترقيم المذكور أعلاه ارتأينا أن نذكرها نصّاً لتعميم الفائدة: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» «يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ» «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ» «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ» «اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» «أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ».

(٢) «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً» «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً» «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴿٦٦﴾ وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً» «سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً» «بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً» «الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعاً» «وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي

←

٣ ـ الأنفال، الآية ٥٢ [١].

٤ ـ التوبة، الآية ٥٧ إلى ٧٠ و٧٥ إلى ٨٠ [٢].

← جَهَنَّمَ جَمِيعاً» «الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً» «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً» «مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً».

(١) «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

(٢) «وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ» «وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ» «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» «وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» «يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ» «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ» «يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ» «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ» «لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ» «الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» «وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ

←

٥ ـ النور، الآية ٤٧ إلى ٥٠[١].

٦ ـ العنكبوت، الآية ١٠ إلى ١١[٢].

٧ ـ الأحزاب، الآية ٢٤ و ٤٨ و ٧٣[٣].

← جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ» «كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» «أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

«وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ» «فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ» «فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

(١) «وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ» «وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ» «وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ» «أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

(٢) «وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ» «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ».

(٣) «لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ

←

٨ ـ الفتح، الآية ٦ [(١)].

٩ ـ الحديد، الآية ٤ [(٢)].

١٠ ـ الحشر، الآية ١٢ [(٣)].

١١ ـ المنافقون، الآية ٢ إلى ٩ [(٤)].

← كَانَ غَفُوراً رَحِيماً» «وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً» «لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً».

(١) «وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً».

(٢) «هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

(٣) «لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ».

(٤) «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» «هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ» «يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

١٢ ـ التحريم، الآية ١٠[١].

ولاسيّما قوله تعالى في سورة النساء؛ ﴿إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾.

والسبب في شدّة هذا العذاب، لأنّ الكفّار يعلنون كفرهم أمام الناس ويعملون ظاهراً على بغض النبيّ ﷺ وإنكار نبوّته.

بينما المنافقون يتظاهرون بالإيمان إلّا أنّهم يضمرون الكفر وإنكار النبوّة، فيجمعهم هدف خبيث باطني يحيكون من أجله المؤامرات والخطط الخبيثة. ويعملون على الوصول إلى أهدافهم القذرة بكلّ وسيلة فيما بعد رحيل النبيّ ﷺ إن لم يتسنّ لهم ذلك أثناء حياته ﷺ، فيرتدّون على أعقابهم.

---

(١) «ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ».

سؤال أحد الحاضرين: أيمكنكم أن تقدّموا لنا دليلاً على ارتداد هؤلاء؟

الجواب: أفضل دليل في إثبات ذلك هو القرآن المجيد في قوله تعالى: ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً﴾(١).

وهي في وضوحها لا تحتاج إلى شرح وتفصيل عن ارتداد البعض.

سؤال أحد الحاضرين: إنّ الذين عاصروا رسول الله ﷺ هم الصحابة من المهاجرين والأنصار، وما تفضّلتم به عن ارتداد بعض هؤلاء الصحابة يردّه الحديث المروي في كتب أهل السنّة «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم».

ردّ حديث أصحابي كالنجوم

الجواب: **أوّلاً**: إنّ هذا الحديث لم يتسالمه أهل العلم والتحقيق بالقبول فهو حديث موضوع وأوّل من صرّح بذلك ـ فضلاً عن علماء الإمامية ـ أكابر علماء أهل السنّة وذلك بالخدش في سند هذا الحديث ومن جملتهم الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي حيث قال: على الرغم من شهرة هذا الحديث إلّا أنّ سنده ضعيف.

والقاضي عياض في شرح الشفا قال: إنّ هذا الحديث قد عدّه الدارقطني في الفضائل فاقداً لشرائط الحجّية لوجود الحارث بن غضين المجهول في إسناده.

وابن حزم الظاهري، حيث قال: إنّ هذا الحديث موضوع ومدلّس وباطل، وابن عدي عدّه ضعيفاً لوجود حمزة في إسناده وهو متّهم بالكذب والتدليس.

وعبد بن حميد في مسنده روىٰ عن عبد الرحيم بن زيد عن أبيه عن

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

المسيب عن عمر قال: البزار أنكر صحّة هذا الحديث.

وغير هؤلاء من أكابر علماء أهل السنّة مضافاً إلى إجماع الإمامية على بطلان هذا الحديث.

ثانياً: إنّ كلّ حديث مخالف لكتاب الله المجيد فهو مردود[1]، وهذا الحديث مخالف لكثير من الآيات القرآنية.

وقد مرّ عليكم أنّ القرآن صرّح بارتداد بعض الصحابة، بينما الحديث يؤكّد خلاف ذلك وعليه فلا يبقى للحديث أي معنىً؟ وعليه فنحن مأمورون بالتمسّك بالكتاب وترك ما خالفه من الحديث.

ثالثاً: ومن خلال التتبّع التأريخي لسيرة الصحابة ويوميّاتهم وما عملوه يظهر زيف الحديث المتقدّم، لأنّ الحديث يؤكّد العدالة والصلاح لجميع الصحابة، والواقع أنّ بعض الصحابة امتاز وعرف بالصلاح والتقوىٰ لا كلّهم، إذن فالتاريخ أيضاً يُبطل هذا الحديث ويردّه.

هذا، وقد مرّت عليكم الآيات التي أشارت إلى نفاق بعض الصحابة وأنّ صحبتهم للنبيّ ﷺ لم تمنع من استمرار خبثهم وسوء سريرتهم كما قال الله تعالى: ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾ فلم يدركوا شيئاً من نور النبيّ ﷺ وشفّافيته لخبث طينتهم، مع أنّهم يعدّون ظاهراً من أصحابه، إلّا أنّهم من أهل النار وقد صرّح بعض علماء أهل السنّة بذلك أيضاً.

---

(١) فقد روي عن النبيّ ﷺ: إنّ علىٰ كلّ حقّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه، وعن الإمام الصادق عليه السلام: خطب النبيّ ﷺ بمنى فقال: أيّها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله، وعنه عليه السلام قال: كلّ شيء مردود إلى كتاب الله والسنّة وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف. وعنه عليه السلام قال: ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف / المؤلّف.

نقل أحاديث في ارتداد بعض الصحابة

سؤال من أحد الحاضرين: اذكر لنا بعض هذه الأخبار الدالّة على انحراف بعض الصحابة.

الجواب: **أوّلاً**: جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: بينا أنا قائم ـ يعني يوم القيامة على الحوض ـ فإذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى. ثمّ إذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى. فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل النعم[1].

وفي نفس المصدر والباب روي عن رسول الله ﷺ قال: يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلؤون عن الحوض، فأقول: يارِبّ أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنّهم ارتدّوا على أعقابهم القهقرى[2].

فهذان الخبران في أصحّ كتاب بعد القرآن عند أهل السنّة وهما شاهدان ببطلان حديث (أصحابي كالنجوم)، ولا ينحصر الأمر بهما بل انّنا ذكرناهما كنماذج وإلّا فهناك الكثير من هذه الأحاديث مروية عن رسول الله ﷺ في صحيحي مسلم والبخاري وفي مسند أحمد والكبير للطبراني والإبانة وغيرها.

وبهذا القدر يرتفع التوهّم الذي يثيره بعض المغرضين، ويندفع القول

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق باب الحوض ج٢٣ ص٦٨ رقم ٦١٩٣ / بشرح الكرماني ط بيروت دار إحياء التراث العربي.

(٢) المصدر السابق رقم الحديث ٦١٩١.

القائل بعدالة الصحابة ونزاهتهم[١].

ثانياً: وقال التفتازاني في شرح المقاصد:

وأمّا الإمامية فإنّهم أجمعوا على عدم تنزيه جميع الصحابة، وإنّما يذهبون إلى أنّ بعض الصحابة كانوا ضمن سلك المنافقين الذين ذمّهم القرآن الكريم ورسول الله ﷺ واعتبُروا بصريح الآيات أنّهم من أهل النار.

ثالثاً: وجاء في كتب أهل السنّة والجماعة المعتبرة ذمّ هؤلاء الصحابة المنافقين الذين ارتدوا بعد وفاة رسول الله ﷺ وخرجوا من الدين الإسلامي كما أخبر عن ذلك النبيّ ﷺ.

وسبب نفاقهم هو أنّهم كانت لهم طموحات وغايات وأهداف خبيثة أبرزها الوصول إلى السلطة بأي ثمن كان ولذلك كانوا يتحمّلون الشقاء والتعب في العبادات والجهاد والحجّ من أجل ذلك الهدف.

ومن المصادر السُنيّة ما ذكره أحمد بن حنبل والفخر الرازي والزمخشري وشرح النهج للمعتزلي.

عن عمّار بن ياسر وحذيفة النخعي: عندما حاول بعض هؤلاء الصحابة المنافقين أن يقتلوا النبيّ ﷺ بعد عودته من غزوة تبوك حيث تواثق اثنا عشر

---

(١) وروي «أنّكم تحشرون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة وأنّه سيجاء برجال من أُمّتي ويؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: ياربّ أصحابي؟ فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم».
انظر صحيح البخاري تفسير سورة الأنبياء وكتاب الرقاق باب الحوض وصحيح مسلم باب ٣٧ من كتاب الطهارة وباب ٥٣ من كتاب الصلاة وسنن الترمذي باب ٣ من كتاب القيامة وهكذا تفسير سورة الأنبياء وسنن النسائي الباب ٢١ من كتاب الافتتاح وسنن ابن ماجة باب ٤٠ من كتاب المناسك وسنن الدارمي باب ١٨ من كتاب المناسك وموطأ مالك باب ٣٢ من كتاب الجهاد / المترجم.

أو أربعة عشر أو خمسة عشر منهم على أن يدفعوه ﷺ عن راحلته إلى الوادي إذا تسنّم العقبة بالليل فأخذ عمّار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح فالتفت فإذا قوم متلثّمون، فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا[1].

---

(١) الزمخشري في الكشّاف ج٢ ص٢٩١ ذيل آية ٧٤ من سورة التوبة. وجاء في هامش الكشّاف: أخرجه أحمد من حديث أبي الطفيل قال: «لمّا قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً ينادي لا يأخذن العقبة أحد فإنّ رسول الله ﷺ يسير وحده، فكان النبيّ ﷺ يسير وحذيفة يقود به وعمّار رضي الله عنه يسوق به فأقبل رهط متلثّمين على الرواحل حتّى غشوا النبيّ ﷺ فرجع عمّار فضرب وجوه الرواحل فقال النبيّ ﷺ لحذيفة: قد قد فلحقه عمّار فقال: سق سق حتّى أناخ فقال لعمّار: هل تعرف القوم؟ فقال: لا كانوا متلثمين وقد عرفت عامّة الرواحل، فقال: أتدري ما أرادوا برسول الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: أرادوا أن يمكروا برسول الله فطرحوه من العقبة، فلمّا كان بعد ذلك وقع بين عمّار وبين رجل منهم شيء ممّا يكون بين الناس فقال: أنشدكم الله كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يمكروا برسول الله ﷺ فقال: ترى أنّهم أربعة عشر، فإن كنت فيهم فهم خمسة عشر، ومن هذا الوجه رواه الطبراني والبزار وقال: روي من طريق عن حذيفة وهذا أحسنها وأصلحها إسناداً، ورواه ابن إسحاق في المغازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن الأعمش عن عمرو بن مرّة عن أبي البختري عن حذيفة بن اليمان..

وبقيّة مصادر هذه القصّة هي:

شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج١٣، ص١٩٠، ط دار الكتب العربية الكبرى بمصر.

وتفسير الفخر الرازي، ج١٦، ص١٣٦، ط الثالثة.

وأنوار التنزيل، تفسير سورة التوبة، ص١٧٧، ط حجرية.

وأحمد بن حنبل في المسند ج٥، ص٣٩٠، ط دار صادر بيروت.

ودلائل النبوّة للبيهقي ج٥ ص٢٥٦ ط دار الكتب العلمية.

ومضافاً إلى ذلك فإنّ أغلب آيات سورة التوبة جاءت في صدد شرح حال المنافقين وعرض أفعالهم وصفاتهم الخبيثة ، وهي بذلك توضح لنا أمرين:

الأوّل: من خلالها يثبت نفاق بعض الصحابة الذين كانوا حول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبذلك يثبت كفرهم وفسقهم كما في الآيات.

الثاني: وهو ما أشرتُ إليه سابقاً من كون المسلمين افترقوا في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى فرقتين متمايزتين مختلفتين وهما المؤمنون حقّاً ظاهراً وباطناً، والمنافقون وهم المؤمنون ظاهراً الكافرون باطناً.

سؤال أحد الحاضرين: إنّ الإيمان والنفاق من الأُمور القلبية فهل توجد هناك علامة بارزة يمكن من خلالها أن نحدِّد إيمان الشخص أو نفاقه؟

الجواب: إنّ الله تبارك وتعالىٰ قد ذكر في كتابه المجيد عدّة صفات للمؤمنين في سورة (المؤمنون) كثبات القدم في العقيدة والإيمان حال حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعد وفاته.

وأمّا عن المنافقين فقد ذكرت آيات عديدة في القرآن الكريم بعض صفاتهم وأبرزها تكذيب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومخالفة أوامره وكشف أسراره، وهناك علامة بارزة لهم أشارت إليها الآيات والأحاديث وهي بغضهم لعليّ بن أبي طالب عليه السلام .

سؤال أحد الحاضرين: هل ذكر علماء السنّة هذه العلامة ـ بغض الإمام علي ـ في كتبهم؟

الجواب: نعم، لقد ذُكرت في الكثير من كتب علماء السنّة وبعبارات متنوّعة، وأذكر لكم على سبيل المثال:

ـ الحافظ أبو عبدالله محمّد بن عبدالله النيشابوري المعروف بالحاكم المتوفّى في عام ٤٠٥ هـ . وقال بعد ذكر الحديث: حديث صحيح على شرط

البخاري ومسلم ولم يخرجاه[١].

ـ ومحب الدين الطبري[٢].

ـ ومحمّد بن محمّد الجزري[٣].

ـ وجلال الدين السيوطي[٤].

فهؤلاء ذكروا نصّ هذا الحديث المسند عن رسول الله ﷺ : ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله والمتخلّف عن الصلاة والبغض لعليّ بن أبي طالب.

ـ ومحمد بن طلحة الشافعي المتوفي عام ٦٥٤هـ . [٥].

ـ والترمذي المتوفّي عام ٢٧٩ هـ . [٦].

ـ يوسف سبط ابن الجوزي المتوفي عام ٦٥٤هـ . [٧].

ـ والحافظ أبو نعيم الاصفهاني المتوفي عام ٤٣٠ هـ . [٨].

ـ والشيخ محمد الصبان الشافعي الحنفي المتوفي عام ١٢٠٦ هـ . [٩].

---

(١) مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة ص١٣٩ ج٣ رقم الحديث ٤٦٤٣ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الرياض النضرة، ج٣، ص١٦٣، ط دار المعرفة بيروت (١٩٩٧)م

(٣) أسنى المطالب ص٥٤ ح١١ و ١٢، تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني (١٩٨٢م).

(٤) الجامع الكبير للسيوطي، ج١، ص٢٨٣، دار الفكر.

(٥) مطالب السؤول، ص٨٣، مؤسسة البلاغ سنة (١٩٩٩م).

(٦) سنن الترمذي ج٥ ص٦٣٥، رقم ٣٧١٧، ط بيروت (دار إحياء التراث العربي).

(٧) تذكرة الخواص ص٢٨، ط نينوى الحديثة، تقديم السيد محمد بحر العلوم.

(٨) حلية الأولياء، كتاب صفة النفاق.

(٩) إسعاف الراغبين ص١٢٣.

ـ ومير سيّد علي الشافعي.
ـ وابن حجر المكّي المتوفي عام ٩٧٣ هـ .[١].
ـ وأبي جعفر محب الدين الطبري المتوفي عام ٦٩٤هـ .[٢].

جاء في هذه الكتب بهذه العبائر «ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغضهم عليّاً» «كنّا نعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم عليّاً» «ما كنّا نعرف المنافقين معشر الأنصار إلّا ببغضهم عليّ بن أبي طالب».

ومضافاً إلى هذه النصوص الدالّة على أبرز علامة في المنافقين فهناك أحاديث أُخرى عن رسول الله ﷺ أشار فيها إلى أنّ حبّ علي عليه السلام علامة الايمان، والبغض له عليه السلام علامة النفاق «لا يحبّ عليّاً إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق أو إلّا كافر» وجاء بلفظ «لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»[٣].

---

(١) الصواعق المحرقة، ج٢، الباب ٩، فصل ٢، ص٣٥٧، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م.

(٢) ذخائر العقبى ص٦٩٤ ط جدّة.

(٣) ذكره أحمد بن حنبل في المسند رقم ٦٤٢ ج١ ص٨٤، وفي طبعة أُخرى ص١٥٣ رقم ٧٣٣ وص٢٠٧ رقم ١٠٦٥، وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة ص١٢٥ ومير سيّد علي في المودّة الثلاثين والحمويني في فرائد السمطين، وسبط ابن الجوزي في التذكرة ص٢٨ نقلاً عن أحمد ومسلم في فضائل الإمام علي والترمذي ج٥ ص٢٩٦ ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول نقلاً عن الترمذي ومحمد بن يوسف الگنجي في كفاية الطالب في الباب الثالث ص٦٨ والشيخ محمد الصبان في إسعاف الراغبين ص١٢٣ وابن حجر في الصواعق كما مرّ مصدره أعلاه والمناوي في كنوز الحقائق نقلاً عن الطبراني في المعجم الكبير ج٢٣ رقم ٨٨٥ ومحبّ الدين الطبري في الذخائر ص١٦٤ وغيرهم كثير / المؤلّف.
وهذه بقيّة المصادر من أجل تعميم الفائدة:

←

هذا وقد ورد عن أمير المؤمنين عليّ قـوله عليه السلام: والذي فـلق الحـبّة وبـرأ النسمة إنّه لعهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق[1].

ومن هذه الأحاديث الصحيحة يتّضح أنّ محبّ الإمام علي عليه السلام هو المؤمن الحقيقي، ومبغضه هو المنافق الحقيقي وإن تظاهر بالايمان، وقد ظهر لكم أنّ هاتين الفرقتين كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالافتراق إذن منذ ذلك الزمان كما قلتُ لكم، نعم هؤلاء المنافقون كانوا يتحفّظون في بغضهم لعليّ عليه السلام أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا أنّهم بمجرّد أن شعروا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مـرضَ مـرض الموت كشفوا عن حقدهم وبغضهم لعليّ عليه السلام.

وعندما توفّي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حاول عمر بن الخطّاب أن يتدارك الأمر فـقال بعض الكلمات التي فسحت المجال للمنافقين لأن يضمّوا صوتهم إلى صوته.

وفي الحقيقة يمكن القول: إنّ المسبِّب الحقيقي للافـتراق هـو عـمر بـن الخطّاب.

سؤال أحد الحاضرين: كيف يمكننا تصديق أنّ عمر بن الخـطّاب وهـو

← درر السمطين القسـم الثاني مـن السـمط الأوّل، ومـصابيح السـنّة ج٨ للـبغوي، والمناقب لابن المغازلي ص١٣٩ ومـجمع البـحرين ج٣ وكـتاب السـنّة ص٥٨٤ للشيباني وتاريخ الإسلام للذهبي في عهد الخلفاء ص١٣٤، ومختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص٣٦٩ والاستيعاب للـقرطبي ج٣ ص٢٠٤ وتـذكرة الحـفّاظ للـذهبي ج١ ص١٠ ومختصر المحاسن ص١٦٧ ومناقب الأسد الغالب وابن ماجه ج١ ص٤٢ وسنن النسائي وصحيح مسلم في فضائل علي والخطيب البغدادي ج١٤ والسنن الكبرى ج٥ للنسائي وتاريخ الخلفاء للسيوطي ونور الأبصار ص٨٨، دار الكـتب العلمية بيروت ١٩٧٨، وينابيع المودّة الباب ٦ وكنز العمّال ج١١ ص٥٩٨ وص٥٩٩ وغيرها / المترجم.

(١) مختصر تاريخ دمشق، ج١٦، ص٨٨، ط دار الفكر، بيروت.

خليفة النبيّ ﷺ بعد كلّ ما قدّمه للإسلام من تضحيات أن يتسبّب في افتراق الأمّة والحال أنّه كان يسعى لتحقيق الوحدة؟

الجواب: أوّلاً: إنّ عمر في ذلك اليوم ـ بعد وفاة النبيّ ﷺ ـ لم يكن خليفة المسلمين بعد.

وثانياً: ولم أقلّ إنّ عمر قصد إيجاد الافتراق في الأمّة، وإنّما تكلّم وتصرّف بعض التصرّفات كانت تصبّ لصالح المنافقين ومخطّطاتهم ولذلك فإنّهم استفادوا كثيراً من كلام عمر بن الخطّاب أو تصرّفه.

وثالثاً: إنّ قضية افتراق الأمّة في أوّل يوم توفّي فيه النبيّ ﷺ ممّا لا ينكره أحد بل ذكره أكابر علماء الفريقين.

سؤال أحد الحاضرين: نرجو أن توضّح لنا بداية المسألة؟

الجواب: نعم، عندما كان رسول الله ﷺ في مرض موته وفي آخر لحظاته أمر الجالسين عنده أن يأتوا بكتف ودواة ليكتب لهم كتاباً يكون صمّام الأمان من أي فرقة وافتراق فقال ﷺ: «ايتوني بدواة وبياض لأكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي».

وقد ذكر ذلك الغزالي في كتاب سرّ العالمين ضمن المقالة الرابعة نقلاً عن سبط ابن الجوزي وقد ذكر أيضاً أنّ رسول الله ﷺ قال: «ايتوني بدواة وبيضاء لأكتب لكم كتاباً لأزيل عنكم إشكال الأمر وأذكر لكم مَن المستحقّ لها بعدي» وفي بعض الروايات: «لأكتب لكم كتاباً لا تختلفون فيه بعدي».

فقال عمر بن الخطّاب: «دعوا الرجل فإنّه ليهجر! حسبنا كتاب الله» فاختلف مَن في البيت واختصموا، منهم من يقول قرّبوا يكتب لكم النبيّ ﷺ كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر.

فلمّا كثر اللغو والاختلاف عند النبيّ ﷺ غضب عليهم فقال لهم: قوموا

عنّي ولا ينبغي عند* التنازع[1].

(*) الأصح (عندي) /المترجم

(١) انظر مصادر هذه الحادثة:

شرح النهج ج٢ ص٥٤ و ص٥٥ ط دار إحياء التراث العربي.

وقال المعتزلي في شرح النهج ج١ ص١٨٣ وهو يستعرض طرف من أخبار عمر بن الخطّاب: وكان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهرة... فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله ﷺ ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها ولكنّه أرسلها على مقتضىٰ خشونة غريزته ولم يتحفّظ منها!! (دار إحياء الكتب العربية).

وصحيح البخاري ج٢ ص١١١ كتاب الجهاد طبع المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٠هـ، وصحيح مسلم ج١١ ص٨٩ ـ ٩٣ بشرح النووي: فقالوا: هجر رسول الله!

وفي مسند أحمد ج٣ ص٣٤٦: فخالف عليها عمر بن الخطّاب حتّى رفضها، وقد تجده في المسند ج١ ص٣٥٥ على اختلاف الطبعات.

وفي تاريخ الطبري ج ص٢٢٨ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨م «... فقالوا: ما شأنه أهجَر..» «.. فقالوا إنّ رسول الله يهجر».

وفي حياة محمّد ﷺ لهيكل «قال بعض الحاضرين إنّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن وحسبنا كتاب الله ويذكرون أنّ عمر هو الذي قال هذه الكلمة... وأمّا عمر فظلّ ورأيه / ص٣١٣ ط مطبعة مصر الطبعة ٣.

ولا بأس هنا أن أذكر كلاماً رشيقاً للعلّامه المظفّر ؒ قال:

من العجب شدّة تحفّظهم علىٰ شأن عمر فإنّهم إذا رووا لفظ الهجر لم يعيّنوا قائله، وإذا عيّنوا عمر قالوا: قال: غلبه الوجع أو خالف حتّى رفضها وإذا تُليت عليهم الأدلّة الواضحة على امتناع وصمة النبيّ ﷺ بالهجر والهذيان ردّوها بجدّهم وخذلوا رسول الله ونصروا عمر بجهدهم وأساءوا القول فيمن ينتقده وإن آذى نبيّهم وأغضبه وغمّه.. / دلائل الصدق ج٣ ص٦٦ القسم الثاني / المترجم.

وقال الشهرستاني: فأوّل تنازع وقع في مرضه ﷺ فيما رواه الإمام أبو عبدالله

←

كانت هذه الكلمة الخطيرة من عمر أوّل سبب وبذرة من بذور الشقاق والافتراق لأنّه بهذه الكلمة قد صادر جميع جهود النبيّ خلال ٢٣ عاماً، فهو الذي منع النبيّ ﷺ أن يكتب كتاباً يمنع الافتراق والاختلاف، وبهذا فعمر فسح المجال للاختلاف والافتراق في عهد النبيّ ﷺ وأمامه عند سريره، ومن هذا الاختلاف تشعّبت الفرق الأُخرى حتّى يصل العدد إلى ثلاث وسبعين.

سؤال أحد الحاضرين: قال علماؤنا: إنّ عمر بن الخطّاب اجتهد في كلمته هذه ومنع من كتابة الكتاب لعلمه أنّ الكتاب سيؤدّي إلى الاختلافات وتحرّك المنافقين، وهذا دليل علىٰ عبقرية عمر وذكائه ولذلك نرى أنّ النبيّ ﷺ لم يصرّ على كتابة الورقة وإنّما أمر بتفرّق الأصحاب لمّا رأى في رأي عمر رأياً صائباً لدفع الاختلاف والافتراق[1].

الجواب: ليس العجب الكبير من كلمة عمر بن الخطّاب لأنّ أهل السياسة يتوسّلون بأيّ سبب كان ليصلوا إلى أهدافهم ومراميهم.

ولكنّ العجب كلّ العجب من هؤلاء العلماء الذين يجهدون أنفسهم في إيجاد الأعذار لعمر بن الخطّاب، والعجب منكم أيّها المتنوّرون كيف بعد ألف

← محمّد بن إسماعيل البخاري بإسناد... قال: لمّا اشتدّ بالنبيّ ﷺ مرضه الذي مات فيه قال: ائتوني بدواةٍ وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي، فقال عمر: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط... / الملل والنحل ج١ المقدّمة الرابعة في بيان أوّل شبهة وقعت في الملّة.

وفي تذكرة الخواص ص٦٢ أنّ عمر قال: دعوا الرجل فإنّه يهجر.

وفي طبقات ابن سعد ج٢ ص٢٤٢ فقال بعض من كان عنده: إنّ نبيّ الله ليهجر.

(١) قد ذكر عمر أنّ سبب اعتراضه على النبيّ ﷺ ومنعه من الكتابة «إنّ رسول الله ﷺ أراد أن يذكر عليّاً عليه السلام في هذا الكتاب» / انظر فتح الباري ج٨ ص١٣٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٣ ص١١٤ دار إحياء الكتب العربية / المترجم.

وثلاثمائة عام تحاولون أن تغمضوا أعينكم أمام الحقّ وتتلقّون مثل هذه الكلمات والتوجيهات الفارغة بلا تعقّل وتدبّر، فهل يعقل أنّ تفسير هذه الكلمة وهذا الموقف يكون إيجابياً ولصالح عمر نفسه!!

ولكن كما قال ﷺ: حبّ الشيء يُعمي ويصمّ، والآن ألفت انتباهكم وأحاول أن أُثير عقولكم إلى قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب﴾[2].

فهذه أوامر إلٰهية مطلقة بوجوب طاعة النبيّ ﷺ في كلّ أمرٍ من دون أدنىٰ تردّد واعتراض.

ثمّ كيف تتصوّرون أنّ عمر بن الخطّاب يكون هو الأعرف بصلاح الأمّة ومستقبلها من رسول الله ﷺ؟! أليس ذلك مضحكاً؟

إنّ رسول الله ﷺ أراد الكتابة من أجل تحقيق الهداية وإبعاد الأمّة عن الضلالة، بينما عمر اقترح عدم الكتابة، فيعني عدم تحقّق الهداية وتحقّق الضلالة بدلها، فكيف يكون عمر أفضل من النبيّ ﷺ، مالكم كيف تحكمون؟

ثمّ لا يمكن لأي أحد أن يدّعي أنّ النبيّ ﷺ يهجر كما زعم عمر لأنّ الله تعالى قال في وصف عظمة وعصمة النبيّ ﷺ: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحىٰ علّمه شديد القوى﴾[3].

وهذه الآية مطلقة أي أنّها تشمل جميع ما ينطق به النبيّ ﷺ، لأنّه على

---

(١) المائدة: ٩٢.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) النجم: ٣ ـ ٥.

اتّصال دائم بعلّام الغيوب وبالتالي فله حظّ من علم الغيب وله القرار الحاسم والنهائي والصائب في جميع الأمور، فكيف جاز لعمر أن يمنع ما أمر به النبيّ ﷺ؟ وكيف أجزتم لعقولكم أن تصدِّقوا ما قاله علماؤكم؟

أفهل يجوز لعمر أن يجتهد مقابل النصّ القرآني؟ ألم يقرأ عمر بن الخطّاب ـ وكلّ من دافع عن كلمته ـ قوله تعالى: ﴿إنّه لقول رسول كريم ذي قوّة عند ذي العرش مكين مطاعٌ ثمّ أمين وما صاحبكم بمجنون﴾[1]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إنّه لقول رسولٍ كريم وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكّرون تنزيل من ربّ العالمين﴾[2] وكلّ هذه الآيات تؤكّد عصمة ونزاهة النبيّ ﷺ من أي عارض يصيبه بل هو ﷺ عالم معصوم مطاع الأمر.

ثمّ ألم يقرأ عمر بن الخطّاب قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾[3] أليست هذه الآية صريحة بعصيان عمر؟!!

سؤال أحد الحاضرين: هذا كلّه صحيح، ولكن قد يكون منع عمر من باب المشاورة، فأراد عمر في منعه مشاورة القضية مع النبيّ ﷺ.

الجواب: **أوّلاً**: إنّ آية الشورى لم تعمّ كلّ وقائع الحياة والدين وإنّما هي نزلت في ظرف خاصّ وهو فيما بعد فرار أغلب الأُمّة في حرب أحُد ولم يبق مع النبيّ ﷺ سوى بضع الرجال. فبعد أن وبّخ وعاتب الله تعالى أولئك الفارّين أنزل قوله تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله﴾[4].

---

(١) التكوير: ١٩ ـ ٢٢.

(٢) الحاقة: ٤٣.

(٣) الأحزاب: ٣٦.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

وهذا لا يعني أنّ النبيّ ﷺ كان محتاجاً إلى آرائهم وإلّا لما قال الله تعالىٰ: ﴿فإذا عزمت فتوكّل على الله﴾ ممّا يعني أنّ النبيّ ﷺ في غنىً عن آرائهم[1] بعدما سدّده الله بالعصمة ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحىٰ﴾.

ولكن جاءت الشورى استصلاحاً لنفوسهم الخائرة ودعماً لمعنويّاتهم الفاشلة بعدما هربوا، فإنّهم توقّعوا أن يعاملهم النبيّ ﷺ تعاملاً قاسياً ويذمّهم إلّا أنّه ﷺ فاجأهم باللين واللطف والعفو، بل يشاورهم، كلّ ذلك استصلاحاً لهم وتطميعاً في ثباتهم على الإسلام والتخلّق بفضائل الأخلاق واستمالةً لقلوبهم وتعليماً لأُمّته بعده أن يزاولوا المشاورة في الموضوعات الخارجيّة.

ولذلك نرى الفخر الرازي يُصرِّح في تفسيره أنّ علماء الأمّة اتّفقوا بعدم جواز مزاولة الشورىٰ فيما ينزل به الوحي لأنّه إذا جاء النصّ بطل الرأي والقياس.

ونقل قول الكلبي: إنّ أكثر العلماء قالوا: إنّ الألف واللام في كلمة (الأمر) ليس للاستغراق، وعليه فيكون هذا الأمر من الأُمور الخاصّة لا كلّ أمر، وهذا الأمر الخاصّ هو ما يتعلّق بأمور الحرب فقط لأنّ الألف واللام عهدية، والآية جاءت بعد آيات تحدّثت عن غزوة أُحُد فهي تشير إلى هذا الأمر المعهود، بل حتّىٰ في حدود هذا الأمر جعل الله تعالى نهاية الرأي والكلمة الحاسمة لرسول الله ﷺ لغناه عن آراء الناس ﴿فإذا عزمت فتوكّل﴾[2].

---

(١) عن الإمام الحسن عليه السلام: «قد علم الله أنّه ما به إليهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده» تفسير الكشّاف ج١ ص٤٣٢ / المترجم.

(٢) وجاء في الكشّاف حول الآية ﴿وشاورهم في الأمر﴾ يعني في أمر الحرب ونحوه ممّا لم ينزل عليه فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من

←

ثانياً: ثمّ إنّ كتابة الكتاب الذي أراد رسول الله ﷺ فعله في مرضه لا علاقة له بموضوع الشورىٰ فإنّه ﷺ لم يقل لأصحابه: أُريد أن أكتب كتاباً لن تضلّوا به من بعدي فما رأيكم أكتبه لكم أم لا؟ حتّىٰ يجيب عمر بالنفي والمنع والتعدّي!! وإنّما هو ﷺ اكتفىٰ بإظهار كون سبب الكتابة من أجل الحفاظ على وحدة الأُمّة وهُداها، وبالتالي ليس هناك مجال للآراء.

ثالثاً: ولكن حتّى لو سلّمنا ـ جدلاً ـ أنّ عمر أراد أن يدلي برأيه في هذا الموضوع ـ الذي قلنا إنّه خارج عن موضوع الشورىٰ ـ فكان عليه أن يتأدب في عرض رأيه مع رسول الله ﷺ فيقول مثلاً: يا رسول الله بعد الإذن منك أرى أنّه ليس من صلاح الأُمّة أن تكتب لها هذا الكتاب.

بينما هجم عمر بن الخطّاب هجوماً عنيفاً قاسياً في التعدّي على رسول الله ﷺ وقال: دعوا الرجل انه ليهجر... كفانا كتاب الله.. حسبنا كتاب الله، أهكذا يتكلّم مع هادي الأُمّة ﷺ؟

إنّ القرآن الكريم على عظمته لم يتّهم النبيّ ﷺ بالهجر، بل قرن الله طاعته وحبّه بطاعته وحبّه تعالى لاسيّما في قوله تعالى: ﴿ما كان محمّدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين﴾[1]؛ وهي من الآيات التي أعطت لقباً عظيماً وأشارت إلى منزلة شامخة لرسول الله ﷺ وهي (خاتم النبيّين) فهل يتجاوز عمر كلّ ذلك ويوجّه هذه الكلمات القاسية لخاتم النبيّين وكأنّه واحد منهم؟! ألا تتعجّبون من ذلك أنتم أيّها المثقّفون والدارسون؟ حاولوا أن تتجرّدوا

← أقدارهم، فأمر الله رسوله ﷺ بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم... ﴿فتوكّل على الله﴾ في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح.. / الكشّاف للزمخشري ج١ ص٤٣٢/ المترجم.

(١) الاحزاب: ٤٠.

من الميول والتعصبات المذهبية وتأمّلوا في مثل هذه الرزية والفجيعة.

وأعجب من ذلك هو قول علمائكم إنّ اقتراح عمر ـ وبهذه الطريقة ـ كان يتضمّن منعاً من حصول الافتراق الذي يسبّبه الكتاب الذي أراد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كتابته!! محاولين بهذه المزاعم أن يتداركوا شنيع فعل عمر ويرقّعوا له ما أفسده.

إلّا أنّ كلّ منصف وكلّ ذي عقل يدرك ويقرّ أنّ قول عمر بن الخطّاب لم يكن بهذا الصدد، بل على أثر كلمته حصل الاختلاف في تلك اللحظات كما روى الكثيرون ذلك وبهذا اللفظ «فاختلف من في البيت واختصموا»[١].

فمن ذلك اليوم ظهر الافتراق والاختلاف بسبب قول عمر وعلى أساسه عمل المنافقون في توسيع رقعة الافتراق والاختلاف إلى أن وصل في يومنا هذا وما قبله إلى المذاهب والجماعات والأديان و... إلى آخره.

ولذلك قال الشهرستاني: اعلم أنّ أوّل شبهة وقعت في الخليقة: شبهة إبليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النصّ واختياره الهوىٰ في معارضة الأمر واستكباره بالمادّة التي خُلق منها وهي النار على مادّة آدم عليه السلام وهي الطين[٢] وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليقة وسرت في أذهان الناس حتّىٰ صارت مذاهب وبدعة وضلالة[٣].

وبعد ورقتين من هذا الكلام ذكر المقدّمة الرابعة وجعل عنوانها هو: أوّل شبهة وقعت في الملّة الإسلامية وكيفيّة انشعابها ومَن مصدرها ومَن مظهرها، ثمّ قال: وكما قرّرنا أنّ الشبهات التي وقعت في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أوّل الزمان، كذلك يمكن أن نقرّر في زمان كلّ نبي

---

(١) مرّت مصادر الكلمة.

(٢) «أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين»، سورة الأعراف: ١٢.

(٣) الملل والنحل ج ١ المقدّمة الثالثة، ص ١١، ط دار الفكر بيروت.

ودور صاحب كلّ ملّة وشريعة: إنّ شبهات أمّته في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أوّل زمانه من الكفّار والملحدين وأكثرها من المنافقين وإن خفي علينا ذلك في الأُمم السالفة لتمادى الزمان، فلم يخف في هذه الأُمّة أنّ شبهاتها نشأت كلّها من شبهات منافقي زمن النبيّ ﷺ إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهىٰ وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرىٰ وسألوا عمّا منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا الباطل فيما لا يجوز الجدال فيه[1].

ثمّ بيّن الشهرستاني كيف أنّ الرأي مقابل النصّ يُعدّ أوّل بذرة من بذور الافتراق والشبهات كما صرّح في قصّة إبليس لعنه الله مع آدم عليه السلام حيث اعترض إبليس مكتفياً بعقله الكاسد وقياسه الفاسد، فكان سبباً للانقسامات والشبهات والافتراق الحاصل في الأُمم السالفة وكذلك ما حصل في مرض النبيّ ﷺ حيث اعترض عمر مستنداً إلى عقله معارضاً بذلك النصّ فكان هو السبب في أوّل انقسام وانشعاب حصل في المسلمين والذي سقاه المنافقون فيما بعد ليتجذّر في قلوب الناس جيّداً، ثمّ ليتشعّب إلى أديان ومذاهب وعقائد.

ولهذا قال الشهرستاني: فهذا ما كان في زمانه عليه الصلاة والسلام وهو علىٰ شوكته وقوّته وصحّة بدنه ﷺ، والمنافقون يخادعون فيظهرون الإسلام ويبطنون الكفر وإنّما يظهر نفاقهم بالاعتراض في كلّ وقت على حركاته وسكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهرت منها الشبهات كالزروع[2].

ومع هذا الكلام العلمي الرصين إلّا أنّ الشهرستاني يحاول أن يجد مخرجاً لشبهات الصحابة مع الأسف، وهل ذلك إلّا انحرافاً واضحاً منه حيث قال: وأمّا الاختلافات الواقعة في حال مرضه ﷺ وبعد وفاته بين الصحابة فهي

---

(١) الملل والنحل ج ١ المقدّمة الرابعة.

(٢) المصدر نفسه.

اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم منها إقامة مراسم الشرع وإدامة مناهج الدين[1].

مع أنّه قال قبل قليل: إنّ ذلك اجتهاد وقياس مقابل النصّ وهو أصل الشبهات والاختلافات!!

ولكن على كلّ حال يظهر من ذلك كلّه أنّ الافتراق الذي حصل في الأُمّة الإسلامية راجع إلى كلمة عمر وإلى ذلك اليوم لا كما قيل إنّه بسبب عبدالله بن سبأ وفي زمن عثمان فأرجو أن يكون هذا واضحاً عندكم.

ولكن من أجل كشف الحقيقة أكثر أذكر لكم كلام الشهرستاني حول الاختلافات التي انشعبت في الإسلام قال:

الخلاف الأوّل: فأوّل تنازع وقع في مرض النبيّ ﷺ فيما رواه الإمام أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاري بإسناده عن عبدالله بن عبّاس قال: لمّا اشتدّ بالنبيّ ﷺ مرضه الذي مات فيه قال: ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي فقال عمر: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله، وكثر اللغط، فقال النبيّ ﷺ: قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع. قال ابن عبّاس: الرزية كلّ الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ.

الخلاف الثاني: في مرضه أنّه قال: جهّزوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلّف عنه، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأُسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: قد اشتدّ مرض النبيّ ﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه فنصبر حتّى نبصر أيّ شيء يكون من أمره.

وإنّما أوردت هذين التنازعين لأنّ المخالفين ربما عدّوا ذلك من الخلافات المؤثّرة في أمر الدين وليس كذلك وإنّما كان الغرض كلّه إقامة مراسم الشرع في

---

(١) المصدر نفسه.

حال تزلزل القلوب وتسكين نائرة الفتنة المؤثّرة عند تقلّب الأمور.

الخلاف الثالث: في موته ﷺ قال عمر بن الخطّاب: «من قال: إنّ محمّداً قد مات قتلته بسيفي هذا وإنّما رُفع إلى السماء كما رُفع عيسى عليه السلام» وقال أبو بكر بن أبي قحافة: «من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد إله محمّد فإنّ إله محمّد حيّ لم يمت ولن يموت وقرأ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[1]. فرجع القوم إلى قوله وقال عمر: «كأنّي ما سمعت هذه الآية حتّى قرأها أبو بكر.

الخلاف الرابع: في موضع دفنه ﷺ أراد أهل مكّة من المهاجرين ردّه إلى مكّة لأنّها مسقط رأسه ومأنس نفسه وموطن قدمه وموطن أهله وموقع رحله، وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه بالمدينة لأنّها دار هجرته ومدار نصرته، وأرادت جماعة نقله إلى بيت القدس لأنّه موضع دفن الأنبياء ومنه معراجه إلى السماء ثمّ اتّفقوا على دفنه بالمدينة لما روي عنه ﷺ: «الأنبياء يدفنون حيث يموتون».

الخلاف الخامس: في الإمامة وأعظم خلاف بين الأُمّة خلاف الإمامة إذ ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينيّة مثل ما سلّ على الإمامة في كلّ زمان وقد سهّل الله تعالى ذلك في الصدر الأوّل فاختلف المهاجرون والأنصار فيها، فقالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير واتّفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الأنصاري فاستدركه أبو بكر وعمر في الحال بأن حضرا سقيفة بني ساعدة وقال عمر: كنت أزور في نفسي خلافاً في الطريق فلمّا وصلنا إلى السقيفة أردت أن

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

أتكلّم فقال أبو بكر: مه يا عمر فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما كنت أقدره في نفسي كأنّه يخبر عن غيب فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام مددت يدي إليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت الفتنة، إلّا أنّ بيعة أبي بكر كانت فتنة وقى الله المسلمين شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه فأيما رجل بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فإنّهما تغرة يجب أن يقتلا وإنّما سكتت الأنصار عن دعواهم لرواية أبي بكر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «الأئمّة من قريش».

وهذه البيعة هي التي جرت في السقيفة، ثمّ لمّا عاد إلى المسجد انثال الناس عليه وبايعوه عن رغبة سوى جماعة من بني هاشم وأبي سفيان من بني أميّة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان مشغولاً بما أمره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره من غير منازعة ولا مدافعة.

الخلاف السادس: في أمر فدك والتوارث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ودعوى فاطمة عليها السلام وراثة تارةً وتمليكاً أُخرى حتّى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة».

الخلاف السابع: في قتال مانعي الزكاة فقال قوم: لا نقاتلهم قتال الكفرة. وقال قوم: بل نقاتلهم، حتّى قال أبو بكر: لو منعوني عقالاً ممّا أعطوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم عليه ومضى بنفسه إلى قتالهم ووافقه جماعة الصحابة بأسرهم وقد أدّى اجتهاد عمر في أيّام خلافته إلى ردّ السبايا والأموال إليهم وإطلاق المحبوسين منهم والإفراج عن أسراهم.

الخلاف الثامن: في تنصيص أبي بكر على عمر بالخلافة وقت الوفاة، فمن الناس من قال: قد ولّيت علينا فظّاً غليظاً وارتفع الخلاف بقول أبي بكر: لو سألني ربّي يوم القيامة لقلت: ولّيت عليهم خيرهم لهم وقد وقع في زمانه اختلافات كثيرة في مسائل ميراث الجدّ والإخوة والكلالة وفي عقل الأصابع وديات الأسنان وحدود بعض الجرائم التي لم يرد فيها نصّ وإنّما أهمّ أمورهم

الاشتغال بقتال الروم وغزو العجم وفتح الله تعالى الفتوح على المسلمين وكثرت السبايا والغنائم وكانوا كلّهم يصدرون عن رأي عمر وانتشرت الدعوة وظهرت الكلمة ودانت العرب ولانت العجم.

الخلاف التاسع: في أمر الشورىٰ واختلاف الآراء فيها واتّفقوا كلّهم على بيعة عثمان وانتظم الأمر واستمرّت الدعوة في زمانه وكثرت الفتوح وامتلأ بيت المال وعاشر الخلق على أحسن خلق وعاملهم بأبسط يد، غير أنّ أقاربه من بني أميّة قد ركبوا نهابر فركبته وجاوروا فجير عليه ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة وأخذوا عليه أحداثاً كلّها محالة على بني أميّة.

منها: ردّه الحكم بن أميّة إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يسمّىٰ طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أن تشفع إلى أبي بكر وعمر أيّام خلافتهما فما أجاباه إلى ذلك ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخاً.

ومنها: نفيه أبا ذرّ إلى الربذة وتزويجه مروان بن الحكم بنته وتسليمه خمس غنائم أفريقية له وقد بلغت مائتي ألف دينار.

ومنها: إيواؤه عبدالله بن سعد بن أبي سرح وكان رضيعه بعد أن أهدر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دمه. وتوليته إيّاه مصر بأعمالها وتوليته عبدالله بن عامر البصرة حتّى أحدث فيها ما أحدث إلى غير ذلك ممّا نقموا عليه وكان أمراء جنوده: معاوية بن أبي سفيان عامل الشام. وسعد بن أبي وقّاص عامل الكوفة وبعده الوليد بن عقبة. وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر عامل البصرة، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح عامل مصر وكلّهم خذلوه ورفضوه حتّى أتى قدره عليه وقتل مظلوماً في داره وثارت الفتنة من الظلم الذي جرى عليه ولم تسكن بعد.

الخلاف العاشر: في زمان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بعد الاتّفاق عليه وعقد البيعة له فأوّله خروج طلحة والزبير إلى مكّة ثمّ حمل عائشة إلى البصرة ثمّ نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل. والحقّ أنّهما رجعا وتابا إذ

ذكرهما أمراً فتذاكراه، فأمّا الزبير فقتله ابن جرموز بقوس عند الانصراف، وأمّا طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم وقت الإعراض فخرّ ميّتاً. وأمّا عائشة فكانت محمولة على ما فعلت ثمّ تابت بعد ذلك ورجعت والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفّين ومخالفة الخوارج وحمله على التحكيم ومغادرة عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري وبقاء الخلاف إلى وقت وفاته مشهور. وكذلك الخلاف بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان عقداً وقولاً ونصب القتال معه فعلاً ظاهراً معروف.

وبالجملة كان عليّ عليه السلام مع الحقّ والحقّ معه وظهر في زمانه الخوارج عليه مثل الأشعث بن قيس ومسعود بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي وغيرهم وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقّه مثل عبدالله بن سبأ وجماعة معه من الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيه قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «يهلك فيه اثنان محبّ غالب ومبغض قال»[1].

سؤال أحد الحاضرين: لقد ذكرت لنا هذه الاختلافات العشرة كما ذكرها الشهرستاني، ولكن نرجو منك أن تتوسّع في كلّ واحد منها لأنّنا لم نعرف هذه الحقائق بشكل مفصّل لاسيّما وأنّك ذكرتها بشكل مختصر؟

الجواب: نعم، إنّ طلبكم هذا في محلّه بل كنت أُفكّر مع نفسي أن أشرح لكم هذه الاختلافات العشرة التي ذكرها الشهرستاني قبل ٨٠٠ عام وهي رؤوس جميع الاختلافات التي حصلت فيما بعد في الأُمّة الإسلامية إلى أن تحقّق ما أخبر به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من افتراق الأُمّة إلى ثلاث وسبعين فرقة، هذا وقد أيّد علماء أهل السنّة هذا الكلام وذكروا ذلك في أماكن متعدّدة وأشاروا إلى الفرق والمذاهب.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١، ص٢٠، المقدمة الرابعة، ط دار الفكر.

دراسة حول الخلاف الأوّل ـ في مرض النبيّ ﷺ ـ

وعندما نعود إلى حادثة مرض النبيّ ﷺ أي نرجع معكم إلى ألف وثلاثمائة عام إلى الخلف فإنّنا نشاهد المنافقين الذين آمنوا بالنبيّ ﷺ والإسلام ظاهراً وأبطنوا الكفر والعصيان ولذلك فهم يؤدّون الطقوس الدينيّة أمام الناس والنبيّ ﷺ فقط وإذا ملكوا فرصة خفيّة لإعلان العصيان لم يتوانوا، إلّا أنّهم كانوا شديدي الحرص أمام النبيّ ﷺ بالالتزام بالأوامر الدينيّة، لاسيّما وإنّ أوامر ونواهي رسول الله ﷺ هي نفس أوامر القرآن ونواهيه لأنّ الإسلام عبارة عن الكتاب والسنّة المطهّرة، إلّا أنّ المنافقين كانوا يثيرون شبهاتهم في صفوف الضعفاء كلّما سنحت الفرصة لهم.

وقد صرّح الشهرستاني في المقدّمة الرابعة وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج أنّ أوّل فرصة أظهر فيها المنافقون اعتراضاتهم ومعاكساتهم وبشكل ظاهري أمام الملأ هو يوم مرض النبيّ ﷺ وأوّل مَن فتح لهم الطريق هو عمر بن الخطّاب عندما اعترض (أمامهم وعلى مسمع من الناس) على النبيّ ﷺ ومنعه من كتابة الوصية وبالطريقة المؤلمة التي ذكرتها لكم.

وهنا التحم خطّ النفاق مع عمر لأنّه فتح لهم الطريق وجعلها معبّدة لهم فأيّدوه وقالوا: القول ما قاله عمر حسبنا كتاب الله، ومعنى ذلك أنّنا في غنىً عن السنّة المطهّرة مع العلم أنّ السنّة هي الركن الثاني والمهمّ في الإسلام، فالاختلاف الذي حصل يومذاك بين فرقة المؤمنين وفرقة المنافقين وهو أوّل افتراق حصل في الأمّة وهي أوّل رزية كما عبّر عنها ابن عبّاس.

وعليكم أن تعرفوا أنّ عمر عندما منع النبيّ ﷺ من كتابة وصيّته هذه وأثار الأجواء ضدّه قد خالف القرآن الكريم نفسه في قوله تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقّاً

على المتّقين﴾[١].

فكيف يقول: حسبنا كتاب الله مع أنّه خالف كتاب الله؟!

إذ إنّ كتابة الوصية من الأمور الواجبة بل هي علامة التقوى كما أخبر القرآن لأنّها صمّام الأمان من أي اختلاف بين الورثة، فكيف إذا تصوّرنا أنّ الذي يريد أن يكتب الوصية هو رسول الله ﷺ وهو سيّد المتّقين؟ لاسيّما وإنّ وصيّته ليست في حدود نسائه وعائلته وإنّما تصبّ في مصلحة وهداية الأُمّة بكاملها فكم هي مهمّة وثمينة؟!

وهنا يأتي عمر ليمنع ذلك بكلمات خشنة وغير مؤدّبة. فحقّاً هي مصيبة ورزيّة ولطالما تأسّف كبار الصحابة على هذا الحدث الجلل وكانوا يتمنّون لو كتب نبيّهم ﷺ هذا الكتاب.

فقد ذكر البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عبّاس قوله: «يوم الخميس وما يوم الخميس ثمّ بكىٰ حتّىٰ خضب دمعه الحصباء»[٢] وفي رواية مسلم «ثمّ جعل تسيل دموعه حتّىٰ رؤيت على خدّيه كأنّها نظام اللؤلؤ»[٣] وفي رواية أُخرى نقلها البخاري «الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم»[٤].

ألا يكفي هذا التصريح والتأسّف والبكاء من ابن عمّ النبيّ ﷺ في كشف الحقّ؟ وأنّ ما ارتكبه عمر كان أمراً قبيحاً وفوّت فرصة لا مثيل لها ولن تتكرّر إلى

---

(١) البقرة: ١٨٠.

(٢) صحيح البخاري ج٤ ص٤٩٠ باب جوائز الوفد ح١٢٢٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) مسند أحمد ج١ ص٣٥٥، ط الأولى، دار صادر ١٩٦٩م.

(٤) صحيح البخاري كتاب العلم، وفي باب المريض من كتاب المرضىٰ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

يوم القيامة، ألا يكفيكم هذا؟ ألم تسألوا أنفسكم لماذا يبكي ابن عبّاس كلّما تذكّر ذلك اليوم؟

سؤال أحد الحاضرين: ألا تتصوّر أنّ التعليل الذي ذكره عمر بن الخطّاب في منعه للنبيّ ﷺ تعليل عقلائي وهو حسبنا كتاب الله فما دام القرآن هو أساس الإسلام والمسلمين فهو يغني عن هذه الوصيّة؟

الجواب: إنّي لا أعجب من كلامك هذا فإنّك منذ نعومة الأظافر كنت تسمع وتتلقّىٰ مثل هذه التأويلات والمزاعم حتّىٰ كبرت عليها وصار عندك من الأمور الطبيعيّة أن يجتهد الشخص مقابل النصّ، ولكي أوضّح لك الأمر أقول:

أوّلاً: قال الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾[1]. هذه الآية نزلت بمناسبة زواج زينب بنت جحش من زيد وقد أمرها رسول الله ﷺ أن تتزوّج منه إلّا أنّها وأخاها لم يكونا راضيين بهذا الزواج فنزلت الآية لتقول لهما ولجميع المسلمين إنّه لا حقّ لأيّ أحد أن يعترض على ما يأمر به رسول الله ﷺ لأنّه أمر الله تعالى، بل على المسلمين أن يطيعوا النبيّ ﷺ ولا يكون لأيّ أحد اختيار مقابل اختيار النبيّ ﷺ وكلّ من اعترض على ما اختاره الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً كما قالت الآية.

وهذه الآية تحمل حكماً عامّاً في كلّ أوامر النبيّ ﷺ الموجّهة للمسلمين إذ يتحتّم عليهم الإذعان والخضوع للنبيّ ﷺ لأنّه أولىٰ بهم من أنفسهم، ومع هذا الإطلاق في الآية الكريمة نرى عمر يخالف القرآن، ويعترض بل يمنع ولا يطيع رسول الله ﷺ، بل يُبدي رأياً مخالفاً لما اختاره النبيّ ﷺ، ألا يثير ذلك دفائن عقولكم وإنصافكم لكي تذعنوا للحقّ وتفكّروا؟

---

(١) الأحزاب: ٣٦.

ثانياً: وكيف تصدّقون مقولة (حسبنا كتاب الله) مع أنّ أهل العلم من الفريقين أجمعوا أنّ في القرآن ناسخاً ومنسوخاً ومحكماً ومتشابهاً ومجملاً ومفصّلاً ولا يمكن معرفة ذلك إلّا من خلال السنّة المطهّرة للنبي الأكرمﷺ وإلّا فبدونها يكون لكلّ فرقة مذهب خاصّ في فهم آيات القرآن، بل يكون لكلّ فرد من المسلمين أو العلماء اتجاه خاصّ في فهم الآيات، ولذلك فقد أمر الله تعالىٰ نبيّه الكريمﷺ أن يوضّح ذلك للمسلمين في قوله تعالى: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون﴾[1] فكيف بعد ذلك نقول حسبنا كتاب الله؟

ولا يُقال إنّ النبيّﷺ أوضح الكتاب كلّه وبالتالي لا نحتاج إلى شيء آخر.

لأنّنا نقول: إنّ النبيّﷺ حرص قبل موته أن يعيّن للمسلمين مرجعاً يرجعون إليه من أجل توضيح الكتاب، وبالتالي فنحن بحاجة إلى الكتاب وإلى مَن يوضّحه لنا.

ولذلك روى أكابر علماء السنّة حديث الثقلين مثل البخاري وابن ماجة وأحمد وأبي داود والنسائي والترمذي والطبري والحاكم النيسابوري وابن عبد ربه وابن عقدة والطبراني والدارقطني وأبي نعيم الأصفهاني والبيهقي والقرطبي والخطيب البغدادي وابن المغازلي والحميدي والديلمي والقاضي عياض والخطيب الخوارزمي وابن عساكر وابن الأثير ومحمد بن طلحة الشافعي والفخر الرازي وسبط ابن الجوزي والگنجي الشافعي ومحب الدين الطبري وغيرهم[2].

---

(١) النحل: ٦٤.

(٢) من مصادر الحديث:

وقد تكرّر حديث الثقلين من رسول الله ﷺ في مواقع متعددة هي: مسجد الخيف وفي منىٰ ويوم غدير خمّ ويوم مرض النبيّ ﷺ حيث قال ﷺ: أيّها الناس إنّي تركت فيكم الثقلين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما الأكبر منهما كتاب الله والأصغر عترتي أهل بيتي وإنّ اللطيف الخبير عهد إليّ انّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين (وأشار بالسبّابتين) ولا أنّ أحدهما أقدم من الآخر، فتمسّكوا بهما لن تضلّوا، ولا تقدّموا منهم ولا تخلّفوا عنهم ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم».

وقد تواتر هذا الحديث معنىً ورواه مائة وثمانون راوٍ عن الصحابة بألفاظ متعدّدة وأسانيد معتبرة وصحيحة عن أهل السنّة والشيعة.

← تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٩٢، ٩٣، مطبعة الغري، النجف.
وخصائص أمير المؤمنين عليّ عليه السلام للنسائي، ص١١١، دار الثقلين، ١٤١٩هـ.
ومصابيح السنّة للبغوي ج١ ص٥١٦ باب مناقب الإمام عليّ عليه السلام ط دار القلم.
وفضائل الصحابة لأحمد ج٢ ص٥٨٥ وص٦٣ ط السعودية.
وجواهر العقدين للسمهودي / الفضائل.
وتذكرة الخواص ص٣٢٣، ط مكتبة نينوى الحديثة، تقديم السيد محمد بحر العلوم.
والفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص٤٠.
وإسعاف الراغبين ص١١٩.
ومروج الذهب ج٢ ص٤٣١، ط مؤسسة الأعلمي، بيروت.
وسنن الترمذي ج٥ ص٣٢٨.
وصحيح مسلم ج٧ ص١٢٢.
وأسد الغابة ج٢ ص١٢، ط المكتبة الإسلامية.
الخصائص الكبرى للسيوطي ج٢ ص٢٦٦ ط العراق.
الصواعق المحرقة باب ١١ الفصل الأوّل / المترجم.

والآن أُوجّه سؤالي لكم: هل نتّبع قول النبيّ ﷺ في اتّباع عترته وأهل بيته الذين لا يفترقون عن القرآن؟ أم نتّبع ما قاله عمر: حسبنا كتاب الله؟ مع أنّ النبيّ ﷺ يؤكّد العلاقة والآصرة بين القرآن وأهل بيته، وعمر يسعى للفصل بينهما فلمن تتّبعون أيّها المتنوّرون المثقّفون؟ وتصوّروا لو أنّ عمر لم يمنع من كتابة الوصية هل كان يحدث هذا الافتراق والاختلاف في الأُمّة؟

دراسة حول الخلاف الثاني ـ إمارة أُسامة ـ

سؤال أحد الحاضرين: من فضلك نتمنّى أن تذكر لنا شيئاً من السيرة الذاتية لأُسامة بن زيد فمَن هو أُسامة ومن أي نوع كانت إمارته ولماذا حصل الاختلاف فيها؟

الجواب: هو أُسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي كما ذكره ابن الأثير وابن عبد البرّ وابن حجر العسقلاني(١).

كان زيد أيّام الجاهلية فتىً صغيراً أُسر في إحدى الغزوات وتمّ بيعه كعبد في سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام بأربعمائة درهم وأهداه إلى عمّته السيّدة خديجة بنت خويلد سلام الله عليها، وبعد أن تزوّجها النبيّ ﷺ قبل البعثة أهدته للنبيّ ﷺ فأشرف على تعليمه الأخلاق الحسنة والفضائل السامية، وبقي معه فترة لا بأس بها، ولمّا سمع والده حارثة بأخباره جاء إلى النبيّ ﷺ وطلب منه أن يشتري منه زيداً، فلم يمانع النبيّ ﷺ ولكنّه خيَّر زيداً بين البقاء معه أو الذهاب مع والده وأهله، فاختار زيد البقاء مع النبيّ ﷺ

---

(١) أُسد الغابة ج١ ص١٠١ رقم ٨٤ دار إحياء التراث العربي، تمييز الصحابة ج١ ص٢٠٢ رقم٨٩ دار الكتب العلمية، الاستيعاب ج١ ص ١٧٠ رقم ٢١ دار الكتب العلمية / المترجم.

وقال: لقد تعلّمت من محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أخلاقاً حميدة وآداباً جميلة.. ولا أُفضّل عليه أحداً فلمّا يئس والده منه تركه، وحينها أعلن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ زيداً بمنزلة ابني كما تعارف عند العرب آنذاك ومن ذلك الحين أُطلق عليه: زيد بن محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولمّا بُعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة الخالدة آمن به زيد بعد الإمام عليّ عليه السلام[1] وخديجة عليها السلام، فكان هو ثالثهما فحرّره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ثمّ تزوّج زيد من أمّ أيمن وهي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن الحسن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان وهي من المؤمنات الصالحات المبشّرات بالجنّة، فولدت له ابنه أُسامة. وأُستُشهد زيد في حرب مؤتة مع جعفر الطيّار عليه السلام، وعندما توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان عُمْر أُسامة عشرين عاماً.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد نصّب أُسامة أميراً على جيش المسلمين في مرض موته وأمرهم بالالتحاق به والتوجّه إلى الشام وكان تحت إمارته كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار أمثال أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وعبدالرحمن بن عوف وطلحة كما صرّح ابن أبي الحديد المعتزلي بذلك وأيضاً القاضي صاحب المواقف ومير جمال الدين المحدّث في روضة الأخبار وآخرين غيرهم..

---

(١) عليّ أوّل من أسلم وآمن: درر السمطين القسم الثاني من السمط الأوّل، وفضائل الصحابة للنسائي والصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوي أخرجه عن فضائل أحمد والترمذي والنسائي والخصائص والحاكم في المستدرك ج٣ وابن سعد في الطبقات، والسنن الكبرى للنسائي ج٥، ومجمع البحرين في الزوائد ج٣، وكتاب السنّة للشيباني ص٥٨٩، والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٤٧ رقم ٤٦٦٣ وص١٤٣ رقم ٤٦٥٢، والاستيعاب للقرطبي ج٣ ص١٩٧، ومختصر المحاسن المجتمعة ص١٥٨ ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٧ ص٣٤٦ / المترجم.

فقد قال ابن أبي الحديد: إنّ رسول الله ﷺ في مرض موته أمَّر أُسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جملة من المهاجرين والأنصار منهم أبـو بكـر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير..»[١].

ونظراً إلى شدّة مرض النبيّ ﷺ جاء أُسامة يلتمسه أن يأمر بتأخير تحرّك الجيش حتّى يعافيه الله تعالى، فردّ عليه النبيّ ﷺ: سر على النصر والعافية، ولمّا حاول أُسامة أن يقول شيئاً قاطعه النبيّ ﷺ قائلاً: انفذ لما أمرتك به[٢]، ولمّا رأى أُسامة تصميم النبيّ ﷺ قام وتحرّك لأنّ في توقّفه وتأخّره عصياناً ظاهراً، ثمّ أُغمي على النبيّ ﷺ ولمّا أفاق قال: أين أُسامة؟ فقيل له: ذهب ليتجهّز، فدعا له.

يقول بعض علمائكم أمثال البلاذري في التاريخ وقاضي القضاة عبد الجبّار في كتاب المغني وبالخصوص صاحب كتاب سير الصحابة حيث قال: أوّل اختلاف وعصيان لأمر النبيّ ﷺ يوم أمر النبيّ ﷺ بتجهيز وحركة جيش أُسامة فافترق المسلمون في ذلك إلى فرقتين:

الأولى: المؤمنون حقّاً الذين امتثلوا أمر النبيّ ﷺ وتحرّكوا مع أُسامة.

الثانية: المنافقون الذين رغبوا بالعصيان وعدم طاعة النبيّ ﷺ تحت ذرائع سخيفة حيث قالوا: لقد أمَّر علينا غلاماً لا خبرة له، وقال بعضهم: لا يحسن بنا أن نترك النبيّ ﷺ وهو بهذه الحال، فعادوا وتخلّفوا عن جيش أُسامة ورجعوا إلى المدينة بكلّ وقاحة.

ولمّا علم النبيّ ﷺ أنّ بعض الصحابة قد تخلّفوا عن أُسامة بهذه الحجج قال: لعن الله من تخلّف عنه[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١٥٩ دار الجيل بيروت.

(٢) المصدر نفسه ج٦ ص٥٢.

(٣) مرّ مصدر هذه العبارة في كلام الشهرستاني الآنف الذكر. المترجم

وكان هذا التخلّف والاختلاف توأم ذلك الاختلاف الذي حصل عندما أرادﷺ كتابة الوصية فبادر عمر بالمنع الذي عدّه الشهرستاني بأنه أوّل اختلاف حصل في الأمّة وكان سبباً لحصول الافتراق والاختلاف فيما بعد، وهذا يعني أنّ الذين وقفوا إلى جانب عمر حال منعه للنبيﷺ من كتابة الوصية هم أنفسهم وقفوا إلى جانب من تخلّف عن جيش أُسامة وعادوا إلى المدينة لخوفهم من استقرار أمر الخلافة لعليّ بن أبي طالب‌عليه‌السلام المسبوق بالبيعة في يوم الغدير وهو قريب العهد بالمسلمين فأيقنوا أنّ الأمور ستجري بما خطّط له النبيّﷺ من تنصيب الإمام عليّ‌عليه‌السلام خليفة، ولذلك رجعوا لإثارة الأجواء وتحريك الساكن وإيجاد الاختلافات والحيلولة دون خلافة الإمام عليّ‌عليه‌السلام.

دراسة حول الاختلاف الثالث
قول عمر: إنّ محمّداً لم يمت!

ثمّ حصل الاختلاف الثالث على أثر الاختلاف السابق وذلك عندما توفّيﷺ وضجّ المسلمون بالبكاء والنحيب ارتفع صوت عمر[1] بن الخطّاب ليعلن للمسلمين إعلاناً أوجد هذا الاختلاف الثالث كما ذكره الطبري في تاريخه وابن أبي الحديد في شرح النهج وابن الأثير في الكامل والشهرستاني في الملل والبخاري في كتاب المريض والحميدي في الجمع بين الصحيحين وغيرهم من علماء السنّة وجميع علماء الشيعة.

فقال عمر: إنّهﷺ لم يمت ولكنّه غاب عنّا كما غاب موسىٰ عن قومه

---

(١) ما يثير التعجّب أنّ عمر كان في المدينة عندما توفّي النبيّﷺ أي أنّه قد عاد مع الذين تخلّفوا عن جيش أُسامة وقد عرفت سابقاً أنّ النبيّﷺ لعن المتخلّفين!!. المترجم

وليرجعنّ فليقطّعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنّه مات!![(١)].

وروي أنّه قال: من قال إنّ محمّداًﷺ قد مات قتلته بسيفي هذا، وإنّما رُفع إلى السماء كما رُفع عيسىٰ عليه السلام[(٢)].

وكانت هذه الكلمات أخطر من السيف في الأمّة فلولا أمير المؤمنين عليّعليه السلام أو كما يروي أهل السنّة لولا أبو بكر لحدث انشقاق فظيع في الفكر العقائدي الإسلامي منذ ذلك الحين يؤدّي إلى الغلوّ والكفر والخروج عن الدين بسبب كلمة عمر، إلّا أنّ أبا بكر تدارك الموقف وقال: مَن كان يعبد محمّداً ـإشارة منه إلى الغلوّ في كلمة عمر ـ فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت «أفإن مات أو قتل...»[(٣)].

اختلاف جديد بسبب كلمة عمر

لقد انقسم العلماء في تفسير كلام عمر السابق إلى فريقين:

الفريقين الأوّل: قالوا إنّ عمر تعمّد الكذب وأخبر المسلمين، بل حاول إقناعهم بعدم موت النبيّﷺ ليحقّق فيما بينهم اختلافاً في الرأي والاعتقاد وبالتالي يستطيع أن يحقّق أهدافه في مثل هذه الأجواء المضطربة.

الفريق الثاني: قالوا إنّ عمر لم يقصد ذلك وإنّما كان يُخبر بما في وجدانه

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٣٢، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨، وشرح النهج ج١ ص١٧٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، والكامل في التاريخ ج٢ ص٣٢٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الملل والنحل ج١ ص١٧ الخلاف الثالث، ط دار الفكر، بيروت.

أقول: بينما عمر يخبر المسلمين بذلك نراه يرسل رجلاً إلى أبي بكر أن أقدم فقد مات النبيّﷺ!! / انظر طبقات ابن سعد ج٢، ص٢٦٧.

(٣) شرح النهج ج١ ص١٧٨ ط دار الجيل بيروت. / المترجم

لأنّه لم يُصدّق خبر موت النبيّ ﷺ لثقله على القلوب فكان يعتقد أنّ رسول الله ما يزال حيّاً.

وهذا القول الثاني يُسيء إلى عمر ولكن بصورة غير مباشرة في حين أنّهم حاولوا من خلاله أن يبرئوا ساحة عمر بن الخطّاب.

فعلىٰ هذا القول يكون عمر بن الخطّاب جاهلاً بآيات القرآن الكريم التي أخبرت مسبقاً بموت النبيّ ﷺ وأنّه سيموت وأنّهم سيموتون أيضاً. والحال أنّه يريد أن يجعل نفسه خليفة رسول الله لاحقاً فكيف به لا يحفظ القرآن؟ ولا يحيط بمعاني الآيات القرآنية؟ بينما كان رسول الله ﷺ يؤكّد على المسلمين حفظ القرآن حتّى حفظه أغلب المسلمين بل حتّى النساء والصبيان فما بال عمر لا يحفظ بل لا يتذكّر المعنى على أقلّ تقدير؟

هذا وقد ذكر المؤرِّخون من أهل السنّة عدّة وقائع تؤكّد على عدم حفظ عمر لآيات القرآن لا في خصوص هذه الحادثة بل في وقائع متعدّدة ممّا يدلّل على جهله التامّ بالقرآن الكريم!!

فقد ذكروا أنّ عمر جلس يوماً أمام المسلمين أيّام خلافته وقال: أيّها الناس لا تغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثني عشر أوقية فقامت إليه امرأة من ربّات البيوت وقالت: لِمَ تمنعنا حقّاً جعله الله لنا والله يقول: ﴿وآتيتم إحداهنّ قنطاراً﴾[1] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوجٍ مكان زوج وآتيتم إحديٰهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾[2].

فلمّا سمع عمر ذلك قال: كلّكم أفقه من عمر حتّى المخدّرات في

---

(١) تجد الحادثة في تفسير الكشّاف ج ١ ص ٤٩١ دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) النساء: ٢٠.

الحجال[1].

وفي رواية: كلّ أحد أفقه منّي ثلاث مرّات، وفي رواية قال: كلّ الناس أفقه من عمر، وفي رواية قال: كلّ أحد أفقه من عمر مرّتين أو ثلاث.

وفي رواية المعتزلي: كلّ الناس أفقه من عمر حتّى ربّات الحجال، ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت؟ فاضلت إمامكم ففضلته، وفي رواية: امرأة أصابت ورجل أخطأ. وفي رواية: كلّ أحد أعلم من عمر تزوّجوا على ما شئتم[2].

---

(١) وقد ذكر المؤلّف أسامي المصادر التي ذكرت هذه الحادثة:
تفسير الكشّاف ج ١ ص٣٥٧ وتفسير الدرّ المنثور ج ٢ ص١٣٣ وتفسير ابن كثير ج ١ ص٣٦٨ وتفسير غرائب القرآن ج ١ وتفسير القرطبي ج ٥ ص٩٩ وسنن ابن ماجه ج ١ والسندي في حاشيته على سنن القزويني ج ١ ص٥٨٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص٢٣٣ وإرشاد الساري ج ٨ ص٥٧ وكنز العمّال ج ٨ ص٢٩٨ ومستدرك الحاكم ج ٢ ص١٧٧ والباقلاني في التمهيد ص٩٩ والعجلوني في كشف الخفاء ج ١ ص٢٠٧ والقاضي الشوكاني في فتح القدير ج ١ ص٤٠٧ والذهبي في تلخيص المستدرك وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج ج ١ ص١٨٢ والحميدي في الجمع وابن المغازلي في المناقب وابن الأثير في النهاية. المؤلِّف

(٢) نور الأبصار ص٦٥، دار الكتب العلمية، بيروت، والدرّ المنثور ج ٢ ص١٣٣ وشرح النهج ج ١ ص ٦١ وتفسير الخازن ج ١ ص٣٥٣ وتفسير القرطبي ج ٥ ص٩٩ وتفسير الكشّاف ج ١ ص ٤٩١ عند الآية ٢٤ من سوة النساء. وجاء فيه جواب عمر: كلّ أحد أعلم من عمر، ثمّ قال لأصحابه: تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه عليّ حتّى ترد عليَّ امرأة ليست من أعلم النساء!!
ثمّ ذكر في الهامش أنّ هذه الحادثة أخرجها كلّ من أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وأحمد والدارمي وابن أبي شيبة والطبراني كلّهم من طريق محمّد بن

←

وفي رواية أنّه أمر أن لا يكون الصداق أكثر من أربعمائة درهم وما زاد فإنّه يأخذه إلى بيت المال!![1].

هذه حادثة تكشف عن جهل عمر بن الخطّاب بأبسط الأحكام الشرعيّة، بل في أشهر وأوضح الأحكام والآيات.

ومن الحوادث الأُخرى التي تبرز لنا حقيقة جهل عمر بالقرآن الكريم ما ذكره جملة من علماء أهل السنّة حول قضيّة هي أعجب من الحادثة الأُولى وهي:

في يوم من الأيّام وفي خلافة عمر قدّم أحد الفتيان ماءاً مخلوطاً بالعسل إلى عمر بن الخطّاب بعد أن استسقاه وعندما أراد أن يشرب منه رأىٰ فيه عسلاً فقال: لا أشرب منه لأنّ الله تعالى قال: ﴿أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا﴾ فقال

← سيرين عن أبي العجفاء قال: خطبنا عمر فذكره دون ما في آخره، وأخرجه الحاكم من أوجه أُخرى عن عمر كذلك، وذكر الدارقطني في العلل لهذا الحديث اختلافاً كثيراً، ورواه عبد الرزّاق من الوجه الأوّل وزاد فيه: فقامت امرأة فقالت له: ليس ذلك لك يا عمر، وإنّ الله يقول: ﴿وآتيتم إحداهنّ قنطاراً..﴾ فقال: إنّ امرأة خاصمت عمر فخصمته، وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة شريح من طريق أشعث بن سوار عن الشعبي عن شريح.. وأخرجه إسحاق من رواية عطاء الخراساني عن عمر، وذكره المعتزلي في شرح النهج ج ١ ص١٨٢ ط دار الجيل بيروت / المترجم.

(١) روي أبو يعلى من طريق ابن إسحاق... قال عمر: ... وقد كانت الصدُقات فيما بين رسول الله وبين أصحابه أربعمائة درهم فما دون ذلك ولو كان الإكثار... فلمّا نزل اعترضته امرأة فقالت: نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صداقهن على أربعمائة؟ قال: نعم، قالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وآتيتم إحداهنّ قنطاراً..﴾ فقال: كلّ أحد أفقه من عمر.. / تفسير الزمخشري ج ١ ص ٤٩١ ـ ٤٩٢ ذيل آية ٢٤، النساء، دار الكتاب العربي، بيروت / المترجم.

الفتى: إنّ هذه الآية ليست لأهل القبلة ألم تقرأ ما قبلها: ﴿ويوم يُعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾[١].

فأذعن عمر بجهله وقال: كلّ الناس أفقه من عمر[٢].

فحقّاً أنّ هذه الشواهد وهذه الصراحة التي لا مفرّ منها مدعاة للتعجّب والاستغراب من عمر الذي يُصحّح له المفاهيم الإسلامية والآيات القرآنية إمّا امرأة من ربّات الحجال أو فتىً!!

وإذا كان الخليفة يحتاج إلى من يهديه إلى الصواب ويذكره لم يعد بعد ذلك صالحاً للخلافة طبقاً لقوله تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يُتبّع أمن لا يهدي إلّا أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون﴾[٣].

فمن جعل نفسه إماماً للناس وخليفة عليهم يتوجّب أن يكون أعلمهم وأفقههم لأنّه يمثّل نيابة رسول الله ﷺ ولأنّ الغرض من وجوده هو هداية الناس إلى أحكام الدين كما كان يفعل ذلك النبيّ ﷺ، فكيف بعمر الذي تكرّرت منه هذه الحوادث الدالّة على مستواه الهابط في الحفظ والفقه والفهم؟! فكيف يهدي الناس مَن يكون هو بحاجة إلى الهداية؟

سؤال أحد الحاضرين: إنّ النسيان والسهو من الأمور التي تحصل للإنسان بل حتّى لدى العلماء فقد يُسألون عن مسألة ما فيغيب عن ذهنهم جوابها، وهذا لا يصلح للطعن فيهم، فكيف بخليفة المسلمين الذي تكون أعماله وارتباطاته بالناس مؤثّرة عليه بحيث يغيب عن ذهنه حكم من الأحكام بسببها؟

الجواب: **أوّلاً**: هناك فرق كبير بين العالم والخليفة، فالعالم يتدرّج في

---

(١) الأحقاف: ٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٢ ط دار الجيل، بيروت.

(٣) يونس: ٣٥.

تحصيل المعارف ونيل الكمال وقد يطرأ عليه السهو والنسيان وهما أمران طبيعيّان في حقّه، أمّا الخليفة فإنّه يمثّل خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعبارة أُخرى: الخلافة من مقامات النبوّة ومرتبة من مراتبها، وهذا يعني توفّر كافّة صفات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في خليفته لاسيّما الأعلمية لأجل هداية الناس أو ردّ الشبهات أو الإجابة عن الأسئلة التي تأتي على الدين والعقائد و... إلى آخره.

وعليه فيجب أن تكون الأُطروحة الدينية متكاملة لدى الخليفة وإلّا لما عاد نفع في وجوده.

ثانياً: ثمّ إنّ ما ذكرناه عن جهل عمر بالآيات والأحكام يكون كافياً للكشف عن جهل عمر لا عن سهوه ونسيانه، بل هو صرَّحَ بجهله ولم يصرّح بنسيانه أو سهوه.

ثالثاً: وما صدر عن عمر أمثال هذه الوقائع كثير جدّاً وبشكل مكرّر، وقد ذكرت بعضها في كتاب «ليالي بيشاور» ولا بأس أن أذكر بعضها هنا، لتتأكّدوا أنّ ما صدر عنه لم يكن لمرّة أو مرّتين حتّى يُقال إنّه نسيَ أو سها.

الحكم في امرأة ولدت لستّة أشهر

نقل المحدّثون منهم أحمد بن حنبل في مسنده ومحبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى وابن أبي الحديد في شرح النهج والقندوزي في الينابيع.. قالوا: إنّ عمر أراد رجم المرأة التي ولدت لستّة أشهر فقال عليّ عليه السلام: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ ثمّ قال: ﴿وفصاله في عامين﴾ فالحمل ستّة أشهر فتركها عمر وقال: لولا علي لهلك عمر[١].

---

(١) ينابيع المودّة باب ٥٦ وذخائر العقبى الباب ٨ ص١٤٨ ط جدّة والاستيعاب ج٣ ←

فمدة الحمل مضافاً إليها مدّة الرضاع سنتان يكون المجموع: ثلاثين شهراً، ثمّ إذا طرحنا مدّة الرضاع تبقى لدينا مدّة الحمل: ستّة أشهر وهو أقلّ الحمل.

علم الخلفاء

وممّا تقدّم يظهر لكم من خلال العقل والنقل أنّ العالم مقدَّم على الجاهل، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال عكس هذه القاعدة العقلائية، بل لا يمكن المساواة بينهما لأنّ الله تعالى قال: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أولو الألباب﴾[1].

وجواب هذا الاستفهام هو النفي وقد تجاوزته الآية ولم تذكر الجواب لبداهته عند جميع الناس العقلاء، لاسيّما في الأُمور الراجعة والمتّصلة بالقضايا الدينيّة على صعيد الفتوى أو العقائد.

فلا يمكن والحال هذه أن يجلس من لا علم له يريد أن يقضي ويفتي بين الناس، بل إنّ الناس لو علموا مسبقاً أنّه غير عالم لما جاءوا إليه وتحاكموا عنده، لأنّهم سيذهبون إلى الأعلم والأفقه، ولذلك اشترط الفقهاء في القاضي أن تكون لديه إحاطة بالحلال والحرام وأساسهما القرآن والسنّة و...

بحيث لو انعدم أحد هذه الشروط فلا يحقّ له الجلوس والتصدّي للقضاء والحكم.

← رقم ١١٠٣ وتفسير القرطبي ج١٦ ص١٩٣ والمناقب للخوارزمي ص٣٩ والرياض النضرة، دار المعرفة، ص ١٤٠، بيروت، سنة ١٩٩٧، وكنز العمّال ج٣ ص٩٦ وسنن البيهقي ج٧ / ٤٤٢ والتفسير الكبير للرازي ج٢٨ ص١٥ والدرّ المنثور ج٧ ص٤٤١ وكفاية الطالب ص٢٢٦ / المترجم.

(١) الزمر: ٩.

ومن جهة ثانية فإنّ الفُتيا والقضاء وإصدار الأوامر وممارسة الولاية على الفروج والدماء والأموال... من خصوصيّات الأنبياء عليهم السلام الذين لهم العلم الإحاطي بحقائق الأُمور ومبادئها، ولذلك فمن جلس مجلسهم بعنوان الخليفة كان عليه أن يكون أعلم الخلق وأفقههم وأكثرهم إحاطة بالقرآن والسنّة لكي يكون تمثيله للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تمثيلاً موافقاً للحكمة الإلهية.

بينما تكرّرت من عمر أمثال هذه القضايا التي ذكرناها فيرجع فيها إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أو معاذ بن جبل أو زيد بن ثابت أو أُبيّ بن كعب حتّى تكرّر قوله في مواقع متعدّدة «لولا علي لهلك عمر» و«اللّهمّ لا تبقني لمعضلة ليس فيها أبو الحسن» وأكثر من ذلك ما نقله الشيخ سليمان البلخي الحنفي عن شرح رسالة الفتح المبين لمحمّد بن علي الحكيم الترمذي في مراتب عليّ عليه السلام عن عبدالله بن عبّاس حبر الأمّة.

قال: ولهذا كانت الصحابة يرجعون إليه ـ أي إلى علي ـ في أحكام الكتاب ويأخذون عنه الفتاوىٰ، كما قال عمر بن الخطّاب في عدّة مواطن: لولا عليّ لهلك عمر[1].

وهذا يعني أنّهم لا يجازفون بالفتوى دون المرور بعليّ عليه السلام وأخذ الحكم منه، إذن فبعد كلّ هذا أيصحّ أن يكون عمر بن الخطّاب خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع جهله وعجزه وعدم إحاطته واطلاعه؟!

---

(١) إسعاف الراغبين، ص١٥٢، وهو هامش على نور الأبصار، وشرح نهج البلاغة، ج١ ص١٨، دار إحياء التراث العربي، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص١٤٧ ط النجف بمقدمة السيد محمد صادق بحر العلوم، هذا وقد ذكر المؤلف في كتاب ليالي بيشاور (٣٠) مصدراً من مصادر أهل السنة التي فيها هذه الكلمة، ص ٤٠٠ / المترجم.

وما يثير الدهشة أنّ عمر لمّا سمع الآية التي تلاها أبو بكر حول موت النبيّ ﷺ قال: كأنّي ما سمعت بهذه الآية؟ ممّا يعني ابتعاده عن القرآن الكريم، فكيف تجعلونه خليفة رسول الله ﷺ؟

سلوني قبل أن تفقدوني

وفي مقابل شخصية عمر بن الخطّاب، تقف شخصية إسلامية بارزة ألا وهو عليّ بن أبي طالب الذي يقف على طرف النقيض من عمر، لأنّه امتاز بالعلم الواسع والإحاطة التامّة بكلّ تفاصيل الدين والكون والحياة فإنّه القائل مراراً وتكراراً «سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لا تسألوني عن آية من كتاب الله إلّا حدّثتكم عنها متىٰ نزلت، بليل أو نهار، في مقام أو مسير، في سهل أم في جبل وفيمن نزلت، في مؤمن أو منافق، وما عنى الله بها أم عامّ أم خاصّ.

سلوني عن كتاب الله فإنّه ليس من آية إلّا وقد عرفتُ بليل نزلت أم بنهار في سهلٍ أم في جبل.

سلوني عن أسرار الغيوب فإنّي وارث علوم الأنبياء والمرسلين وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليلٍ نزلت أم بنهار، في سهلٍ أم في جبل[1].

---

(١) كفاية الطالب الباب ٥٢، وينابيع المودّة في فضائل عليّ عليه السلام.
وتاريخ الخلفاء للسيوطي فصل علي بن أبي طالب عليه السلام، ص١٨٥، ط الأولى، مطبعة السعادة، ١٩٥٢م.
والمناقب للخوارزمي ص٤٧.

←

← وذخائر العقبى للطبري الباب ٨ ص ١٥٠ ط جدّة

والاستيعاب ج٣ ص٢٠٨، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

وفرائد السمطين ،ج١، ص ٣٤١، ط مؤسسة المحمودي، بيروت ١٩٧٨م.

وطبقات ابن سعد ج ٢ / ٣٣٨.

ووفيّات الأعيان.

الدرر المنظوم لابن طلحة.

مودّة القربى، المودّة ١٤.

مطالب السؤول، ج ١ ص ١٢٥، ط: الأولى، مؤسسة أم القرى، ١٤٢٠ هـ.

البخاري، ج ١، ص ٤٧، دار ابن كثير.

مسند أحمد.

سنن أبي داود، ص ٥٥١، ط: دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٨م؛

حلية الأولياء ج ١ ص ٦٧، ٦٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

جامع بيان العلم.

المستدرك للحاكم.

عمدة القارئ لبدر الدين.

ينابيع المودة، ص٨٦، ط، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧م

تهذيب التهذيب لابن حجر ج٧ ص٣٣٧ وفي طبعة ص٢٩٧.

فتح الباري ج٨، ص٧٥، ٧٦، ط : مكتبة مصطفى البابي، ١٩٥٩م.

الرياض النضرة ج ٢ ص١٩٨ وفي طبعة ج٣ ص١٤٦.

شرح نهج البلاغة للمعتزلي / المؤلِّف.

ومن أجل تعميم الفائدة إليك هذه المصادر أيضاً:

وروي أنّه قال: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله ما من أرض خصبة ولا مجدبة ولا فئة تضلّ مائة أو تهدي مائة إلّا وأنا أعلم قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة...

←

والآن انطلاقاً ممّا مرّ عليكم ومن مقولة (تُعرف الأشياء بأضدادها) لمن نتّبع؟ أنتّبع الرجل العالم الذي يقف بكلّ فخر وثقة ليقول سلوني ويجيب عن مختلف الأسئلة العويصة والمعقّدة بكلّ رحابة ودون عناء؟ أم نتّبع مَن يتعثّر ويفشل ويعجز من الإجابة عن أبسط الأسئلة؟ أرجو منكم أن تفكّروا بعقولكم بعيداً عن التعصّب.

لاسيّما إذا لاحظنا أحاديث رسول الله ﷺ التي صرّح من خلالها كون الإمام عليّ عليه السلام أقضى الأمّة وأعلمها إشارة منه ﷺ إلى كفاءة الإمام أمير المؤمنين في القضاء الذي يمثّل أخطر منصب في الأمّة باعتباره مرتكز العدالة الإسلامية والإنسانية، فقد روي عنه ﷺ أنّه قال: أقضاكم عليّ[1].

← وقال: سلوني عن الفتن فما من فتنة إلّا وقد علمت مَن كسبها ومن يُقتل فيها.

وقال أحمد بن حنبل: لم يكن أحد من الصحابة يقول: سلوني إلّا عليّ بن أبي طالب. انظر ينابيع المودّة للقندوزي في فضائل وعِلم الإمام عليّ عليه السلام.

وأخرج الحاكم عن أبي مسعود قال: كنّا نتحدّث أنّ أقضى أهل المدينة عليّ عليه السلام، وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة قال: قال عمر بن الخطّاب: عليٌّ أقضانا، وأخرج عن ابن عبّاس قال: إذا حدّثنا ثقة عن عليّ بفتيا لا نعدوها، وكان عمر يتعوّذ بالله من معضلة ليس فيها أبو حسن عليه السلام / انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي فصل عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وروي عن النبيّ ﷺ: أعلم أُمّتي من بعدي عليّ بن أبي طالب، وأقضى أُمّتي عليّ بن أبي طالب / أُنظر مناقب الخوارزمي ص٣٩ وكنز العمّال ج ١١ ص ٦١٤ رقم ٣٢٩٧٧.

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال: لم يكن أحد من الصحابة يقول: سلوني إلّا عليّ عليه السلام. أُنظر الصواعق المحرقة ج ٢ ص ٣٧١ الفصل ٣ مؤسسة الرسالة بيروت / المترجم

(١) نور الأبصار ص٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

وقلنا سابقاً: إنّ القاضي هو مَن يحيط علماً بجميع مسائل الحلال والحرام،

← وتاريخ الخلفاء للسيوطي، فصل علي بن أبي طالبؑ، ص ١٧١، ط: الأولى، مصر ١٩٥٢م.

وينابيع المودّة، ص٨٧ ط: مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٧.

وتهذيب التهذيب، ج١ ص٢١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٣م.

والاستيعاب ج٣ ص٢٠٦ ط دار الكتب العلمية.

والصواعق المحرقة ج٢ ص٣٥٨ ط مؤسّسة الرسالة بيروت.

والمناقب للخوارزمي ص٣٩ ط النجف.

وطبقات ابن سعد، ج٢ ص٥،٦، ط: دار الفكر ١٩٩٤م.

ومطالب السؤول، ص٩٩، ط: مؤسسة البلاغ ١٩٩٩م.

وتهذيب الأسماء.

وشرح النهج للمعتزلي، ص٦، ط:، دار الكتب العربية الكبرى.

والفصول المهمّة / المؤلّف.

ولتعميم الفائدة إليك هذه المصادر:

تاريخ ابن الوردي ج١ وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص٦٣٩. ومناقب الأسد الغالب لشمس الدين محمد بن الجزري الشافعي المتوفّي ٨٣٣هـ. وأخرجه البغوي في شرح السنّة ج٤ ص١٣٢ وفي مصابيح السنة رقم ٤٧٨٧. وأورده ابن حجر في فتح الباري ج١٠ ص ٥٩٠ والعجلوني في كشف الخفاء ج١ ص١٦٢ ومن الطرائف: قال سفيان بن عيينة: قال مقاتل بن سليمان يوماً: سلوني عمّا دون العرش، فقال له إنسان: يا أبا الحسن أرأيت الذرّة أو النملة أمعاؤها في مقدّمها أو مؤخّرها؟ قال: فبقي الشيخ لا يدري ما يقول / تاريخ بغداد ج١٣ ص١٦٦.

وأيضاً قال مقاتل في مكان آخر سلوني، فقال له رجل: آدم حين حجّ مَن حلق رأسه؟ فقال: ليس هذا من عملكم ولكنّ الله أراد أن يبتليني بما أعجبتني نفسي / المصدر السابق ص١٦٣ / المترجم.

وبعبارة أُخرى هو من يحيط علماً بالكتاب والسنّة والمعارف الإسلامية، ولأجل ذلك جاءت كلمة (أقضاكم) بصيغة التفضيل للدلالة على منزلة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وكونه أفضل الصحابة جميعاً من هذه الجهات.

ولهذه الجهة وغيرها كان الخلفاء الثلاثة يرجعون إلى الإمام عليّ عليه السلام في الكثير من المسائل، وهذا يعني كونه عليه السلام أفضل منهم لاسيّما وإنّ الخلفاء الثلاثة لم يصرِّح أي أحد منهم بأيّ مستوى علمي فائق لنفسه فضلاً عن القول بكونهم أفضل منه عليه السلام!

عن الحجر الأسود

عن أبي سعيد الخدري قال: حججنا مع عمر بن الخطّاب فلمّا دخل الطواف استقبل الحجر فقال: إنّي لأعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع ولولا أنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبّلك ما قبّلتك، فسمعه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال له: بلىٰ يا عمر إنّه يضرّ وينفع، قال: بِمَ؟ قال: بكتاب الله تبارك وتعالى قال: وأين؟ قال: قال الله عزّوجلّ: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلىٰ﴾[1] خلق الله آدم ومسح على ظهره فقرّرهم بأنّه الربّ وأنّهم العبيد وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك في رقّ وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال له: افتح فاك، ففتح فاه فألقمه ذلك الرق وقال: إشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة وأنّي أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يؤتىٰ يوم القيامة بالحجر الأسود له لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد فهو يا عمر يضرّ وينفع، فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لستَ فيهم يا أبا الحسن[2].

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) مستدرك الصحيحين ج ١ / ص ٤٥٧، وصحيح البخاري ج ٢ ص ٥٧٩ رقم ١٥٢٠،

أمانة عند امرأة

وعن حنش بن المعتمر: أنّ رجلين أتيا امرأة من قريش فاستودعاها مئة وقالا لها: لا تدفعيها إلى أحدٍ منّا دون صاحبه حتّىٰ نجتمع فلبثا حولاً، ثمّ جاء أحدهما إليها وقال: إنّ صاحبي قد مات فادفعي إليّ الدنانير فأبت فثقُل عليها بأهلها فلم يزالوا بها حتّى دفعتها إليه، ثمّ لبثت حولاً آخر، فجاء الآخر فقال: إدفعي إليّ الدنانير فقالت: إنّ صاحبك جاءني وزعم أنّك قد متّ فدفعتها إليه، فاختصما إلى عمر بن الخطّاب، فأراد أن يقضي عليها فقالت: أنشدك الله أن لا تقضي بيننا وارفعنا إلى عليّ بن أبي طالب، فرفعهما إلي عليّ عليه السلام، فعرف أنّهما قد مكرا بها فقال: أليس قلتما: لا تدفعيها إلى واحد منّا دون صاحبه؟ قال: بلىٰ، قال: فإنّ مالك عندنا فاذهب فجيء بصاحبك حتّىٰ ندفعها إليكما[1]، فذهب الرجل فارّاً، لافتضاح مكرهما.

وكذلك سُئل عمر بن الخطّاب عن الإرث فأحال السائل إلى عليّ عليه السلام[2] وكذلك أحال إلى الإمام عليّ عليه السلام في موضوع أكل المحرم بيض النعام[3] وكذلك

← والتفسير الكبير للرازي ج٣٢ ص١٠ وتفسير الدرّ المنثور ج٣ ص٦٠٥، وإرشاد الساري للقسطلاني ج٤ ص١٣٥ رقم ١٥٩٧.

أقول: البخاري لم يكمل تمام الخبر وإنّما اكتفىٰ بقول عمر وبتر جواب الإمام عليّ عليه السلام /المترجم.

(١) ذخائر العقبى باب ٨ ص١٤٥ ط جدّة، والأذكياء لابن الجوزي ص٤٥، وتذكرة الخواص ص١٤٨، والرياض النضرة ص١٤٢ دار المعرفة، بيروت ١٩٩٧م.

(٢) كنز العمّال، ج٥ ص٧٤٨، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م.

(٣) ذخائر العقبى، الرياض النضرة ج٢ ص١٩٤.

أحال على الإمام عليّ مسائل ملك الروم(١).

---

(١) [رسالة ملك الروم إلى عمر]
وذكر بعض المؤرِّخين أنّ ملك الروم كتب إلى عمر: من قيصر ملك بني الأصفر إلى عمر خليفة المسلمين، أمّا بعد فإنّي مسائلك عن مسائل فأخبرني عنها: ما شيء لم يخلقه الله؟ وما شيء لا يعلمه الله؟ وما شيء ليس عند الله؟ وما شيء كلّه فم؟ وما شيء كلّه رجل؟ وما شيء كلّه عين؟ وما شيء كلّه جناح؟ وعن رجلٍ لا عشيرة له؟ وعن أربعة لم تحمل بهم رحم؟ وعن شيء يتنفّس وليس فيه روح؟ وعن صوت الناقوس ماذا يقول؟ وعن ظاعن ظعن مرّة واحدة؟ وعن شجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها ما مثلها في الدنيا؟ وعن مكان لم تطلع فيه الشمس إلّا مرّة واحدة؟ وعن شجرة نبتت من غير ماء؟ وعن أهل الجنة فإنّهم يأكلون ويشربون ولا يتغوّطون ولا يبولون ما مثلهم في الدنيا؟ وعن موائد الجنّة فإنّ عليها القصاع في كلّ قصعة ألوان لا يختلط بعضها ببعض ما مثلها في الدنيا؟ وعن جارية تخرج من تفّاحة في الجنّة ولا ينقص منها شيء؟ وعن جارية تكون في الدنيا لرجلين وهي في الآخرة لواحد؟ وعن مفاتيح الجنّة ما هي؟
فأحالوا الرسالة على الإمام عليّ عليه السلام فقرأها وكتب في الحال خلفها:
بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فقد وقفت على كتابك أيّها الملك وأنا أُجيبك بعون الله وقوّته وبركته وبركة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله: أمّا الشيء الذي لم يخلقه الله تعالى فالقرآن لأنّه كلامه وصفته.. وأمّا الذي لا يعلمه الله فقولكم له ولد وصاحبة وشريك.. وأمّا الذي ليس عند الله فالظلم.. وأمّا الذي كلّه فم فالنار تأكل ما يُلقىٰ فيها، وأمّا الذي كلّه رجل فالماء، وأمّا الذي كلّه عين فالشمس، وأمّا الذي كلّه جناح فالريح، وأمّا الذي لا عشيرة له فآدم عليه السلام، وأمّا الذي لم يحمل بهم في رحم فعصا موسىٰ وكبش إبراهيم وآدم وحوّاء، وأمّا الذي يتنفّس من غير روح فالصبح ﴿والصبح إذا تنفّس﴾ وأمّا الناقوس فإنّه يقول: طقاً طقاً حقّاً حقّاً مهلاً مهلاً عدلاً عدلاً صدقاً صدقاً إنّ الدُّنيا قد غرّتنا واستهوتنا تمضي الدُّنيا قرناً قرناً ما من يوم يمضي
←

بينما كان عمر يكتفي في كلّ ذلك بالقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن أو أعوذ بالله من كلّ معضلة ليس لها أبو حسن يريد عليّاًعليه السلام.

← عنّا إلّا أوهىٰ منّا ركناً، إنّ الموتىٰ قد أخبرنا إنّا نرحل فاستوطنا، وأمّا الظاعن فطور سيناء لمّا عصت بنو إسرائيل وكان بينه وبين الأرض المقدّسة أيّام فقلع الله منه قطعة وجعل لها جناحين من نور فنتقه عليهم فلذلك قوله: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم...﴾، وأمّا المكان الذي لم تطلع عليه الشمس إلّا مرّة واحدة فأرض البحر لمّا فلقه موسىٰ... وأمّا الشجرة التي يسير الراكب في ظلّها مائة عام فشجرة طوبىٰ....، وأمّا الشجرة التي نبتت من غير ماء فشجرة يونس وكان ذلك لقوله: ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾، وأمّا غذاء أهل الجنّة فمثلهم في الدنيا الجنين في بطن أُمّه فإنّه يغتذي من سرّتها ولا يبول ولا يتغوّط، وأمّا الألوان.. فمثله في الدنيا البيضة فيها لونان أبيض وأصفر ولا يختلطان، وأمّا الجارية التي تخرج من التفّاحة فمثلها في الدنيا الدودة تخرج من التفّاحة ولا تتغيّر، وأمّا الجارية التي تكون بين اثنين فالنخلة التي تكون في الدنيا لمؤمن مثلي ولكافر مثلك وهي لي في الآخرة دونك لأنّها في الجنّة وأنت لا تدخلها، وأمّا مفاتيح الجنّة فلا إله إلّا الله محمّد رسول الله... / انظر تذكرة الخواص ص١٤٥، ط مكتبة نينوى الحديثة، تقديم السيد محمد بحر العلوم.

وأمّا قصّة بيض النعام: .. قال خرجتُ مع فتيةٍ حُجّاجاً فأصبنا بيض نعام وقد أحرمنا فلمّا قضينا نُسكنا ذكرنا ذلك لعمر، فأدبر وقال: اتبعوني حتّى انتهى إلى حُجر رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فضرب حُجرة منها فأجابته امرأة فقال: أثمَّ أبو حسن؟ قالت: لا، فمرّ في المقثأة فأدبر وقال: اتّبعوني حتّى انتهى إليه وهو يسوي التراب بيده فقال: مرحباً يا أمير المؤمنين، فقال: إنّ هؤلاء أصابوا بيض نعام وهم محرمون؟ فقال: ألا أرسلت إليَّ؟ قال: أنا أحقّ بإتيانك، قال: يُضربون الفحل قلائص أبكاراً بعدد البيض فما نُتج منها أهدوه، قال عمر: فإنّ الإبل تخدج، قال عليّ: والبيض يمرض، فلمّا أدبر قال عمر: اللّهمّ لا تنزل بي شديدةً إلّا وأبو الحسن إلى جنبي. /انظر ذخائر العقبىٰ باب ٨ ص١٤٩ / المترجم.

عمر مع حذيفة بن اليمان

وعن حذيفة بن اليمّان أنّه لقي عمر بن الخطّاب فقال له عمر: كيف أصبحت يابن اليمان؟ فقال: كيف تريدني أصبح أصبحت والله أكره الحقّ، وأحبّ الفتنة، وأشهد بما لم أره، وأحفظ غير المخلوق، وأُصلّي على غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء.

فغضب عمر لقوله وانصرف من فوره وقد أعجله أمر وعزم على أذىٰ حذيفة لقوله ذلك، فبينا هو في الطريق إذ مرَّ بعليّ بن أبي طالب فرأى الغضب في وجهه فقال: ما أغضبك يا عمر؟ فقال: لقيت حذيفة فسألته كيف أصبحت فقال... إلى آخره.

فقال عليّ: صدق؛ يشهد لله بالوحدانية والموت والبعث والقيامة والجنّة والنار والصراط ولم ير ذلك كلّه، ويحفظ كتاب الله، ويصلّي على ابن عمّي رسول الله علىٰ غير وضوء، وله زوجة وتعالى الله عن الزوجة والولد[1].

فلمّا سمع ذلك عمر قال: كاد يهلك ابن الخطّاب لولا عليّ بن أبي طالب، ثمّ قال الشافعي مصنّف الكتاب: هذا ثابت عند أهل النقل ذكره غير واحد من أهل السير[2].

---

(١) وأمّا في روايات الشيعة فإنّ فقرة يكره الحقّ يعني يكره الموت بدون استعداد له، وفقرة يحبّ الفتنة يعني يحبّ الأولاد. /المترجم

(٢) كفاية الطالب باب ٥٧، وقريب من هذا اللفظ في نور الأبصار ص١٧١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م.
وعن أُذينة العبدي قال: أتيت عمر فسألته: من أين أعتمر؟ قال: ائت عليّاً فسله. / انظر ذخائر العقبىٰ باب ٨ص١٤٥ /المترجم

سؤال اليهودي من الخلفاء

جاء رجل يهودي في خلافة عمر بن الخطّاب إلى عمر فسلّم عليه ثمّ قال: أيّكم أعلم بنبيّكم وكتاب ربّكم حتّى أسأله عمّا أُريد؟ فأشار عمر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له اليهودي: أكذلك أنت يا عليّ؟ قال عليه السلام: نعم، سَل عمّا تريد، قال: إنّي أسألك عن ثلاث وعن ثلاث وواحدة فقال عليه السلام: لِمَ لا تقول: إنّي أسألك عن سبع؟ قال: أسألك عن ثلاث فإن أصبت فيهنّ سألتك عن الثلاث الأخرى فإن أصبت سألتك عن الواحدة، وإن أخطأت في الثلاث الأُولى لم أسألك عن شيء.

فقال له عليّ عليه السلام: وما يدريك إذا سألتني فأجبتك أصبت أم أخطأت؟ فضرب بيده إلى كمّه فاستخرج كتاباً عتيقاً قال: هذا ورثته عن آبائي وأجدادي إملاء موسى بن عمران عليه السلام وخطّ هارون، وفيه هذه الخصال التي أُريد أن أسألك عنها.

فقال له علي عليه السلام: إنّ عليك إن أجبتك فيهنّ بالصواب أن تُسلم؟ فقال: والله لئن أجبتني فيهنّ بالصواب لأسلمن الساعة على يديك، قال له عليّ عليه السلام: سَلْ، فقال: أخبرني عن أوّل حجر وضع على الأرض وأخبرني عن أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض، وأخبرني عن أوّل عين نبعت على وجه الأرض؟ فقال عليّ عليه السلام: يا يهودي أمّا أوّل حجر وضع على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها صخرة بيت المقدس وكذبوا، ولكنّه الحجر الأسود نزل به آدم عليه السلام من الجنّة فوضعه في ركن البيت والناس يتمسّحون به يقبّلونه ويجدّدون العهد والميثاق فيما بينهم وبين الله عزّوجلّ، قال اليهودي: أشهد بالله قد صدقت، فقال عليّ عليه السلام: وأمّا أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها

الزيتونة وكذبوا، ولكنّها النخلة من العجوة نزل بها آدمعليه السلام معه من الجنّة فأصل النخل كلّه من العجوة، قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت، فقال عليعليه السلام: وأمّا أوّل عين نبعت على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها العين التي نبعت تحت صخرة بيت المقدس وكذبوا ولكنّها عين الحياة التي نسي عندها صاحب موسى السمكة المالحة، فلمّا أصابها ماء العين عاشت وسربت فاتّبعها موسى وصاحبه فلقيا الخضر قال له اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت، فقال له عليّعليه السلام: سَلْ؟ قال: أخبرني عن هذه الأُمّة كم لها بعد نبيّها من إمام عادل؟ وأخبرني عن منزل محمّد أين هو من الجنّه؟ ومن يسكن معه في منزله؟ قال له عليّعليه السلام: يا يهودي يكون لهذه الأُمّة بعد نبيّها اثنا عشر إماماً عدلاً لا يضرّهم خلاف من خالف عليهم، قال اليهودي: أشهد لقد صدقت، وأمّا منزل محمّدصلى الله عليه وآله وسلم من الجنّة في جنّة عدن وهي وسط الجنان وأقربها إلى عرش الرحمن جلّ جلاله، قال له: أشهد بالله لقد صدقت، والذين يسكنون معه في الجنّة هؤلاء الاثنا عشر إماماً، قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت، فقال عليّعليه السلام: سَلْ، فقال اليهودي: أخبرني عن وصيّ محمّدصلى الله عليه وآله وسلم من أهله كم يعيش من بعده؟ وهل يموت موتاً أو يُقتل قتلاً؟ فقال له عليّعليه السلام: يا يهودي يعيش بعده ثلاثين سنة ويخضب منه هذه من هذا ـ وأشار إلى رأسه ـ فوثب إليه اليهودي فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله وأنّك وصيّ رسول الله[1].

وكان هدفي من هذه الحادثة هو صدر الكلام الوارد في البداية «أيّكم أعلم بنبيّكم..» فأحال عمر بن الخطّاب هذا اليهودي إلى الإمام عليّعليه السلام بعد أن عرفوا من أنفسهم العجز والفشل على الخوض في مثل هذه الحوارات، بل ورد عن

---

(١) زين الفتىٰ في شرح سورة هل أتى للعاصمي، ج١ الفصل الخامس ص٣٠٥ رقم ٢١٨ ولكن لا يوجد في هذه النسخة عبارة (اثنا عشر إماماً عادلاً).

معاوية ابن أبي سفيان وهو العدوّ اللدود للإمام عليّ عليه السلام أنّه أحال بعض السائلين إلى الإمام عليّ عليه السلام كما ذكر الطبري حيث جاء رجل إلى معاوية ليسأله فقال له معاوية: سَلْ عنها علياً، فهو أعلم، فقال يا... جوابك فيها أحبّ إليَّ من جواب عليّ، قال: بئس ما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله يغزه بالعلم غزا، ولقد قال له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه[1].

ومن جميع ما تقدّم يتّضح لكم أنّ علياً عليه السلام هو الأعلم وهو الأقضىٰ وقد أحال عليه الخلفاء المتقدّمون، فلا مجال لعكس ذلك بأيّ وجه، وأنّي أتعجّب من أهل السنّة الذين يذهبون إلى تفضيل الخلفاء على الإمام عليّ عليه السلام.

عود على بدء

والآن أعود معكم إلى البحث السابق حول كلمة عمر وجواب أبي بكر له ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات أو قُتل...﴾[2] وهذه الآية أشارت إلى جهتين في غاية الأهمّية:

الأولى: الإعلان عن موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسبقاً للحيلولة دون حصول الغلوّ في شخصيّته كما أثار هذه العقيدة عمر بن الخطّاب عندما زعم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت وأنّه غائب!! وأيضاً الآية تعلن عن موت النبيّ لكي لا يُدّعىٰ عدمه من أجل مكاسب ومخطّطات شخصية خاصّة كما حاول زملاء عمر بن الخطّاب وهم المنافقون الاستفادة من كلمته حول غيبوبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولكن رُدّوا جميعاً بهذه الآية.

---

(١) ذخائر العقبىٰ ص٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣ ط مصر، مكتبة المقدسي ١٣٥٦ هـ.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

الثانية: والآية أيضاً صرّحت عن ارتداد أكثر الصحابة ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم..﴾ وهي صريحة بحصول الارتداد من الصحابة. وقد ذكر الرواة أحاديث عديدة في هذا الصدد وقد ذُكر بعضها في صحيح البخاري الذي لديكم إجماع على صحّة رواياته، بل على صحّة ما جاء فيه وتعدّونه بعد القرآن الكريم في الرتبة والصحّة فقد ذكر روايات عن رسول الله ﷺ يخبر أصحابه أنّ بعضهم يُساقون إلى النار فيقول: يارب أصحابي، فيُقال له: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك أنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى[1].

فهذه الآية الكريمة والطوائف الكثيرة كلّها تخبر عن ارتداد الصحابة وبكلّ صراحة وبالتالي لا يمكن قبول أي انتقاد يوجّهه بعض المتعصّبين والمخالفين للشيعة الإمامية ويتّهمونهم بأنّهم الوحيدون الذين أفردوا في كتبهم أحاديث عن ارتداد الصحابة تحت عنوان «ارتدّ الناس بعد النبيّ ﷺ ...».

لأنّنا نقول: لسنا وحدنا ندّعي ذلك بل القرآن الكريم هو أساس هذه المقالة وهو دليل على صحّة هذه الأحاديث، وكذلك أصحّ كتب السنّة وهو صحيح البخاري أورد مثل هذه الأحاديث.

وهؤلاء المرتدّون هم في الأصل مجموعة من المنافقين عاشوا النفاق أيّام رسول الله ﷺ بشكل باطني وسرّي وما إن توفّي النبيّ ﷺ إلّا وأظهروا هذا النفاق القديم وذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة للحصول على السلطة تاركين جسد رسول الله ﷺ خلف ظهورهم!!

---

(١) جامع الأصول لابن الأثير عن البخاري ومسلم ج ١١ كتاب الحوض في ورود الناس عليه ص ١٢٠ رقم الحديث (٧٩٧٢)، وتهذيب جامع الإمام الترمذي لأبي الفتوح عبد الله بن عبد القادر التليدي ج ٢ دار المعرفة، المغرب وغيرهما / المترجم.

دراسة حول الخلاف الخامس ـ الإمامة ـ

وقبل الخوض في بحث الإمامة علينا أن نوضّح لكم بعض الأخطاء التأريخية التي وقعت من قبل الشهرستاني وأمثاله ولا ندري هل هي عفوية أم كانت مقصودة، فمن جملة ما ذكره الشهرستاني قول الأنصار: (منّا أمير ومنكم أمير... حتّى أدرك أبو بكر الفتنة وبويع وانطفأت نار الافتراق والاختلاف).

وهذا كلام غير صحيح، ولكي يتّضح المطلب نقول:

في بداية أمر السقيفة لم يكن فيها سوى ثلاثة أشخاص عمر وأبي بكر وأبي عبيدة من المهاجرين، وأمّا غيرهم من كبار الصحابة فإنّهم كانوا عند جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

تأريخ أهل المدينة

وأمّا الأنصار فإنّهم يعودون إلى الأوس والخزرج وهما أولاد لحارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو المزيقيا بن عامر ماء السماء بن الحارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة مازن بن الأزد بن الغوث ابن بنت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان، كان ساكناً في اليمن وعندما حصل سيل العرم وأدّى إلى خراب ودمار سدّ مأرب على أثر تكذيبهم الأنبياء، غادر مَن بقي من أهل اليمن إلى مختلف البلدان، فأمّا خزاعة فإنّها سكنت الحجاز، وأمّا غسّان فإنّهم سكنوا الشام، وأمّا ثعلبة بن عمرو بن عامر فإنّه مع مَنْ تبعه مرّوا بالمدينة «يثرب» فتخلّف عنهم أوس وخزرج وبقيا مع عوائلهما في يثرب لطيب هوائها وخصوبة أرضها، وعاشا فيها وامتدّت ذراريهما في هذه المدينة فكانوا أولاد عمّ ومع تصاعد الأجيال بمرور السنين تكوّنت قبيلتان كبيرتان هما قبيلة الأوس، وقبيلة الخزرج، فامتدّت الطموحات

لدى الأحفاد لزعامة هذا الموقع الاجتماعي العريض في يثرب، ممّا أدى إلى نشوب الصراعات بين أولاد العمّ فكانت حرب بُعاث بينهما طاحنة التي انتصر فيها الأوس على الخزرج وبعد ذلك توصّلوا واتّفقوا على تنصيب أحد من الأوس ليرأس القبيلتين معاً وكان المرشّح لذلك المنصب الكبير هو عبدالله بن أُبي بن سلول، الذي لم يشترك في الحرب وكانت له دعوات إلى الإصلاح وترك المنافرات والمنازعات فكان مرضياً عند القبيلتين.

إلّا أنّ زعماء وكبراء قبيلة الخزرج لم تدخل القناعات إلى أدمغتهم بعد فإنّهم ما زالوا يشعرون بالذلّ تحت وطأة الأوس الذين انتزعوا منهم الزعامة.

وفي هذه الفترة كان النبيّ ﷺ قد أعلن عن نبوّته وبعثته في مكّة وكان نفر من الخزرج قد ذهبوا إلى مكّة فالتقى أسعد بن زرارة وزكوان بن عبد قيس مع عتبة بن ربيعة من أئمّة الكفر في مكّة وعرضوا عليه التحالف، فاعتذر إليهم عتبة وأخبرهما إنّهم يواجهون مشكلة كبيرة ولمّا سألاه عن ذلك قال: قد خرج رجل فينا من يدّعي أنّه نبيّ يعبد الله تعالىٰ وحده، أفسد علينا شبابنا وسفّه آلهتنا وأحلامنا، فقالا له: مَنْ هو؟ ومن أين جاء؟ قال: هو من أشرف بيوتنا وأفضلها نسباً وشرفاً يُدعىٰ محمّد بن عبدالله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف. وقد عزلناه مع قبيلته وأتباعه في شعب أبي طالب ونالهم ما نالهم من الجوع إلّا أنّه عاد إلى دعوته.

فشعر أسعد وزكوان أنّ هذا هو النبيّ ﷺ الذي كانوا يسمعون عنه من يهود المدينة ويبشّرون بظهوره قريباً فسعيا للقاء به.

وبعد ذلك التقيا برسول الله ﷺ عند حجر إسماعيل حول الكعبة وسألاه عن دعوته ودينه فقال ﷺ: أدعوكما إلى التوحيد بالله تعالىٰ وحده والإيمان برسالتي وترك عبادة الأصنام وترك الشرك بالله تعالى والبرّ والإحسان إلى الوالدين وعدم قتل الأولاد خشية الفقر وترك الذنوب الكبيرة والصغيرة

كالشراب والقمار والزنا واللواط وعدم قتل النفس وعدم أخذ مال اليتيم ولا تبخسوا الميزان، وأدعوكما إلى العدل والصدق والأخلاق والوفاء بالوعد والالتزام بالعهد.

فلمّا سمعا ذلك أشرق نور الإيمان في قلبيهما وأذعنا للحقّ فنطقا بالشهادتين، ثمّ أخبراه أنّهما من قبيلة الخزرج وطلبا منه أن يرسل معهما إلى يثرب من يعلّم الناس الكتاب فأرسل معهما مصعب بن عمير من المسلمين الأوائل وكان طليق اللسان سريع الفهم حافظاً لآيات القرآن.. فنزل في منزل أسعد وأخذ يدعو الناس إلى الإسلام ويوضح لهم أحكام الدين ومفاهيمه وما يدعو إليه من الأخلاق الحميدة، فآمن بعض الناس إلى أن جاء سعد بن معاذ وهو خال أسعد إلّا أنّه كان كبيراً في قومه مطاعاً في يثرب كلّها، فلمّا عُرض عليه الإسلام آمن به ثمّ اغتسل وصلّىٰ مع مصعب بعدها أعلن إسلامه وإيمانه فلمّا سمعت قبيلة بني عمرو بن عوف أسلموا كلّهم ومن بعدهم أسلم أشراف القبيلتين الأوس والخزرج حتّى تحوّلت يثرب بمرور الأيّام إلى قاعدة رصينة لاستقبال المسلمين الفارّين من عذاب قريش بعد أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لهم بمغادرة مكّة بينما كان الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج يستقبلون المسلمين ويفتحون لهم بيوتهم، إلى أن أسلم الأنصار كلّهم وعلىٰ أثر ذلك تبدّدت أحلام عبدالله بن أُبيّ في السلطة والزعامة، إلّا أنّه لم يجد طريقاً وخياراً آخراً غير الإسلام فدخل في الإسلام ولكنه كان يحمل في قلبه بغضاً شديداً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وللإسلام، وكان يسعى للانتقام بين الحين والآخر.

ثمّ هاجر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من مكّة إلى المدينة على أثر دعوة الأنصار له، فاستقبله أهل المدينة بعد أن زالت النفرة بين الأوس والخزرج بقيادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلّا أنّ عبدالله بن أُبيّ التفّ حوله بمرور الأيّام كلّ منافق لم يؤمن بالإسلام والنبوّة.

فلمّا توفّي رسول الله ﷺ في أواخر شهر صفر عام ١١هـ، أسرع الأنصار إلى سقيفة بني ساعدة فيما بينهم لتعيين وترشيح أحد منهم ليقوم بزعامة الأوس والخزرج ما دام رسول الله ﷺ قد توفّي والطموحات عند رجالهم موجودة كما كان الأمر عليه قبل مجيء رسول الله والإسلام إلى المدينة، وفي هذه الأثناء وصلت هذه الأنباء إلى عمر بن الخطّاب الذي اعتقد أنّ الأنصار اجتمعوا لتعيين خليفة رسول الله ﷺ فأسرع إلى بيت النبيّ سرّاً وأخبر أبا بكر دون غيره من كبار المهاجرين الذين اجتمعوا حول جسد النبيّ ﷺ فأسرعا معاً وفي الطريق التقيا بأبي عبيدة فأخبراه الخبر فذهبوا ثلاثتهم إلى سقيفة بني ساعدة[1]، وتحوّل

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٤٢ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.
جاء في تاريخ الطبري: فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجرّاح فقال: ما هذا؟ ص٢٣٣.
أقول: الغريب والعجيب في الأمر هو عبارة (فبلغ ذلك أبا بكر) لماذا هو دون غيره من المهاجرين؟ ومَن الذي جاءه بالخبر؟ ولم معه عمر وأبو عبيدة دون غيرهما من المهاجرين؟
وفي مكان آخر من تأريخ الطبري جاء: إذ جاء رجل يسعىٰ فقال: هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظُلّة بني ساعدة يبايعون رجلاً منهم يقولون منّا أمير ومن قريش أمير قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتّى أتياهم ... ص٢٣٤.
أقول: مَن هذا الرجل الذي جاء إلى أبي بكر وأخبره؟ لماذا أبهم الراوي اسم هذا الرجل؟ ألا يكون عمر أو أبو عبيدة؟
انظر تاريخ الطبري ج٢ ص٢٣٣ ـ ٢٣٤ حوادث سنة ١١ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
وأمّا ما ذكره المؤلّف فهذا نصّه في تاريخ الطبري: وأُتي عمر الخبر ـ أي اجتماع ←

الحوار والكلام إلى تعيين خليفة رسول الله ﷺ بعدما كان الأنصار مجتمعين لترشيح زعيم زمني لا دينيّ.

إذن لم يختلف الأنصار والمهاجرون كما يقول الشهرستاني وغيره، وإنّما اختلف الأنصار وثلاثة من المهاجرين اجتمعوا سرّاً وبدون علم أحد.

سؤال أحد الحاضرين: قد يكون إسراع عمر وزميليه إلى سقيفة بني ساعدة حرصاً على الإسلام ودفعاً لأي حالة سلبيّة قد تؤدّي إلى الاختراق والاختلاف بعد وفاة النبيّ ﷺ؟

الجواب: أرجو من المثقّفين والمتنوّرين أمثالكم أن لا يتعصّبوا، لأنّكم أصحاب فكر متحرّر من قيود الباطل والتعصّب البغيض، بل عليكم أن تحلّلوا المواقف على ضوء الحقّ فقط.

وما حدث في السقيفة بعيد كلّ البُعد عمّا تفضّلتم به لأنّنا لو فرضنا أنّ عمر بن الخطّاب كان يهدف إلى منع حصول الاختلاف لكان عليه أن يُخبر بقيّة المهاجرين أمثال عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعمّار بن ياسر وأبي ذرّ الغفاري والزبير وحذيفة و... لكي تكون جبهة المهاجرين قوّية جدّاً تقف أمام أيّ انحراف في الأُمّة لاسيّما أمثال هؤلاء.

فمثلاً لو كان دخول عمر لبيت النبيّ ﷺ علنياً وكان ينادي وا إسلاماه ثمّ يخبر الجميع بأمر السقيفة لكان الكلّ يتحرّك معه ويقفون سواسية بوجه أيّ

← الأنصار ـ فأقبل إلى منزل النبيّ ﷺ فأرسل إلى أبي بكر، وأبو بكر في الدار وعليّ بن أبي طالب عليه السلام دائب في جهاز رسول الله فأرسل إلى أبي بكر أن أخرج إليّ، فأرسل إليه أنّي مشتغل فأرسل إليه أنّه قد حدث أمر لابدّ لك من حضوره، فخرج إليه فقال: أما علمت أنّ الأنصار قد اجتمعت... فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا أبا عبيدة بن الجرّاح فتماشوا ثلاثتهم.. الطبري ج ٢ ص ٢٤٢ / المترجم.

انحراف أليس هذا أفضل ممّا فعله عمر؟

بل كانت هناك نتائج كبرىٰ فيما لو أعلن عمر أمام الحاضرين ولم يسرّ الخبر إلى أبي بكر وحده؛ منها:

١ ـ لكان المهاجرون قد تحرّكوا مع بني هاشم والعبّاس عمّ النبيّ ﷺ وبقيّة الناس ، ولاشكّ أمام هذا التحرّك الجماعي لا تحصل أيّ فتنة بل لا يجرؤ أي أحد على مخالفة هذه الجماعة.

٢ ـ ولكان الطريق مسدوداً أمام المنافقين وكلّ من يريد الاختلاف أو يسعى لتكريسه.

سؤال أحد الحاضرين: إنّ كلامك عين الحقّ وهو موافق لحكم العقل وكان الأحرى بعمر أن يخبر كلّ المهاجرين، والآن بعد هذه النتيجة كيف يمكن أن تفسّر عمل عمر بن الخطّاب وما هو قصده من إسرار الأمر إلى أبي بكر فقط؟ مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ النبيّ ﷺ توفّي وأوكل أمر تعيين الخليفة إلى الأمّة نفسها؟

الجواب: بما أنّنا لم نكن وإيّاكم في ذلك الزمان لكي نعرف الحقائق، فكان اللازم الرجوع إلى التاريخ، ولكن بعض التاريخ مع الأسف قد حُرِّف على أيدي الأمويّين الذين أبدلوا الحقائق وصادروها، ولهذا السبب سوف أعتمد في الجواب على المصادر المعتبرة عند أهل السنّة كما فعلتُ في ليالي بيشاور.

أمّا قولكم إنّ النبيّ ﷺ توفّي وقد ترك الخلافة إلى الأمة فمتى ما أجمعت الأمّة على رجل وبايعوه فهو خليفة رسول الله ﷺ ، فهذا الرأي والاعتقاد السائد عند أهل السنّة باطل لعدّة وجوه:

١ ـ عدم وجود أيّ حديث من رسول الله ﷺ يصرّح فيه أنّه ترك أمر الخليفة والوصاية إلى الأمّة حتّى أنّ المجامع الحديثيّة لأهل السنّة لا تذكر أيّ حديث عن النبيّ ﷺ في تشريع هذه القضية، إذن لا أساس ديني لموضوع

اختيار الأمّة للخليفة[1].

ولكن دعنا نقول: إنّ هذه النظرية المخترعة صحيحة جدلاً ونزولاً مع رغباتكم إلّا أنّ الإجماع الذي تتحدّثون عنه لم يحصل في سقيفة بني ساعدة لأنّ الأمّة لم تحضر هناك، بل رجالات الأمّة الأفذاذ لم يحضروا فيها؛ وذلك لأنّ عمر لم يرغب في مثل هذا الإجماع ولهذا فإنّه أخبر أبا بكر فقط، وكيف اكتفى أبو بكر وعمر بأنفسهما دون أن يخبرا أحداً من كبار الصحابة؟

وكما ترون فإنّه ليس لديكم أيّ جواب مناسب لهذه التساؤلات، بل ليس هناك أي جواب لهذه القضيّة، ولتصرّفات عمر وأبي بكر، فعليكم إذن أن تفكّروا وتتأمّلوا في هذه الحقائق التاريخية أيّها المثقفون المتنوّرون.

سؤال أحد الحاضرين: نرجو من سماحتكم أن تبيّنوا لنا حقيقة هذا الأمر؟

الجواب: كما هو واضح لدى كلّ عاقل أنّ عمر بن الخطّاب أراد أن يُبقي القضية في الخفاء ولا يعلم أحداً غير أبي بكر، لأنّه إن أعلن للمهاجرين لتدخّل الجميع في القضية ولرشّح المسلمون أسماء غير أبي بكر وأبي عبيدة بل لرشّحوا إمّا العبّاس عمّ النبيّ ﷺ أو عليّ بن أبي طالب عليه السلام صاحب أكبر

---

(١) قال عمر بن الخطّاب لمّا بويع لأبي بكر: أيّها الناس انّي قد كنتُ قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلّا من رأيي وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهده إليّ رسول الله ﷺ ولكنّي قد كنت أرى أنّ رسول الله ﷺ سيدبّر أمرنا حتّى يكون آخرنا، وأنّ الله قد أبقىٰ فيكم كتابه الذي هدىٰ به رسول الله فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له.... فبايع الناس أبا بكر بيعة العامّة / تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٧، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.

أقول: قوله (ما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهده إليّ رسول الله) دليل على أنّ موضوع خلافة أبي بكر موضوع ارتجالي شخصي لا يقوم على أساس ديني كما أشار المصنّف / المترجم.

فضائل من بين رجالات الأمّة بل كان هو المتعيَّن في وعـي الأمّـة الإسـلامية لسوابقه وفضائله وكمالاته ونزول أكثر من آية في حقّه، مثل آية المباهلة[١] التي صرّحت بكون الإمام علي هو نفس النبيّ ﷺ فهو مساوٍ له في الكمالات إلّا النبوّة كما أيّد النبي هذا المعنىٰ في حديث المنزلة حيث قال لعلي: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي[٢].

---

(١) قال الله تـعالى: ﴿قـل تـعالوا نـدع أبـناءنا وأبـناءكم ونسـاءنا ونسـاءكم وأنـفسنا وأنفسكم﴾ والمقصود من أنفسنا نفس النـبيّ ﷺ وعـلي / انـظر تـاريخ الإسـلام للـذهبي عـهد الخـلفاء ص٦٢٧ والمسـتدرك للـحاكـم ج٣ ص١٦٣ رقـم ٤٧١٩ والصواعق المحرقة ج٢ ص٣٥٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت وسـنن التـرمذي ج٥ ص٣٠١ ونور الأبصار ص١٢٢ وأسد الغابة ج٤ ص٢٦ ط مصر، وزاد المعاد لابن القيم ج٤ ص٤٧ ط مصر وتاريخ الخلفاء للسيوطي / المترجم.

(٢) ذكر حديث المنزلة في أُسد الغـابة ج٤ ص٢٦ ـ ٢٧ وزاد المـعاد ج٣ ص٤ ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، وكنز العمّال ج١١ ص٦٠٦ رقم ٣٢٩٣١ والمـناقب للخوارزمي ص٧٩ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٠١ والبخاري ج٧ ص١٢٠ ومختصر تاريخ ابن عساكر ج٢٣ ص٥٩ ومناقب ابن المغازلي وخصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي وتذكرة الحفّاظ ج١ ص١٠ دار الكتب العلمية بيروت، وتـاريخ الإسـلام للذهبي ص٢٤ والمعيار والموازنة للإسكافي المعتزلي، والاستيعاب للقرطبي ج٣ ص٢٠١ دار الكتب العلمية، وتاريخ الإسلام عهد الخـلفاء ص٢٢٦ والمسـتدرك للحاكم ج٣ ص١٤٣ وكتاب السنّة للشيباني ص٥٥١ ومجمع البحرين في الزوائد ج٣ فضائل علي، والصواعق المحرقة لابن حجر ج٢ ص٣٥٤ ط مؤسسة الرسالة بيروت، ومصابيح السنّة ج١ ص٥١٦ فضائل علي ط دار القـلم بـيروت ومـعجم الطبراني الكبير ج١ ص١٤٦ رقم ٣٢٨ وص١٤٨، وفردوس الأخبار للديلمي ج٢ رقم ٣٩٩٢ ص٧٧ ط دار الفكر بـيروت ومـعجم الطـبرانـي الكـبير ج٢ ص٢٠٣٥

←

والقرائن الكثيرة حول حديث الغدير[1] وسائر الأحاديث الشريفة الواردة فيه عليه السلام مثل حديث المؤاخاة[2] وحديث المدينة[3] وحديث الطير[4] وحديث

← وفضائل الصحابة لأحمد ج٢ ص٥٦٨ وص ٥٧٠ وص ٥٩٢ وص٥٩٨ وص ٦١٠ وص٦٣٣ ط السعودية والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ والصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوي وجواهر العقدين للسمهودي وتاريخ ابن الوردي ج ١ وفضائل الصحابة للنسائي ونظم درر السمطين القسم ٢ من السمط الأوّل وأسنى المطالب بتحقيق الدكتور محمد الأميني ص٥٢ وغيرها بالعشرات.. / المترجم.

(١) قال صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللّهم والِ مَن والاه وعادِ من عاده..
انظر تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١١ والخصائص للنسائي وتذكرة الحفّاظ ج ١ ص ١٠ وتاريخ الإسلام مجلّد واحد للذهبي ص٢٤ والمعيار والموازنة للمعتزلي والاستيعاب ج ٣ ص ٢٠٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج عهد الخلفاء ص٦٢٨ ... إلى آخره وللتتبّع انظر موسوعة الغدير / المترجم.

(٢) قال صلى الله عليه وآله لعلي لمّا آخىٰ بين نفسه وبين علي لمّا آخىٰ بين المسلمين: أنت أخي في الدنيا والآخرة أو أنت أخي وأنا أخوك.
الاستيعاب ج٣ ص٢٠٢ دار الكتب العلمية بيروت، ومصابيح السنّة ج ١ ص٥١٦ مناقب علي عليه السلام دار القلم بيروت ومعجم الطبراني الكبير ج ١ ص٣١٩ رقم ٩٤٩، وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص٥٩٨ وص٦١٧ ط السعودية وأسد الغابة ج ٤ ص١٦ ونور الأبصار ص٨٨ / المترجم.

(٣) قال صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وفي بعض الألفاظ: أنا دار الحكمة وعليّ بابها...
أُنظر المناقب لابن المغازلي ص١١٥ و١١٩ ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ج ١ ص٣٠٨ ط السعودية، والاستيعاب ج٣ ص٢٠٥ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٣٨ رقم ٤٦٣٩ والصواعق المحرقة ج ٢ ص٣٥٧ وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٦٣٥ ط السعودية وأسنى المطالب للشافعي وغيرها.. / المترجم.

(٤) قال صلى الله عليه وآله: اللّهمّ ائتني بأحبّ الخلق إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء عليّ عليه السلام وأكل

الراية[١] وغيرها من الشواهد النبويّة التي تدفع الصحابة كافّة لترشيح عليّ عليه السلام للتصدّي لحمل أعباء الخلافة لكونه مع الحقّ والحقّ معه كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار[٢].

وطبيعيّ فإنّ عمر ما كان يرغب في مثل هذه النتيجة التي كانت واضحة عنده أيضاً لعلمه ومعرفته بالواقع السياسي آنذاك. ولذلك اختار طريقة خفيّة وملتوية لعزل الإمام عليّ عليه السلام عن هذا المنصب الخطير، ثمّ يعمل هو وأبو بكر لكسب الأنصار وبعض الناس إلى جانبهم ويحصلان على بيعة رمزية تضفي عليهما الشرعية الدينية أو الاجتماعية، وهذا ما كان، وبعد ذلك مارسا الضغط على الإمام عليّ عليه السلام ليبايع أبا بكر.

سؤال أحد الحاضرين: على ما كنّا نسمع ونقرأ في الكتب أنّ بيعة أبي بكر كانت طبيعيّة ولم يتعرّض أي أحد إلى ضغط أو تهديد كما قال الشهرستاني في

← معه..

أُنظر تاريخ الإسلام للذهبي ج عهد الخلفاء ص٦٣٣ والمستدرك للحاكم ج٣ص ٤٦٥١ ومجمع البحرين في الزوائد فضائل علي عليه السلام ومصابيح السنّة للبغوي بن مسعود الشافعي ج١ ص٥١٦ باب مناقب عليّ عليه السلام، ومعجم الطبراني الكبير ج١ رقم ٣٧٠ والسنن للنسائي ج٥ وفضائل أحمد ج٢ ص ٥٦٠ ط السعودية، ونظم درر السمطين القسم ٢ من السمط الأوّل وأُسد الغابة ج٤ ص٣٠ ط مصر / المترجم.

(١) قال صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعطي الراية لعليّ عليه السلام في غزوة خيبر بعد أن فشل أبو بكر وعمر: لأعطينّ الراية لرجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّار غير فرّار يفتح الله على يديه.

أُنظر المغازي ج٢ ص٦٥٣ وأُسد الغابة ج٤ ص٢١ وكفاية الطالب باب ١٤ وصحيح مسلم ج٥ ص١٩٥ وصحيح البخاري ج٥ ص٧٦ وغيرها / المترجم.

(٢) المناقب ص٢٢٣ وسنن الترمذي ج٥ ص٢٩٧، وستأتي مصادره.

الملل: انثال الناس عليه وبايعوه عن رغبة، ومن جملتهم الإمام عليّ عليه السلام.

الجواب: هذا الموضوع الحسّاس يحتاج إلى توضيح، فإنّا لا نعتقد أنّ إجماعاً حصل في بيعة أبي بكر ولم يتحقّق هذا الميل والرضىٰ من قِبل كثير من كبار الصحابة.

بل أقول لك بكلّ صراحة لو كان مثل هذا الإجماع والرضا قد تحقّق مع أبي بكر لما جلسنا الآن نتحاور حول هذه المواضيع، بل لما اختلفنا، فالمنصف المتتبّع للأخبار والتواريخ يرىٰ عكس ذلك فهناك مَن اعترض على أبي بكر وامتنع عن البيعة ولم يحصل هذا الإجماع الذي خطّته أقلام مأجورة ونفوس متعصّبة.

سؤال أحد الحاضرين: إذن ماذا حصل في السقيفة وما هي حقيقة الأمر في بيعة أبي بكر نرجو أن توضّح لنا ذلك؟

الجواب: قلتُ سابقاً إنّ بين الأوس والخزرج تنافساً قديماً يعود تأريخه إلى ما قبل الإسلام وكلّ قبيلة كانت تسعى للفوز بمنصب الزعامة والقيادة العليا لهاتين القبيلتين.

وعندما توفي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رأى زعماء الخزرج أنّ الفرصة سانحة والأجواء مهيّأة لعقد اجتماع حول تعيين الزعيم الزمني للقبيلتين ولم يكن قصدهم هو تعيين خليفة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يتزعّم المسلمين وإنّما كان قصدهم هو تسجيل فوزٍ على المنافسين لهم (الأوس)، فحملوا زعيمهم المريض[1] سعد بن عبادة إلى سقيفة بني ساعدة ليصنعوا لأنفسهم موقعاً مهماً في مستقبل القبيلتين ولم يجرِ في بال أحد منهم أن يكون سعد بن عبادة خليفة المسلمين وإنّما أرادوه زعيماً اجتماعيّاً بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يشغل هذا المنصب وغيره من

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٤١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.

المناصب الاجتماعية والسياسية والدينية.

فلمّا سمع الأوس بذلك جاءوا بزعمائهم إلى السقيفة ليداركوا الموقف، إلّا أنّ سعد بن عبادة كان يحمل المؤهّلات الكافية لترشيحه وبالفعل فقد كانت أكثر الأصوات تتّجه نحو سعد، إلّا أنّ بعض زعماء الأوس لم يرضوا بهذا الانتصار للخزرج ولم يسمح لهم كبريائهم أن ينضووا تحت راية الأوس إلّا أنّهم لا يملكون رمزاً من الرموز يتصدّى للوقوف بوجه سعد بن عبادة، وكاد الأمر أن ينتهي[1] لولا وصول عمر وأبي بكر وأبي عبيدة وظنّوا أنّ القوم يتحدّثون عن خلافة المسلمين، فطرحوا قضيّة الخلافة على طاولة الحوار، فاندفع زعماء الأوس إلى كسب هذه الفرصة التي قد تُسقِط أحلام الخزرج وتبدّد آمالهم وتُهزِم سعد بن عبادة.

فلمّا طرحوا شعار منّا أمير ومنكم أمير وافق زعماء الأوس بسرعة وضمّوا صوتهم إلى صوت الثلاثة، لإضعاف خصمهم، وبنفس الوقت قويت جبهة الثلاثة وهم لم يصدِّقوا ما يحدث ولم يكونوا يتصوّرون ولا يحلمون بهذا المستوى السريع من الانتصار، وقد غاب عنهم السبب والدافع الذي كان وراء انضمام الأوس معهم!!

فاندفع الأوس بأقصىٰ ما يمكنهم إلى الرضا ببيعة أبي بكر لكسر الخصم وإضعافه وإن لم يكن أبو بكر بالمستوى المطلوب، فهذا لا يهمّهم بمقدار ما كانوا يهدفون إليه وهو عدم رغبتهم في دخولهم تحت زعامة الخزرج، بينما امتنع الخزرج من بيعة أبي بكر[2] لأنّهم لم يجتمعوا لهذا الأمر، واندفع أُسيد بن

---

(١) المصدر نفسه ص٢٤٢.

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٣٣ جاء فيه: فبايعه عمر وبايعه الناس فقالت بعض

←

حضير وبشير بن سعد وهما من زعماء الأوس ليصرّحا لقبيلتهما:

«والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرّة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه»[١]، فأسرع بشير بن سعد إلى بيعة أبي بكر قبل صاحبيه، فناداه الحبّاب بن المنذر وهو من الخزرج: يا بشير بن سعد عقتك عقاق ما أحوجك إلى ما صنعت أنفِستَ ـ من باب التنافس ـ على ابن عمّك ـ سعد بن عبادة ـ؟ فقال: لا والله ولكنّي كرهت أن أنازع قوماً حقّاً جعله الله لهم[٢]، ولمّا رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة أسرعوا إلى بيعة أبي بكر[٣].

وهكذا كانت بيعة أبا بكر فهل ترون فيها إجماعاً؟ أم ترون أنّ الذين بايعوه كانوا بكامل قناعاتهم العقلية ولم تدفعهم مصالح ثانوية؟

إنّ أيّ عاقل لو تدبّر في مثل هـذه الأخبار لرأى الاختلاف والمصالح والرغبات هي المحرّك الوحيد للذين بايعوا أبا بكر، فإنّ الأوس دفعهم التنافس السلبي للبيعة وبعض المهاجرين دفعهم الحسّ العصبي، وأمّا الآخرين فقد اضطرّوا إلى البيعة، أو أُخذت منهم بالقوّة كما حصل مع سعد بن عبادة الذي

← الأنصار لا نبايع إلّا علياً. والكامل في التاريخ ج٢ ص ٢٢٠ وما بعده.

وما ذكره المؤلّف من بيعة الأوس، ذكره المعتزلي في شرح النهج:

«ولمّا رأت الأوس أنّ رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع قام أسيد بن حضير وهو رئيس الأوس فبايع حسداً لسعد أيضاً ومنافسة له أن يلي الأمر فبايعت الأوّس كلّها لمّا بايع أسيد..ج٦ ص ١٠ ط دار الجيل. المترجم

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٤٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

امتنع من البيعة فقال عمر: اقتلوا سعداً قتله الله ثمّ وقف على رأسه وقال له: لقد هممت أن أطأك حتّى تُندر عضدك[١].

وقال عمر أيضاً عن سعد: قتله الله إنّه منافق، فأخذ سعد بلحية عمر فقال له: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة..[٢].

بينما ذكر بعض المؤرِّخين أنّ هذه العبارة قالها قيس بن سعد بن عبادة لعمر بن الخطّاب «والله يابن صهاك الحبشية الجبان في الحروب الفرّار، الليث في الملأ والأمن لو حرّكت منه شعرة ما رجعت في وجهك واضحة».

فلمّا رأىٰ سعد بن عبادة أنّ الأوس بايعوا أبا بكر قال له «أما والله لو أنّ بي قوّة ما أقوى على النهوض لسمعت منّي في أقطارها وسككها زئيراً يُجحرك وأصحابك، أما والله إذاً لألحقنّك بقوم كنتَ فيهم تابعاً غير متبوع»[٣].

ثمّ قال سعد للخزرج: «احملوني من هذا المكان فحملوه فأدخلوه في داره»[٤] ومعه قبيلته الذين امتنعوا عن البيعة أيضاً، حتّى أنّ عمر بن الخطّاب لمّا اقترح على أبي بكر أن يقاتل سعد فأشار عليهما بشير بن سعد قائلاً: وليس بمبايعكم ـ يعني سعد ـ حتّى يُقتل وليس بمقتول حتّىٰ يُقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته فاتركوه...»[٥] ممّا يؤيّد عدم بيعة سعد مع عشيرته وأهل بيته.

---

(١) المصدر السابق، ويعلّق الطبري على هذا الموقف بقوله: وكانت فلتةً كفلتات الجاهلية!!

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

وكما مارس عمر الضغط على سعد مارسه بمساعدة الأوس له لبقيّة المسلمين، وكما وجّه كلمات حادّة وخطيرة مثل (منافق) (اقتلوه) إلى سعد وجّهها إلى الآخرين ممّن هم أقلّ شأناً من سعد!!

فأين الإجماع الذي تحدّث عنه الشهرستاني وغيره؟ وأين الرضا الجماهيري ببيعة أبي بكر؟

وحتّىٰ بيعة الأوس لأبي بكر فإنّها كانت بدوافع قَبَلِيّة جاهلية كما ذكرتُ لكم ولذلك فإنّهم ندموا بعد ذلك وتأسّفوا وكانوا يرون أنّ الخلافة هي من حقّ الإمام عليّ عليه السلام[1].

سؤال أحد الحاضرين: ولكنّا سمعنا أنّ بيعة أبي بكر كانت في جوّ طبيعي وبايعه الناس بكامل الرضا والقناعة والحبّ؟

الجواب: نعم خلفاً عن سلف أصرّ علماؤكم على مصادرة الحقّ وإخفاء الحقيقة عنكم بدوافع العصبية والبغض لشيعة أهل البيت عليهم السلام يورّطون أنفسهم في إضلال الناس، ومنها هذه الحادثة التي نحن بصددها فقالوا: أجمعت الأُمّة على بيعة أبي بكر وانثال الناس عليه وتقدّم منّا ما يدلّ على خلافه من مصادر معتبرة عند أهل السنّة.

ولكن المشكلة أنّهم يتمثّلون العمىٰ عندما تنكشف الحقيقة ويضربون على أنفسهم غشاء الصمّ والبكم ويحاولون ردّ هذه الكتب أو الحقائق بما أمكنهم، فمثلاً عندما كتب العلّامة الحلّي رحمه الله كتاب نهج الحقّ، ردّه الفضل بن روزبهان لا شيء سوى أنّه في مدح أمير المؤمنين عليه السلام وكونه الأحقّ من غيره

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص١٢ دار الجيل، وجاء في تاريخ الطبري ج٢ ص٢٣٦ قال رجل للزهري: أفلم يبايعه عليٌّ ستّة أشهر؟ قال: لا ولا أحد من بني هاشم /المترجم.

بالخلافة، وعندما كتب السيّد محسن الأمين العاملي أعيان الشيعة ردّه محمّد رشيد رضا صاحب تفسير المنار وهكذا اعتادوا على ردّ الحقّ وإن كان موجوداً في كتبهم.

ولهذا كتب علماؤنا الأعلام في بيان مثل هذه الحقائق عدّة كتب من مصادر أهل السنّة مثل كتاب المراجعات وإحقاق الحقّ والفصول المهمّة وغيرها، والآن سوف أعود معكم لإثبات الجبر الذي مارسه عمر وأبو بكر في أخذ البيعة من الذين امتنعوا ومن كتب أهل السنّة.

حادثة سقوط الجنين وإحراق بيت فاطمة

لو أغمضنا العين عمّا تقدّم من إجبار سعد بن عبادة على البيعة، فإنّنا وإيّاكم لا يمكن أن نتجاوز ما حدث مع عليّ وفاطمة صلوات الله عليهما بسبب الضغط الذي مارسوه لأخذ البيعة من أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر.

إجماع المسلمين أنّ عليّاً عليه السلام كان في طليعة الذين رفضوا بيعة أبي بكر وامتنع مع مجموعة من الصحابة كالزبير وعمّار وأبي ذرّ... وكلّهم جلسوا في بيت الإمام عليّ عليه السلام معلنين عدم رغبتهم في البيعة حتّىٰ جاء عمر بن الخطّاب مع أبي بكر ومجموعة من المؤيّدين لهما وهم يحملون الحطب والنار لإحراق بيت فاطمة عليها السلام ممّا أدّى إلى حصر فاطمة الزهراء بين الباب والجدار وسقوط جنينها من بطنها وبعد ذلك أجبروا عليّاً عليه السلام على البيعة.

سؤال أحد الحاضرين: لقد قرأنا هذه الحادثة في كتابكم ليالي بيشاور والآن نريد أن نسمع منكم أحقّاً أنّ هذه الحادثة وقعت؟

الجواب: نعم، هذه الحادثة ذكرها الكثير من علماء السنّة فضلاً عن إجماع الشيعة، فمن علماء السنّة ذكرها:

ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أو تاريخ الخلفاء ج ١ ص ١٢ أو ص ١٨.

ومحبّ الدين محمد بن الشحنه في روضة المنظر.

وصاحب فتوح البلدان في أنساب الأشراف ج١ ص٥٨٦.

والقرطبي في العقد الفريد ج٥ ص١٢.

وأيضاً ابن الشحنة المؤرّخ في هامش تاريخ الكامل ج ١١ ص١١٢.

والمسعودي في مروج الذهب ج٢ ص٣٠١. ذكر هذه العبارة التي قالها الخليفة الأول في مرض موته (فوددت أني لم أكن فتشت بيت فاطمة)

وأيضاً المسعودي في إثبات الوصية ص١٢٤، منشورات المكتبة الرضوية.

وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج٢ ص٥٦.

وصلاح الدين الصفدي الشافعي في الوافي بالوفيات ضمن حرف الألف نقلاً عن إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام المعتزلي / الملل والنحل ج ١ ص٥٧ للشهرستاني[1].

وقد ذكرت هذه المصادر كلّها أنّ عمر أضرم النار في باب بيت فاطمة الزهراء صلوات الله عليها وضرب الباب عليها وأسقط جنينها وهو يعلم ما قاله النبيّ ﷺ في حقّ فاطمة «فاطمة بضعة منّي فمن آذاها فقد آذاني»[2].

فمثلاً ذكر المسعودي في إثبات الوصية «فهجموا عليه وأحرقوا بابه واستخرجوه منه كرهاً وضغطوا سيّدة النساء بالباب حتّى أسقطت محسناً»[3].

وأيضاً ذكر الشهرستاني في الملل والنحل وهو يستعرض أقوال النظام: «أنّ

---

(١) انظر تمام المصادر في كتاب مأساة الزهراء شبهات وردود، لجعفر مرتضى العاملي وليالي بيشاور / المترجم.

(٢) أُسد الغابة ج٥ ص٥٢١ ط مصر، وسنن الترمذي ج٥ ص٣٥٩ وصحيح البخاري ج٤ ص٢١٩.

(٣) إثبات الوصية ١٢٤.

عمر ضرب فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت المحسن من بطنها»[١].

وبعدما دخلوا الدار وسيوفهم بأيديهم أخرجوا الإمام عليّ عليه السلام معهم تحت الضغط والتهديد إلى المسجد لكي يبايع فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : فإن لم أبايع؟ فقال عمر: إذن نقتلك بهذا السيف، فقال: أتقتلون عبد الله وأخا رسوله؟ فقال عمر: أمّا عبد الله فنعم وأمّا أخو رسوله فلا، فتوجّه أمير المؤمنين بوجهه إلى قبر النبي وقال: يابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[٢].

وعلى أثر ما حدث لفاطمة عليها السلام مرضت ثمّ توفّيت شهيدة جراء ما فعله عمر بها، وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه كان ينظر للمصلحة العليا للدين ولمّا رأى المصلحة في البيعة فإنّه بايع مكرهاً للضغوط المتزايدة من أبي بكر وعمر ومن كان معهما ونظراً لقلّة الناصر، ودفعاً لأيّ حرب داخلية[٣].

هذه هي الحقيقة في موضوع البيعة فهل ترون لقول المؤرِّخين «وانثال الناس عليه وبايعوه رغبة»؟ هل هناك مَن يصدِّق هذه العبارة بعدما تقدّم؟ لاسيّما إذا عرفتم أنّ سعد بن عبادة لم يبايع إلى أن توفي أبو بكر وهكذا لم يبايع عمر[٤] إلى أن قتلوه غيلة وأشاعوا بين الناس أنّ سعداً قتلته الجنّ!!![٥].

---

(١) الملل والنحل ج١ في، ترجمة الفرقة النظامية.

(٢) شرح نهج البلاغة ج٦ ص١١ ط دار الجيل، بيروت /المترجم

(٣) جاء في شرح نهج البلاغة للمعتزلي «.. فالتفت علي إلى عمر فقال: يا أبا حفص والله ما قعدتُ عن صاحبك جزعاً على ما صار إليه ولا أتيته خائفاً منه ولا أقول ما أقول بعلّة وانّي لأعرف... ولكنّي تخلّفت إعذاراً إلى الله وإلى من يعلم الأمر الذي جعله لي رسول الله وأتيت فبايعت حفظاً للدين وخوفاً من انتشار أمر الله /ج١٠ ص٢٨٣ دار الجيل.

(٤) أُنظر شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص١٠ ط دار الجيل.

(٥) وهناك مجال للقول بعدم بيعة أمير المؤمنين أيضاً وأنّه عليه السلام لم يبايع لا قبل

دراسة الاختلاف السادس ـ فدك ـ

أمّا الاختلاف السادس الذي اختصره الشهرستاني في الملل والنحل علينا الآن أن نوضّحه لكم لتنكشف الحقيقة ويظهر الصواب لكم وعلى أثره ستعرفون أنّ هذه الاختلافات لم تكن طارئة وإنّما هي سلسلة مترابطة وأحداث متّصلة يجمعها هدف واحد يسعى إليه الذين أوجدوا هذه الاختلافات لتكون وسيلة للوصول من خلالها إلى ذلك الهدف.

لقد صرّح علماء السُنّة والجماعة مثل:

الإمام أحمد، الثعلبي في تفسير كشف البيان حول الآية «وآت ذا القربىٰ حقّه»، والسيوطي في الدرّ المنثور ج٤ ص١٧٧، والمتّقي الهندي في المنتخب من كنز العمّال بهامش مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٢٨، أحمد بن حنبل في مسألة صلة الرحم من كتاب الأخلاق، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل حول الآية ٢٦ من سورة بني إسرائيل «وآت ذا القربىٰ حقّه»، وابن كثير الدمشقي، وعماد الدين إسماعيل بن عمر الفقيه الشافعي في تاريخه، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج ج١٦ ص٢١٢، والحافظ القندوزي في ينابيع المودّة باب ٣٩، وتفسير الثعلبي حول الآية (٢٦) من سورة بني إسرائيل.

وجمع الفوائد وعيون الأخبار وغيرهم كثير كلّهم ذكروا ما يلي: بعد أن عاد رسول الله ﷺ من فتح خيبر إلى المدينة نزل جبرئيل بقوله تعالى: ﴿وآت ذا القربىٰ حقّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيراً﴾[1]، فدعا النبيّ ﷺ

← استشهاد فاطمة عليها السلام ولا بعد ذلك وقد فصّلتُ القول بالأدلّة ضمن كرّاس (البيعة بين الحقيقة والوهم) وهو مطبوع فراجع / المترجم.

(١) الإسراء: ٢٦.

فاطمة فأعطاها فدك الكبير، وأبلغها سلام الربّ تبارك وتعالىٰ عليها[١] وظلّت واردات فدك لفاطمة الزهراء لمدّة ثلاث سنوات في حياة رسول الله ﷺ وهي هبة وهبها لها النبيّ ﷺ فملكتها فاطمة عليها السلام.

وبعد أن توفّي النبيّ ﷺ أرسل أبو بكر بعض عمّاله وخدمه إلى أرض فدك وطردوا عمّال فاطمة وصارت وارداتها إلى أبي بكر الذي زعم أنّها صدقة تركها رسول الله ﷺ وهي من حقّ المسلمين جميعاً، وزعم أنّه سمع حديثاً من رسول الله ﷺ مفاده «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة».

وقد تعرّضت لهذه المسألة بالتفصيل في كتاب ليالي بيشاور، ومن أجل الفائدة سوف أفتح هذا الملف هنا أيضاً.

أوّلاً: كتب الشهرستاني: «ودعوى فاطمة عليها السلام وراثة تارةً وتمليكاً أُخرى»، بل إنّها ادّعت كون فدك نحلة نحلها رسول الله لها ومعنى النحلة هي الهبة بلا عوض أي أنّها كانت تدّعي التمليك ابتداءً، ولكن لمّا زعم أبو بكر أنّها صدقة، ادّعت أنّها إرث من رسول الله ﷺ وهذا من باب إلزام الخصم.

سؤال أحد الحاضرين: هل يوجد لكلامك هذا دليل في كتب أهل السنّة؟

الجواب: نعم لقد ذكر هذا الأمر الكثير من علماء السنّة منهم: علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي في السيرة الحلبية[٢]:

---

(١) فدك: قرية بخيبر وقيل بناحية الحجاز، فيها عين ونخل أفاءها الله على نبيّه ﷺ / لسان العرب لابن منظور، وقال الفيومي في المصباح المنير: هي بلدة بينها وبين مدينة النبي يومان.
وما ذكره المؤلّف هو عين الصواب ذكره الطبراني كما في مجمع الزوائد ج٧ / ٤٩، وميزان الاعتدال ج٢ ص٢٢٨ وكنز العمّال ج٢ ص١٥٨ ط ١ / المترجم.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨٢، ١٨٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

والفخر الرازي في تفسيره ضمن تفسير الآية الآنفة الذكر.

وياقوت الحموي في معجم البلدان عند التعرض إلى (فدك).

وأحمد بن يحيى البلاذري في فتوح البلدان ص٤٢.

وابن أبي الحديد في شرح النهج ج١٦ ص٢١٢.

وابن حجر المكّي في الصواعق المحرقة ضمن الشبهة السابعة من شبهات الرافضة.

وابن تيمية وابن القيم الجوزية وغيرهم.

كلّ هؤلاء ذكروا أنّ فاطمة عليها السلام ادّعت الملك أوّلاً ثمّ ادّعت الإرث وعلى كلا الأمرين امتنع أبو بكر من ردّ فدك إليها فغضبت عليه وعلىٰ عمر وامتنعت من الكلام معهما إعلاناً لكلّ المسلمين أنّها غاضبة عليهما، وكلّ من غضبت عليه فاطمة فإنّ الله ورسوله غاضبان عليه لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام: (يا فاطمة إنّ الله عزّوجلّ يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)[١] (فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني)[٢].

هذا وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين «.. فوجدت (أي غضبت) فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت فلمّا توفيت دفنها زوجها

---

(١) أسد الغابة ج٥ ص٥٢٢ ط مصر، وتذكرة الخواص ص٣١٠ والثغور الباسمة للسيوطي ص٣٠.

(٢) صحيح البخاري ج٥ ص٩٦، دار القلم بيروت ١٤٠٧ هـ، وسنن الترمذي ج٥ ص٣٦٠.

ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢ ص٢٦٩.

ومعرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني ج١ ص٣١٩.

وأيضاً ذكر السيوطي في الدرّ المنثور من طريقين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطى فاطمة فدكاً / الدرّ المنثور ج٤ ص١٧٧. المترجم

علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها»(١).

وجاء في موضع آخر من البخاري «فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتّى ماتت»(٢).

فبعد هذه التصريحات الواضحة ألا تعتقدون بمظلومية سيّدتنا الزهراءعليها السلام؟ وهي سيّدة النساء وغضبها علامة غضب الرب تبارك وتعالى، والعجب من علماء أهل السنّة وهم يحاولون تأويل هذه النصوص الصريحة في مظلومية فاطمةعليها السلام وتعدّي أبي بكر ويقولون عن تصرّفات أبي بكر أنّها اجتهادات!! وهل يحقّ لأيّ إنسان أن يجتهد مقابل النصّ؟! أو يبتز أموال الناس باسم الاجتهاد؟! وقد صرّح الكتاب العزيز بوراثة الأنبياء فقد ورث سليمان من داود عليهما السلام، فلماذا هذا التعصّب والتنكّر للحقّ الواضح من الكتاب والسنّة؟

ثانياً: وباتفاق الفريقين أنّ فدك كانت ملكاً لفاطمة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانتعليها السلام تتصرّف فيها وفي أموالها ووارداتها، وإذا كان الأمر كذلك، أيحقّ لأبي بكر أن يأخذ فدك من فاطمة ثمّ يطلب منها أن تأتيه بالدليل على أنّها ملكها؟!! ألا يدعوكم ذلك إلى الضحك.

كيف تؤخذ أملاك الإنسان المتصرّف فيها ثمّ يطلب منه أن يقيم دليلاً على أنّها أملاكه؟ وبدون أدنى شك أو ترديد فإنّ العقلاء يحكمون على مثل هذه

---

(١) صحيح البخاري ج٥ ص٨٢ وج٨ ص٣ من كتاب الفرائض وصحيح مسلم كتاب الجهاد والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص١٣، ط مؤسسة الوفاء بيروت ١٩٨١م.

(٢) صحيح البخاري باب غزوة خيبر وباب قول: لا نورث ما تركناه صدقة وأيضاً نفس العبارة ذكرها الطبري في تاريخه ج ص٢٣٦ ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.

المزاعم والمحاكمات أنّها مخالفة للشرع والعقل لم تجرِ على يد أحد إلّا على يد أبي بكر!!

ثالثاً: وعليكم أن تنظروا إلى طرفي القضية وتحكموا بعقولكم بعيداً عن حديث «إنّا معاشر الأنبياء...».

الطرف الأوّل: هو أبو بكر وهو أحد المسلمين ولم يكن أفضلهم كما صرّح هو[١].

الطرف الثاني: فاطمة الزهراء الممجّدة والمطهّرة في نصّ القرآن الحكيم في آية التطهير ﴿إنّما يريدُ الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[٢] التي نزلت في بيان عظمة وعصمة ومنزلة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[٣].

---

(١) قال أبو بكر: ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني / الطبري ج ٢ ص ٢٤٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، وقال أبو سفيان لمّا سمع أنّ أبا بكر قد بويع له: ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش / المصدر نفسه ص ٢٣٧.
وقال أبو بكر نفسه: فإنّي ولّيت عليكم ولستُ بخيركم / المصدر نفسه ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨، وشرح النهج ج ٢ ص ٥٦ دار الجيل / المترجم.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٥٢ والخصائص للنسائي والاستيعاب ج ٣ ص ٢٠٣ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٥٨ رقم ٤٧٠٥ ومجمع البحرين في الزوائد ومصابيح السنّة للبغوي الشافعي ج ١ ص ٥٢١ وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٥٧٨، ص ٥٨٨، ٦٣٢ وجواهر العقدين للسمهودي وإسعاف الراغبين ص ١١٤، ١٢٧ ونور الأبصار ص ١٢٣ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٦١ وص ٣٢٨ وص ٣٢٩ وصحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٨٣ كتاب فضائل الصحابة ط دار إحياء التراث العربي. المترجم.
والثعلبي في تفسيره كشف البيان والفخر الرازي ج ٨ ص ٧٨٣ والسيوطي في تفسير
←

ولهذه الآية عدّة معطيات منها:

ـ أنّ هؤلاء الخمسة عليهم السلام طاهرون ومطهّرون ظاهراً وباطناً؛ لإطلاق الآية.

ـ أنّ الألف واللام في كلمة (البيت) عهدية، فالمراد هؤلاء القوم المعهودون عند الله تعالى، وعند كافّة المسلمين.

ـ لأنّ نساء الرجل لا يُطلق عليهن أهل البيت وذلك لرجوع المرأة إلى أهلها في حال الطلاق مثلاً، فهي بالنسبة إلى أهلها أولى من نسبتها إلى أهل بيت الرجل، بخلاف البنت والأولاد للرجل فإنّهم حتّى لو ابتعدوا عنه إلّا أنّ نسبتهم إليه واضحة ولا يمكن قبول قول ثلّة قليلة من أهل السنّة قالوا إنّ هذه الآية نزلت في نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بزعمهم أنّ السياق ضمن (يا نساء النبيّ) فإنّ هذه الدعوى مردودة من عدّة جهات:

أ ـ أنّ هذا الرأي رأي شخصي تابع للعواطف ولا يمكن أن يقف ويصمد هذا الرأي مقابل النصوص النبوية التي ذكرنا بعض مصادرها فضلاً عن حرمة التفسير بالرأي مقابل النصّ.

ب ـ لو كانت الآية تخصّ نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لكان الضمير كباقي الآيات

← الدرّ المنثور ج ٥ ص١٩٨ وص١٩٩ وص ٢٠١ والخصائص الكبرى للسيوطي ج ٢ ص٢٦٤ والفاضل النيشابوري في تفسير غرائب القرآن ج ٣٠ والذهبي في تلخيص المستدرك وابن كثير الدمشقي بطرق متعدّدة في تفسيره ج ٣٠ ص٤٨٣ والعلوي في رشفة الصادي الباب الأوّل ص١٤ والإمام عبد الرزّاق في تفسير رموز الكنوز وابن حجر العسقلاني في الإصابة ج ٤ ص٢٠٧ وابن عساكر ج ٤ ص ٢٠٤ من تاريخ دمشق وأحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ٣٣١ والطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص١٨٨ والنبهاني في الشرف المؤبّد ص ١٠ وكفاية الطالب باب ١ وباب ١٠٠ وينابيع المودّة باب ٣٣ والصواعق المحرقة ص٨٥ وروي هذا الحديث عن عائشة وأنس وسعد بن أبي وقّاص وواثلة وأبو سعيد... المؤلّف

ينتهي بنون النسوة فتكون الآية هكذا (ليذهب عنكنّ ... ويطهّركنّ)، وبما أنّه ليس كذلك فيُعلم أنّ المقصود غير نساء النبيّ ﷺ.

جـ ـ هذا وقد تعارف عند الخطباء والمتكلّمين ولاسيّما في آيات الذكر الحكيم الانتقال من مخاطَب إلى آخر ومن موضوع إلى آخر ومن ثمّ الرجوع إلى الموضوع الأوّل، وفي هذا الصدد آيات كثيرة جدّاً، بل هو أحد أساليب القرآن في عرض الأحكام والتاريخ والمفاهيم..

د ـ والأداة (إنّما) تدلّ على إرادة الحصر في هؤلاء لا غيرهم فهم المطهّرون فقط، والآن عليكم أن تحكموا في قضية فدك هل تتصورون أن فاطمة تطلب ما لا تملك أو تدعي ما ليس لها، مع عصمتها وطهارتها؟.

فضل أهل البيت عليهم السلام

هـ ـ ثمّ قد جاءت الأحاديث الكثيرة في فضل أهل البيت على العالمين، وقربهم من الله وكون عليّاً وزوجه والحسن والحسين عليهم السلام أحبّ الخلق إليه ﷺ وإلى الله تعالى، وسأكتفي بذكر نماذج قصيرة وقليلة لكم حتّى لا نطيل عليكم الحديث:

ذكر الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن عطاء بن أبي رياح عن أمّ المؤمنين أمّ سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في حجرتي يوماً فجاءته فاطمة بطعامٍ فقال ﷺ: يا نور عيني ادعي لي عليّاً مع ولديكِ، فحضروا جميعاً وأكلوا من الطعام فنزل جبرئيل بآية التطهير ﴿إنّما يريد الله ليذهب...﴾[1] حينها ألقى رسول الله ﷺ كساءً عليه وعلى أهل بيته وقال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، اللّهمّ فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

قالت أمّ سلمة: لمّا سمعت دعاء رسول الله: أنا معكم؟ فقال: إنّك على خير[(١)].

ومثل هذا النصّ ذكره شهر بن حوشب عن أُمّ سلمة والإمام أحمد الثعلبي بإسناده عن مجمع عن عائشة الذي قال: كنت يوماً بصحبة أُمّي ذهبنا إلى عائشة فسألتها عن الخروج في حرب الجمل كيف مع قوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرّج الجاهلية الأولى﴾؟[(٢)]

قالت: إنّها كانت قدراً من الله، فسألتها أُمّي عن عليّ عليه السلام: فقالت عائشه: سألتني عن أحبّ الناس كان إلى رسول الله، وزوج أحبّ الناس كان إلى رسول الله، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وجمع رسول الله بثوب عليهم، ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت عائشة: أنا من أهلك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: تنحّي فإنّك إلى خير[(٣)].

وهناك الكثير من النصوص النبويّة المرويّة بأسانيد صحيحة ومعتبرة مرويّة عن ابن عبّاس وأبي سعيد وأنس وعن نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكلّها تؤكّد أنّ نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لسن أهل بيته[(٤)].

---

(١) مسند أحمد ج٧ ص٤١٥ رقم ٢٥٩٦٩ ورواه عن أمّ سلمة بألفاظ متقاربة، سنن الترمذي ج٥ ص٦٥٦ رقم ٣٨٧١ وتفسير الطبري ج١٢ ص٦ وأُسد الغابة ج٤ ص١١٠ وذخائر العقبى ص٢١ / المترجم.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) رواه عن عائشة مسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة ج٥ ص٣٧ رقم ٢٤٢٤ والمستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٥٩ رقم ٤٧٠٧ والدرّ المنثور ج٦ ص٦٠٥ وتفسير الكشّاف ج١ ص٤٣٤...

(٤) أقول: وقد صرّح في صحيح مسلم وغيره أنّ المقصود من أهل البيت هم عليّ وفاطمة وآلهما ولا يشمل نساءه أبداً.

←

والنتيجة التي نحصل عليها هي: تعلّق الإرادة الإلهية بتطهير النبيّ وعلي وفاطمة والحسن والحسين فقط من جميع الرذائل والأرجاس المادّية والمعنوية كالكذب وغيره، وهذا التأكيد في الطهارة يعني كونهم معصومين لا يصدر عنهم أي ذنب أو أي مخالفة أخلاقية أو شرعية.

وعليه فلمّا تدّعي فاطمةعليها السلام المطهّرة من الذنوب والأرجاس أنّ فدكاً ملكها وهي هبة رسول اللهصلى الله عليه وآله لها بأمر الله تعالى، أليس من الصحيح تصديقها والإذعان لقولها والخضوع لمدّعاها؟ بل اللازم ذلك لكونها معصومة لا وجود للكذب في ساحتها.

فعليكم أن تعرفوا طرفي القضية فهذه فاطمة المطهّرة في جهة الصدق وذاك أبو بكر فأيّهما نقدِّم؟ وأيّهما نصدِّق؟ عليكم أن تحكموا بعيداً عن التعصّب وتدلوا برأيكم بكلّ إنصاف على ضوء الأدلّة السابقة.

اسألوا أنفسكم: أيمكن لمثل فاطمة التي طهّرها الله من جميع الأرجاس

← قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: .. أمّا بعد ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: وأهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، فقال له حصين: ومَن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده، قال: ومَنْ هم؟ قال: هم آل عليّ.... / صحيح مسلم ج ٤ ص١٨٧٣ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عليّعليه السلام رقم ٣٦ ط دار إحياء التراث العربي.

وروي في نفس المصدر ص١٨٧٤ عن زيد بن أرقم لمّا سُئل: مَن أهل بيته نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصلُه وعصبته الذين حُرموا الصدقة بعده / المترجم.

الباطنية والظاهرية ومنها الكذب، أن تدّعي إدّعاءً باطلاً من أجل الحصول على ثمن بخس؟ أيمكن أن يأتي هذا الاحتمال إلى أذهانكم بعدما عرفتم منزلة فاطمة الطاهرة؟

وبعد هذا كلّه حاولت فاطمة عليها السلام أن تلزم أبا بكر الحجّة وتخصمه أمام الله والناس، فجاءته بعليّ والحسن والحسين وأمّ سلمة كلّهم شهوداً على مالكيّتها لفدك وكلّ هؤلاء من أهل الجنّة كما تعلمون، أي لا يمكن أن يكذبوا وإلّا لما كانوا من أهل الجنّة، ومع ذلك يُكذّبها الخليفة ويتمسّك برأيه ورأي عمر، إذن لماذا هذا الإصرار في أخذ فدك؟ ولماذا فاطمة بالخصوص دون سواها؟ مع أنّ غير فاطمة أعطاهم بعض الأموال من بعض الغنائم بمجرّد الادّعاء أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد وعدهم!! أليست هذه مفارقة تدعوكم للتأمّل والتساؤل؟

إنّ ما يمكن تفسيره أنّ هناك خطّة مدروسة لسلب حقوق أهل البيت عليهم السلام.

ولمّا علمت فاطمة عليها السلام أنّ وراء هذا الإصرار مؤامرة تركت القضية، وقالت: فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون، ثمّ ذهبت إلى قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأنشدت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة	لو كنتَ شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها	وآختل قومك فاشهدهم ولا تغب
فليت بعدك كان الموت صادفنا	لمّا قضيت وحالت دونك الكتب[1]

وهذه الكلمات توضّح وتكشف لكم عن مدى المظلومية التي تعرّض لها أهل البيت من سياسة الخليفة، هذه السياسة الظالمة التي سلبت حقّ أهل البيت والتي أُطلق عليها فيما بعد اسم (الاجتهاد) وهي كلمة حاولوا من خلالها أن يبرّروا هذه المخالفات والمظالم الكثيرة.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١٢ دار الجيل وج٢ ص٥٠.

دراسة حول الاختلاف السابع ـ قتل مانعي الزكاة

لقد ذكر الشهرستاني الاختلاف حول هذه القضية: فمال عمر بن الخطّاب إلى عدم قتال مانعي الزكاة، حتّى أنّه ردَّ عليهم ما أخذه أبو بكر منهم أيّام خلافته، بينما مال أبو بكر وجماعة من الصحابة إلى قتالهم والحكم عليهم بالكفر!!

واستدلّ المانعون من قتالهم بقول النبيّ ﷺ: من قال لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله فقد حُقنَ دمه، بينما قال أبو بكر الذي أمر بقتالهم: لو منعوني عقالاً من أموال الزكاة لقاتلتهم، وهكذا قتل الصحابة بعضهم بعضاً!

وعلينا الآن أن نوضّح لكم هذا الموضوع وحقيقة الأمر:

لا يخفىٰ عليكم أنّ الاتجاه الذي مثّله عمر بن الخطّاب هنا كان موافقاً للصواب، بخلاف ما أمر به أبو بكر فإنّ عمله يُعدّ جريمة ومخالفة صريحة للحكم الإسلامي، فلقد عهد المسلمون من رسول الله ﷺ انه كان يأمرهم بعدم قتل كلّ من تشهّد الشهادتين، إذ بمجرّد إعلانه كلمة لا إله إلّا الله محمّد رسول الله ﷺ يُحقن دمه وماله وعرضه، وهذا الأمر ممّا لا غبار عليه، فإنّنا نرى أبا سفيان ومن كان على شاكلته الذين دخلوا الإسلام كرهاً حقنت دماؤهم بمجرّد إعلان الشهادة وهكذا كلّ منافق أعلن كلمة التوحيد.

فقد ذكر أحمد بن حنبل في مسنده والإمام مسلم بن الحجّاج في صحيحه في أحداث غزوة خيبر بعدما رجع أبو بكر وعمر قام رسول الله ﷺ وأعطى الراية للإمام عليّ عليه السلام ومن جملة ما قاله له: «قاتلهم حتّىٰ يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله فإن فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها وحسابهم على الله»[1].

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧١ كتاب فضائل الصحابة / باب ٤ فضائل عليّ عليه السلام رقم

وأيضاً ذكر البخاري في صحيحه عن ابن عبّاس: عندما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: إنّك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كلّ يومٍ وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإيّاك وكرائم أموالهم واتّق دعوة المظلوم فإنّه ليس بينه وبين الله حجاب[1].

وأيضاً ذكر البخاري عن ابن عبّاس قال: ... فقال رسول الله ﷺ للوفود: هل تدرون ما الايمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأنّ فيه صيام رمضان وتؤتوا من المغانم الخمس[2].

وأيضاً ذكر البخاري ومسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والحميدي في الجمع بين الصحيحن مسنداً عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ بمنىٰ أتدرون أيّ يومٍ هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ؟بلدٌ حرام أفتدرون أيّ شهرٍ هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهر حرام فإنّ الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا[3].

← ٣٣ط دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٧٢م.

(١) صحيح البخاري ج٤ ص١٥٨٠ كتاب المغازي باب ٥٨ رقم ٤٠٩٠ ط دار ابن كثير دمشق /المترجم

(٢) صحيح البخاري ج٢٥ ص٢٥ كتاب خبر الواحد باب وصايا النبي للوفود بشرح الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨١.

(٣) المصدر نفسه، ج٨ ص٢٠٣ كتاب الحجّ رقم ١٦٣٣ بشرح الكرماني وقريب منه

وقريب منه ما ذكره الفخر الرازي[١] في تفسيره عن أبي عبيد.

ومثل هذه الأخبار وعلى غرارها أخبار وأحاديث متعدّدة ومتكثّرة من الشيعة والسنّة كلّها تؤكّد على حرمة دم المسلم الذي يشهد الشهادتين فقط.

في نزول قوله: إذا ضربتم في سبيل الله

وأمّا عن القرآن الكريم فهذه بعض النصوص المؤيّدة لما تقدّم من الحديث النبوي، قال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لستَ مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدُّنيا فعند الله مغانم كثيرةٌ كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم فتبيّنوا إنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾[٢].

وهنا سأنقل لكم ما ذكره بعض مفسِّري أهل السُنّة حول سبب نزول هذه الآية، ويستطيع كل أحد أن يقارن ذلك مع ما فعله الخليفة الأوّل في أمره بقتال مانعي الزكاة «المسلمين»!!

ذكر العلّامة أبو الفتوح الرازي في تفسيره والفخر الرازي في تفسيره والسيوطي في الدرّ المنثور والزمخشري في الكشّاف ما نصّه:

كان مرداس بن نهيك رجلاً من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره، فغزتهم سرية لرسول الله ﷺ كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه، فلمّا رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد، فلمّا تلاحقوا وكبّروا كبّر ونزل وقال: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، السلام

← في نفس المعنى عن ابن عبّاس وعن أبي بكرة.

(١) ج ٣٠ ص ٤٣٣.

(٢) النساء: ٩٤.

عليكم فقتله أُسامة بن زيد واستاق غنمه.

فأخبروا رسول الله ﷺ فوجد وجداً شديداً وقال: قتلتموه إرادة ما معه، ثمّ قرأ الآية على أسامة فقال: يارسول الله استغفر لي قال: فكيف وقد تلا لا إله إلّا الله؟ قال أُسامة: فما زال يعيدها حتّى وددت أن لم أكن أسلمت إلّا يومئذ، ثمّ استغفر لي وقال: أعتق رقبة(١).

وكذلك ذكر السيوطي في الدرّ المنثور والطبرسي في مجمع البيان وابن كثير في تفسيره والفخر الرازي وأحمد بن حنبل في مسنده وابن عبد البرّ في الاستيعاب وآخرين من الأكابر في ذيل الآية الآنفة الذكر «أنّ رسول الله ﷺ بعث محلم بن جثامة الليثي في نفر من المسلمين إلى أخم فخرجوا حتّى إذا كانوا ببطن أخم مرّ بهم عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له، معه متيع له وقطب من لبن، فلمّا مرّ بهم سلَّم عليهم بتحيّة الإسلام فأمسكوا عنه بينما حمل محلم بن جثامة لشيء كان بينه وبينه فقتله بسهم وأخذ بعيره ومتاعه، فلمّا قدموا على رسول الله ﷺ وأخبروه الخبر فتألّم كثيراً، ثمّ جاء محلم فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له فقال ﷺ لا غفر الله لك، فقام وهو يتلقّىٰ دموعه ببرديه فما مضت به ساعة حتّى مات ودفنوه فلفظته الأرض، فجاءوا إلى النبيّ ﷺ فذكروا ذلك له فقال: إنّ الأرض تقبل من هو شرّ من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم ثمّ طرحوه في جبل..(٢).

---

(١) الزمخشري ج ١ ص ٥٥٢ الآية ٩٤ من سورة النساء، وصحيح البخاري ج ٢٤ ص ٦ ح ٦٤٦٠ كتاب الديات بشرح الكرماني، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨١، والدرّ المنثور ج ٢ ص ٦٣٤ ذيل الآية، ط دار الفكر بيروت ١٩٩٣م.

(٢) الدرّ المنثور ج ٢ ص ٦٣٣ ط دار الفكر ١٩٩٣م، وتفسير ابن كثير الدمشقي ج ١ ص ٥٥٢ ط دار المعرفة ١٩٩٧م.

وهكذا ما روي من خبر المقداد وبني سليم وأسامة وقد ذكر ذلك الفخر الرازي وابن كثير وأبو الفتوح وآخرون غيرهم[١].

والمحصّل من مجموعها أنّ رسول الله ﷺ غضب على الذين قتلوا من تشهّد الشهادتين أو تظاهر بالإسلام بأيّ نحو كان ولو بالتحية.

وهكذا عرضت لنا هذه الشواهد أنّ الأرض كذلك لم تضمّ جثّة أحد هؤلاء القتلة لحكمة ربّانية أراد الله أن يظهرها للناس، بل يُعدّ هذا القتل كبيرة من الكبائر.

هذا وقد روي في صحيح البخاري ومسلم وابن ماجة وأبي داود وأحمد وابن حجر في الإصابة وميزان الاعتدال وكنز العمّال وغيرهم أنّ رسول الله ﷺ قال: أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله فمن قالها فقد عصم منّي ماله ونفسه إلّا بحقّه وحسابه على الله» أو «أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم»[٢].

مقابلة الأحاديث بعمل أبي بكر

والآن أرجو منكم أن تحكموا بكلّ إنصاف وبدوافع إيمانية خالية من

---

(١) صحيح مسلم ج ١ كتاب الايمان باب ٨، وصحيح البخاري ج ١ كتاب الايمان باب ١٥ وسنن أبو داود ج ١ كتاب الزكاة.

أقول: قال أبو بكر لخالد بن الوليد: فاسألوهم فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلّا الغارة ولا كلمة!! / تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٧٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.

فالزكاة عنده أهمّ من الشهادتين كما ترى / المترجم.

(٢) صحيح مسلم ج ١، كتاب الايمان باب ٨

التعصّب والتمذهب، بعد أن سمعتم هذه الأحاديث الدالّة على حرمة قتل المسلم (أي من تشهّد الشهادتين فقط) مع ما فعله أبو بكر مع مانعي الزكاة الذين أمر بقتلهم، بل لم يتألّم ولم يغضب ولم ينفّذ الحدود في حقّ القَتَلة!!

وأمّا إذا قيل لنا: إذن ما الذي يفعله أبو بكر مع مانعي الزكاة؟

فإنّا نقول: ما قاله القرآن ﴿إذا ضربتم في الأرض فتبيّنوا﴾[1]، فإنّ الذين امتنعوا عن إعطاء الزكاة كانوا في زمن النبيّ ﷺ يؤدّونها بكلّ رحابة صدر، بل كان بعضهم نائباً عن النبيّ ﷺ في قبض زكاة قومه وتسليمها للنبيّ ﷺ، إذن فما الذي حصل لهم حتّى امتنعوا من أدائها؟ فكان المفروض من أبي بكر أن يتبيّن ويسأل ويتفحّص كما أمر القرآن بذلك لا أنّه يأمر بقتالهم، فكيف تفسّرون فعله هذا مع القرآن والسنّة؟

وعليكم أن تسألوا أنفسكم هذا السؤال:

إنّ الذين امتنعوا عن أداء الزكاة لم يمتنعوا عن إقامة الصلاة، أي أنّهم كانوا يمتثلون لأوامر القرآن التي قرنت مع إقامة الصلاة أداء الزكاة، وهكذا كانوا في زمن النبيّ ﷺ إلّا أنّهم بعد وفاة النبيّ امتنعوا عن الزكاة فقط ولم يتركوا الصلاة لماذا؟ فإذا كانوا مرتدّين لتركوا كلّ شيء، ولكن بما أنّهم يقيمون الصلاة فهم مسلمون إذن، ولكن هناك شبهة دفعتهم إلى ترك أداء الزكاة فما هي؟

فكان اللّازم على الخليفة أن يبعث إليهم من يتفحّص الأمر ويتبيّن السبب بدل قتالهم وإهدار دمائهم المحترمة.

ولا أظنّ أنّ هناك سبباً معقولاً يبرّر عمل الخليفة، ولو وجد فهو ترقيع وانحراف عن جادّة الصواب والحقّ.

إذن كلّ هذه التساؤلات تدفعنا للقول إنّ الخليفة كان له مخطّط شخصي

---

(١) النساء: ٩٤.

يرتبط به كحاكم، وكانت مصالحه تدفعه لارتكاب هذه الكبائر لاستتباب أمره ودعم موقعه بمزيد من المال.

والعجب كلّ العجب من العلماء الذين يعترفون بعدم عصمة الصحابة إلّا أنّهم أمام هذه الحقائق يحاولون بكلّ وسيلة أن يجدوا عذراً ـ ولو كان مضحكاً ـ لأبي بكر ويخرجون في نهاية المطاف بالقول: إنّه مجتهد، ولا يعترفون بخطأه بل يسعون جاهدين إلى نشر الضباب حول هذه الفضائح للتغطية على موقف الخليفة متجاوزين أو متناسين حكم القرآن والأحاديث النبوية في ذلك.

والطريف في المسألة أنّ علماء أهل السنّة يعترفون أيضاً أنّ الذين امتنعوا عن أداء الزكاة لم ينكروا وجوبها ولكنّهم شكّوا في الذي يقبض الزكاة منهم، لأنّهم اعتادوا على أن يكون عامل الزكاة أحد عمّال رسول الله ﷺ وبعد وفاة النبيّ ﷺ أصرّوا أن لا يعطوا زكاتهم إلّا إلى وصيّ رسول الله ﷺ المنصوص عليه في الأحاديث

سؤال أحد الحاضرين: لا أُخفي عليك إنّنا لم نطّلع على هذا الموضوع بهذه الدقّة ولكن ما ذكرته أخيراً أنّ الزكاة يجب أن تُعطى إلى خليفة رسول الله المنصوص عليه، والحال أنّ النبيّ ﷺ توفّي ولم يعيّن أيّ أحد، مع أنّ الإجماع والاتّفاق حصل على أبي بكر فهو إذن خليفة النبيّ ﷺ، والزكاة يجب أن تُعطى له، وعدم إعطائها له يُعدّ جرماً كبيراً.

اختلاف الأُمّة دليل على عدم الإجماع

الجواب: إنّكم لو دقّقتم في التاريخ لما قلتم هذا الكلام، مضافاً لما تقدّم منّا حول بحث الخلافة والسقيفة وهكذا ما تقدَّم من الشهرستاني حول الاختلاف الخامس في الأمّة، حيث بان لكم جميعاً عدم صحّة هذا الكلام وإن كان القائل به أكابر علمائكم.

لأنّ التاريخ يذكر مجموعة كبيرة من المتخلّفين عن السقيفة أمثال أمير المؤمنين عليه السلام وسلمان الفارسي وأبي ذرّ الغفاري والمقداد وعمّار بن ياسر وحذيفة وجابر وأبي أيّوب وخالد بن سعيد بن العاص وبريدة الأسلمي وأُبيّ بن كعب وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وسعد بن عبادة وقيس بن سعد وعبدالله بن عبّاس وزيد بن أرقم والزبير بن العوّام والبراء بن عازب والعبّاس بن عبد المطّلب عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأولاده وكلّ بني هاشم، حتّى أنّ بعض هؤلاء كانوا في بيت الإمام عليّ عليه السلام[1].

وهؤلاء لم يحضروا السقيفة لعدم إيمانهم بما جرىٰ فيها وعدم قناعتهم بخلافة أبي بكر، وأضف إلى ذلك، فإنّ أعداداً كبيرة من المسلمين الذين لم يحضروا السقيفة وهم المنتشرون في أطراف متفرّقة من مكّة والمدينة وغيرهما كاليمن والطائف، بل لم يطلّعوا آنذاك عمّا حصل في السقيفة!!

بل إنّ الذين اجتمعوا في بيت أمير المؤمنين عليه السلام حول جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكونوا على اطّلاع بما يجري وجرىٰ في السقيفة وهم كبار الصحابة وأشراف بني هاشم!![2].

وقد قلتُ لكم إنّ المهاجرين لم يحضر منهم في السقيفة إلّا ثلاثة وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فقط باتّفاق المؤرّخين، ثمّ إنّ الأنصار لم تجتمع كلمتهم على بيعة أبي بكر، فقد تقدّم منّا أنّ سعداً وجماعته لم يبايعوا، وقد فصّلتُ هذا

---

(١) أنظر تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٢٤، وتذكرة الخواص، الباب الرابع في دكر خلافة الإمام علي عليه السلام ففيه مطالب حول السقيفة في غاية الأهمية فراجع / المترجم.

(٢) وجاء البراء بن عازب فضرب الباب علىٰ بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر، فقال بعضهم: ماكان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه / المصدر نفسه / المترجم.

المطلب لكم سابقاً بما لا مزيد عليه، فأين الإجماع الذي تزعمون؟ مع كلّ هذا الاختلاف.

والآن ما يفعل الذين يقطنون خارج المدينة بعد وصول هذه المزاعم والاختلافات والمشاجرات والمساجلات الكلامية والاتّهامات بالكفر والنفاق وتهديد بعض الصحابة لبعضهم الآخر و...؟[١].

ماذا يفعلون وهم أمام ثلاث مجاميع وثلاثة خيارات:

١ ـ مجموعة سعد بن عبادة وهم قبيلة الخزرج.

٢ ـ مجموعة أعدال القرآن أي أمير المؤمنين عليّ وأهل بيته[٢]، ومن مالَ معه من كبار الصحابة وكافّة بني هاشم الذين لم يبايعوا قط[٣].

٣ ـ مجموعة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وقبيلة الأوس ـ بعضهم ـ[٤].

فعندما يواجه الناس (خارج المدينة) بمثل هذا الافتراق ووصول الأخبار المتضادّة والآراء المتناقضة ماذا تنتظر أن يفعلوا؟

نعم، بلا شكّ سيكون موقفهم التريّث والتوقّف والتأكّد من كلّ شيء والاستعلام عن الصواب والحقّ ودراسة الدوافع ومقارنة كلّ ذلك مع ما كان عندهم من الحديث وما سمعوه من النبيّ ﷺ حول الوصي والخليفة.

هذا هو السبب الحقيقي وراء توقّف مالك بن نويرة وغيره من دفع الزكاة

---

(١) تقدّم كلّ ذلك في دراسة الاختلاف الخامس.

(٢) كما قال ﷺ في حديث الثقلين: «إنّي مخلّف فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فجعلهم عدل القرآن.

(٣) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٣٦.

(٤) لأنّ عمر اعترف قائلاً «وتخلّفت عنّا الأنصار بأسرها» تاريخ الطبري ج٢ ص٢٣٥.

مع إيمانهم والتزامهم الكامل بـالصلاة وبـاقي تـفاصيل الديـن، فـإنّ الأجـواء أصبحت بالنسبة إليهم ضبابية وملبّدة بالغيوم، وفي مثل هذه التناقضات يأتـي أحدهم ليقبض منهم أموال الزكاة، فما كان منهم إلّا التبيّن والفحص عن الخليفة الشرعي لا غير، فإنّهم كانوا في شكٍّ وريب بعدما سمعوا بأحداث السقيفة، ولو كنّا نحن مكانهم لفعلنا مثل فعلهم، أفيحقّ قتل هؤلاء الحيارىٰ؟ أو يحقّ إهدار دم المسلم الذي أراد الاستيضاح ومعرفة الحقّ؟

ثمّ لو فرضنا أنّهم امتنعوا عن أداء الزكاة أيحقّ قتل كلّ من امتنع عن دفع الزكاة؟ بالطبع لا، لأنّهم لم ينكروا كون الزكاة من ضروريّات الدين وإنّما أنكروا على عامل الزكاة وهذا فرق كبير. فـقد كـان مـن أبـي بكـر أن يـتفاهم مـعهم بالموعظة الحسنة لا السيف.

والعجب أنّ أبا بكر دافع وظلّ يدافع عن خالد بن الوليد الذي قتل مالك وقبيلته ظلماً وعدواناً وزنىٰ بامرأته وأعاد الجاهلية مـرّة أُخـرى إلى الإسـلام؟ العجب من هذا الرجل الذي يحامي عن أمثال هؤلاء القَتَلة الفجرة الذين شوّهوا الإسلام بأعمالهم القبيحة وأفعالهم الشنيعة التي لا يقرّها الإسلام حتّى مع الكافر الحربي فكيف بمن يتشهّد الشهادتين ويقيم الصلاة؟!!

سؤال أحد الحاضرين: ما هو أصل القصّة؟ من هم الذين لم يدفعوا الزكاة؟ وقتلهم خالد لهذا السبب؟ نرجو أن تبيّن لنا ذلك.

عظمة مالك بن نويرة في الإسلام

الجواب: إنّ أوّل قتيل في خلافة أبي بكر هو مالك بن نويرة رئيس قبيلة بني يربوع وهو ضحيّة ظلم وتعدّي خالد بن الوليد الذي قتله بأمر من أبي بكر مع قبيلته، ثمّ زنىٰ بامرأته المسكينة المسلمة.

سؤال أحد الحاضرين: نرجو منك أن تفتح لنا هذا الملفّ التاريخي على

مصراعيه لنعرف مَن هو مالك؟ ولماذا قُتل كما يُقتل الكفّار؟

الجواب: هو مالك بن نويرة بن حمزة بن شدّاد بن عبد بن ثعلبة بن يربوع التميمي اليربوعي من كبار بني تميم وبني يربوع وصاحب شرف رفيع بين العرب، حتىٰ ضُرب به المثل في الشجاعة والكرم وإسداء المعروف، وكانت له الكلمة النافذة في قبيلته حتّى أنّه لمّا أسلم وجاء إلى قبيلته وأخبرهم أسلموا كلّهم علىٰ يديه.

ولقد كان على منزلة رفيعة في حياة رسول الله ﷺ حيث نصّبه النبيّ ﷺ وكيلاً عنه في قبض زكاة قومه كلّهم وتقسيمها على الفقراء[1].

وهذا دليل وثقاته واحتياطه، فكان مورد اعتماد رسول الله ﷺ ومحطّ ثقته، وقد ذكر ذلك كلّ من ابن حجر العسقلاني في الإصابة[2] وأبي العبّاس في وفيّات الأعيان.

فلمّا وصل خبر وفاة النبيّ ﷺ إلى مالك أنشد:

فقلت خذوا أموالكم غير خائف ... ولا ناظر فيما يجيئ من الغد
فإن قام بالدين المحوق قائم ... أطعنا وقلنا الدين دين محمّد[3]

وسبب عدم أخذه الصدقات من قومه لشدّة احتياطه وورعه مع ما وصلهم من الاختلاف في المدينة حول الخليفة، فقرَّر مالك أن لا يأخذ الصدقات إلّا أن يتّضح له أمر الخلافة، بعد تضارب الآراء وتخالف الأقوال وتصارع الرجال وافتراق المهاجرين والأنصار، لا أنّه لم يأخذ الصدقات لإنكاره وجوب الزكاة، كما قالوا وأشاعوا ضدّه لتبرير فعل أبي بكر وخالد.

---

(١) أُنظر كلّ ذلك في وفيات الأعيان ج٦ ص١٤ رقم ٢٩٤ / المترجم.
(٢) الإصابة ج٥ ص٥٦٠ حرف م رقم ٧٧١٢ دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.
(٣) المصدر نفسه.

فقد كان مالك يعتقد بإمامة وخلافة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كما كانت هذه عقيدة بني هاشم كلّهم، ولمّا جاءه خالد يطلب منه الزكاة دُهش مالك لأنّه لم يعهد خالداً من ذي قبل ولأنّه جاء ممثِّلاً عن أبي بكر وفي هذا الأخير لم يسمع مالك ولا غيره حديثاً نبوياً ينصّ عليه، وهكذا انعدم الوضوح عند مالك وداخله الشكّ والريب ومَن لا يدخله الريب والشكّ في مثل تلك الأوضاع والفتن المتلاحقة التي أخبر عنها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟!

قصّة قتل خالد بن الوليد لمالك

بعدما انتهى خالد من أسد وغطفان سار يريد البُطاح وعليها مالك بن نويرة فتردّدت الأنصار الذين كانوا مع خالد وقالوا له: ما هذا بعهد الخليفة إلينا، إنّ الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البُزاخه واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتّى يكتب إلينا، فقال خالد: إن كان عهد إليكم هذا فقد عهد إليَّ أن أمضي.. وهذا مالك بن نويرة بحيالنا وأنا قاصد إليه ومن معي من المهاجرين.

فلم تر الأنصار بُداً فمضوا مع خالد على هذا الأساس، ولمّا سمع مالك بهم فرّق قبيلته وأمرهم بحمل أموالهم معهم، حتّىٰ جاء خالد ومعه نفر من بني يربوع إلى منزل مالك بن نويرة، ومعه أبو قتادة الأنصاري الذي عاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعد واقعة مالك وكان يحدّث: أنّهم لمّا غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح قال: فقلنا: إنّا المسلمون، فقالوا: ونحن مسلمون، قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، قال: فوضعوها ثمّ صلّينا وصلّوا... ومع ذلك فإنّ خالد قدَّم مالك وضرب عنقه وأعناق أصحابه غيلةً[1].

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٧٣.

وذكر بعض المؤرِّخين أنّ خالداً وجيشه وصلوا إلى قوم مالك ورأوهم يؤذِّنون وقد أقاموا الصلاة[١] ومع ذلك قتلوهم!!

وذلك لأنّ أبا بكر كان قد أوصىٰ خالداً: .. فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلّا الغارة ولا كلمة[٢]!! وكان خالد يقول: إنّه أُمر بقتل مالك!![٣].

وكان خالد قد اتّفق مع أفراده على كلمة إذا قالها فإنّهم يضعون السيف في القوم، وفي الليل نادى خالد: أدفئوا أسراكم[٤]، فقام القوم وقتلوا جماعة مالك، ثمّ زنىٰ خالد بامرأة مالك بعد أن ضرب عنقه ظلماً وعدواناً.

وينقل المؤرِّخون أنّ ليلى أمّ تميم زوجة مالك كانت فائقة في الجمال بهيّة الطلعة وكان خالد قد أُغرم فيها، فلمّا قدَّم مالك يريد قتله وإلى جانبه امرأته المسلمة قال مالك: هذه التي قتلتني، أي بسبب جمالها وحسنها سوف يقتلني خالد بن الوليد ليتخلّص منّي بذريعة الزكاة، فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام، فقال مالك: إنّي على الإسلام، إلّا أنّ خالداً أمر بضرب عنقه.

ثمّ دخل خالد بن الوليد بالمرأة في نفس الليلة التي قتل فيها زوجها، فهو لم يكتف بالقتل والجريمة وإراقة دماء المسلمين، وإنّما زنى بامرأة مظلومة، وكلّ هذه التعدّيات الواضحة من القتل والزنا لم تحرِّك غيرة أبي بكر ولم يغضب لله ولا للدين ولا للمقتول ظلماً ولا للمهتوك عرضها ولا ولا... وإنّما هو يكتفي

---

(١) الإصابة ج٥ ص٥٦٠ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٤٢ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة.

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٧٢.

(٣) الإصابة ج٣ ص٣٥٧، حرف الميم، ط دار صادر، بيروت، ١٣٢٨ هـ.

(٤) الكامل ج٢ ص٢١٧ دار الكتب العلمية.

بالدفاع عن خالد وبأيّ طريقة، أفلا يدعوكم ذلك إلى العجب والشجب والتألّم؟

فلمّا عاد خالد إلى المدينة تلقّاه عمر بن الخطّاب فقال له: قتلت امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته والله لأرجمنّك بأحجارك[١]، وأغلظ عمر لخالد في أمر مالك، إلّا أنّ أبا بكر قال لعمر: هبه يا عمر.. تأوّل فأخطأ واعذره وتجاوز عنه!!! (بل انّه أبقاه على قيادة الجيش ورفعه) وقال: لا يا عمر ما كنت لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين[٢].

إلّا أنّ عمر لم ينس هذه المهزلة، ولذلك فهو لمّا وصل إلى الخلافة أوّل عمل قام به عزل خالد من قيادة الجيش في الشام لكراهيّته له.

هذه هي قصّة مالك بن نويرة كما ذكرها علماء أهل السنّة، وعليكم الآن أن تحكموا بالحقّ وتنصفوا، بما نقلتُ إليكم، وليكن حكمكم قائماً على الحقيقة لا على أساس العواطف والمذهبيّات والتعصّبات الجاهلية.

الإشارة إلى بعض النقاط السوداء

إنّ القضاء العادل والحكم المنصف حول هذه الحادثة يدعونا إلى تسجيل عدّة نقاط مهمّة:

الأولى: ما أشرنا إليه سابقاً أنّ الحكم على كلّ من امتنع عن دفع الزكاة أنّه من المرتدّين يُعدّ مجازفة وخطورة في التصميم إذ كان يلزم على الخليفة أن يستفسر عن سبب الامتناع أوّلاً، ثمّ يخاطبهم بالموعظة الحسنة، بل قلنا سابقاً

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٧٤.

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٧٤ والإصابة ج٥ ص ٥٦٠ وفي مقابل ما ذكره أبو بكر عن سيف خالد فقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال يوماً لخالد: لو أنفقت كذا ذهباً ما أدركت غدوة رجل من أصحابي!! / زاد المعاد ج٢ ص١٨٦ / المترجم.

مع كلّ هذه الاختلافات التي حصلت في المدينة المنوّرة بلا شك فإنّ البعيد عنها يتداخله الريب وتأخذه الشكوك من هنا وهناك حول أمر الخلافة، ولذا فهم يتثبّتون من أي أمير أو جيش أو أي تحرّك آخر. فلا يحقّ لأبي بكر أن يقتل الناس بحجّة منع الزكاة لأنّهم امتنعوا من إعطائها إليه أو إلى عمّاله، لا أنّهم أنكروا هذا الحكم، وبينهما فرق كبير.

الثانية: ومضافاً إلى ذلك فهناك أحاديث نبوية كثيرة يرويها الشيعة والسنّة عن حرمة قتل المصلّين وإنّ من أدّى الصلاة فهو مسلم وليس بكافر، وعليه فلا يجوز قتله أو الحكم عليه بالكفر أو الارتداد كما فعل خالد، فمثلاً روى البخاري في صحيحه وأحمد بن حنبل في مسنده والمتّقي الهندي في كنز العمّال:

قال ﷺ: «من ترك الصلاة متعمّداً فقد كفر جهاراً»[1].

وقال ﷺ: «ليس بين العبد والشرك إلّا ترك الصلاة فإن تركها فقد أشرك»[2].

وقال ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[3].

وقال ﷺ: «بين الإيمان والكفر ترك الصلاة[4]».

ونخرج من هذا بنتيجة مهمّة وهي عدم جواز قتل المسلم المقيم للصلاة لأنّه ليس بمشرك ولا كافر ولا مرتدّ.

وكان مالك بن نويرة وقومه كذلك أي أنّهم أقاموا الصلاة وأقرّوا بالإسلام، كما مرَّ عليكم وتصريح مالك لخالد (إنّي على الإسلام) وهكذا أشعاره الصريحة

---

(١) كنز العمّال كتاب الصلاة الباب الأوّل ج٧ ص٢٧٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

في إسلامه واعترافه بالنبيّ محمّد ﷺ وإلى آخره...

ومع كلّ هذا قتله خالد بن الوليد!! ألا تعجبون من هذا العمل؟ فهذه التجاوزات الواضحة والمخالفات الصريحة علناً كلّها تدعوكم للتأمّل والتدبّر وإعادة النظر في حلقات التأريخ الإسلامي وفي عقائدكم وما تلتزمون به.

الثالثة: من الأحكام الشرعية الثابتة عند جميع المسلمين هي عدّة المرأة المتوفّىٰ عنها زوجها، إذ يجب شرعاً أن تعتدّ هذه المرأة أربعة أشهر وعشرة أيّام، وبعد ذلك يحقّ لها أن تتزوّج من رجل آخر، وأمّا إذا تزوّجت أو زُني بها أيّام عدّتها فإنّها تُحرم على الزاني مؤبّداً، وكذلك تحرم مؤبّداً على من دخل بها أيّام عدّتها، ويُعدّ هذا التجاوز (زنا) ويجب على الحاكم الشرعي أن يقيم الحدّ على هذا الزاني فإذا كان محصناً فعليه حدّ الرجم كما كان يؤكّد عليه عمر بن الخطّاب، وأمّا إذا لم يجر الحاكم الشرعي هذا الحدّ تماهلاً وتساهلاً فإنّه يستحقّ العذاب والعقاب يوم القيامة من الله عزّوجلّ.

وقد مرَّ عليكم أنّ العلماء صرّحوا أنّ خالداً تعدّىٰ على أُمّ تميم زوجة مالك في نفس الليلة التي قتل بها مالك[1]، فالمرأة لم تعتدّ أوّلاً وقد أصبحت محرّمة عليه مؤبّداً ثانياً، ومكرهة على هذا الزواج ثالثاً فأيّ امرأة تتزوّج وزوجها مذبوح أمامها مظلوماً؟ وهذا التعدّي لا يمكن تسميته بـ(الزواج) رابعاً، لأنّها لا تحلّ له إلّا بعد انقضاء العدّة، فهذه التجاوزات شوّهت الإسلام والمسلمين في أنظار الغير، فمضافاً إلى أنّها مخالفات للشرع المقدّس وتُعدّ من الكبائر والمعاصي الفظيعة، فإنّها مخالفة حتّى للذوق الاجتماعي السائد عند بني البشر، والعجب أنّ خالداً حينما وطئ المرأة ودخل بها تركها بعد ذلك ولم يتقرّب منها حتّى تطهر!! ولا أدري من ماذا تطهر؟

---

(١) أُنظر الطبري، ج٢ ص٢٧٤، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٣١ ـ ١٣٢.

وفوق كلّ هذه المعاصي المتراكمة نرى الخليفة لم يحرِّك ساكناً ولم يجرِ الحدّ على خالد، بل لم يكلِّف نفسه بتوبيخه وزجره وتعنيفه ـ كما فعل عمر ـ بل ظلّ يدافع عنه ويبارك له عمله!!

انظروا بعقولكم إلى هذه المهازل التأريخية التي يندىٰ منها جبين البشرية حياءً وخجلاً.

دفاع أهل السنّة عن خالد بن الوليد!!

وإنّي لأعجب كلّ العجب من بعض علماء أهل السنّة وهم يذكرون هذه الفظائع والمخازي ومع ذلك يحاولون بشتّى السُبل للدفاع عن موقف خالد كما فعل الخليفة، أو يدافعون عن موقف الخليفة مع خالد، يدفعهم التعصّب وعدم الإذعان للحقّ، بل عدم الرغبة فيه، وكما روي فإنّ حبّ الشيء يعمي ويصمّ فمن كثرة تعشّقهم بأبي بكر وعمر وكلّ مَن دار في فلكهما يحاولون أن يجدوا الأعذار لأخطاء هؤلاء وإن كانت هذه الأعذار مخالفة للإسلام، بل وإن كانت تضحك منها الثكلىٰ، فمثلاً حاول قاضي القضاة أن يرد إشكالات السيّد المرتضى ﵀ على هذه الحادثة فلما وصل الكلام إلى هذه القصّة وهي: «وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتّىٰ دخل المسجد وعليه قباءٌ له عليه صدأ الحديد معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهُماً فلمّا أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطّمها ثمّ قال: أرئاء قتلت مسلماً... فلمّا دخل عليه أبو بكر وأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه.. فقال عمر لأبي بكر: إنّ في سيف خالد رهقاً فإن لم يكن هذا حقّاً، حقّ عليه أن تقيّده وأكثر عليه في ذلك فقال أبو بكر: هبه يا عمر تأوّل فأخطأ فارفع لسانك عن خالد!!»[1].

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٧٣ ـ ٢٧٤.

فقال قاضي القضاة مدافعاً: فإن قيل: فلِمَ أنكر عمر؟ قيل: كان الأمر إلى أبي بكر، فلا وجه لإنكار عمر!! وقد يجوز أن يعلم أبو بكر في الحال ما يخفى على عمر![1].

وقد يبدو هذا الجواب للوهلة الأولى أنّه موافق للصواب، وليس من حقّ عمر أن يتدخّل في أُمور أبي بكر.

ولكن أقول: لماذا لم يأتِ مثل هذا الجواب الجميل عندما اعترض عمر بل منع من كتابة الوصية عندما قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ائتوني بكتف ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلّوا من بعدي.

فقال عمر: إنّه ليهجر[2].. غلبه الوجع.. حسبنا كتاب الله.. إلى آخره. فلماذا لا يردّ على عمر في مثل هذا المنع والتدخّل، بأن نقول (لا وجه لإنكار عمر) كما أجاب القاضي في قضيّة خالد؟ لاسيّما وأنّ الفرق بين النبيّ وأبي بكر شاسع جدّاً خصوصاً وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بعلّة الكتاب (لن تضلّوا) فكيف أجازوا إنكار عمر على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجيزوا إنكاره على أبي بكر؟ فاعتبروا يا أُولي الأبصار!!

سؤال أحد الحاضرين: حقّاً إنّ هذه القضية تدعو كلّ إنسان إلى التعجّب والتألّم بنفس الوقت لما حلّ بالمسلمين من الانحراف، ولكن نطلب من سماحتكم أن تذكروا لنا باقي دفاعات أهل السنّة لنرى ما يطابق الحقّ منها؟

الجواب: لا أخفي عليكم أنّها تأويلات وترقيعات تدعو للضحك أحياناً،

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٠٢ الطعن السابع ط دار الجيل بيروت.

(٢) تجد هذه الكلمة في تذكرة الخواص لابن الجوزي، الباب الرابع في ذكر خلافة الإمام علي عليه السلام نقلها عن كتاب سر العالمين لأبي حامد الغزالي / المترجم.

ولكن سأذكرها كما طلبت.

«الدفاع الأوّل»

فمن جملة ما اعتذروا به لأبي بكر انّهم قالوا: إنّ الخليفة أبا بكر اجتهد في عدم إجراء الحدّ على خالد وعفىٰ عنه بعد أن اعتذر الأخير إليه[1].

والجواب: أنّ ما فعله خالد لم يكن تأويلاً بل هو فعلٌ عمدي أي قتل عمدي، وكذلك هتك عرض المرأة المسلمة عن عمد لا عن خطأ ولا عن تأويل، ثمّ إنّ خالداً لم يكتف بكلّ ذلك بل مثّل بالجثث، وجعل رأس مالك في النار وطبخ عليه الطعام، فهذه الفظائع والفجائع إذا كانت في نظر الخليفة صغيرة وقابلة للعفو وغضّ الطرف عنها، فأين هي الذنوب الكبيرة إذن؟ التي تستوجب القصاص وما هي؟ إن لم يكن القتل والزنا والتمثيل منها فما هي إذن؟

ثمّ إنّ أبا بكر علّل ترك العقوبة لخالد (مع إصرار عمر عليه وشهادة أبي قتادة)[2] بأنّ سيف خالد كان من السيوف التي حاربت المشركين، أو لأنّ الخليفة الجديد يحتاج إلى مثل سيف خالد في مواجهاته مع بعض القبائل.

وهذا التعليل غير صحيح لوجود مَن هو أفضل من خالد بن الوليد في الشجاعة والثبات والصمود والاستقامة وهم قرب الخليفة أيضاً ومنهم سعد بن أبي وقّاص وأُسامة وعمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجرّاح وأبو عبيدة الثقفي ومعاذ بن جبل والعلاء بن الحضرمي وعكرمة وشرحبيل بن حسنة وقيس بن هبيرة المرادي وحاسر بن سعد الطائي وربيعة بن عامر وخالد بن سعيد وسعيد بن خالد وأبو محجن الثقفي وعياض بن غنم الفهري وآخرون من الذين

---

(١) أقول: لمّا جاء خالد إلى أبي بكر قال ـ خالد ـ: يا خليفة رسول الله إنّي تأوّلت وأصبت وأخطأت!! / اليعقوبي ج٢ ص١٣٢.

(٢) الكامل ج٢ ص٢١٧.

استعملهم أبو بكر فيما بعد في الفتوحات.

إذن لماذا هذا الإصرار على خالد بن الوليد مع وجود هذا الكمّ الهائل من الرجال الذين كان لهم الصدىٰ؟ ولماذا كلّ هذا الدفاع عن خالد مع وضوح تورّطه في الكبائر التي يستحقّ بها القتل؟

وكان يتوجّب على الخليفة أن ينزل القصاص العادل بخالد بن الوليد لكي يتشكّل الانطباع الإيجابي عن هذه الخلافة الجديدة لا سيّما مع حصول الاختلافات حولها، ولكي يعطي عن نفسه انطباع الحاكم العادل وبالتالي يتحوّل الموقف إلى درس عام ينتفع منه كل الناس، وما حصل عكس ذلك تماماً ممّا يعني أنّ أبا بكر لم يكن يهتمّ بهذا الجانب بقدر ما كان يهتمّ على رجاله وأتباعه وإجراء خطّته.

«الدفاع الثاني»

ومن جملة ما اعتذروا به لخالد بن الوليد مع ذكرهم لمخالفاته وتجاوزاته وأخلاقه الخشنة وانحرافاته الواضحة، أنّهم قالوا: إنّ أمير الجيش وقائد العساكر له الحقّ الكامل في التصرّف بنساء السبي لأنّهنّ بمثابة ملك اليمين له.

والجواب:

لا يخفى عليكم أنّ الذي دفعهم إلى مثل هذا التوجيه أو الحكم هو تبرير فضائح خالد بن الوليد، وقد غفلوا أو تغافلوا عن (٣٦) غزوة لرسول الله ﷺ ولم يصدر منه ﷺ مثل هذا الفعل ـ والعياذ بالله ـ بل لم يقرّر مثل ذلك لأحد من الأمراء الذين بعثهم.

وغفلوا أنّ هذه الأحكام مختصّة ـ على فرض صحّتها ـ بالكافر الحربي ولا يمكن أن تجري على المسلمين بأيّ وجه من الوجوه.

ومن جهة ثانية فإنّ الإسلام أوجب العدّة على المرأة المتوفّى عنها زوجها ليُعلم حالها إن كانت حاملاً أو لا، فإذا كانت حاملاً فإنّ الولد يلحق بزوجها

المتوفّى، بينما لم يلتزم خالد بهذا الحكم ونزا زانياً بهذه المرأة المسلمة كما تقدّم ذلك.

حتّى ذكر أحمد بن خلكان في وفيّات الأعيان عن أبي زهرة السعدي في قصيدة طويلة مشيراً فيها إلى هذه الفظائع والفضائح:

ألا قلّ لحي أوطئوا بالسنابك — تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضىٰ خالد بغياً عليه لعرسه — وكان له فيها هوىٰ قبل ذلك
فأمضىٰ هواه خالد غير عاطف — عنان الهوىٰ عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك — إلى غير شيء هالكاً في الهوالك
فمن لليتامىٰ والأرامل بعده — ومن للرجال المعدمين الصعالك
أُصيبت تميم غثّها وسمينها — بفارسها المرجوّ سحب الحوالك[1]

«الدفاع الثالث»

وقد أصرّ بعضهم على القول إنّ مالك بن نويرة من المرتدّين عن الإسلام فيجوز قتله.

والجواب: قد ذكرنا الأدلّة على إسلام مالك ولكن مع ذلك ذكر المؤرِّخ ابن الأثير ما يلي: «وقيل إنّ المسلمين لمّا غشوا مالكاً وأصحابه ليلاً أخذوا السلاح فقالوا نحن المسلمون فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون، فقالوا: ضعوا السلاح وصلّوا وكان خالد يعتذر في قتله... فقدم متمّم على أبي بكر يطلب بدم أخيه ـ مالك ـ وأن يرد عليهم سبيهم فأمر أبو بكر بردّ السبي وودّى مالكاً من بيت المال فهذا جميعه ذكره الطبري وغيره من الأئمّة ويدلّ على أنّه لم يرتدّ!! وقد اختلف في ردّته وعمر يقول لخالد قتلت امرأً مسلماً، وأبو قتادة يشهد أنّهم أذّنوا وصلّوا وأبو بكر يردّ السبي ويعطي دية مالك من بيت المال فهذا جميعه

(١) وفيّات الأعيان ج ٥ ص ٦٧، ط: دار الفكر، بيروت.

يدلّ على أنّه مسلم[1].

وما يمكن استنتاجه من كلام ابن الأثير هو أنّه لو كان مالك بن نويرة مرتدّاً أو كافراً لمّا أرجع أبو بكر الأسرى، إذ لا يجوز إرجاع أسرى الكفّار، وكذلك لا تُعطى دية دم الكافر لأنّه مهدور الدم وغير محترم النفس لكفره ومحاربته للدين، بينما أعطى الخليفة دية دم مالك من بيت المال ممّا يعني إسلام مالك ومعرفة الخليفة بذلك أيضاً.

ويضاف إلى ذلك أنّ جميع المؤرّخين الذين ذكروا هذه الحادثة لا يذكرون أي حوار أو نقاش دار بين مالك وخالد حول الزكاة، ولم يسأل خالد بن الوليد من مالك عن سبب امتناعه عن الزكاة، وإنّما غاية ما ذكروه هو أنّ خالد اتّهم مالكاً بعدم الإسلام ومالك دافع عن نفسه بأنّه علىٰ دين الإسلام صريحاً ومع ذلك قتله خالد!!

ولا أدري كيف أجاز خالد لنفسه أن يقتل هذا الرجل المسلم الذي صرّح بإسلامه قولاً وفعلاً.

وحتّى لو فرضنا أنّ مالكاً مرتدٌّ كما يزعمون ـ بلا دليل ـ ويجوز قتله كما قالوا، ولكن هل كانت امرأته مرتدّة مثله؟

لم نجد أحداً من علماء السنّة يصرّح بذلك، بل هي مسلمة مؤمنة تعتقد الإسلام ديناً وتقيم شعائره، فكيف زنىٰ بها خالد إذن قبل أن تعتدّ عدّة الوفاة؟ وكيف تزوّجها بعد ذلك في المدينة؟ أرجو أن تفكّروا في مثل هذه المغالطات والزلّات وارتكاب هذه الفواحش مع سبق الإصرار، وأيضاً تفكّروا في الدوافع التي تدفع بعض علماء السنّة أن يدافعوا عن مثل هذه المهازل ويحاولون ترميمها وترقيعها وبما يضحك الثكلىٰ؟ وأيضاً فكّروا في الأسباب التي دعت

---

(١) أُسد الغابة ج٤ ص٢٩٦ المكتبة الإسلامية.

الخليفة أن يصرّ على إعفاء خالد من أيّ عقوبة وقصاص؟

ومن البؤس أن يغمض الإنسان عينيه أمام هذه المظالم والدواهي أو يصمّ سمعه عن هذه الحقائق.

«الدفاع الرابع»

واعتذر بعضهم لخالد بالقول: إنّ مالكاً قال لخالد وهو يراجعه: ما أخال صاحبكم إلّا وقد كان يقول كذا وكذا، فقال خالد: أوما تعدّه لك صاحباً؟ ثمّ قدّمه فضرب عنقه!![1].

وقد عدّ خالد بن الوليد كلمة (ما أخال صاحبكم) إهانة للنبيّ ﷺ أو عدم اعتراف مالك بنبوّة النبيّ ﷺ كما زعم خالد فقتله!

والجواب:

أوّلاً: لم ينقل هذه الجملة إلّا خالد بن الوليد حينما سُئل عن سبب قتله لمالك، فإذا أراد أن يدافع عن نفسه بهذه الطريقة فعليه الإتيان بالشهود الذين يشهدون أنّهم سمعوا ذلك من مالك، بينما لم يشهد ولم يُنقل عن أحد ذلك سوى عن خالد نفسه وهذا باطل من ناحية الشرع، بل وحتّى العرف لأنّنا إذا فتحنا للناس هذا الباب صار كلّ قاتل يبرّر جريمته بسهولة ولم نعد بحاجة إلى شهود وهو ما لا يرتضيه أي دين أو قانون.

ثانياً: ثمّ لو فرضنا جدلاً أنّ مالكاً قال هذه الجملة ـ كما زعم خالد ـ فما هو الدليل أنّ المراد من (صاحبكم) هو النبيّ محمّد ﷺ؟ بل يُحتمل أنّه أراد بذلك الخليفة الذي بعث إليه خالد بن الوليد فـ(صاحبكم) يعني الذي أرسلكم وهو أبو بكر، فالعبارة تحتمل هذا بشكل أقرب لاسيّما مع ملاحظة القرائن الحالية.

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٧٣.

بل ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان: بعدما قال خالد لمالك: إنّي قاتلك، قال مالك: أوبذلك أمرك صاحبك؟[١]

وواضح من كلمة (صاحبك) هنا هو الخليفة لا غير، بل لا يوجد أي احتمال ثانٍ، فيتعيّن المراد من كلمة (صاحبكم) في الجملة الأولى أبو بكر.

ثالثاً: ثمّ لو فرضنا جدلاً ـ ولا نسلّم به ـ أنّ المقصود من (صاحبكم) هو النبيّ ﷺ فهل يستحقّ القتل على أساس هذه الكلمة؟ إذ هي لا تدلّ على الردّة ولا على الكفر كما كان يزعم ابن الوليد، بل هناك الكثير من الحوارات والمحادثات الحاصلة عندما يقول المتكلّم لمجموعة أو لفرد: ألم يقل نبيّكم كذا وكذا.

فهذا التعبير لا يعني عدم إيمان المتكلّم بالنبيّ ﷺ وإنّما هو لون من ألوان الحوار ولعلّه لإلفات نظر المقابل، وبالتالي لم يعد هناك أي احتمال يتشبّث به خالد بن الوليد وكلّ مَن دافع عنه.

ولمّا لم يعد هناك أي مجال للدفاع عن جرائم خالد، قال بعض علماء السنّة: إنّ خالداً لم يقتل مالكاً ولا أمر بقتله، وإنّما كان المسؤول عن قتل مالك هو ضرار بن الأزور وهو تصرّف شخصي، ولكنّ لمّا سمع به خالد بن الوليد وجد نفسه أمام الأمر الواقع فقال إذا أراد الله أمراً أصابه[٢].

ولكن الله يلقي النسيان على مثل هؤلاء المؤرّخين فقد ذكروا أيضاً وفي نفس المصدر أنّ خالداً اعتذر من قتله لمالك أو أمره بقتله بتلك الجملة التي قالها مالك (ما أخال صاحبكم).

وعلاوة على ذلك فإنّ أبا الفرج الاصفهاني ذكر في الأغاني «فضرب خالد

---

(١) وفيات الأعيان ج٦ ص١٤ رقم ٢٩٤.

(٢) المصدر السابق.

عنقه صبراً فطعن عليه في ذلك جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطّاب وأبو قتادة الأنصاري».

وذكر أيضاً في مكان آخر «ثمّ قدّمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه»[1]، وهذا يعني أنّ خالداً بنفسه قتل مالكاً.

بينما ذكر جماعة مثل الذهبي في تاريخ الإسلام ـ وفي طبقات المشاهير والأعلام، وفي وفيّات الأعيان، هذه القصّة مفصّلة وكان فيها قول مالك لخالد «أنا علىٰ دين الإسلام» فأمر خالد ضرار وقال له: يا ضرار اضرب عنقه، فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لقدر[2].

فهل بعد كلّ هذه التصريحات يبقىٰ مجال للزعم أنّ مالكاً كان مرتدّاً أو أنّ الذي قتله ضرار وليس خالد، ويحاولون تجريد خالد من المسؤولية؟

ثمّ دع عنك هذا، فما عساهم أن يقولوا حينما زنا خالد بزوجة مالك؟ وقد قالوا «وكان يُقال إنّه يهواها في الجاهلية واتّهم لذلك أنّه قتله مسلماً ليتزوّج امرأته بعده»[3].

ثمّ دع عنك حتّى هذا، فما عساهم أن يقولوا عن الصفة الوحشيّة والقلب المتحجّر المتعصّب لخالد عندما جعل رأس مالك في النار ليطبخ عليه الطعام!! كما ذكره ابن خلكان «فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه!! وجعل رأسه في أثفية لقدر وكانِ من أكثر الناس شعراً كما تقدّم ذكره فكانت القدر على رأسه حتّى نضج الطعام وما خلصت النار إلى أن شواه من كثرة شعره!!»[4].

---

(١) مختار الأغاني، ج٧، ص١٠٥، ط: معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج٦، ص٣٥٥، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٢م.

(٣) الأغاني ج١٤ قضى خالد بغياً عليه لعرسه ** وكان له فيها هوىً قبل ذلك

(٤) وفيات الأعيان ج٦ ص١٤ / المترجم.

هل لديكم تأويل آخر لهذه الفجائع، وهل تحتمل هذه الفضائح تأويلاً آخر؟ وهل تعدّون هذه الجرائم والقساوة اجتهاداً؟ ومَن في العالم يقبل لأمثال خالد عذراً على مثل هذه الجرائم؟ ولماذا لم يرسل خالد بن الوليد مالكاً إلى الخليفة نفسه كما طلب مالك هذا منه، بل أسرع في قتله؟ هذه الأسئلة أتركها إليكم وإلى كلّ مَن يريد الصواب ويبحث عن الحقّ.

«الدفاع الخامس»

وزعم المدافعون عن رموز الباطل: أنّ المرحلة التي عاصرها الخليفة فرضت نفسها عليه، بما تحمل من تناقضات أن يغضّ الطرف عن خالد، بل ويجتهد في تعطيل الحدود الإلهيّة ويعفو عن القاتل الزاني السفّاك نظراً لطبيعة المقطع الزمني الصعب.

والجواب: أنّ الطبيعة هي هي والحالة أو المرحلة التي عاصرها الخليفة لم تكن تختلف عن عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يمض عليه الكثير حتّى يقال إنّ المرحلة اختلفت، وحتّى مع وجود المنافقين في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يمنعه ذلك من إجراء الحدود، أو في أقلّ تقدير لم يمنعه ذلك من الغضب على بعض الناس أو طردهم وإبعادهم أو عدم الاستغفار لهم و... إلى آخره.

بينما العجب والدهشة أنّ أبا بكر لم يصدر منه أي تأثّر على قتل مالك وقومه فلم يغضب أبداً على خالد، بل إنّه غضب على أبي قتادة لمّا جاءه وقصّ عليه القصّة فإنّه عنّفه ووبّخه لوقعه في خالد، والحال أنّ أبا قتادة لم يقع في خالد وإنّما ذكر له جرائمه وتعدّيه، فكان المفروض من أبي بكر لمّا لم يرد إجراء الحدّ على خالد، أن يظهر تأسّفه ويبدي لخالد غضبه وتأثّره من فعله الشنيع هذا ليكون أوقع في قلب خالد والمسلمين.

والعجب من هذا الخليفة الذي كان معاصراً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد شاهد على مرأى ومسمع كيف أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يستغفر لمحلم بن جثامة عندما قتل عامر

بن اضبط وهو يعلن الشهادتين ونـزل قـوله: ﴿ولا تـقولوا لمـن ألقـى إليكـم السلام...﴾ ثمّ عنّفه النبيّ ﷺ وطرده حتّى مات ملحم. ألم يشهد ذلك جميع المسلمين والخليفة كان معهم أيضاً؟

لماذا لم يتأس برسول الله ﷺ في هذه القضية ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنة﴾؟ بل كان المتعيّن على الخليفة أن يعلن براءته من هذه الجرائم لكي لا تحسب على الإسلام لاحقاً كما صنع رسول الله ﷺ عندما بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة وأمره بعدم القتال إلّا أنّه خالف وقتل القوم، ولمّا وصل الخبر إلى النبيّ ﷺ قام ورفع يديه إلى السماء وقال أمام المسلمين: اللّهمَّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد مرّتين[1].

ثمّ بعث عليّاً عليه السلام ليدفع دية القتلىٰ كلّهم سريعاً، إعلاناً منه ﷺ أنّه غير مسؤول عن هذه الجريمة لكيلا تُحسب عليه وعلى الإسلام[2].

بينما لم يفعل الخليفة حتّى هذا الأمر، ممّا يعني رضاه وقناعته وميله الكامل مع ما صنعه خالد، ومخالفته لسيرة النبيّ ﷺ والقرآن الحكيم الذي حرّم قتل المسلم.

وبهذه الطريقة المنحرفة والأسلوب غير الإسلامي الذي انتهجه أبـو بكـر فتح الطريق أمام الظَلَمة وعبّده لهم وصار الذي بعده من الأُمراء ينتهج سياسة أبي بكر وخالد بن الوليد.

فمثلاً بُسر بن أرطاة وهو أحد قوّاد جيش معاوية وعـامله المسـتبدّ قـتل

---

(١) صحيح البخاري ج١٦ ص١٦٦ كتاب بدء الخلق باب بعث خالد إلى بني جذيمة، ودلائل النبوّة ج٥ ص١١٤ ط دار الكتب العلمية، وجاء في زاد المعاد لابـن القـيم «بعث النبيّ خالداً إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً» ج٢ ص١٨٦.

(٢) زاد المعاد ج٢ ص١٨٦ / المترجم.

ثلاثين ألفاً من أتباع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ظلماً وعدواناً، بل لم يسلم من يديه طفلان صغيران لعبيد الله بن عبّاس، فأثنىٰ عليه معاوية وأطراه[1].

وكذلك مسلم بن عقبة الملعون الذي احتل المدينة المنوّرة بأمر من يزيد بن معاوية وأباحها ثلاثة أيّام أنزل فيهم السيف حتّى وصلت الدماء إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهتكت النساء حتى فضّت الفتيات البواكر.

يقول ابن الجوزي نقلاً عن كتاب الحرّة لأبي الحسن المدائني عن الزهري:

«كان القتلىٰ يوم الحرّة سبعمائة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي، وأمّا من لم يُعرف من عبد أو حرّ أو امرأة فعشرة آلاف وخاض الناس في الدماء حتّى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامتلأت الروضة والمسجد، قال مجاهد: التجأ الناس إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره والسيف يعمل فيهم».

وذكر أيضاً المدائني عن أبي قرّة قال: قال هشام بن حسّان: ولدت ألف امرأة بعد الحرّة من غير زوج! وغير المدائني يقول عشرة آلاف امرأة»[2].

---

(١) أنظر جرائمه في تاريخ الطبري ٦ ص ٨٠ والكامل ج٣ ص ٢٥٠ وقد تناوله المؤلّف في كتابه ليالي بيشاور ص٩٢٣.

(٢) تسمّى وقعة الحرّة، كانت على أثر خلع أهل المدينة ليزيد بن معاوية على ما شاهدوا منه المناكير، فقد جاء وفد أهل المدينة من عند يزيد وأخبروا الناس بما شاهدوا من يزيد فقالوا: «إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخُرّاب والفتيان وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه فتابعهم الناس».

أنظر تاريخ الطبري ج٣ ص ٣٥٠ أحداث سنة ٦٢هـ.

وجاء مسلم بجيش جرّار إلى المدينة فأباحها ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون الأموال

←

وأمثال الحجّاج بن يوسف الثقفي لعنة الله عليه وهو في الظلم وسفك الدماء أشهر من الشمس في رابعة النهار، وهو الذي قال عنه عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كلّ أُمّة بخبيثها وجئنا بالحجّاج لغلبناهم.

امتاز الحجّاج بعدائه التقليدي لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وبغضه له وقتله لجميع مَن والىٰ علياً فقد كانت له مجازر ارتكبها بحقّ شيعة أهل البيت عليهم السلام. بل كان يتلذّذ بقتل الشيعة أكثر ما يلتذّ الفتىٰ في ليلة عرسه فقد قتل الحجّاج في مجالس الأُنس والطرب مائة وعشرين ألف إنسان وكان قد صنع سجناً من أربع جدران لا سقف له جعل فيه خمسين ألف رجل وثلاثين ألف امرأة كلّهم ينتظرون السيف أو الموت البطيء، والحجّاج هو الذي قتل بقيّة السلف أمثال كميل بن زياد وهو من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والمقرّبين عنده، وأبي محمّد سعيد بن جبير الكوفي وهو من أصحاب الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام وعُرف بعلم التفسير الذي درسه عند ابن عبّاس، وبقتله لهذا الرجل الجليل، ابتلاه الله بمرض الآكلة فقد أكلت أمعاء الحجّاج بواسطة الديدان التي بعثها الله عليه[1].

← وكان يأمر الناس بالبيعة على أنّهم عَبيد ليزيد بن معاوية ومن قال له أُبايع على كتاب الله وسنّة نبيّه كان يقتله حالاً، فدعا الناس للبيعة على أنّهم خَوَلٌ ليزيد بن معاوية يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم مٰا شاء.

أُنظر المصدر السابق.

وما ذكره المؤلّف عن المدائني تجده في تذكرة الخواص ص٢٨٩ فصل يزيد بن معاوية /المترجم.

(١) ولد الحجّاج مشوّه الخلقة امتنع عن قبول الثدي من أُمّه حتّى ذبحوا تيساً أسود وأولغوه بدمه فكان بعد ذلك لا يضجر عن سفك الدماء، وكان الحجّاج لعنه الله ←

وعلى غرار هؤلاء كان زياد ابن أبيه الدعيّ السفّاح الذي لم يختلف عن الحجّاج وعن بُسر وأمثالهما من مصّاصي الدماء، وظلّ الواقع الأموي والعبّاسي ينتج أمثال هؤلاء القَتلة على طول الخطّ وكان القتل والنهب وهتك الأعراض يجري كأنّه أمر طبيعيّ، وما كان هذا ليحدث لولا تبرير الخليفة الأوّل لجرائم خالد بن الوليد وحمل أخطائه ومخالفاته على أنّها اجتهادات!! فإذا كان رمزهم (أبو بكر) يفعل ذلك فكيف بمن اتّخذه قدوة؟

دراسة حول الاختلاف الثامن ـ الخلافة

من أجل إبطال خلافة الخلفاء الثلاثة فإنّا نستند إلى نفس خلافة كلّ واحد منهم فمثلاً:

١ ـ خلافة الأوّل كانت عبارة عن ـ زعم ـ أنّ رسول الله ﷺ توفّي ولم يعهد لأحد، ثمّ استبق عمر وأبو بكر وأبو عبيدة إلى السقيفة... على ما ذكرته

← يُخبر عن نفسه أنّ أكثر لذّاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره ولا سبق إليها سواه.

واستعمله بنو أُميّة على العراق فخطب الحجّاج في الكوفة قائلاً: إنّي والله لأرى أبصاراً طامحة وأعناقاً متطاولة ورؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإنّي أنا صاحبها كأنّي أنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحىٰ... /مروج الذهب ج٣ ص١٢٥ دار الأندلس بيروت.

ومات الحجّاج في سنة ٩٥هـ وأُحصي من قتله صبراً سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفاً ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهنّ ستّة عشر ألفاً مجرّدة وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الحرّ والبرد / المصدر السابق ص١٦٦ / المترجم.

سابقاً، وصار خليفة المسلمين بالقهر والقوّة بلا نصّ ولا إجماع ولا مشورة ولم يتحقّق رضا المسلمين كلّهم عليه كما مرّ عليكم سابقاً.

ثمّ جاء الثاني إلى الخلافة بطريقة غريبة ومضحكة للغاية، فإنّه لم يحصل على الإجماع أثناء تعيينه ولا على مشورة أكابر الصحابة ولا على أيّ أساس عقلائي، فإنّ أهل السنّة يرون بالإجماع أنّ أبا بكر لمّا حضرته الوفاة استخلف عمر بن الخطّاب بطريقة لا تخلو من الاستبداد فحصل الاختلاف على أثر هذه الوصيّة المدبّرة بين رجال المسلمين فقال بعضهم لأبي بكر «قد ولّيت علينا فظّاً غليظاً»[1] فأجاب أبو بكر: «لو سألني ربّي يوم القيامة لقلتُ: ولّيت عليهم خيرهم لهم»[2].

وهنا يُسجّل إشكال في غاية الأهمّية وهو:

لو كان أبو بكر رأى في عمر بعض الصفات التي جعلته يعتقد أنّه خير الأمّة، فلماذا لم يمارس هذه الطريقة رسول الله ﷺ؟ بل أنّ رسول الله أولىٰ بذلك لحرصه على الأمّة، وإلّا، أيمكن لأحد أن يتصوّر أنّ أبا بكر أفضل من النبيّ ﷺ والعياذ بالله في موضوع الخلافة، أو أنّه أحرص على الإسلام منه ﷺ؟

انّهم ـ المتعصّبين ـ يقولون إنّ رسول الله ﷺ رأى المصلحة في ترك الأمّة سدىً وعدم التنصيص على أحد وأوكل الأمر إلى المسلمين جميعاً أي إنّ الأمّة هي التي تنتخب الأفضل، وهم يلتزمون بهذا الكلام إلى اليوم.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص١٨.

أقول: لمّا نصّب أبو بكر عمر دخل عليه طلحة بن عبيدالله وقال له: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه فكيف به إذا خلا بهم؟

تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٥٥ والكامل ج ٢ ص ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق.

فيُسجَّل عليهم إشكال في غاية المتانة وهو: كان على أبي بكر أيضاً أن يترك أمر الخلافة إلى الأمّة ولا يقرّره هو تأسّياً بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

فإن قيل: إنّ أبا بكر رأى المصلحة في التنصيب.

نقول: إنّها مخالفة لسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم التي يصرّون عليها[1]، وكان على الخليفة أن يفعل ما فعله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيوكل الأمر إلى الأمّة، ولا يمكن القول هنا إنّ رؤية أبي بكر في التنصيب كانت صائبة لأنّها تستلزم تخطئة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهذا باطل إجماعاً.

إذن لماذا نَصَّبَ الخليفة وسار على خلاف سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ التي زعموها ـ بل انّه أوكل الأمر إلى عثمان دون كبار الأمّة؟ حتّى عُدَّ هذا التصرّف أحد أسباب الاختلافات التي حصلت في الأمّة كما صرّح الشهرستاني.

٢ ـ وقد صرَّح عمر بن الخطّاب فيما بعد أنّ بيعة أبي بكر في السقيفة وما جرىٰ فيها كانت فلتة وقىٰ الله شرّها فمَن عاد إلى مثلها فاقتلوه![2].

وهذا التصريح يؤكِّد عدم الإجماع أو الشورى في بيعة أبي بكر وبنفس الوقت يؤكِّد البيعة العفوية التي صدرت من بعض الناس.

وأيضاً فإنّ في هذه الكلمة يؤكّد عمر بن الخطّاب على عدم التسرّع في مثل هذه المواقف وعلى عدم اتّخاذ قرار مرتجل يكون فلتة كفلتات الجاهلية، وهذا يعني تأكيداً ضمنيّاً على الشورىٰ، أو أخذ رأي أهل الحلّ والعقد وكبار الصحابة. إذن لماذا انفرد أبو بكر في تعيين عمر؟ وكيف رضي عمر بن الخطّاب بهذا المنصب وهو يدعو إلى الشورى وإشراك آراء الناس؟

إذن هذه الطريقة هي أيضاً فلتة كتلك الفلتة، لأنّها تتّفق مع السقيفة في عدّة

---

(١) أقول: حتّى صرّح عمر أنّ النبيّ مات ولم يستخلف فقال: وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي.. انظر تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٨٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٨ والبخاري: كتاب الحدود، باب رجم الحبلى ج ٤ ص ١٢٠.

قواسم مشتركة، فكما غابت الأمّة الإسلامية في السقيفة بل كبار الأصحاب كذلك هنا عندما انفرد عثمان بأبي بكر في شأن الوصيّة والاستخلاف!!

٣ ـ والعجب كلّ العجب أنّهم ـ لاسيّما عمر ـ أنكروا ردّ قول سيّد البشر وأشرف الخلق محمّد ﷺ عندما أراد أن يكتب وصيّته في الخلافة وزعم باطلاً أنّ النبيّ ﷺ يهجر.. أو غلبه الوجع.. بينما في أبي بكر الذي لم يختلف حال مرضه عن مرض النبيّ ﷺ فهو أيضاً أُصيب بالغشية ومع ذلك لم يتفوّه أحد من علماء السنّة وقال إنّه يهجر أو غلبه الوجع خصوصاً عمر الذي تصدّى لكتاب النبيّ ﷺ فهل يحتفظ أبو بكر بقواه العقلية دون رسول الله والعياذ بالله؟ فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

سؤال أحد الحاضرين: لقد ذكرت مراراً أنّ أبا بكر استخلف عمر بن الخطّاب بطريقة بعيدة عن الإجماع والشورى ودون رأي الأمّة أو الأكابر من الصحابة، فنرجو منك أن تذكر لنا هذه الطريقة من مصادرنا؟

الجواب: لقد ذكر أكابر علماء السُنّة مثل الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل وابن أبي الحديد المعتزلي والذهبي في تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير... إلى آخره.

لمّا كان أبو بكر في مرض موته دعا عثمان بن عفّان واختلىٰ به فقال له اكتب هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أمّا بعد: ثمّ أُغمي ـ أي على أبي بكر ـ فذهب عنه فكتب عثمان: أمّا بعد فإنّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب، ولم آلكم خيراً منه ثمّ أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ فقرأ عليه فكبّر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتُلتت نفسي في غشيتي؟ قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله وأقرّها أبو بكر من هذا الموضع[1].

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٣٥٣ ط دار الكتب العلمية، والكامل في التاريخ ج٢

النتائج المترتّبة على هذا الاستخلاف

وعندما سنّ أبو بكر هذه الطريقة التي لا تختلف عن الهرقلية والبزنطية والفارسية آنذاك، كانت هذه السنّة مفتاحاً وحجّة ومنهاجاً لبني أميّة وبني العبّاس والفاطميّين فيما بعد، الذين لم يحترموا الأمّة، بل كانوا يعيشون في مستوىً فوق مستوى الجماهير وكانت المناصب خاصّة بهم ينصّبون من شاءوا ويقومون بتوزيع الكراسي كما يحلو لهم دون أي اعتناء لرأي المسلمين وأكابر المؤمنين حتّى حكم الفاسق والفاجر وشارب الخمر أمثال معاوية ويزيد ... إلى آخره.

وهكذا فتح أبو بكر الطريق لكلّ خليفة ـ صالح أو طالح ـ أن يعيّن مَن شاء ويعتبره ـ هو ـ الأفضل ضمن حساباته الخاصّة الخاطئة وبالتالي يتمّ تبرير كلّ شيء[1].

وكانت أوّل نتائج هذا الأسلوب البعيد عن القرآن والسنّة، هو يزيد بن معاوية، فكما أنّ أبا بكر استبدّ برأيه الشخصي واستخلف عمر كذلك استبدّ

← ص٢٧٣، ونهج البلاغة ج١ ص١٦٣ ط دار إحياء الكتب العربية.

(١) أقول: عندما بعث محمّد بن أبي بكر رسالة إلى معاوية يشجبه فيها على عدائه وحربه لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام..

فأجابه معاوية: ... فقد كنّا وأبوك ـ يعني أبو بكر ـ فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده وأتمّ له ما وعده وأظهر دعوته وبلج حجّته وقبضه الله إليه فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه وخالفه على أمره على ذلك اتّفقا واتّسقا... أبوك مهّد مهاده وبنى لملكه وساده فإن يكُ ما نحن فيه صواباً فأبوك استبدّ به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب.. / مروج الذهب ج٣ ص١٢ ط دار الأندلس بيروت / المترجم.

معاوية برأيه وعيّن ابنه الفاجر الفاسق خليفة على المسلمين وأُخذت البيعة من المسلمين جبراً، حتّىٰ راح ضحية هذا الظلم الإمام الحسين وأهل بيته وخُلّص أصحابه الذين استُشهدوا في كربلاء لمّا وقفوا بوجه يزيد لعنه الله، ثمّ سُبيت عياله إلى الشام كما تُسبى الكفّار.

وبعد هذه الفاجعة كانت فاجعة الحرّة التي أباحها يزيد بالقتل والنهب والتعدّي على الأعراض كما تقدّم ذلك، وبعدها كانت فاجعة الكعبة عندما أمر يزيد برمي الكعبة بالمنجنيق وقتل أهل مكّة من أجل إخماد المعارضين والممتنعين من بيعته، ولم يكتفِ بكلّ ذلك بل كان يعلن كفره وارتداده عن الدين كما ذكر ابن الجوزي في التذكرة عن ابن عقيل قال: ومن جملة دلائل كفر وزندقة يزيد ما قاله من الشعر الذي يفصح فيه عن عقيدته الفاسدة وطينته الخبيثة، فمن جملة ما أنشده:

علية هاتي واعلني وترنّمي	بذلك أنّي لا أُحبّ التناجيا
حديث أبي سفيان قدماً سمّى بها	إلى أحد حتّى أقام البواكيا
ألا هات فاسقيني على ذاك قهوة	تخيّرها العنسي كرماً شاميا
إذا ما نظرنا في أمور قديمة	وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن متُّ يا أُمّ الأحيمر فانكحي	ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإنّ الذي حدّثت عن يوم بعثنا	أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولابدّ لي من أن أزور محمّداً	بمشمولة صفراء تروي عظاميا[1]

وهكذا كان له موقف أفصح فيه عن خسّته ونذالته عندما أُدخلت عليه حرائر النبوّة وبنات الرسالة مع رأس سيّد الشهداء وسيّد شباب أهل الجنّة فاستخفّ به وأخذ ينكثه بعوده.

---

(١) تذكرة الخواص ص ٢٩١.

ينقل سبط ابن الجوزي عن جدّه أبي الفرج بن الجوزي يقول: ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين عليه السلام وتسليطه عمر بن سعد على قتله والشمر وحمل الرؤوس إليه، إنّما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثناياه وحمل آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا على أقتاب الجمال وعزمه على أن يدفع فاطمة بنت الحسين عليه السلام إلى الرجل الذي طلبها وإنشاده أبيات ابن الزبعري[١].

وقد ذكرها أبو الفرج في كتاب (الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذم يزيد) والشيخ عبدالله بن محمّد بن عامر الشبراوي الشافعي في كتاب الإتحاف بحبّ الأشراف، والخطيب الخوارزمي في مقتل الحسين، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص وآخرين غيرهم، قالها يزيد عندما وضع رأس الإمام الحسين عليه السلام أمامه في طست:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلوا فرحاً	ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلناه ببدرٍ فاعتدل
لعِبت هاشم بالمُلك فلا	خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل
لستُ من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل
قد أخذنا من عليٍّ ثأرنا	وقتلنا الفارس الليث البطل[٢]

وقد تناولت هذا الموضع أعني كفر يزيد في كتاب ليالي بيشاور بشكل مفصّل[٣].

فظهر لأهل الحقّ ولأهل العقل والإنصاف أنّ هذه الجرائم التي هزّت الواقع

---

(١) المصدر السابق ص٢٩٠.

(٢) تذكرة الخواص ص٢٦١.

(٣) ليالي بيشاور ص٢١٤.

الإسلامي، ترتّبت كلّها على أثر أخطاء الأوائل، فلو لم يتّبع أبو بكر هواه في استخلاف عمر لما وقعت هذه المصائب ولما صارت السنّة الجارية عند الخلفاء تنصيب أولادهم وكأنّ القضية تحوّلت إلى مملكة وراثية، أو ديكتاتورية عاتية.

كلّ هذا الانحراف أدّى بمرور الزمن إلى تمزّق الأمّة وافتراق أبنائها إلى مذاهب وفرق وطوائف على أثر التحوّلات السياسيّة البعيدة كلّ البُعد عن سيرة وسُنّة النبيّ ﷺ.

إذن نخرج معكم بنتيجة من كلّ هذا الكلام وهي أنّ أبا بكر الذي ادّعى أنّ النبيّ ﷺ مات وترك أمر الاستخلاف إلى الأمّة وكذلك ادّعى ذلك عمر بن الخطّاب، كلاهما خالفا هذه السيرة التي زعموها وعملا برأيهما الشخصي وترتّبت على آرائهما الشخصية ويلات وويلات.

الشورى العمرية

ثمّ جاء عمر بن الخطّاب بطريقة جديدة غير التي ابتكرها الخليفة الأوّل؛ إنّ هذه الطريقة لا تمتاز بكونها مخالفة للإسلام وللقوانين العالمية فحسب، بل للذوق البشري أيضاً.

فمثلاً طريقة اختيار وانتخاب الرئيس في الدول الديمقراطية يتمّ بإشراك الجماهير كلّها ومن ثمّ يتمّ فرز الأصوات، بشكل دقيق وتحت المراقبة للحيلولة دون احتواء الموقف أو التزوير أو الاحتيال..

وأمّا المرشّحون للرئاسة فإنّ كلّ حزب يرشّح واحداً وهكذا يتمّ التنافس الإيجابي إلى أن يفوز بها من يجمع أكثر الأصوات، وهكذا الأمر في المجالس النيابيّة أو البلديات..

وأكثر من ذلك فإنّ المستبدّين إذا أرادوا أن يسيطروا على الانتخابات ويعيِّنوا الرئيس بالقوّة، فإنّهم يمارسون استبدادهم ضمن الانتخابات لا أنّهم يلغونها أو يحرمون الناس من حقّ المشاركة، فيعملون مثلاً على تزييف الانتخابات بشكل أو بآخر وهذا يعني حرصهم على إقامة الانتخابات الحرّة وإشراك الجماهير فيها وإن كانت صوريّة.

ولكن عندما نأتي إلى الشورى التي أقامها عمر بن الخطّاب وهي طريقته الجديدة لاستخلاف الذي بعده، نجد أنّ الشورى العمرية لا هي موافقة لسيرة وسُنّة النبيّ ﷺ ولا أنّها موافقة للانتخابات الديمقراطية الحقيقيّة أو الصوريّة، بل هي حالة ثالثة جديدة أشبه بالخُنثى.

فقد ذكر المؤرِّخون أنّ عمر بن الخطّاب لمّا طُعن جاءه بعض الناس وقالوا له: لو استخلفت؟ فقال: لو كان أبو عبيدة ابن الجرّاح حيّاً استخلفته فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّه أمين هذه الأُمّة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً استخلفته فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّ سالماً شديد الحبّ لله، فقال له رجل: أدلّك عليه، عبدالله بن عمر فقال: ... كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته.

ثمّ قال عمر: وانظر فإن استخلفت فقد استخلف مَن هو خيرٌ منّي وإن أترك فقد ترك من هو خيرٌ منّي ولن يضيع الله دينه، فخرج القوم من عنده ثمّ عادوا إليه فقالوا: لو عهدت عهداً؟ فقال: كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأُولّي رجلاً أمرَكم هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ وأشار إلى عليّ عليه السلام[1].

ثمّ غيّر رأيه فقال: عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ: إنّهم

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص ٥٨٠ قصّة الشورى، والكامل ج٢ ص ٤٦٠.

من أهل الجنّة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ولست مدخله ولكن الستّة: عليّ وعثمان وعبد الرحمن وسعد بن أبي وقّاص والزبير وطلحة فليختاروا منهم رجلاً[١].

ثمّ إنّه عاب هؤلاء الستّة!! فأقبل على سعد بن أبي وقّاص فقال: إنّما أنت صاحب مِقنَب (جماعة الخيل) من هذه المقانب تقاتل به وصاحب قنص وقوس وأسهم وما زُهرة والخلافة وأمور الناس!

ثمّ أقبل على عبد الرحمن فقال: فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح.. ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك وما زهرة وهذا الأمر، ثمّ أقبل على عليّ عليه السلام فقال: لله أنت لولا دعابة فيك أما والله لئن ولّيتهم لتحملنّهم على الحقّ الواضح والمحجّة البيضاء، ثمّ أقبل على عثمان فقال: هيهاً إليك كأنّي بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك فحملت بني أُميّة وبني أبي معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء...[٢].

وأمّا طلحة فقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها يوم أُنزلت آية الحجاب، حيث قال طلحة: ما الذي يُغنيه حجابهنّ اليوم وسيموت غداً فننكحهنّ[٣]، ولمّا وصل هذا الكلام لمسامع النبيّ تأثّر كثيراً وغضب على طلحة إلى أن مات.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٨٦، دار إحياء الكتب العربية.

(٣) شرح نهج البلاغة ج١ ص١٨٦، دار إحياء الكتب العربية.

قال ابن أبي الحديد: قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ: لو قال لعمر قائل: أنت قلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات وهو راض عن هؤلاء الستة فكيف تقول الآن لطلحة: إنه مات ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها، لكان رماه بمشاقصه / المترجم.

ثم قال عمر لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة، إن الله طالما أعز بكم الإسلام فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما ، وإن رضي ثلاثة رجال وثلاثة رجال فحكموا عبد الله بن عمر ، فإن لم يرضوا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع فيه الناس[1].

فهذه هي الشورى العمرية وهي مختزلة في كلمة واحدة: إما أن توافق وإلا قتلناك.

دراسة حول الاختلاف التاسع ـ الشورى العمريّة

أوّلاً: من الخطأ أن نطلق اسم ـ الشورىٰ ـ على ما قام به عمر في مرض موته حينما أمر بعقد ذلك المجلس الذي ضمّ ستّة رجال، إذ تمّ به عزل قرار الأمّة جميعاً وسلب حقّ الاختيار والانتخاب منها وحصر القضيّة في ستّة أشخاص حدّدهم لا غير وهذا الطرح الجديد لون آخر من ألوان الدكتاتورية وفرض الرأي وقهر الناس.

ثانياً: وما يثير العجب والدهشة أنّ عمر حدّد هؤلاء الستّة على أساس أنّهم الأفضل من بين مئات الآلاف أو الملايين من المسلمين في الحجاز والعراق واليمن والشام و... الحال أنّ بعض هؤلاء الستّة لا يملك الكفاءة التي تؤهّله لاستلام المنصب مثل عثمان بن عفّان ـ بل تاريخه وقتله وسياسته .. تشهد بذلك ـ وبعضهم كان يبحث عن نفسه وموقعه فيحاول أن يُسجِّل لنفسه حضوراً مثل الزبير وطلحة الذَين أبديا خباثتهما فيما بعد عندما حاربا عليّاً عليه السلام ، وهكذا

---

(١) الكامل ج ٢ ص ٤٦١، وشرح النهج ج ١ ص ١٩١، دار إحياء الكتب العربية.

ألغىٰ عمر بقيّة الأصحاب الأجلّاء من المشاركة في هذا المجلس كالعبّاس وابنه حبر الأمّة وأفاضل بني هاشم والمهاجرين والأنصار، فأيّ شورىٰ هذه؟ وأين تجد لها نظيراً في عالم الأديان أو القوانين الوضعية؟

ثالثاً: ومن التناقضات أنّ عمر قال إنّ رسول الله ﷺ مات وهو راض عن هؤلاء الستّة ثمّ قال: إنّ رسول الله ﷺ مات وهو غاضب على طلحة!! وهو أحد هؤلاء الستّة، فما هي حقيقة الحال؟ مع علمنا وقطعنا ويقيننا أنّ النبيّ ﷺ لا يفعل المتناقضات، فمن أين هذا التناقض؟[١]

رابعاً: ثمّ إنّ عمر قال: إنّ رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عن الستّة ثمّ هو ـ عمر ـ عاب هؤلاء الستّة كلّهم!، فإذا كانوا في نظره أصحاب عيوب كيف أجاز لنفسه أن يحدّدهم دون سواهم؟

خامساً: هذا وقد أجمع المسلمون أنّ عليّاً أفقه الناس وأعلمهم وأشدّهم إيماناً وورعاً وبطولة... ومع ذلك كلّه كان عمر يتمنّى لو أنّ أبا عبيدة حاضر لولّاه الأمر!! أو سالم مولىٰ حذيفة، فما هي سوابق أبي عبيدة إذا قيست مع الإمام عليّ عليه السلام؟ لماذا هذا الإصرار على بعض الرجال دون الأكفاء، وإذا عيّن الأكفّاء أشرك معهم من هم أدون منهم[٢].

---

(١) راجع شرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٨٦، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) وهناك إشكال آخر على الشورى العمرية ذكره المؤلّف في كتابه ليالي بيشاور ص٨٨٣ قال:

ونتساءل: بأيّ ملاك وعلى أيّ استناد شرعي وعرفي وعقلي ونظري يكون رأي ابن عوف مقدّماً على رأي الآخرين وأصوب؟

ـ وذلك لأنّ عمر أعطى لعبد الرحمن بن عوف صوتين دون البقيّة ـ

وكيف يكون رأي الثلاثة الذين فيهم ابن عوف نافذاً والثلاثة الأخرى إن لم توافق

←

اعتراض أحد الحاضرين: ما هو المانع أن يتمنّى الخليفة حضور أحد الرجال الأكفّاء؟

الجواب: إنّنا لا ننقد أصل الأمنية ولكن نقول مع وجود أعدال القرآن وهم أهل البيت وأبرزهم الإمام عليّ عليه السلام، وهكذا وجود أكابر الصحابة الذين هم أفضل من أبي عبيدة بمرّات ومرّات وفي مختلف المستويات، لماذا مع كلّ ذلك يصرّ الخليفة على تقديم أبي عبيدة ويتمنّىٰ وجوده؟ ويسعى لأن يقدّمه فيما لو كان حيّاً على مَن هم أفضل منه وكان يفرض خلافته على المسلمين بالقوّة كما نال الخلافة من هو قبله وكما نالها هو.

سؤال أحد الحاضرين: مَن تعتقد أفضل من أبي عبيدة ومن بقيّة الصحابة ولديه الكفاءة لهذا المنصب؟

الجواب: إنّه إمام المتّقين ويعسوب المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذلك[1]، إنّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

اعتراض أحد الحاضرين: ألا يُحتمل أنّ أبا عبيدة كان في نظر الخليفة أفضل من عليّ عليه السلام؟

الجواب: إنّ عمر كان علىٰ علم تامّ بلياقة وكفاءة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأنّه أفضل الأصحاب على الإطلاق فضلاً عن أبي عبيدة وقد صرّح عمر بذلك

← فمصيرهم القتل والإعدام!

ومن دواعي التعجّب والاستغراب تقديم رأي عبد الرحمن بن عوف على رأي أبي الحسن عليّ عليه السلام في مثل هذا الأمر مع روايتهم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ...

..كلّ عاقل منصف له أدنى إلمام بأمور الدولة والسياسة يعرف سريرة عمر وغرضه من هذا الأمر وهو الإطاحة بعليّ عليه السلام وخذلانه... / المترجم.

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٣ ص١٤٨ رقم ٤٦٦٨ / المترجم.

في غير مرّة وأخيرها في نفس مرض موته حينما قال: «قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأُولّي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ وأشار إلى عليّ».

ومضافاً إلى هذا التصريح فأنا أسألكم هذا السؤال:

أيّهما مقدّم في تشخيص وتحديد الأفضل والأحسن والأكفأ من الأصحاب هل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أم عمر بن الخطّاب؟

الجواب: لا شكّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو المقدّم، بل هو الأولى من جميع الجهات، فإذا كان هذا هو الجواب المتعيّن فنقول: لماذا ترك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أبا عبيدة وأبا بكر وعمر وآخرين، واستخلف على الأمّة عليّ بن أبي طالب؟

فهل نقدّم اختيار وانتخاب عمر، أم نقدّم ما اختاره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ إذن الشقّ الثاني هو المتعيّن قطعاً فيكون عليّ عليه السلام هو الأولى من غيره بالخلافة.

سؤال أحد الحاضرين: أين ومتى استخلف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام اذكر لنا أدلّة ذلك؟

الجواب: مثلاً أذكر لكم هذا الدليل، في غزوة تبوك عندما أراد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يتحرّك مع الجيش الإسلامي إلى تبوك صوب الشام جعل عليّاً عليه السلام على المدينة المنوّرة واستخلفه فيها ـ وهي الغزوة الوحيدة التي لم يشترك فيها الإمام عليّ ـ.

اعتراض أحد الحاضرين: يُحتمل أن يكون هذا الاستخلاف ناتج عن عدم الاحتياج إلى وجود الإمام علي في تبوك لوجود أبي عبيدة وأبي بكر وعمر وعثمان و... الخ، فمع وجود هؤلاء لا حاجة إلى وجود الإمام عليّ عليه السلام ولهذا تركه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة وجعله والياً ونائباً عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

الجواب: أوّلاً عليكم أن تعرفوا أنّ النتائج التامّة والموافقة للحقيقة والواقع لا يمكن أن تُبنىٰ على الاحتمالات والفروض غير الواقعية.

وثانياً: أجمع المسلمون أنّ الحاجة إلى الإمام عليّ عليه السلام في الحروب ملحّة جدّاً فهو السبب الكبير في انتصار المسلمين في بدر الكبرىٰ، وكذا في غزوة أُحُد وخيبر وحنين مع وجود كلّ الصحابة لاسيّما مَن ذكرتم، إذ لم يثبت في بعض هذه الغزوات إلّا عليّاً عليه السلام وكانت الفتوح تتمّ على يديه، حتّى نادىٰ جبرئيل بين السماء والأرض في غزوة بدر الكبرى «لا فتىٰ إلّا عليّ ولا سيف إلّا ذو الفقار»[1].

وقد ذكر المؤرّخون عامّة أنّ عليّاً عليه السلام كان أرمد في فتح خيبر فبعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر فعاد منهزماً ثمّ بعث عمر فعاد منهزماً فقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال: لأعطينّ الراية غداً رجلاً كرّاراً غير فرّار يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله.

فدفع الراية لعليّ وكان أرمد فبصق في عينيه فشفي وفتح الحصن بعدما قتل عظماء وأبطال اليهود أمثال مرحب والحارث وعلقمة وهشام..[2] وقد دوّن

---

(١) المناقب للخوارزمي ص١٠٣ وكفاية الطالب باب ٦٩ ص٢٧٧.

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير في باب دعاء النبيّ ج٢ ص١٠٠ ط مصر عام ١٣٢٠هـ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣ وصحيح مسلم ج٢ ص٣٢٤ ط مصر عام ١٣٢٧هـ والنسائي في الخصائص والترمذي في السنن ج٥ ص٣٠١ والإصابة ج٢ ص٥٠٨ ومحدّث الشام في تاريخه وابن حنبل في مسنده وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٥ وتذكرة الخواص ص٢٤ وكفاية الطالب الباب ١٤ ومطالب السؤول وحلية الأولياء والطبراني في الأوسط والراغب الاصفهاني ج٢ من المحاضرات ص٢١٢ وينابيع المودّة باب ٦، هذه المصادر ذكرها المؤلّف.

وإليك مصادر أُخرى:

الصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوي أخرجه عن أحمد في الفضائل ج٢

←

الشعراء هذه البطولة في أشعارهم التي ذكر بعضها ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة والشافعي في كفاية الطالب عن حسّان بن ثابت قال حينها:

وكان عليّ أرمد العين يبتغي ... دواء فلمّا لم يحسّ مداويا

شفاه رسول الله منه بتفلة ... فبورك مرقيّاً وبورك راقيا

وقال سأعطي الراية اليوم فارساً ... كميا شجاعاً في الحروب محاميا

يحبّ الإله والإله يحبّه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا

فخصّ بها دون البريّة كلّها ... عليّاً وسمّاه الوصيّ المؤاخيا[1]

وجاء القرآن الكريم مشيراً إلى دور عليعليه السلام في غزوة الأحزاب بقوله تعالى: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويّاً عزيزاً﴾[2] فقد ذكر السيوطي في تفسيره والكنجي الشافعي في الكفاية والشيخ سليمان في الينابيع مسنداً عن عبدالله بن مسعود ـ وهو أحد كُتّاب الوحي ـ كان يقرأ هذه الآية هكذا: وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ بن أبي طالب[3] وكانت المناسبة هي غزوة الخندق عندما

← ص٣٨٤ والنسائي في الخصائص والقطيعي في زيادات الفضائل رقم ١٠٤٤ والطيالسي ومسلم رقم ٢٤٠٥ والبخاري رقم ٣٧٠٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ومسند أحمد ج١ ص ١٦٠ رقم ٧٨٠ ومعجم الطبراني الكبير ج١ ص١٠٦ رقم ١٧٣ ومصابيح السنّة للبغوي ج١ ص٥١٦ والصواعق المحرقة ج٢ ص ٣٥٤ مؤسّسة الرسالة بيروت ومجمع البحرين في الزوائد ج٣ وكتاب السنّة للشيباني ص٥٨٩ وص٥٩٤ وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص٦٢٥ والاستيعاب ج٣... وتاريخ الخلفاء للسيوطي ـ الأحاديث الواردة في فضل عليّ ـ وزاد المعاد ج٢ ص١٤٩، وفضائل الصحابة لأحمد ج٢ ص ٥٨٤ وص٥٩٣ وص٦٠٢ وص٦٠٤ وص ٦١١ وص٦١٧ وص٦١٨.

(١) الفصول المهمّة ص ٢١ نقله عن الصحاح الستّة، وكفاية الطالب ص٣٨ باب ١٤.

(٢) الأحزاب: ٢٥.

(٣) الدرّ المنثور ج٥ ص١٩٢ وكفاية الطالب باب ٦٢ وقال: ذكره غير واحد من

نادىٰ عمرو بن عبد ود العامري في المسلمين ألا من مبارز؟ فلم يجبه أحد سوى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكان لا يجسر على مبارزته أحد فكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ينادي: مَن لهذا الكلب؟ ولا يجيبه أحد إلّا عليّاً عليه السلام، ثمّ قام إليه وعمّمه بعمامته وقال: برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه، وقال: ربِّ لا تذرني فرداً اللّهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه.

فتقدّم عليّ إلى عمرو وقتله وأتىٰ برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: أبشر يا عليّ فلو وزن اليوم عملك بعمل أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لرجح عملك بعملهم[1] فنزلت آية ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾.

وقد عمّم القرآن هذه النصرة بشكل عام من قِبل الإمام عليّ للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى: ﴿هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين﴾[2].

فقد ذكر السيوطي والكنجي الشافعي مسنداً وأيضاً عن تفسير ابن جرير وتاريخ ابن عساكر في ترجمته للإمام عليّ عليه السلام والشيخ سليمان في ينابيع المودّة عن أبي هريرة وابن عبّاس ونقلاً عن الحافظ أبي نعيم بسنده عن ابن عبّاس وأبي هريرة كلّهم ذكروا حول هذه الآية أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: رأيت مكتوباً على العرش لا إله إلّا الله وحده لا شريك له محمّد عبدي ورسولي أيّدته ونصرته بعليّ بن أبي طالب[3].

← أصحاب التفاسير والسير وهذا سياق ابن عساكر في تاريخه، وينابيع المودّة ص ٩٤ باب ٢٣.

(١) كنز العمّال ج ١١ رقم ٣٣٠٣٥.

(٢) الأنفال: ٦٢.

(٣) الدرّ المنثور ج ٣ ص ١٩٩ وكفاية الطالب باب ٦٢ وينابيع المودّة باب ٢٣ ط اسلامبول ونظم درر السمطين القسم ٢ من السمط الأوّل ومختصر المحاسن ←

إذن يتّضح لكم من هذه الشواهد القليلة أنّ الحاجة إلى وجود الإمام عليّ عليه السلام في كلّ غزوة مهمّة جدّاً وأنّ وجود الكمّ الهائل من الصحابة والمسلمين لا يسدّ الخلل، وهذا الاحتياج ناتج على أثر كمالاته الفائقة على غيره مجموعاً وأفراداً.

حديث المنزلة

من الأدلّة الواضحة على خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام هو حديث المنزلة الذي قاله صلى الله عليه وآله وسلم عندما استخلف الإمام علياً عليه السلام على المدينة فتكلّم المنافقون في ذلك فجاء الإمام عليّ عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسأله عن سبب إبقائه في المدينة ـ وذلك لكي تنتهي تخرّصات أهل النفاق ـ حينها قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي[1].

← المجتمعة للصفوري ص١٦٧ وكنز العمّال ج١١ ص٦٢٤ وعزاه للطبراني في الكبير / المترجم.

(١) أجمع الشيعة على تواتر هذا الحديث وهكذا تواتر من طرق أهل السنّة فقد ذكره البخاري في صحيحه ج٧ ص١٢٠ في كتاب المغازي باب غزوة تبوك وذكره في كتاب بدء الخلق في مناقب عليّ، وصحيح مسلم ص٢٣٦ ج٢ ط مصر عام ١٢٩٠هـ وفي فضائل علي، وأحمد بن حنبل في مسنده ج١ ص١٦٠ رقم ٧٨٠ وكنز العمّال ج١١ رقم ٣٢٩٣١ ورقم ٣٢٨٨١ والنسائي في الخصائص، والإصابة ج٢ ص٥٠٧ والصواعق المحرقة ج٢ ص٣٥٤ ط مؤسسة الرسالة، والمستدرك للحاكم ج٣ رقم ٤٦٥٢ ص١٤٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطي فصل الأحاديث الواردة في فضل عليّ، والعقد الفريد ج٢ ص١٩٤، والاستيعاب ج٣ ص٢٠١ دار الكتب العلمية وطبقات ابن سعد والفخر الرازي في تفسيره والطبري في تاريخه ج٢ ص١٨٣ أحداث

←

← غزوة تبوك وسنن الترمذي ج٥ ص٣٠١ وتاريخ بغداد والمناقب لابن المغازلي وأسد الغابة ج٤ ص٢٦ ط مصر، وابن كثير الدمشقي في التاريخ وعلاء الدولة السمناني في العروة الوثقىٰ، والخطيب الخوارزمي في المناقب ص٧٩ وجامع الأصول للشيباني وتهذيب التهذيب ونور الأبصار للشبلنجي ص٦٨ ومطالب السؤول ص٧ ومودّة القربىٰ في المودة ٧ وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة ص٢٣ وص١٢٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٦ وص١٤٨ ومروج الذهب ج٢ ص٤٩ والمحاضرات للاصفهاني ج٢ ص٤١٢ والرياض النضرة ج٢ ص١٦٢ والزرقاني في المواهب ج٣ ص٦٩ والحافظ الهيتي في مجمع الزوائد ج٩ ص١١١ والكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص٢٨ وينابيع المودّة باب ٦ و٩ و١٧ ذكر فيها ١٨ خبر عن الصحاح، والسيوطي في رسالة الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة فقد صرّح بتواتره وقال عنه الحافظ الكنجي في الكفاية: هذا حديث متّفق على صحّته رواه الأئمّة الأعلام الحفظة كأبي عبدالله البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه وأبي داود في سننه والترمذي في جامعه والنسائي في سننه وابن ماجه في سننه واتّفق الجميع على صحّته حتّى صار ذلك إجماعاً منهم، وقال الحاكم النيشابوري هذا حديث دخل في حدّ التواتر.

والملفت للنظر أنّ المتّقي الهندي ذكره في الكنز ج٦ ص٣٩٥ وابن الصبّاغ في الفصول المهمّة ص١٢٦ نقلاً عن الخصائص الكبرى وإمام الحرم في ذخائر العقبى وابن أبي الحديد المعتزلي في الشرح ج٣ ص٢٥٨ من نقض العثمانية والسمرقندي الحنفي في المجالس والذهبي في الرياض النضرة والبلخي الحنفي في ينابيع المودّة بعبارات متفاوتة وألفاظ مختلفة عن ابن عبّاس عن عمر بن الخطّاب نفسه قال: كفّوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول في عليّ ثلاث خصال* لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبُّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت وأبو بكر وأبو عبيدة ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ والنبيّ متّكئ علىٰ عليّ عليه السلام

←

فقد نصّ الحديث على مساواة موقع الإمام عليّ عليه السلام مع موقع ومنصب النبيّ هارون عليه السلام حتّىٰ تمنّى الخليفة عمر وغيره[١] أن تكون إحدىٰ هذه الخصال الثلاثة فيه وهي عنده أفضل ممّا طلعت عليه الشمس أي أفضل من الدنيا وما فيها.

إذن مع وجود هذا الرجل العظيم الذي هو بمقام هارون النبيّ عليه السلام لماذا أعرض عنه عمر وتمنّىٰ وجود أبي عبيدة مع الإجماع التامّ لدى كلّ المسلمين أنّ أبا عبيدة لم يكن بمقام هارون؟

بل لماذا يغالط عمر بن الخطّاب نفسه ويقول: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال عن أبي عبيدة انّه أمين هذه الأمّة، فعلىٰ فرض صحّة هذا القول يكون أبو عبيدة حائزاً على مقام وخصلة واحدة بينما حاز أمير المؤمنين عليه السلام كلّ الكمالات النفسيّة والصفات الملكوتيّة ومع ذلك يعرض عنه عمر، بل يجعله بمساواة من هم دونه بكثير، أي انّه جعل هارون النبي بمنزلة عبد الرحمن وسعد وعثمان.. فأيّ منصف يقبل هذا؟

بل إنّه ـ عمر ـ جعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الأكرم بمنزلة عثمان وسعد وعبد الرحمن و... وذلك لأنّ عليّاً نفس محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بدليل آية المباهلة ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ فعليّ نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكان عمر يعلم ذلك جيّداً[٢].

أيمكن بعد كلّ هذا أن تقولوا: إنّ عمر لم تكن عنده أي خطّة ولم يقصد

← حتّى ضرب على منكبه ثمّ قال: أنت يا علي أوّل المؤمنين إيماناً وأوّلهم إسلاماً، ثمّ قال: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك.

(١) وهو سعد ابن أبي وقّاص / انظر سنن الترمذي ج٥ ص٣٠١ وسنن ابن ماجه ج١ ص٤٥ / المترجم.

(٢) الدر المنثور للسيوطي في تفسير آية المباهلة (٦١).

إزاحة الإمام عليّ عليه السلام؟ أبداً لا يمكن لأيّ منصف عاقل أن يدّعي ذلك، فانصفوا أيّها المنصفون.

سادساً: وأيضاً تمنّىٰ عمر بن الخطّاب فيما لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لاستخلفه على المسلمين حيث قال: لو كان سالم حيّاً ما جعلتها شورىٰ[1].

وعجيب كيف يناقض عمر نفسه، فإنّه قال في السقيفة أنّه سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الخلافة في قريش لأنّهم أولىٰ بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وفي مرض موته تمنّى أن يجعلها في سالم، مع أنّ سالم كان من أهل فارس!! كما ذكره في الاستيعاب وأُسد الغابة وغيرهما، وقد قُتل في معركة اليمامة.

إذن إمّا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل إنّ الخلافة في قريش كما زعم عمر، وإمّا أنّه قال ولكن عمر يحبّ أن يخالف، إذ الأمر منحصر في هذين الفرضين.

مع أنّا لا نجد لسالم هذا، ما لعليّ بن أبي طالب وما لعمّار وما لأبي ذرّ وما لسلمان وما لكبار الصحابة، فأين موقعه من هؤلاء الكبار؟ وما هي مواقفه؟ حتّى يتجاوز عمر بن الخطّاب كلّ هذا الكمّ الهائل من فطاحل الأُمّة ليتمنّىٰ وجود عبد محرّر لأبي حذيفة.

ولقد روي عن عمر نفسه فقط!! أنّه قال: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً استخلفته فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول إنّ سالماً شديد الحبّ لله[2].

وكأنّه يريد أن يقول إنّ ملاك الاستخلاف هو حبّ الله، وعلى مثل هذا القول ترد عدّة نقوض علىٰ عمر:

أ ـ انّ هذا القول أعمّ من قول عمر يوم السقيفة الأئمّة من قريش. فإذا أردنا أن نعتبر الأخير مخصّصاً لهذا العام أيضاً لا يحقّ لعمر استخلاف سالم حسب

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٠، دار إحياء الكتب العربية، والكامل ج ٢ ص ٤٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٠، دار إحياء الكتب العربية.

القواعد الأصولية.

ب ـ وإذا كان الملاك في الخلافة هو الحبّ فقد أجمع المسلمون على أنّ عليّاً عليه السلام هو الإنسان الوحيد الذي صرّح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله بشكل متواتر لا يختلف عليه أحد، بينما ما روي في سالم لم يروه إلّا عمر، وبالتالي فيُقدّم التواتر على خبر الآحاد كما لا يخفىٰ.

سؤال أحد الحاضرين: ما المانع أن يكون سالم محبّاً لله تعالى والإمام عليّ عليه السلام محبّاً لله تعالىٰ ولكن الخليفة رأى مصلحة في تقديم سالم على الإمام عليّ عليه السلام؟

الجواب: أعتقد أنّك لم تكن ملتفتاً إلى ما قلته قبل قليل:

أوّلاً: قلت إنّ البخاري وغيره ذكروا أنّ عمر قال في السقيفة أنّه سمع من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: الأئمّة من قريش، وعليه فلا تجوز خلافة غير القرشي، وسالم رجل أعجمي من بلاد فارس فكيف أراد الخليفة عمر استخلافه لو كان حيّاً؟!

ثانياً: وقلت أيضاً على فرض ثبوت ما روي عن طريق عمر أنّ سالماً شديد الحبّ لله تعالى، أنّ هذا خبر واحد ولأجله أراد عمر استخلافه، بينما يملك أمير المؤمنين العشرات من الأحاديث المتواترة لفظاً وعشرات من المتواتر إجمالاً ومئات من الأحاديث المتواتر معنىً[1]، مع العشرات من الآيات القرآنية التي

---

(١) في سبب هذه الكثرة من الأحاديث النبوية في خصوص أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول السمهودي موضّحاً: والسبب في ذلك أنّ الله تعالى أطلع نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ ما يكون بعده ممّا أُبتلي به عليّ عليه السلام عنه وما وقع من الاختلاف لمّا آل إليه أمر الخلافة فاقتضىٰ ذلك نصح الأُمّة بإشهاده لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسّك به ممّن

←

تشيد بمنزلته، فكيف اكتفىٰ عمر بحديث واحد لسالم وترك جانب الإمام عليعليه السلام مع كلّ هذا الرصيد القرآني والنبوي؟

إنّ أهل التحقيق والإنصاف يقفون حيارى أمام هذه التصرّفات بلا شك.

سؤال أحد الحاضرين: لو كان هذا الرجل العظيم حاضراً في موت عمر لما استثناه عمر وتمنّىٰ وجود غيره، بل لاستخلفه على الأمّة.

الجواب: مع شديد الأسف أنّ هذا الرجل العظيم كان إلى جانب عمر في مرضه ولم يغب عن الساحة الإسلامية أبداً.

سؤال أحد الحاضرين: إنّ هذا الأمر عجيب.. كيف يصرف الخليفة نظره عن هذا الرجل العظيم ويتمنّىٰ من هو أدون منه؟! فياحبذا أن تعرّف لنا الشخص من خلال ذكر كلّ الكمالات الروحية والبدنية لهذا الرجل العظيم ـ عليّعليه السلام ـ؟

حديث الغدير

الجواب: أنا أقلّ بكثير من أن أذكر لكم جميع كمالات مولاي أمير المؤمنينعليه السلام أو أن أُعرّفه لكم، إذ يلزم أن يكون المعرِّف أجلى من المُعرَّف، والحال إنّ هذا مستحيل مع أمير المؤمنينعليه السلام لأنّه أوضح الواضحات وهو كالشمس في رابعة النهار.

فقد نزلت فيه ثلاثمائة آية من خلالها يمكن معرفته[1] وأيضاً عرّفه رسول

→ بلغته / انظر نور الأبصار للشبلنجي ص٩١ نقلاً عن جواهر العقدين للسمهودي / المترجم.

(١) كفاية الطالب باب ٦٢ ص١٠٨ عن فقيه الحرمين وعن أكابر علماء أهل السنّة كقاضي القضاة يحيى ابن قاضي القضاة أبي المعالي وإسماعيل بن محمّد بن ←

اللهﷺ بكثير من الأحاديث والذي منها قوله ﷺ لعليّ: إمام المتّقين ويعسوب المسلمين وأمير المؤمنين[١].

وكذلك نزلت آية البلاغ كأبرز مورد يمكن من خلالها معرفة الإمام عليّ عليه السلام ففي يوم ١٨ ذي الحجّة في عام حجّة الوداع نزل جبرئيل بقوله: ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك فإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[٢].

فقام رسول اللهﷺ في غدير خم وخطب خطبة طويلة وقال في نهايتها: معاشر الناس ألستُ أولىٰ بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلىٰ، قال: مَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه[٣].

← عبدالرحمن المدائني ومحدّث الشام في تاريخه عن ابن عبّاس قال: نزلت في علي بن أبي طالب ثلاثمائة آية...

(١) مرّ مصدره.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) الطبري أبو جعفر في كتاب الولاية والسيوطي في الدرّ المنثور، ج٢ ص٢٥٩ والحافظ بن أبي حاتم الرازي في تفسيره الغدير، والحافظ أبو سعيد السجستاني في كتاب الولاية والقاضي الشوكاني في فتح القدير ج٣ص٥٨ وبدر الدين الحنفي في عمدة القارئ ج٨ ص٥٨٤ والحافظ أبو عبدالله المحاملي في الأمالي وسيّد جمال الدين الشيرازي في الأربعين وأبو نعيم الاصفهاني فيما نزل من القرآن في عليّ، والحافظ أبو بكر الشيرازي في نزول القرآن في أمير المؤمنين، والثعلبي في تفسير كشف البيان والرازي في مفاتيح الغيب ج ٣٠ ص٦٣٦، والحافظ ابن مردويه في تفسير الآية والحافظ أبو القاسم الحسكاني في شواهد التنزيل وأبو الفتح النطنزي في خصائص العلوي وإبراهيم بن محمّد الحمويني في فرائد السمطين والآلوسي في تفسيره روح المعاني ج٢ ص٣٤٨ ومعين الدين الميبدي في شرح ←

إذن فهذا أقوى الأدلّة والملاكات التي يستحقّ بها أمير المؤمنين منصب الخلافة بعد أن نصّبه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وليّاً وقائماً بأمور المسلمين إلّا أنّهم تنكّروا له ولخلافته، فالذي لديه مثل هذه اللياقات السياسيّة والدينيّة المتقدّمة على كلّ المسلمين أترى أنّ عمر يوم تجاوزه وذَكَرَ سالماً وهو لا يعلم بمثل مقامه عليه السلام؟ كلّا وألف كلّا، بل كان عمر يعرف ذلك جيّداً، وبالمقابل يعرف أنّ سالماً لا حيثيّة له أمام عليّ عليه السلام، ومع كلّ ذلك يجازف الخليفة ويتمنّىٰ وجود سالم!!

علي أفضل الصحابة مطلقاً

لقد ذكر مير سيّد علي الهمداني الشافعي في مودّة القربىٰ في المودّة السابعة

← الديوان ونظام الدين النيشابوري في تفسيره ج٦ ص ١٧٠ والواحدي في أسباب النزول ص ١٥٠ وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة ص٢٧ والشافعي في مطالب السؤول ص١٦ والهمداني في مودّة القربى المودّة الخامسة، والشيخ سليمان البلخي في ينابيع المودّة باب ٣٩ والقاضي روزبهان مع عناده ومجادلته في الحقّ إلّا أنّه أقرّ بالحديث حيث قال: فقد ثبت هذا في الصحاح. / المؤلّف

ولتعميم الفائده إليك هذه الواقعة:

في تفسير القرطبي في سورة «سأل سائل» أنّ الحارث بن النعمان لمّا قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: مَن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللّهمّ والِ من والاه... قال: يا محمّد أمرتنا بالشهادتين عن الله تعالى فقبلنا منك وأمرتنا عن الله بالصلوات الخمس فقبلنا منك وذكر الحجّ والزكاة ثمّ لم ترض حتّىٰ فضّلت علينا عليّاً! آلله هذا قلته من عند الله أم من عندك؟ قال: والله الذي لا إله إلّا هو أنّه من عند الله، فولّى الحارث وهو يقول: اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من عندك فوقع عليه حجر من السماء فقتله / تفسير القرطبي ج٧ ص٣٨٦ ومختصر المحاسن المجتمعة ص١٦٨ دار ابن كثير ونور الأبصار للشبلنجي ص ٨٧ ـ ٨٨ وفرائد السمطين ج١ باب ١٥ / المترجم.

عن أحمد بن الكرزي البغدادي ينقل أنّه سمع عبدالله بن أحمد بن حنبل انّه يقول: قلت لأبي: أيّ الصحابة أفضل أبو بكر أم عمر أم عثمان وسكتُ ثمّ قلت: يا أبت أين عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: هو من أهل البيت لايُقاس به هؤلاء[1].

ويكمن السرّ في عدم جواز مقايسة الإمام عليّ عليه السلام بالصحابة هو أنّه نفس محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كما مرّ عليكم في آية المباهلة.

ومن الجدير ذكره أنّ صاحب المودّة ذكر فيه ضمن المودّة (٧٠) عن أبي وائل عن عبدالله بن عمر بن الخطّاب قال: لمّا كنّا في ذكر الصحابة فقلنا أبو بكر وعمر وعثمان، فقال رجل: يا أبا عبدالرحمن فعليّ عليه السلام ما هو؟ قال: عليّ من أهل البيت لا يقاس به أحد، وهو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في درجته.

سؤال أحد الحاضرين: نرجو منك أن تذكر لنا بعض فضائل الإمام عليّ عليه السلام لكي نطابقها مع ما قاله عمر عن النبيّ (إنّ سالم شديد الحبّ لله) لكي نخرج بنتيجة.

الجواب: اتّفق الفريقان على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صرّح مراراً وتكراراً بكون الإمام عليّ صلى الله عليه وآله وسلم أحبّ الخلق بعده صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله تعالى فمن هذه التصريحات الواضحة أذكر لكم هذين الشاهدين:

حديث الطائر المشوي

حديث الطائر المشوي روي من الفريقين وبطرق مختلفة، فقد روي عن أنس بن مالك وسفينة مولىٰ رسول الله وعبدالله بن عبّاس..

---

(١) جاء في ذخائر العقبىٰ ص١٧ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد» ومثله في فردوس الأخبار للديلمي ص٣٧٣ رقم ٧٠٩٤، وكنز العمّال ج١٢ ص١٠٤ رقم ٣٤٢٠١ / المترجم.

أنّ أُمّ أيمن قدَّمت إلى رسول الله ﷺ طائراً مشوياً ليأكله وقبل أن يأكله النبيّ ﷺ قال داعياً وقد رفع يديه: **اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليّ وإليك حتّى يأكل معي من هذا الطير فجاء علي فأكل معه.**

وعلى رواية الحافظ النيشابوري وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة والكنجي الشافعي في الكفاية والحاكم النيشابوري ج ٣٠ ص١٣٢ في المستدرك[1] والذهبي في تلخيص المستدرك وآخرين كلّهم ذكروا الحديث بهذا النحو:

... فقال النبيّ ﷺ: اللّهمّ ائتني بأحبّ الخلق إليك ليأكل معي هذا الطير فحضر علي ثلاثاً وأنس يردّه، بأنّ رسول الله ﷺ في حاجة فصاح النبيّ ﷺ قائلاً: أدخل يا علي فلمّا دخل قال: ما أبطأك يا عليّ؟ قال: هذه ثالثة يردّني أنّ رسول الله في حاجة فقال: ما حملك على ما فعلت يا أنس؟ قال: سمعت دعاءك فأحببت أن يحضر رجل من الأنصار...[2].

---

(١) وفي الطبعة الحديثة ج٣ ص١٤٢ رقم ٤٦٥١.

(٢) سنن الترمذي ج٥ ص٢٩٦ وتذكرة الخواص ص٣٩ ومناقب الخوارزمي ص٥٩ ومسند أحمد في فضائل علي وتاريخ المسعودي ج٢ ص٤٩ والحاكم النيشابوري في المستدرك ج٣ ص١٤٢ رقم ٤٦٥١ والذهبي في تلخيص المستدرك والخصائص للنسائي وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة ص٢١ وينابيع المودّة باب ٨ نقله عن سنن أبي داود والترمذي عن سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ وأنس بن مالك وابن عبّاس إلى أن قال: وحديث الطير حديث مشهور مروي بـ (٢٤) طريقاً عن أنس وقد أفرد الحافظ ابن عقدة ومحمد بن جرير الطبري كلّ واحد منهما كتاباً خاصّاً عن تواتر أسانيد هذا الحديث وكذلك الحافظ أبو نعيم الاصفهاني له كتاب مفصّل عن حديث الطير. وكفاية الطالب باب ٣٣ بعد أن ذكر

←

حديث الراية

وهذا هو الشاهد الثاني الدالّ بوضوح أنّ أحبّ الناس إلى الله تعالى هو الإمام عليّ عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد ذكر الفريقان في أحداث خيبر أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أعطى الراية لأبي بكر فعاد دون أن يفتح خيبر وهكذا أرسل صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن الخطّاب فعاد فارّاً، ثمّ قال: لأعطين الراية غداً رجلاً كرّاراً غير فرّار يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، فتمنّىٰ كلّ واحد أن يكون هو، فأعطاها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وفتح خيبر بعد أن قتل أبطال اليهود[1].

فبعد هذين الشاهدين يتّضح لكم أنّ علياً عليه السلام أحبّ الناس إلى الله تعالى، ولم يصرّح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمثل هذه الأحاديث عن أبي عبيدة أو سالم أو غيرهما،

← الحديث بعدّة طرق، قال: رواه المحاملي في الجزء التاسع من أماليه كما أخرجناه سواء، وفيه دلالة واضحة على أنّ علياً أحبّ الخلق إلى الله وأدلّ الدلالة على ذلك إجابة دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيما دعا به، انتهى.

أقول: هذه المصادر ذكرها المؤلّف رحمه الله وإليك بقيّة مصادر هذا الحديث:

كنز العمّال ج٦ ص٤٠٦ وذخائر العقبىٰ ص ٦١ وأُسد الغابة ج ٤ ص ٣٠ والرياض النضرة ج٢ ص ١٦٠ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٥ وحلية الأولياء ج٦ ص ٣٣٩ وتاريخ بغداد ج٣ ص ١٧١ ونظم درر السمطين القسم الثاني من السمط الأوّل ص١٠١ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٥٦٠ ط السعودية ومعجم الطبراني الكبير ج١ ص٢٥٣ رقم ٧٣٠ ومصابيح السنّة للبغوي ج١ ص٥١٦ ومجمع البحرين للهيثمي ج٣ وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص٦٣٣ ط دار النشر العربي وغيرها / المترجم.

(١) مرّ مصدره.

وحتّى لو فرضنا جدلاً أنّ ما قاله عمر عن أبي عبيدة وسالم كان صحيحاً ولكن يبقى عليٌّ أحبّ الناس إلى الله منهما فلماذا تجاوزه عمر ولماذا تمنّىٰ مَن هو دونه في الرتبة والإيمان والحبّ؟ فاقضوا أيّها المنصفون؟

لاسيّما مع ما روته عائشة حيث قالت: ما خلق الله خلقاً كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عليّ بن أبي طالب.

وقد علّق الحافظ الگنجي بعد هذا الحديث قال: هذا حديث حسن رواه ابن جرير في مناقبه وأخرجه ابن عساكر في ترجمته[1].

إذن عليّ عليه السلام هو الفرد الكامل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو المحبوب عند الله ورسوله أفلا يكفي هذا القرب المعنوي الفائق الذي حازه علي عليه السلام في أن يقدّمه عمر بن الخطّاب على جميع الصحابة، ما دام قد قدّمه الله ورسوله على الناس؟

والعجب من عمر عندما يأسف ويحزن على عدم وجود سالم وأبي عبيدة مع جلوس الإمام عليّ عليه السلام إلى جانبه، أفلا يدعوكم ذلك إلى التأمّل في مثل هذه الأمور التي تدعو كلّ عاقل إلى إعادة النظر في أهداف عمر بن الخطّاب.

وقد حاول بعض علماء أهل السنّة أن يدافع عن عمر بن الخطّاب وأن يجد له عذراً فقال: إنّ الخليفة اجتهد في هذه المسألة واجتهاده أوصله إلى ذلك. ولكن كلّ عاقل يدرك أنّ القضية لا ربط لها بالاجتهاد، وأنها حتّى لو كانت من هذا القبيل فإنّه اجتهاد في مقابل النصّ، وهو باطل.

وثانياً: إنّ اتّصال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعالم الملكوت والوحي والعصمة واضح فيكون اتّباعه أولىٰ من اتّباع اجتهادات عمر وأبي بكر، وقد مرّت عليكم أحاديثه صلى الله عليه وآله وسلم في فضل عليّ عليه السلام لاسيّما ما مرَّ عليكم من حديث المنزلة، فإنّه مع وجود كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار حتّى أبي بكر وعمر وعثمان

---

(١) كفاية الطالب باب ٩١، ومطالب السؤول، ج ١، ص٧٣، ط: أم القرى ١٤٢٠ هـ.

وأبي عبيدة و... لم يجعل أحداً منهم بمقام هارون كما جعل هذا المنصب لعليّ في حديث المنزلة إشارة منه إلى لياقته وكفاءته في الخلافة، بينما نجد عمر يتجاوز هذا الرجل العظيم ويرغب في سالم وأبي عبيدة وكان قد جرى في فكره أنّهما أفضل رجال الأمّة على الإطلاق إذ لو كان أحدهما موجوداً لما جعلها شورىٰ، متجاوزاً في ذلك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الذي له ما له من الفضائل والمقامات.

فعليكم أن تفكّروا وتسألوا أنفسكم هذا السؤال: لمن نتّبع، هل نتّبع مَن أجاد به الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عليّ عليه السلام أم نتّبع مَن أجاد به عمر بن الخطّاب؟

وسيكون الجواب بلا أدنىٰ شك: إنّنا نتّبع من أجاد به الله ورسوله في الأحاديث والآيات، إذن لماذا خالف عمر هذه الأحاديث؟ وأنتم تعلمون أنّ هذه المخالفة عبارة عن مخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

سابعاً: مضافاً إلى الإشكالات التي أوردتها على الشورى العمريّة وعلى ضياع حقّ عليّ عليه السلام الذي أضاعه عمر بن الخطّاب بهذه الشورىٰ، تعالوا معي لنلاحظ أنّ عمر كان يسعى إلى أشدّ من ذلك فهو عمل على التقليل من شأن الإمام عليّ عليه السلام وتضيع حقوقه كاملة، فإنّه قد جعل لعبد الرحمن بن عوف ولاية على الجميع وجعل عليّاً عليه السلام على عظمته تابعاً لعبد الرحمن بن عوف فأمر أعضاء الشورى أن يتّبعوا المجموعة التي فيها عبد الرحمن فإنّه قد وهبه صوتين بينما لم يجعل لغيره مثل هذه الميزة ممّا يعني أنّه جعل أصل القضية والحلّ والعقد كلّه بيد عبد الرحمن، بينما لو فتّشنا التاريخ برمّته لما وجدنا شاهداً واحداً في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه جعل لعبد الرحمن ولاية أو سلطة أو حقّ تقدّم علىٰ عليّ عليه السلام فكان الأجدر بعمر أن يأمر أعضاء الشورى باتّباع أمير المؤمنين علي عليه السلام لأنّه على المحجّة البيضاء كما صرّح هو ـ عمر ـ إلّا أنّه صادر حقّه، بل انّه لم يترك أعضاء الشورىٰ بحرّية كاملة ليختاروا ويصوّتوا وإنّما

مارس الظلم والاستبداد حتّى هنا، فلماذا وهب لعبد الرحمن صوتين دون غيره؟ هل لأنّه أكبرهم سنّاً؟ فهذا مرفوض لأنّ الكرامة والتقدّم بالتقوى لا بالسنّ.

وأكثر من هذا كلّه فإنّه أشار إلى قتل عليعليه السلام فيما لو خالف هذه الطريقة والشورىٰ.

سؤال أحد الحاضرين: في أيّ مكان أمر الخليفة بقتل عليّعليه السلام؟

الجواب: نعم لم يصرّح الخليفة بقتل عليّ باسمه ولكن هذا يظهر لكم من مجموع ما قاله عمر.

سؤال أحد الحاضرين: نرجو منك أن تفتح لنا هذا البحث أكثر وتدلّنا على مثل هذه الأُمور الخطيرة.

الجواب: لو نظرتم بنظر الباحث المدقِّق إلى قول عمر هذا: فإن اجتمع خمسة ـ أي من أعضاء الشورى الستّة ـ وأبىٰ واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتّفق أربعة وأبىٰ اثنان فاضرب رؤوسهما وإن رضي ثلاثة وأبىٰ ثلاثة فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين[1].

وهذه الطريقة الإرهابية في ممارسة الحكم لم يأتِ بها الله في قرآنه ولا رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم في بياناته، وممّا لا شكّ فيه أنّ الذي سوف يخالفها هو عليّعليه السلام لأنّه مع الحقّ دائماً وعليه فسيكون القتل محتوماً عليه من هذه الجهة.

ولأنّ عبد الرحمن صهر عثمان فإنّه يميل إلى صهره والأخير يميل إليه أيضاً وهكذا سعد بن أبي وقّاص لأنّه من المخالفين لعليّعليه السلام حتّى أنّه لم يبايعه في خلافته فيما بعد ـ ستأتي الإشارة إلى ذلك ـ وبذلك ستكون جبهة عبد الرحمن ثلاثة رجال فيكون الفوز من نصيبهم لوجود عبد الرحمن ولا يحقّ للآخرين

---

(١) مر مصدره.

الاعتراض لأنّهم سيُقتلون إذا اعترضوا أو خالفوا، وبالتالي هو ـ عمر ـ أمر بقتل عليّ عليه السلام بشكل ضمني، والعجب منه حيث جعل عبد الرحمن هو الفارق بين الفريقين مع أنّه روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكراراً أنّ عليّاً هو الفارق بين الحقّ والباطل وهو المحور الذي يلتفّ حوله أهل الحقّ.

سؤال أحد الحاضرين: بأيّ دليل تقول أنّ عليّاً عليه السلام هو الفارق وهو المحور للحقّ؟

الجواب: الأدلّة على هذا كثيرة منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، إنّه أوّل من يراني وأوّل من يصافحني يوم القيامة وهو معي في السماء العليا وهو الفاروق بين الحقّ والباطل[1].

وأيضاً ذكر أكابر أهل السنة حديثاً مسنداً عن سلمان وأبي ذرّ الغفاري رويا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال مشيراً إلى عليّ عليه السلام: إنّ هذا أوّل مَن آمن بي، وهو أوّل مَن يصافحني يوم القيامة وهو الصدِّيق الأكبر وهذا فاروق هذه الأُمّة يفرق بين الحقّ والباطل وهذا يعسوب المؤمنين[2].

وأيضاً في العديد من الأخبار وبألفاظ مختلفة رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) مودّة القربى للهمداني الشافعي المودّة الخامسة، وينابيع المودّة باب ١٦، وذكره إمام الحرم أبي جعفر أحمد بن عبدالله الشافعي في الحديث ١٢ من السبعين في فضائل عليّ عليه السلام، وكفاية الطالب باب ٤٤، وفردوس الأخبار. المؤلِّف.

أقول: ذكره المتّقي الهندي في كنز العمّال ج ١١ ص ٦١٢ رقم ٣٢٩٦٤ / المترجم.

(٢) كنز العمّال ج ١١ رقم ٣٢٩٩٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢، وكفاية الطالب باب ٤٤ وفي ذيله «والمال يعسوب الظلمة وهو الصدِّيق الأكبر وهو بابي الذي أُوتي منه وهو خليفتي من بعدي» ثمّ قال الحافظ الگنجي: هكذا أخرجه محدّث الشام في فضائل عليّ في الجزء التاسع والأربعين بعد الثلاثمائة من كتابه بطرق شتّى، الإصابة ج ٧ ص ١٦٧ وأُسد الغابة ج ٥ ص ٢٨٧ والاستيعاب ج ٢ ص ٦٥٧/ المؤلّف.

قوله:

عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي يدور معه كيف دار.

عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة.

قال أبو ذرّ: سمعت النبيّ ﷺ يقول: عليّ مع الحقّ والحقّ معه وعلىٰ لسانه والحقّ يدور حيثما دار علي.

قالت أُمّ سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليّ مع الحقّ والقرآن، والقرآن مع عليّ ولن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض.

قالت عائشة عن النبيّ ﷺ: الحقّ لن يزال مع عليّ وعليّ مع الحقّ لن يختلفا ولن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض[1].

---

(١) الحافظ الگنجي في كفاية الطالب باب ٦٢ والفصول المهمّة ومطالب السؤول ومناقب الخوارزمي ومناقب ابن مردويه وفضائل الصحابة للسمعاني وفردوس الأخبار وربيع الأبرار والطبراني في الأوسط، ومسند أحمد وسعيد بن المنصور في سنن أبي يعلى في المسند وفرائد السمطين للحمويني باب ٣٧ والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٦٨ وكنز العمّال ج٦ ص٥٧ وتاريخ بغداد ج١٤ ص٣٢١ والفخر الرازي ج١ ص١١١ والراغب الاصفهاني في المحاضرات ج٢ ص١١٣ /المؤلِّف.

أقول: لزيادة الفائدة إليك المصادر التالية:

سنن الترمذي ج٥ ص٢٩٧ حيث جاء فيه: «اللّهمَّ أدر الحقّ معه حيث دار» ومثله في المناقب للخوارزمي ص٥٦ وأيضاً جاء في المناقب قوله ﷺ عن علي «إنّه الفاروق بين الحقّ والباطل» ص٥٧ وفيه أيضاً «وأنّ الحقّ معك والحقّ على لسانك ما نطقت فهو الحقّ وفي قلبك وبين عينيك» ص٧٦ وذكر الحافظ الگنجي ص١٣٥.

وأمّا ما ذكره المصنّف من الحديث: الحقّ مع علي... في المناقب ص٢٢٣.

←

فمن جملة الذين ذكروه شيخ الإسلام الحمويني في فرائد السمطين باب ٣٧ وابن مردويه في المناقب عن أبي ذرّ الغفاري وقد سُئل عن الاختلاف فقال: عليكم بكتاب الله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: عليّ مع الحقّ والحقّ معه وعلى لسانه يدور معه حيثما دار. والديلمي في فردوس الأخبار، وفي المناقب لابن مردويه أنّ محمّد بن أبي بكر لمّا دخل على أُخته عائشة بعدما انتهت حرب الجمل فقال لها: أسمعتِ حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقّ عليّ عليه السلام؟ فقالت: نعم، سمعت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لن يزول الحقّ عن عليّ وعليّ عن الحقّ ولن يختلفا ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

وعلىٰ غرار هذه الأحاديث نصوص نبوية كثيرة أخرجها أهل السنّة إلّا أنّنا نكتفي بهذا المقدار لإثبات المدّعىٰ.

والآن بعد هذه الأدلّة الدامغة والأحاديث الشهيرة التي لم يكن عمر بن الخطّاب بمعزل عنها، ماذا عسى أن نقول عن الشورى العمريّة؟ وماذا عسى أن تقولوا عن الطريقة الاستبدادية والانحيازية التي جرت بها الشورىٰ؟ وما عسىٰ كلّ عاقل وأيّ رشيد في العالم أن يقول في مثل هذه الحالة؟

لماذا أصرّ عمر بن الخطّاب أن يمارس الاستخلاف بهذه الطريقة؟ ولماذا يصدّ عن كلّ هذه الأحاديث التي صرّحت على أنّ عليّاً هو الفاروق وهو مع الحقّ والقرآن؟ لماذا ألحّ ابن الخطّاب على تهميش دور عليّ عليه السلام وشخصه وكأنّه يمرّ على فضائله ومقاماته مرور الأصمّ الأبكم؟

← وجاء في كنز العمّال ج ١١ رقم ٣٣٠١٦ «تكون بين الناس فرقة واختلاف فيكون هذا ـ عليّ ـ وأصحابه على الحقّ» وجاء تحت رقم ٣٢٩٦٤ «سيكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب فإنّه الفاروق بين الحقّ والباطل» / المترجم.

هل كان يملك حديثاً واحداً يصوّر لنا عبد الرحمن بمنزلة عليّ عليه السلام؟ بل هل يُعدّ عبد الرحمن في تمييز الحقّ والباطل كما هو الحال في الإمام علي عليه السلام؟ أرجو منكم أن تفكّروا وتعيدوا النظر، ليتّضح لكم أنّه ليس هناك أي تفسير إلّا أن نقول إنّ عمر كانت له خطّة معيّنة ومؤامرة كبيرة تتلخّص في دفع الحقّ عن علي وإزاحته عن المناصب الحسّاسة وتهميش دوره وظلمه بل حتّىٰ قتله إذا تطلّب الموقف ومن ثمّ تُغطى هذه الخطّة بغطاء شرعي لكيلا يُتّهم الخليفة!! فيقال عنها إنّها اجتهاد أو مصلحة...

وأعجب من هذا أنّ عمر الذي قال إنّ رسول الله مات وهو راض عن هؤلاء وأنّهم من أهل الجنّة و... نراه يأمر بقتلهم فيما إذا لم يخرجوا بنتيجة بعد ثلاثة أيّام!! فكيف له الجرأة على قتل أهل الجنّة كما يقول؟

ومن جهة ثانية كيف يأمرهم (بالتهديد والتخويف) على المشاركة والامتثال لما فرضه عليهم وإلّا فإنّه يقتلهم؟

هذه الصور التي أمامكم عندما تعرضونها على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّكم ستلاحظون الفارق الكبير، وعندما نعرضها على القرآن أيضاً فإنّنا سنلاحظ البون الشاسع بين آيات الذكر الحكيم وبين الشورى العمرية، فقد جاء في القرآن ﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ﴾[1]، ﴿وقل الحقّ من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[2]، ﴿ولو شاء ربّك لآمن مَن في الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتّىٰ يكونوا مؤمنين﴾[3].

فالدين يقرّر الحريّة للإنسان وهي الحالة الإيجابية التي أكّدتها الأديان

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) يونس: ٩٩.

أيضاً، بل الحرية منطق الحياة وما أطبق عليه العقلاء جميعاً، فكيف سعى الخليفة إلى مصادرة هذا الحقّ الذي قرّره الله وقرّره عقلاء البشر وعمل على تجسيد الاستبداد.

إنّ حالات القهر والاستبداد لها نتائج سلبية منها أنّ الإنسان العادي إذا أُجبر علىٰ شيء معيّن فإنّه سيتكوّن عنده في اللاشعور ردّ فعل مخالف يؤدّي إلى نتائج عكسية، ومنها أنّه يؤدّي إلى صناعة الظَلَمة وأشباه الظلمة وشيوع حالات الاستبداد وممارسة القهر بين أفراد الأمّة لأنّ الرعية قلب راعيها، ومنها أنّ القهر والقوّة ومصادرة الحريّة يؤدّي إلى سلب العقل ولو جزئيّاً لأنّه يحرم الإنسان من ممارسة مهاراته الحرّة.

ولأجل هذا وذاك حرص الإسلام أن يكون الإيمان في قلوب المسلمين تحت الحرية الكاملة للفرد، فكيف بمقام الخلافة وإدارة البلاد والعباد؟

ومن الجدير ذكره هنا أنه قيل إنّ قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين...﴾ نزلت في رجل من الأنصار يُدعىٰ أبا الحصين وكان له ابنان فقدم تجّار الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلمّا أرادوا الرجوع من المدينة أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصّرا ومضيا إلى الشام فأخبر أبو الحصين رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ فقال رسول الله ﷺ: أبعدهما الله هما أوّل من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما فأنزل الله ﴿فلا وربّك لا يؤمنون..﴾ وكان هذا قبل أن يؤمر النبيّ ﷺ بقتال أهل الكتاب[1].

وهذا يعني عدم ممارسة الإكراه والإجبار لا من قبل النبيّ ﷺ ولا أيّ أحد

---

(١) مجمع البيان ج٢ ص٣٦٣ وتفسير القرآن لابن كثير ج١ ص٣١١ والسيوطي في الدرّ المنثور ج١ ص٣٢٩.

من المسلمين.

وقد ذكر المؤرّخون أنّ البلاد التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتحها يدعو أهلها إمّا إلى الإسلام أو دفع الجزية ثمّ يتركهم في كامل اختيارهم حتّىٰ كانت هذه الطريقة الأخلاقية العقلائية سبباً لدخول الناس للإسلام بكلّ اختيارهم ﴿يدخلون في دين الله أفواجاً﴾.

فيُعلم من كلّ هذا أنّ المحافظة على الحريّة وعدم إكراه وإجبار الناس من سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والدين الإسلامي، فلا ندري من أين جاء عمر بن الخطّاب بمفهوم الجبر والقسر والقهر الذي مارسه وأمر به في الشورىٰ؟ حتّى وصل به الاستبداد أن يأمر بقتل كلّ من خالف!!

أَوَلَم يخالف هو عندما قالت الأنصار لا نبايع إلّا عليّاً[1] فخالفهم وبايع أبا بكر، فلماذا لم يطبّق هذا المفهوم على نفسه مثلاً؟

عمر كان يسعى لاستخلاف عثمان

ثامناً: ومضافاً إلى ما مرَّ كلّه من إضاعة حقّ أمير المؤمنين علي عليه السلام، فإنّ عمر لم يكتف بهذا، بل كان يسعىٰ من خلال الشورى الاستبدادية بما تضمّنت من شرائط أن يستخلف على المسلمين عثمان بن عفّان.

سؤال أحد الحاضرين: أنّ الخليفة عمر لم يصرّح بذلك ولم يظهر منه شيء حول هذا الموضوع فكيف يمكنك إثبات هذا المدّعىٰ؟

الجواب: نعم، أنّ عمر لم يصرِّح بأنّ عثمان خليفته لأنّه كان بين محذورين:

الأوّل: انّه كان يعلم طموحات عثمان وسياسته القائمة على القَبَلية

(١) تقدّم مصدره.

والتعصّب وجرّ منافع بيت المال له ولعشيرته من بني أُميّة وهذا ما لا يرتضيه كلّ مسلم وبالتالي سوف تُجرّ الويلات على عثمان وعلى من استخلف عثمان وهو عمر وقد صرّح بذلك عمر نفسه كما تقدّم لكم.

الثاني: انّه كان يفكّر ضرورة استخلاف عثمان وفاءً للرفقة والصداقة التي كانت بينهما والتعاون الدائم بينهما، ورداً للجميل الذي قدّمه عثمان لعمر عندما كتب اسمه في وصيّة أبي بكر كما مرّ عليكم.

إذن كان المفروض على عمر أن يفكّر بطريقة أُخرى غير التصريح بالخلافة لعثمان يكون على أثرها عثمان بن عفّان خليفة فيكون قد ردّ له الجميل، ويكون عمر بعيداً وبمعزل عن سياسة عثمان السيّئة. فكان لابدّ من الشورىٰ!!

سؤال أحد الحاضرين: أرجو منك أن توضّح لنا هذا الموضوع بشكل مفصّل.

الجواب: وذلك لأنّ عمر قال: فإن رضي ثلاثة وأبىٰ ثلاثة فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف.. ومن المعلوم أنّ هوىٰ عبد الرحمن كان مع عثمان لأنّه صهره وهكذا كان سعد بن أبي وقّاص لأنّه ابن عم عبد الرحمن وبالتالي كان عمر يعلم سلفاً أنّ صوت عبد الرحمن وسعد إلى عثمان انطلاقاً من العلاقة العائلية بينهم، فلذلك سعىٰ عبد الرحمن للتمويه قليلاً فجاء إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال له: أُبايعك على أن تعمل بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الشيخين، فقال الإمام عليّ عليه السلام: على كتاب الله وسنّة رسوله فأعرض عنه عبد الرحمن وتوجّه إلى عثمان وقال له نفس ما قال لعليّ عليه السلام، فقبل عثمان فوراً، وهكذا تمّ ما خطّطوا له وصار عثمان خليفة المسلمين بهذه الطريقة.

وهذا ما يؤسف في الحقيقة لوجود مَن هو أكفأ من عثمان في الأُمّة، وبغضّ النظر عن الستّة فإنّ هناك العبّاس وأولاده، إلّا أنّ الهدف صار واضحاً لكم وهو إبعاد أهل البيت عن الخلافة ومنصب الولاية وإلّا فمن هو صُهيب

الرومي حتّى أمره عمر أن يؤمّ المسلمين بصلاة الجماعة أيّام مرضه مع وجود مَن هو أفضل من صهيب بعشرات المراتب؟ ولماذا صهيب الرومي يصلّي على جنازة عمر دون غيره من الصحابة الكبار؟ ولكن عندما ندرس هذه المفردات ونجمعها ونحاول أن نرتّبها ضمن تسلسلها الطبيعي والتأريخي ندرك أنّ الهدف هو إقصاء أهل البيت عليهم السلام بشتّى الوسائل والطرق.

ولم يكن هذا الإقصاء سابقاً وفي تلك الحقب فقط، بل هو لا يزال إلى يومنا هذا فقد تشرّفت بالحجّ في عام ١٣٧٤هـ وعندما ذهبت لزيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رأيت العجب فقد كان يتعرّض الزائر الحاج المسلم إلى الضرب بالهراوات والعصي بمجرّد أن يلتفت بوجهه إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو يحاول الاقتراب منه من قِبل الشرطة، بينما لا يتعرّض لأيّ شيء ذلك الذي يتمسّح بالجدار ويقبّله لأنّه ـ كما يزعمون ـ محلّ نزول جبرئيل في أحد جدران المسجد!!

والأمر نفسه في البقيع فإذا كان التمسّح والتقبيل حراماً في شرع هؤلاء لوجب عليهم أن يمنعوه كلّه لا أنّهم يمنعون تقبيل ضريح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويجيزونه في غيره. فما هذا إلّا إبعاد للناس عن النبي وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي البقيع أيضاً يمنعون الشيعة من حمل كتب الزيارة ويمنعونهم من تقبيل التراب حول قبر الإمام الحسن والإمام الصادق والإمام الباقر والإمام السجّاد والعبّاس...، بل ويضربونهم بالعصي، بل انّهم ضربوا على رجلي عندما حاولت أن أجلس بالقرب من القبور لكي أمسح رجلي التي كان فيها ألم بتراب قبرهم وأجبروني على القيام، بينما لا تجد هؤلاء الشرطة والحرس على بقيّة قبور الصحابة وإنّما اختصّ المنع عن قبر النبيّ وأهل بيته، فمثلاً عثمان بن مظعون وهو الصحابي الجليل الذي دفن في البقيع وقد تولّى دفنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ووضع على قبره صخرة حملها بيده المباركة ووضعها على قبره لتكون علامة

عليه[١]، فإنّك لا تجد أيّ شرطي هناك، وبالمناسبة فإنّ مروان بن الحكم لمّا حكم حمل هذه الصخرة لفترة ثمّ وضعها على قبر عثمان بن عفّان!!

قبر عثمان بن عفّان!!

وذلك لأنّ قبر عثمان بن عفّان لم يكن معلوماً والسبب يعود إلى أيّام قتل عثمان فبعد أن قُتل ترك ثلاثة أيّام بلا دفن حتّى جاءت الكلاب وأكلت بعض قدمه[٢]، فجاء حكيم بن حزام وجبير بن مطعم إلى أمير المؤمنين عليعليه السلام والتمسوا منه أن يتكلّم مع الوفد المصري لدفن عثمان فأرسلعليه السلام ولده الإمام الحسنعليه السلام إليهم وتكلّم معهم في ذلك فوافقوا احتراماً لأمير المؤمنين عليعليه السلام، وفي الليل حملوا جثّة عثمان واتّجهوا بها نحو البقيع فعارضهم المصريّون وقطعوا عليهم الطريق ورموهم بالحجارة، وقالوا لهم: لا يُدفن عثمان في البقيع، وأخيراً دفن في بستان أحد الرجال يُدعىٰ كوكب تحت حائط كان هذا الحائط ملاصقاً لمقبرة اليهود ولذا قيل إنّ عثمان دفن في مقبرة اليهود، إلى أن جاء معاوية إلى السلطة بالمكر فأمر بهدم هذا الحائط وإلحاق البستان بالبقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم في هذه المنطقة[٣]، فدفن بنو أُميّة موتاهم حول قبر عثمان ولذا سمّيت بـ(مقبرة بني أُميّة)[٤].

---

(١) وفاء الوفا ج٢ ص٨٥.

(٢) الفتوح لابن أعثم ص١٥٩ ط ١٣٠٠هـ بومباي.

(٣) تاريخ الطبري ج٢ ص٦٨٧ ط دار الكتب العلمية.

(٤) المصدر نفسه ص٦٨٨، وراجع أيضاً الكامل ج٣ ص٩١ ووفاء الوفا ج٢ ص٩٩ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص١٥٨ ط دار إحياء الكتب العربية والإمامة والسياسة ج١ ص٤٥، مؤسسة الوفاء بيروت.

←

ولهذا السبب أمر مروان بوضع صخرة عثمان بن مظعون على قبر عثمان بن عفّان كمحاولة لإبرازه والاهتمام بشأنه، وإلى اليوم لا يُعلم على وجه الدقّة أنّ الذي يزوره أهل السنّة هل هو قبر عثمان بن مظعون أم عثمان بن عـفّان، والصحيح أنّه قبر الأوّل؛ لأنّ قبر عثمان بن عفّان يفترض أن يكون بعيداً عـن البقيع لأنّهم منعوا دفنه فيه.

عود على بدء

نعود إلى حديثنا الأصلي وهو محاولة زجر وإبعاد المحبّين لأهل البيت عليهم السلام عن قبورهم بكلّ وسيلة ولو كان آخرها الضرب والإهانة، وعندما يعود المرء بنظره إلى أوّليات الأمور يجد أنّ السبب هو عمر بن الخطّاب الذي عمل جاهداً لتكريس هذه الفكرة وتعزيزها في المسلمين وكان آخرها الشورى وصـهيب الرومي وتنصيب أبي طلحة الأنصاري على أعضاء الشورى ولم ينصّب أحداً من كبار بني هاشم لاسيّما عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم العبّاس مع مـا ورد مـنه صلى الله عليه وآله وسلم فـي الإشادة بأهل البيت وتوصية الأمّة بهم و...

تاسعاً: ويدّعي أهل السنّة أنّهم يتّبعون سُنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

حسناً فأين تجدون في سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ مَن امتنع عن الإدلاء بـصوته

← أقول: وذكر الطبري أيضاً ج ٢ ص ٦٨٧ ـ ٦٨٩؛ أنّه لم يشهد جنازة عثمان إلّا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته!! وأنّ الأنصار منعت غسل وتكفين عثمان وحتّى الصلاة عليه!! وأنّ عُمير بن ضابئ جاء إلى جثّة عثمان وهي مرمية فنزا عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه، وقال: سجنتَ ضابئاً ـ والده ـ حتّى مات في السجن!!

وفي شرح النهج: سجنت أبي حتّى مـات... / شـرح نـهج البـلاغة للـمعتزلي ج ٢ ص ١٥٨ دار إحياء الكتب العربية / المترجم

للحاكم فيجب قتله كما أمر عمر بذلك؟ والطريف في أمر أهل السنّة أنهم يزعمون أنّ النبيّ ﷺ مات وترك أمر القيادة بيد الأمّة!

فإذا كنتم تتّبعون سنّة النبيّ ﷺ لوجب على الخليفة أن يترك أمر الخلافة إلى الأمّة كما فعل رسول الله ﷺ ـ حسب اعتقادكم ـ والأمّة هي التي تختار قائدها، وبالطبع لو كان الأمر بيد الأمّة لما اختارت ستّة أشخاص وأجبرتهم على الترشيح والإدلاء، ولما أوقفت فوق رؤوسهم خمسين رجلاً يحملون السيوف ولما أمرت الأمّة بقتل الممتنع منهم لأنّهم من أهل الجنّة على زعم عمر فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

عاشراً: وهذا الذي تقدّم عن الشورى العمرية وجميع سلبياتها وإفرازاتها المقيتة هو الذي أطلق عنه الشهرستاني بالخلاف التاسع وقال: أمر الشورى واختلاف الآراء فيها واتّفقوا كلّهم على بيعة عثمان... غير أنّ أقاربه من بني أُمية قد ركبوا نهابر* فركبته وجاروا فجيرَ عليهم ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة وأخذوا عليه أحداثاً كلّها محالة على بني أُميّة.

ثمّ مضى الشهرستاني بذكر هذه المخالفات والاختلافات منها:

أوّلاً: ردّه الحكم بن أُمية بعد أن طرده رسول الله ﷺ وكان يسمّىٰ طريد رسول الله.

سؤال أحد الحاضرين: مَنْ هو الحكم بن أُمية؟ ولماذا طرده رسول الله ﷺ؟

الجواب: هو الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس الأموي لعنه الله، فهو عمّ عثمان بن عفّان، دخل الإسلام كرهاً عام الفتح وسكن المدينة.

سؤال أحد الحاضرين: كيف عرفت أنّه أسلم كرهاً؟

(*) نهابر: يعني مهالك.

الجواب: هناك أدلّة كثيرة تشير إلى أنّه أسلم ظاهراً ولم يؤمن في الباطن.

سؤال أحد الحاضرين: بما أنّ الإيمان من الأمور القلبية كيف حكمت أنّه لم يؤمن؟

الجواب: لم أحكم أنا بل حكمت الأمّة الإسلامية بذلك من خلال أعماله القبيحة مثل إيذائه رسول الله ﷺ بعد إسلامه وقد ذكر ذلك جمع كبير من العلماء والمؤرِّخين الشيعة والسنّة أنّه من جملة المستهزئين برسول الله ﷺ فقد كان يمشي خلفه ويصنع الحركات المضحكة. وذات مرّة فعل ذلك فالتفت إليه رسول الله ﷺ وقال له: كُن كذلك[1]، فبقي على تلك الصورة القبيحة إلى آخر عمره مع نوبات جنونية، حتّى قال عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت أشعاراً يهجو فيها عبد الرحمن بن الحكم مشيراً إلى أفعال أبيه القبيحة:

إنّ اللعين أبوك فارمِ عظامهُ   إن ترمِ ترمِ مخلّجاً مجنوناً
يمشي خميص البطن من عمل التقى   ويظلّ من عمل الخبيث بطينا[2]

قال صاحب الاستيعاب: أمّا قول عبد الرحمن بن حسّان «إنّ اللعين أبوك» فإنّه روي عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره أنّها قالت لمروان: أمّا أنت يا مروان فأشهد أنّ رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه[3].

وأيضاً كان الحكم يتجسّس على رسول الله ﷺ ثمّ يحدّث المنافقين

---

(١) أقول: تجده في النهاية لابن الأثير ج١ ص٣١٠.

(٢) الإصابة ذيل حرف الحاء ج١ ص٣٤٤ والاستيعاب لابن عبد البر ج١ ص٣١٧ والبلاذري في الأنساب ج٥ ص٢٧ والطبري في التاريخ وابن الأثير في الكامل والمعتزلي في شرح النهج ج٦ ص١٤٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٥٠ ط دار إحياء الكتب العربية، وتفسير الرازي ج٢٠ ص٢٣٧ ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

بذلك، وغيرها من الأسباب التي دعت رسول الله ﷺ أن ينفيه إلى الطائف[1].

ولم يكن مروان بعيداً عن هذه الروحية الخبيثة فإنّه ترعرع في مثل هذه الأحضان ونهل ما يكفي منها ليكون في المستقبل العاجل من الظَلَمة الملعونين على لسان النبيّ ﷺ، فقد جاء أيضاً أنّ الحكم استأذن على النبيّ ﷺ يوماً فعرف صوته فقال: ائذنوا له عليه لعنة الله وعلىٰ مَن يخرج من صلبه إلّا المؤمن منهم وقليلٌ ما هم[2]، وكان لا يولد لأحد مولود إلّا أتىٰ به رسول الله ﷺ فيدعو له فأُدخل عليه مروان بن الحكم فقال ﷺ: هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون[3].

وقد ذكر المفسّرون أنّ «الشجرة الملعونة» التي ذكرها القرآن هم بنو أُميّة أو بنو العاص[4] فإنّهما معاً من أعداء رسول الله ﷺ وأهل بيته. ومن أجل هذا طرده رسول الله ﷺ وأبعده عن المدينة ولم يجرؤ أحد من المسلمين أن يجازف ويرد الحكم وأولاده إلى المدينة في حياة النبيّ ﷺ وبعد وفاته، إلى

---

(١) شرح النهج ج٦ ص١٤٩ والاستيعاب ج ١ ص٣١٦ بهامش الإصابة.

(٢) المستدرك للنيشابوري ج ٤ ص ٤٨١ والسيرة الحلبية ج ١ ص٣٣٧ وحياة الحيوان ج ١ ص٨٩ مادّة «الاوز» خلافة مروان ط مصطفى الحلبي مصر.

(٣) حياة الحيوان للدميري ج ١ ص٨٩ وقد ذكر المؤلّف بعض خصائص هذا الحيوان في متن كلامه فرأينا المناسب أن ندرجه في الهامش حيث قال: وقد ذكر الدميري في الجزء الثاني من حياة الحيوان ص٢٩٦ أخباراً نقلها عن البخاري ومسلم والنسائي في ثواب قتل هذا الحيوان: قال يحيى بن يعمر: لأن أقتل مائة وزغة أحبّ إليّ من أن أعتق مائة رقبة، وإنّما قال ذلك لأنّها دابّة سوء زعموا أنّها تشرب من المياه وتمجّ في الإناء فينال الإنسان من ذلك مكروه عظيم وقالوا: إذا تمكّن هذا الحيوان من الملح تمرّغ فيه فيصير مادّة لتولّد البرص.

(٤) انظر تفسير الفخر الرازي ج ٢٠ ص٢٣٧.

أن جاء عثمان وفعل ذلك، وحتّى أبي بكر وعمر على رغم الشفاعة التي شفعها عثمان لدى عمر في ردّ الحكم إلّا أنّهما أيّام خلافتهما لم يوافقا على ردّ الحكم إلى المدينة وكانا يقولان: إنّه طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إلّا أنّ عثمان لم يكتف بردّه وإنّما ولّاه المناصب وأمور المسلمين فقد كان مروان في أوّل أمره كاتب السرّ لعثمان وأفاض عليه العطاء تلو العطاء من بيت المال ممّا أثار حفيظة كبار الصحابة ضدّ عثمان لسيرته المخالفة لسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد تناول كلّ ذلك الشهرستاني في الملل والنحل.

عثمان يخالف سيرة الشيخين

إنّ ردّ الحكم بن أبي العاص إلى المدينة يعد أمراً خارقاً لما ألفه المسلمون من سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الذي امتنع من ردّه ولم يسمح لأحد أن يتشفّع له، بل إنّ عثمان الذي بُويع بالخلافة عندما قبل شرط عبد الرحمن بن عوف في أن يسير على كتاب الله وسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الشيخين، نراه خالف سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بل خالف سيرة الشيخين أيضاً لأنهما لم يردّا الحَكم أثناء فترة حكمهما ولم يسمحا لأحدٍ أن يشفع للحكم بن أبي العاص، بينما عثمان ترك سيرة الشيخين - وهي الحدّ الفاصل بين رفض عليّ عليه السلام لهذا الشرط وقبول عثمان له - وراء ظهره ولم يعتنِ بهما وبسيرتهما فردّ الحكم إلى المدينة وأعطاه ألف درهم، وهكذا أعطى ابنه الملعون مرواناً، من مال المسلمين، بينما نراه يمنع حقّ أهل البيت (عليهم السلام) من هذا المال، فإنّه أخذ حقّ ذوي القربى الذين قال الله تعالى فيهم، في كتابه الكريم: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله﴾[1] فمنع عنهم

---

(١) الأنفال: ٤١.

الخمس[1]، مضافاً إلى فدك التي انتزعها الخليفة الأوّل ظلماً من يد فاطمة عليها السلام.

ومن جهة أُخرىٰ نرىٰ عثمان قد أعطىٰ غنائم أفريقية إلى ابنته زوجة مروان

---

(١) لقد أجمع المسلمون على حرمة الصدقة على آل محمّد صلى الله عليه وآله لأنّها كما في الروايات أوساخ الناس فهم يدفعونها ليطهروا ولهذا لا يجوز إعطاؤها إلى آل محمّد صلى الله عليه وآله لطهارتهم ومنزلتهم بل جعل الله لهم الخمس بعدما نزلت هذه الآية في غزوة بدر الكبرى فثبت الخمس من السنة الثانية للهجرة لهم عليهم السلام، والخمس يُقسّم كما نصّت الآية إلى ستّة أقسام:

سهم الله، وسهم النبيّ صلى الله عليه وآله، وسهم ذوي القربىٰ وهم آل الرسول، وسهم اليتامىٰ وسهم المساكين (الفقراء) وسهم ابن السبيل.

وكان هذا التقسيم جارياً في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله فكلّ غنيمة يغنمها المسلمون يتمّ تقسيمها على هذه الأسهم الستّة، ولكن لمّا جاء أبو بكر إلى السلطة قسّم الخمس إلى ثلاثة فقط فسهم الله ورسوله وذوي القربى يقبضه هو وهكذا فعل عمر وعثمان وسائر ملوك بني أميّة وبني العبّاس.

وقد عدّ أبو بكر أهل بيت الرسول في عداد الناس الفقراء أو اليتامى، هكذا ذكر الزمخشري في الكشّاف ج ١ ص ١٧٤ والطبرسي في مجمع البيان ج ٤ ص ٥٤٤.

ومعلوم أنّ هذا العمل خلاف القرآن وخلاف سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله، بل هو تشريع محرّم وبدعة باطلة ولكن مع ذلك سار سائر فقهاء أهل السنّة على هذه السجية مع الأسف.

وقد قال الإمام الشافعي في الأمّ ص ٦٩: إنّ الصدقة محرّمة على آل محمّد صلى الله عليه وآله ولهم الخمس ولكن منع الخمس عنهم لا يدعو إلى حلّية الصدقة عليهم.

ومنه يظهر أنّ الخمس من حقّ أهل البيت ليتمّ من خلاله مساعدتهم مالياً.

إلّا أنّ أتباع أهل البيت وهم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية عملوا على طبق الآية الكريمة وعلى سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله فإنّهم إلى اليوم يدفعون خمس أرباح المكاسب والمغانم إلى الأقسام الستّة في زمان الأئمّة وإلى هذا الزمان حيث يتمّ دفع الخمس إلى الفقهاء العدول وهم يصرفونها في مواقعها المقرّرة / المؤلّف.

الذي لعنه الله ورسوله، وليته كان يقسّمها على المسلمين لكنّه كان يخصّ بها أهل بيته وأقاربه من بني أُميّة، وهو بهذه أيضاً خالف رسول الله ﷺ وخالف سيرة الشيخين لأنّهما لمّا منعا الخمس عن أهل البيت عليهم السلام صرفاه في المصالح العامّة وشؤون المسلمين تقريباً، بينما عثمان ادّخره لنفسه وأقاربه فقط، والحال أنه التزم وتعهّد في الشورى أن يسير على سيرة الشيخين!!

إنّ جميع هذه الأعمال التي صدرت من عثمان كانت على خلاف سيرة رسول الله ﷺ[1]، بل انّها خلاف سيرة زميليه أبي بكر وعمر، ومع ذلك كلّه حاول قاضي القضاة أن يبحث في الضباب عن أعذار مناسبة لعثمان مكابرة من عنده، وتعالياً عن الحقّ وإلّا فإنّ موضوع ردّ الحَكم وحده كان كافياً للحُكم على عثمان بن عفّان، ثمّ إنّ انتقاد الصحابة ليس ممّا يوجب الكفر حتّىٰ يضطرّ قاضي القضاة وغيره أن يجازف كلّ هذه المجازفات!

فقد أجاب قاضي القضاة على الطعن الثاني علىٰ عثمان وهو ردّه الحكم وولده فقال: إنّ عثمان استأذن بذلك من رسول الله ﷺ، وإنّما لم يقبل أبو بكر وعمر قوله لأنّه شاهد واحد، فلمّا صار الأمر إليه حكم بعلمه لأنّ للحاكم أن يحكم بعلمه[2].

فأجابه السيّد المرتضىٰ (علم الهدى): أمّا دعواه أنّ عثمان ادّعى أنّ رسول الله ﷺ أذن في ردّ الحكم فشيء لم يُسمع إلّا من قاضي القضاة ولا يُدرىٰ من أين نقله ولا في أيّ كتاب وجده والذي رواه الناس كلّهم خلاف ذلك. روى

---

(١) كان عثمان يخطب يوماً فادلت عائشة قميص رسول الله ونادت يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبْل وقد أبلىٰ عثمان سنّته!!
تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٥ / المترجم.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

الواقدي من طرق مختلفة وغيره أنّ الحكم بن أبي العاص لمّا قدم المدينة بعد الفتح أخرجه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف وقال: لا تساكني في بلد أبداً فجاءه عثمان فكلّمه فأبىٰ ثمّ كان من أبي بكر مثل ذلك ثمّ كان من عمر مثل ذلك، فلمّا قام عثمان أدخله ووصله وأكرمه، فمشىٰ في ذلك علي والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف وعمّار بن ياسر حتّىٰ دخلوا علىٰ عثمان فقالوا له: إنّك قد أدخلت هؤلاء القوم وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخرجهم وإنّا نـذكّرك الله والإسـلام ومعادك فإنّ لك معاداً ومنقلباً وقد أبت ذلك الولاة قبلك ولم يـطمع أحـد أن يكلّمه فيهم وهذا شيء نخاف الله فيه عليك، فقال عثمان: إنّ قرابتهم منّي ما تعلمون وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث كلّمته أطمعني في أن يأذن لهم وإنّما أخرجهم لكلمةٍ بلغته عن الحكم ولم يضرّكم مكانهم شيئاً وفي الناس مَن هو شرٌّ منهم، فقال عليّ عليه السلام: لا أجد شرّاً منه ولا منهم ثمّ قال: هل تعلم عمر يقول: والله ليحملن بني أبي معيط علىٰ رقاب الناس والله إن فعل ليقتلنّه، فقال عثمان: ما كان منكم أحد ليكون بينه وبينه من القرابة ما بيني وبينه وينال من المقدرة ما نلتُ إلّا قد كان سيدخله وفي الناس مَن هو شرّ منه، قال: فـغضب عـلي عليه السلام وقال: والله لتأتينا بشرّ من هذا إن سلمت وسترىٰ يا عثمان غب ما تـفعل ثـمّ خرجوا من عنده[1].

وقد ذكر كبار علماء أهل السنّة أنّ عثمان زوّج ابنته «أُم أبان» من مـروان الطريد ابن الطريد والملعون ابن الملعون وجعله كاتب السرّ عنده[2] وجعل له صلاحيات واسعة حتّى كان هو السببُ وراء اندفاع عثمان نحو إهانة وضرب وطرد كبار الصحابة مثل عمّار وأبي ذر وابن مسعود...

---

(١) المصدر السابق.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

وما يضحك الثكلى أنّ علماءكم قالوا عن الطرد والضرب والنفي والإسراف الذي مارسه عثمان انّه اجتهاد!! فمتىٰ تبدّلت هذه المعاني والعالَم كلّه لا يدري؟

إيذاء ونفي أبا ذرّ[1]

أبو ذرّ هو جندب بن جنادة وهو من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: إنّ الله أمرني بحبّ أربعة وأخبرني أنّه يحبّهم، قيل: يارسول الله سَمّهم لنا؟ قال: عليّ منهم، يقول ذلك ثلاثاً وأبو ذرّ ومقداد وسلمان[2].

فهذا الرجل العظيم الذي يحبّه الله ورسوله ﷺ لم ينجُ من بطش عثمان وعمّاله فقد لاقى أنواع المضايقات بسبب معاوية ومروان وبقيّة الخطّ الأموي الحاقد على المؤمنين فقد طُرد إلى الشام بطريقة مؤلمة ثمّ طُرد ونفي إلى الربذة وهي منطقة صحراوية لا يسكنها أحد حتّىٰ توفّي فيها وقد ذكر ذلك

---

(١) أنظر نفي عثمان لأبي ذرّ في شرح النهج ج٣ ص٥٢ وزاد المعاد لابن القيم ج٣ ص٦ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٧٢.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي / فضائل علي / نقله عن الترمذي والحاكم والإصابة ج٣٠ ص٤٣٤ وشرح الجامع للمناوي ج٢ ص٢١٥ وحلية الأولياء ج١ ص١٧٢ وابن ماجه ج١ ص٥٣ والترمذي في السنن ج٢ ص٢١٣ وينابيع المودّة باب ٥٩ نقله عن الصواعق المحرقة والترمذي والحاكم / المؤلّف.

ولزيادة الفائدة إليك هذه المصادر:

زين الفتىٰ ج٢ الفصل الخامس رقم ٤٥١ ورواه البخاري في ترجمة أبي ربيعة الإيادي رقم ٢٧١ من كتاب الكنىٰ من رجاله الكبير ج٩ ص٣١ ورواه أحمد بن حنبل في المسند ج٥ ص٣٥١ رقم ٣٥. ورواه الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٧٢ / المترجم.

الشهرستاني في ملله.

فهل يمكن بعد كلّ هذا أن نقول: إنّ الخليفة اجتهد؟ بالطبع لا يمكن ذلك لأنّه قد يجتهد وينفيه إلى الشام ثمّ يكتشف خطأ اجتهاده، فلماذا إذن ينفيه إلى منطقة الموت الحتمي؟!!

لا يمكن وبأيّ وجه أن يُبرّر عمل عثمان وكلّ من تآمر ضدّ هذا الصحابي الجليل الذي جاء في بعض الأحاديث أنّه شبيه النبيّ عيسى بن مريم عليه السلام في زهده وتواضعه، وبلاشك فإنّ هذه الأحاديث كانت على شهرة بين المسلمين وانّ عثمان قد سمعها إمّا من فم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو من الصحابة فلماذا ينفي ويؤذي شبيه روح الله عيسىٰ؟!

فقد جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أبو ذرّ في أُمّتي علىٰ زهد عيسىٰ بن مريم[١].

وجاء أيضاً: أبو ذرّ يمشي على الأرض في زهد عيسىٰ بن مريم[٢].

وجاء أيضاً: في أُمّتي أبو ذرّ شبيه عيسىٰ بن مريم في زهده[٣].

وجاء أيضاً: من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسىٰ بن مريم فلينظر إلى أبي ذرّ[٤].

وجاء أيضاً: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على رجل أصدق لهجة من أبي ذرّ[٥] وقد ذكر هذا الحديث من الفريقين عن أكابر الصحابة كابن عبّاس

---

(١) أسد الغابة ج٥ ص٥٣، ٥٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب للقرطبي، ج١ ص٣٢٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) أسد الغابة ج١ ص٣٠١ وطبقات ابن سعد ج٤ ص١٦٧ وسنن الترمذي ج٥ ←

وأبي الدرداء وأبي هريرة، ومضافاً إلى فضائله فإنّه رابع أو خامس إنسان دخل الإسلام كما صرّح ابن عبد ربه وغيره[1]، ومنذ ذلك الحين وإلى بعد وفاة النبيّ ﷺ في حكم الخليفة الأوّل والثاني ظلّ أبو ذرّ يتمتّع بالاحترام والتبجيل لإيمانه القديم ومواقفه[2] البارزة وسبقه في الإسلام وكثرة فضائله، إلى أن جاء عثمان وبدأ مسلسل الإهانة والاحتقار والضرب لهؤلاء العظماء، وهو ما يدعو إلى التأسّف والتعجّب كيف لا يحترم الخليفة عظماء أُمّته؟

فبدل أن يفتخر بهم أمام الشعوب والأمم الأُخرى نراه يُنزِل بهم أشدّ العذاب أليس ذلك بعجيب؟!

ضرب وسبّ عثمان لكبار الصحابة

ولم يقتصر الأمر على أبي ذرّ وإنّما طالت سياسة العنف والقوّة والقهر غيره أيضاً، فقد وقع تحت نير هذه السياسة الظالمة كبار الصحابة أيضاً الذين يتمتّعون بمنزلة محترمة عند الله ورسوله وعند الناس مع تقدّمهم في العمر وطعنهم في السنّ، فكما أنّ شيبة أبي ذرّ لم تمنع عثمان أن يطرده إلى الصحراء وأن يموت فيها وله من العمر زهاء التسعين، كذلك لم يمنع مقامُ هؤلاء

← ص٣٣٤ والحاكم في المستدرك ج٣ ص٣٤٢ والإصابة ج٤ ص٦٥ وكنز العمّال ج٦ ص١٦٩ ومسند أحمد ج٢ ص١٦٣ و ١٧٥ وشرح النهج ج١ ص٢٤١ وسنن ابن ماجة ج١ ص٥٢ ـ ٥٥ وتاريخ الإسلام للذهبي مجلد واحد ص١٨.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب للقرطبي، ج١ ص٣٢١، ط: دار الكتب العلمية. بيروت، ١٩٩٥م، والإصابة ج٤ ص٦٤ وحلية الأولياء ج١ ص١٥٧.

(٢) من جملة مواقفه الرائعة أنّه لم يكن يملك دابّة يوم تبوك ولكنّه تبع الجيش الإسلامي ماشياً على قدميه / زاد المعاد ج٣ ص٦ دار إحياء التراث العربي، بيروت / المترجم.

الصحابة العظام من أن يمارس عثمانُ العنفَ ضدّهم، ولم تحجزه فضائلهم عن ظلمهم وقهرهم وضربهم والاعتداء عليهم بدوافع ذاتية منه وبتحريك من مروان وبقيّة أعضاء البيت الأموي.

ومن جملة هؤلاء الصحابة: عبدالله بن مسعود[1] كاتب الوحي فقد تعرّض للضرب المبرح من قِبل عبيد عثمان لمّا أمرهم بذلك حتّى أثّر ذلك على صحّته فلازم الفراش ثلاثة أيّام ثمّ مات بعدها بسبب ما ألمّ به من أوجاع بدنية ونفسيّة، وقد أوصى إلى عمّار بن ياسر أن يصلّي عليه ويتولّىٰ دفنه دون علم عثمان، وقام عمّار بتنفيذ هذه الوصية، ولمّا سمع عثمان بذلك غضب غضباً شديداً على عمّار واعتبرها مواجهة صريحة ضده فأرسل عليه وقال له: لِمَ لم تخبرني؟ فقال: قد أوصىٰ بذلك.

ضرب عمّار بن ياسر[2]

وظلّ عثمان يتمادىٰ في سياسته التي أخذت تتّسع دائرتها في الوسط الأموي الحاقد على الإسلام ممّا دعا الصحابة أن يكتبوا رسالة الموعظة والتذكرة للخليفة عسى أن يتنبّه من غفلته ويصحو من نومته، فذكروا له فيها بعض أعمال عمّاله السيّئة وبعض مخالفاتهم للإسلام... وحملها عمّار بن ياسر إلى عثمان وسلّمها له، فلمّا قرأها أمر غلمانه وحاشيته بضرب عمّار بن ياسر ضرباً مبرحاً قاسياً، مكافأة على نصيحته الإيمانية له حتّى أدّى ضربهم لعمّار أن أُصيب بالفتق![3] فأُغمي عليه وحُمل إلى بيت أمّ سلمة (أمّ المؤمنين) وظلّ إلى منتصف

---

(١) أنظر شرح نهج البلاغة ج٣ ص٤٢ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٢) المصدر السابق ص٤٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ج٢ ص٣٦ ط دار إحياء الكتب العربية، والاستيعاب، ج٣

الليل في إغمائه حتّىٰ فاتت عليه صلاة الظهرين والعشاءَين!!

فهذه هي عواطف عثمان بن عفّان اتجاه الصحابة الكبار، بل هذه مكافآته لأهل الجنّة الذين أرسوا قواعد الإسلام بدمائهم وأموالهم.

بينما نراه جمع حوله صبيان بني أُميّة الذين دخلوا الإسلام كرهاً وأعطى المناصب لمن نزل القرآن في لعنهم، ولعنهم رسول الله ﷺ كما مرّ عليكم وأغدق عليهم العطاء وقرّبهم وحكّمهم على المسلمين كالوليد الفاسق الفاجر الذي ولّاه على الكوفة فكان يشرب الخمر ويصلّي بالناس جماعة وهو لا يعقل كم صلّىٰ حتّىٰ صلّى الصبح أربع ركعات!! ولم يكن عثمان يبالي بهذه الأُمور كثيراً ولم يتقبّل نصائح أمير المؤمنين عليه السلام وبقيّة الصالحين ممّا أدّى إلى السخط العام والتحرّك الجماهيري ضدّ هذه السياسة الجائرة الظالمة والثورة على الحكم العثماني وقتل الخليفة في داره وهو ما تفرّس به عمر بن الخطّاب وأخبر به عثمان في مرض موته وقد تقدّم ذلك فلا نكرّر[1].

التفاوت السياسي بين الخلفاء الثلاثة

وممّا تقدّم يظهر لكم أنّ عثمان لم يكن يملك روحاً مرنة وشعوراً طيّباً في داخله ولذلك كان يأمر بضرب كلّ من يقدِّم له نصيحة أو يذكِّره بالله تعالى فامتازت سياسته بالعنف والقوّة وكمّ الأفواه وإرغام الخصم بالاستبداد، بينما لم

← ص٢٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

(١) أقول: قال شارح النهج ابن أبي الحديد: وصحّت فيه فراسة عمر فإنّه أوطأ بني أُميّة رقاب الناس وولّاهم الولايات وأقطعهم القطائع واُفتتحت في أيّامه أفريقية فأخذ الخمس كلّه فوهبه لمروان بن الحكم... وأقطع مروان فدكاً وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها رسول الله ﷺ تارةً بالميراث وتارةً بالنحلة فدُفعت عنها... / شرح نهج البلاغة ج١ ص١٩٨ ط دار إحياء الكتب العربية / المترجم.

يكن رفيقاه بهذه الروحية بل امتازا عليه بقليل من التواضع والانـفتاح وقـبول الآراء والانتقادات وإبراز الاحترام للصحابة بشكل وبآخر ولو سياسيّاً، حتّى أنّ عمر بن الخطّاب كان يشكر أمير المؤمنين عليه السلام على مشاورته له وإبدائه لآرائه الصائبة وحلّه القضايا العويصة وما شابه ذلك، بل كان الخليفة نفسه يسأل الإمام علياً عليه السلام عن قضايا مهمّة ويطلب رأيه فيها كحرب الروم وفـتح العـراق، وأمّـا الخليفة الأوّل فإنّه كان يقول أمام الناس «أقيلوني فلست بخيركم».

إلّا أنّ عثمان لم يملك روحية عمر بن الخطّاب، فبينما كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يقدِّم له النصائح المجّانية والإرشادات النافعة ويـحذِّره مـن وخـامة الأمور وسخط العامّة والخاصّة، كان عثمان لا يعير أي اهتمام لهذه الكلمات.

عدم احترام عثمان لعلي عليه السلام

وأكثر من ذلك فإنّ عثمان لم يحترم أمير المؤمنين علي عليه السلام علىٰ عظمته وثقله في الإسلام، وإليك هذا الشاهد التأريـخي لتـعرف مـدى جـرأة عـثمان وقساوته.

ينقل ابن أبي الحديد المعتزلي: وكان أبو ذرّ رضي الله عنه يقول: والله لقـد حـدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا سنّة نبيّه، والله إنّي لأرىٰ حقّاً يُطفأ وباطلاً يُحيا وصادقاً مكذّباً... فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أمّا بعد فاحمل جُندباً (أبا ذرّ) إليَّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجّه به مع مَن سار به الليل والنهار وحمله على شارف ـ وهي الناقة المسنّة ـ ليس عليها إلّا قتب حتّى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذيه من الجهد، فلمّا قدم أبو ذرّ إلى المدينة بعث إليه عثمان أن إلْحَق بأيّ أرض شئت. قال: بمكّة؟ قال: لا، قال: فبيت المقدس؟ قال: لا، قال: فأحد المصرين؟ قال: لا، ولكـنّي مسيّرك إلى الربذة، فسيّره إليها فلم يزل بها حتّى مات.

وفي رواية الواقدي أنّ عثمان قال لأبي ذرّ: أنت الذي تزعم أنّا نقول إنّ يد الله مغلولة وإنّ الله فقير ونحن أغنياء؟ فقال أبو ذرّ: لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال الله على عباده ولكنّي أشهد لسمعت رسول الله يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباد الله خَولاً ودين الله دَخلاً» فقال عثمان لمن حضره: أسمعتموها من نبيّ الله؟ فقالوا: ما سمعناه. فقال عثمان: ويلك يا أبا ذرّ أتكذب على رسول الله؟ فقال أبو ذرّ لمن حضر: أما تظنّون أنّي صدقت؟ قالوا: لا والله ما ندري، فقال عثمان: ادعوا لي عليّاً فدُعي فلمّا جاء قال عثمان لأبي ذرّ: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص فحدّثه فقال عثمان لعلي: هل سمعت هذا من رسول الله؟ فقال عليّ عليه السلام: لا وقد صدق أبو ذرّ. قال عثمان: بِمَ عرفت صدقه؟ قال: لأنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ فقال جميع مَن حضر من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لقد صدق أبو ذرّ، فقال أبو ذر: أُحدّثكم أنّي سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ تتّهموني، ما كنت أظنّ أنّي أعيش حتّى أسمع هذا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عثمان: كذبت ولكنّك تريد الفتنة وتحبّها قد انفلت الشام علينا، فقال أبو ذرّ: اتّبع سُنّة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام، فقال عثمان: ما لك وذلك لا أُمّ لك. فقال أبو ذرّ: والله ما وجدت لي عذراً إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فغضب عثمان وقال: أشيروا عليَّ في هذا الشيخ الكذّاب[1] إمّا أنّ أضربه أو أحبسه أو أقتله فإنّه قد فرّق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام، فقال عليّ عليه السلام: أشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون ﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي

---

(١) أقول: النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يصف أبا ذرّ بأنّه أصدق ذي لهجة، وعثمان يصفه بالكذّاب فانظر أيّها القارئ إلى الجرأة والجسارة على مخالفة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

يعدكم﴾ فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحبّ ذكره[١] وأجابه عليه السلام بمثله[٢].

وجاء في أنساب الأشراف للبلاذري: لمّا وصل خبر وفاة أبي ذرّ إلى عثمان قال: رحمه الله، فكان عمّار بن ياسر حاضراً فقال: نعم فرحمه الله من كلّ أنفسنا، فتغيّر عثمان لمّا سمع ذلك فقال له: يا عاض أير أبيه[٣]!!! أتراني ندمتُ على تسييره؟ وأمر فدفع في قفاه وقال: الحق بمكانه فأراد أن يسيّره أيضاً[٤] فلمّا عزم عمّار على الرحيل إلى الربذة جاءت قبيلة مخزوم إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وسألوه إعانتهم فقال لهم: لا ندع عثمان ورأيه، فجلس عمّار في بيته وبلغ عثمان ما تكلّمت به بنو مخزوم فأمسك عنه[٥].

وقد فصّل المؤرّخ ابن أعثم في تاريخه[٦] هذه الأحداث حيث ذكر أنّ الإمام علياً عليه السلام لمّا طلبت منه بنو مخزوم أن يتكلّم مع عثمان ذهب إليه وقال له: يا عثمان اتّق الله ما دعاك إلى العجلة في أعمالك هذه، بالأمس سيّرت أبا ذر إلى الربذة حتّى مات فيها غريباً والآن تهدّد بتسيير عمّار بن ياسر، إنّ هذه الأعمال تجرّ سخط الرعية عليك.

فأجاب عثمان بكلّ وقاحة وجرأة: كان من البدء أن نُخرجك أنت حتّى لا يفتعل عمّار وأمثاله الغوغاء، فردّ عليه الإمام: ومَن أنت حتّى تهدّدني بذلك فوالله لا قدرت عليه وإن شئت فجرّب حتّى أُريك ما تكره. وأمّا ما قلت عن

---

(١) ذكر المؤلّف أنّ العبارة التي لم يحبّ أن يذكرها المعتزلي هي: ملأ التراب فاك !!

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة ج٣ ص٥٥ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٣) أقول: عليك أن تعرف مستوى عثمان من خلال هذه الكلمة السوقية يقولها لعمار / المترجم.

(٤) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٧٣.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تاريخ ابن أعثم الكوفي ص١٣٦.

عمّار وأمثاله فإنّهم لم يخطئوا في حقّ قط وإنّما أعمالك دعتهم إلى الخلاف عليك، لأنّهم لا يتحمّلون رؤية الباطل وقبائح أعمال عمّالك.

ومن هذه الأخبار التي يرويها أهل السنّة كثيرة جدّاً كلّها تدلّ على ضعف شخصية عثمان الذي يتّبع مروان وأمثاله، وكذلك عدم إقراره بالحقّ وعدم إذعانه للناصحين وكبار الصحابة الذين سعوا إلى نصحه وهدايته، بل كان يضربهم ويُهينهم وينفيهم، وبإمكانكم مراجعة شرح نهج البلاغة ضمن الجزء الثاني[1] لتلاحظوا تفاصيل هذه الوقائع الفجيعة وبإمكانكم أن تقوموا بمقابلة بين قول أبي بكر: أقيلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم، وقول عمر: لا أبقاني الله بأرضٍ لستَ فيها يا أبا الحسن.. وقوله: عجزت النساء أن تلدن مثل عليّ بن أبي طالب، وقوله: لولا علي لهلك عمر، وقوله: كاد يهلك ابن الخطّاب لولا عليّ بن أبي طالب، وقوله: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن...

تقابلوا بين هذه العبائر وبين أجوبة عثمان لعليّ ولصحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟

سؤال أحد الحاضرين: لقد ذكرتَ في السابق هجوم عمر بن الخطّاب وغيره على دار علي عليه السلام وإحراق باب داره وإيذاء زوجته الطاهرة وسقوط الجنين منها و...، وهي أعمال وصمتها بالسلب والابتعاد عن الإسلام، وأمّا الآن نراك تعظّم سياسة عمر بن الخطّاب وأبي بكر أفلا يكون هذا تناقضاً منك؟

الجواب:

أوّلاً: ما نقلته لكم من مخالفات عمر وأبي بكر كان من مصادر أهل السنّة

---

(١) روي عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنّه قيل له: بأيّ شيء كفّرتم عثمان؟ فقال: بثلاث: جعل المال دولة بين الأغنياء وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة من حارب الله ورسوله وعمل بغير كتاب الله / شرح النهج ج٣ ص٥١ ط دار إحياء الكتب العربية / المترجم.

وهو ثابت عندكم وعندنا أيضاً فلا مجال لردّه إن حاولتَ ذلك عن هذا الطريق.

ثانياً: كلّ ثورة أو انقلاب يحدث يصاحبه سيل من المخالفات الشرعية والعرفية إذا لم يكن هذا الإنقلاب نقيّاً، فما حدث من السقيفة واستغلال الفرصة وإهانة سعد بن عبادة ومحاولة قتله والهجوم علىٰ دار فاطمة و... كلّ ذلك حدث من أجل تثبيت العرش، ولكن بعدما ثبت أخذ عمر وأبو بكر يمارسان لوناً آخر مع عليّ عليه السلام والصحابة الكبار، فكانا يبرزان الاحترام والأدب ولو ظاهريّاً أو سياسيّاً أو مراعاةً للحالة الاجتماعية والإسلامية، وهذا ما أشرنا إليه، وهو ما لم يفعله عثمان أبداً لا ظاهريّاً ولا سياسيّاً ولا...

ثالثاً: ثمّ إنّنا لم نساوِ بين عمر وعليّ عليه السلام حتّى يلزم التناقض وإنّما قسنا سياسة عمر مع سياسة عثمان، ولم نقس سياسة عمر مع سياسة علي ونقول كلاهما واحد، لا أبداً فعندما نقول إنّ سياسة عمر أفضل من سياسة عثمان هذا لا يعني أنّ سياسة عمر مثل سياسة علي، وإنّما قلنا إنّ سياسة عمر أفضل من سياسة عثمان، وأمّا ما صدر من عمر فهو طرف مسكوت عنه.

سؤال أحد الحاضرين: لقد عُرف الإمام علي عليه السلام بالبطولة والشجاعة فكيف تحمّل الإهانة وعدم الاحترام من عثمان كما نقلت؟

سبب سكوت الإمام علي عليه السلام عن أعدائه

الجواب: عليكم أن تعرفوا أنّ أهم صفة امتاز بها الإمام عليّ عليه السلام هي الصبر، فصبره هو الذي جعله يسكت عن حقّه في الخلافة أيّام السقيفة وصبره هو الذي دفعه للسكوت عن حقوقه المالية، والصبر على ظلم الطاهرة الصدّيقة فاطمة عليها السلام حتّى قال عليه السلام في خطبته الشقشقية «فصبرتُ وفي العين قذىٰ وفي الحلق شجىٰ أرىٰ تراثي نهباً» وهكذا لمّا أخذ جبراً من بيته إلى المسجد ليبايع أبا بكر تلا قوله تعالى: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أُخذتم عذابٌ عظيم﴾

وهذا يعني وجود أمر سابق له عليه السلام بالصبر والسكوت والتحمّل وعدم الدخول مع ظالميه في حرب داخلية قد تهدّد الواقع الإسلامي كلّه وبالتالي يكون عليه السلام قد تسبّب في انهيار الدين، فلولا كتاب سبق، لما سكت عن حقوقه المهضومة.

سؤال أحد الحاضرين: من أين لك بالدليل على أنه عليه السلام سكت لكتاب سبق إليه أو أنّه كان مأموراً بالسكوت والصبر، بينما القاعدة الإسلامية والإنسانية من حق كلّ مظلوم أن يقوم ضدّ ظالميه ويسترد حقّه، لاسيّما إذا قام علي عليه السلام مع أهل بيته وعشيرته ضدّ ظالميه.

الجواب: لقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بها أمير المؤمنين بالصبر بعد وفاته حينما يتعرّض إلى الاضطهاد والظلم، فمنها ما روي في ينابيع المودّة قال: أخرج موفّق بن أحمد الخوارزمي والحمويني بالإسناد عن أبي عثمان النهدي عن علي عليه السلام قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتينا على حديقة فاعتنقني وأجهش باكياً، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟

فقال: أبكي لضغائن في صدور قومٍ لا يبدونها لك إلّا بعدي، فقلت: في سلامة من ديني؟ فقال: في سلامة من دينك[1].

---

(١) ينابيع المودّة ج١ باب ٤٥ ص١٣٤ ط بيروت.

أقول: وجاء أيضاً عن رسول الله أحاديث مشابهة لهذا منها:

قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: إنّ الأمّة ستغدر بك من بعدي وأنت تعيش على ملّتي...

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: أما أنّك ستلقىٰ بعدي جهداً، قال: في سلامة من ديني؟ قال: نعم/ انظر كنز العمّال ج١١ رقم ٣٢٩٩٧ ورقم ٣٢٩٩٦.

وجاء في البحار: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: أبكي لضغائن في صدور قومٍ لن تبدو لك إلّا من بعدي، قال: يارسول الله كيف أصنع؟ قال: تصبر فإن لم تصبر تَلْق جهداً وشدّة.. /ج٤١ ص٥ باب ٩٩ /المترجم.

وذكر الطبرسي عن أحمد بن همام قال: أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر فقلت: يا عبادة أكان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف؟ فقال: يا أبا ثعلبة إذا سكتنا عنكم فاسكتوا، ولا تباحثونا فوالله لعليّ بن أبي طالب كان أحقّ من أبي بكر كما كان رسول الله ﷺ أحقّ بالنبوّة من أبي جهل، قال: وأزيدكم إنّا كنّا ذات يوم عند رسول الله ﷺ فجاء عليّ عليه السلام وأبو بكر وعمر إلى باب رسول الله ﷺ فدخل أبو بكر ثمّ دخل عمر ثمّ دخل عليّ عليه السلام على أثرهما فكأنّما سفي على وجه رسول الله الرماد ثمّ قال: يا علي أيتقدّمانك هذان وقد أمّرك الله عليهما؟! فقال أبو بكر: نسيت يارسول الله، وقال عمر: سهوت يارسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ما نسيتما ولا سهوتما وكأنّي بكما قد سلبتماه ملكه وتحاربتما عليه وأعانكما على ذلك أعداء الله وأعداء رسوله وكأنّي بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف على الدنيا ولكأنّي بأهل بيتي وهم المقهورون المشتّتون في أقطارها وذلك لأمر قد قضي. ثمّ بكىٰ رسول الله ﷺ حتّى سالت دموعه، ثمّ قال: يا علي الصبر الصبر حتّى ينزل الأمر ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم فإنّ لك من الأجر في كلّ يوم ما لا يحصيه كاتباك فإذا أمكنك الأمر فالسيف السيف القتل القتل حتّى يفيئوا إلى أمر الله وأمر رسوله فإنّك على الحقّ ومن ناواك على الباطل وكذلك ذرّيتك من بعدك إلى يوم القيامة[1].

وأيضاً روي عن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: خطب أمير المؤمنين بالكوفة فلمّا كان في آخر كلامه قال: ألا وإنّي لأولى الناس بالناس ومازلتُ مظلوماً منذ قبض رسول الله ﷺ، فقام إليه الأشعث بن قيس (وهو من المنافقين ومن محبّي معاوية ـ وستأتي الإشارة إلى ذكره ـ) وقال: يا أمير

---

(١) الاحتجاج ج ١ ص١٩٦ ط الأعلمي، بيروت.

المؤمنين لم تخطبنا خطبة منذ قدمت العراق إلّا وقلت والله إنّي لأولى الناس بالناس فما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله، ولمّا وليّ تيم وعدي ألا ضربت بسيفك دون ظلامتك؟

فقال أمير المؤمنين: يا ابن الخمّارة قد قلت قولاً فاسمع منّي، والله ما منعني من ذلك إلّا عهد أخي رسول الله ﷺ أخبرني وقال لي: يا أبا الحسن إنّ الأمّة ستغدر بك وتنقض عهدك وإنّك منّي بمنزلة هارون من موسىٰ، فقلت: يارسول الله فما تعهد إليّ إذا كان ذلك كذلك؟ فقال: إن وجدتَ أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحقن دمك حتّى تلحق بي مظلوماً، فلمّا توفّي رسول الله ﷺ اشتغلت بدفنه والفراغ من شأنه ثمّ آليت يميناً أنّي لا أرتدي إلّا للصلاة حتّى أجمع القرآن ففعلت ثمّ أخذته وجئت به فأعرضته عليهم قالوا: لا حاجة لنا به.

ثمّ أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين ثمّ درتُ على أهل بدر وأهل السابقة فأنشدتهم حقّي ودعوتهم إلى نصرتي فما أجابني منهم إلّا أربعة رهط: سلمان وعمّار والمقداد وأبو ذرّ وذهب من كنت أعتضد بهم علىٰ دين الله من أهل بيتي وبقيت بين حفيرين قريبي العهد بجاهلية عقيل والعبّاس[1].

---

(١) الاحتجاج ج١ ص١٩٠ ط الأعلمي.

ومن أجل تعميم وإتمام الفائدة أذكر بقيّة الحوار:

فقال له الأشعث: كذلك كان عثمان لمّا لم يجد أعواناً كفّ يده حتّى قُتل. فقال أمير المؤمنين: ياابن الخمّارة ليس كما قست إنّ عثمان جلس في غير مجلسه وارتدىٰ بغير ردائه صارع الحقّ فصرعه الحقّ، والذي بعث محمّداً بالحقّ لو وجدتُ يوم بويع أخو تيم أربعين رهطاً لجاهدتهم في الله إلى أن أبلي عذري، ثمّ قال: أيّها الناس إنّ الأشعث لا يزن عند الله جناح بعوضة وإنّه أقلّ في دين الله من عفطة عنز / المترجم.

تأسّي أمير المؤمنين(ع) بالأنبياء

روي أنّ أمير المؤمنين كان جالساً في بعض مجالسه بعد رجوعه من النهروان فجرى الكلام حتىٰ قيل له: لِمَ لا حاربت أبا بكر وعمر كما حاربت طلحة والزبير ومعاوية؟ فقال: إنّي كنت لم أزل مظلوماً مستأثراً على حقّي فقام إليه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين لِمَ لم تضرب بسيفك ولم تطلب بحقّك؟ فقال: يا أشعث قد قلت قولاً فاسمع الجواب وعه واستشعر الحجّة: إنّ لي أُسوة بستّة من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين: أوّلهم نوح عليه السلام حيث قال: ﴿إنّي مغلوب فانتصر﴾[1] فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلّا فالوصي أعذر.

وثانيهم لوط عليه السلام حيث قال: ﴿لو أنّ لي بكم قوّةً أو آوي إلى ركنٍ شديد﴾[2] فإن قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلّا فالوصيّ أعذر.

وثالثهم إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾[3] فإن قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلّا فالوصيّ أعذر.

ورابعهم موسىٰ عليه السلام حيث قال: ﴿ففررت منكم لمّا خفتكم﴾[4] فإن قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلّا فالوصي أعذر.

وخامسهم أخوه هارون عليه السلام حيث قال: ﴿يابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾[5] فإن قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلّا فالوصي

---

(١) القمر: ١٠.

(٢) هود: ٨٠.

(٣) مريم: ٤٨.

(٤) الشعراء: ٢١.

(٥) الأعراف: ١٥٠.

أعذر.

وسادسهم أخي محمّد ﷺ خير البشر حيث ذهب إلى الغار ونومي على فراشه فإن قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلّا فالوصي أعذر[١].

أقول: أمّا الآية الأُولى فإنّه عليه السلام يشير فيها أنّ النبيّ نوحاً عليه السلام لم يواجه المشركين لوجود حكمة ما، ولكنّه دعا ربّه لقلّة الناصر وهكذا لوط لم يمارس المواجهة والقتال لقلّة الناصر وهكذا بقيّة الأنبياء العظام الذين ذكرهم عليه السلام.

وأمّا إبراهيم الخليل عليه السلام فوضعه في بداية الدعوة لم يختلف عن نوح ولوط فقد هُدّد من قِبل عمّه آزر بالقتل والرجم والطرد ونظراً لقلّة الناصر فإنّه اتّخذ طريقاً آخر للدعوة في مجتمع آخر وغادر قومه دون أن يواجههم بالحرب، والأمر نفسه مع موسى الكليم عليه السلام ورسولنا الكريم ﷺ.

فشابهت مواقفهم مواقف الإمام علي عليه السلام ولذلك اعتزل القتال والحرب تأسّياً بالأنبياء عليهم السلام.

ولمّا سمع الناس كلام أمير المؤمنين هذا قاموا وقالوا له: يا أمير المؤمنين قد علمنا أنّ القول لك ونحن المذنبون التائبون وقد عذرك الله.

فمن قبيل هذه الروايات يوجد الكثير ويُفهم من خلالها أنّ سكوت الإمام كان وفقاً للحكمة التي سار عليها الأنبياء المتمثّلة إمّا بقلّة الناصر أو قلّة المخلصين أو غياب الوعي عن الأفراد أو خوف حصول الهرج والمرج مع عدم تفهّم هدف الحركة أو القتال وما شابه ذلك، وإلّا فالسكوت لا يعطي للطرف المقابل الشرعيّة وحقّ الحكم. لاسيّما إذا لاحظنا المسلمين العرب في ذلك

---

(١) الاحتجاج ج٢ ص١٩٠ ط الأعلمي بيروت.

أقول: لا يخفىٰ أنّ فيه عليه السلام خصال الأنبياء جميعاً كما هو مروي ولكنّه أشار إلى هؤلاء الستّة عليهم السلام لوجه الشبه في هذا الموضوع / المترجم.

الزمان قد كانوا حديثي العهد بالإسلام ولا يزال الإيمان لم يرسخ في قلوب الكثير منهم فقد يتصوّرون حرب الإمام علي عليه السلام مع غاصبي حقّه حرباً أهليّة أو حرباً من أجل المنصب ولا يفهمون البُعد الحقيقي للقتال ممّا يؤدّي إلى نتائج سلبية وعكسية وخيمة جدّاً تؤدّي إلى انهيار الإسلام وقتل رموزه الطاهرة ـ كما صرّح به عليه السلام ـ ولهذا كلّه امتنع الإمام من القتال[1].

ولهذا أيضاً لما رأى الفرصة مناسبة لإعلان الحقائق وتذكير الأُمّة نهض أمير المؤمنين عليه السلام موضّحاً كلّ هذه الملابسات والفتن قائلاً:

«أمّا بعد فإنّه لمّا قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد ولا يطمع في حقّنا طامع إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبيّنا فصارت الإمرة لغيرنا وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزّز علينا الذليل فبكت الأعين منّا لذلك وخشنت الصدور وجزعت النفوس وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر ويبور الدين لكنّا علىٰ غير ما كنّا لهم عليه، فولّي الأمر ولاة لم يألوا الناس خيراً ثمّ استخرجتموني أيّها الناس من بيتي فبايعتموني علىٰ شين منّي لأمركم وفراسة تصدّقني ما في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في أوّل من بايع تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرّقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم، اللّهمّ فخذهما بما عملا أخذة واحدةً رابية ولا تنعش لهما صرعة ولا تقل لهما عثرة ولا تمهلهما فواقاً، فإنّهم يطلبان حقّاً تركاه ودماً سفكاه، اللّهمّ إنّي أقتضيك وعدك وإنّك قلت وقولك الحقّ ﴿لمن بغي عليه لينصرنّه الله﴾ اللّهمّ فانجز لي

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله لأسلمنّ ما سلمت أُمور المسلمين ولم يكن فيها جورٌ إلّا عليَّ خاصّةً التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجِهِ / نهج البلاغة رقم ٧٤ / المترجم.

موعدك ولا تكلني إلى نفسي إنّك علىٰ كلّ شيءٍ قدير[١].

وقالعليه‌السلام في خطبة ثانية ذكرها ابن أبي الحديد المعتزلي عندما عزم على المسير إلى البصرة لإطفاء الفتنة التي أثارها طلحة والزبير وعائشة قال بعد الحمد والثناء:

إنّ الله لمّا قبض نبيّهصلى‌الله‌عليه‌وآله استأثرتْ علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من الناس كافّة فرأيت أنّ الصبر علىٰ ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم والناس حديثو عهد بالإسلام والدين يمخض مخض الوطب يفسده أدنىٰ وهن ويعكسه أقلّ خلق فولّي الأمر قوم لم يأتوا في أمرهم اجتهاداً ثمّ انتقلوا إلى دار الجزاء والله وليّ تمحيص سيئاتهم والعفو عن هفواتهم[٢].

رسالته(ع) إلى أهل مصر

ولعلّ أوضح بيان لعلّة سكوته وعدم مقاتلته غاصبيه ما كتبه إلى أهل مصر حيث جاء في كتابهعليه‌السلام: أمّا بعد فإنّ الله سبحانه بعث محمّداًصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم نذيراً للعالمين ومهيمناً على المرسلين فلمّا مضىعليه‌السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تُزعج هذا الأمر من بعدهصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عن أهل بيته ولا أنّهم منعوه عنّي من بعده فما راعني إلّا انثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت يدي حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرىٰ فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٢ ص٤٣٦، ط: مؤسسة الأعلمي بيروت ١٩٩٣م.

(٢) المصدر السابق.

هي متاع أيّام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب فنهضتُ في تلك الأحداث حتّى زاحَ الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه[١].

فكان سكوته لمصلحة الإسلام وأهله وحفظ بيضة الدين وهيبته والدفاع عنه في ميادين المناظرات والحوارات الفكرية والعقائدية التي كان يتصدّى لها أمير المؤمنينعليه‌السلام مع اليهود والنصارى، ولم يكن السكوت خوفاً أو تراجعاً وإنّما تضحية كبرىٰ تدلّل علىٰ عظمة الإمام وهمّته في حفظ الدين ونظرته البعيدة لمستقبل الإسلام، وأيضاً إفشالاً لمخطّطات المنافقين الذين يخوضون في الماء العكر ويرغبون دائماً في الانقسامات والاختلافات لأنّها أجواؤهم المفضّلة.

وبعد كلّ هذا أعود معكم إلى الموضوع الذي كنّا نتكلّم حوله ألا وهو الإشارة إلى بعض أعمال عثمان بن عفّان.

عبدالله بن سعد بن أبي سرح

هو أخو عثمان من الرضاعة، حتّى ذكر الشهرستاني ضمن كلامه حول مخالفات عثمان: ومنها إيواؤه عبدالله بن سعد بن أبي سرح وكان رضيعه ـ أي لعثمان ـ بعد أن أهدر النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم دمه وتوليته إيّاه مصر بأعمالها[٢].

وكان عبدالله قد أسلم وهاجر إلى المدينة لكنّه ارتدّ بعد فتح مكّة ولذلك أباح النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم دمه وأمر المسلمين بقتله في أيّ مكان يجدونه حتّى لو كان متعلّقاً بأستار الكعبة!!

وفي هذه الأثناء كان عبدالله مخفيّاً في بيت عثمان بن عفّان للصلة التي

---

(١) المصدر السابق باب المختار من كتبهعليه‌السلام.

(٢) الملل والنحل ج١ ص٢٦ الخلاف التاسع، ط: دار الفكر، بيروت.

بينهما إلى أن مضىٰ عليه زمن وهو في بيت عثمان يأكل ويشرب وينام!!

فلمّا أسلم أهل مكّة كلّهم جاء عثمان مع عبدالله بن سعد إلى رسول الله ﷺ طالباً الشفاعة له وهو يتوسّل برسول الله عسى أن يعفو عنه ويصفح بينما ظلّ النبيّ ﷺ ساكتاً لا يردّ عليه جواباً حتّى طرده في نهاية الأمر وأمر أن يخرج من المدينة، ثمّ أخبر ﷺ الأصحاب عن علّة سكوته أوّلاً حيث قال: كنتُ أنتظر أحدكم أن يقوم بالسيف ويقتل عبدالله، وهكذا ظلّ عبدالله بن سعد شخصاً غير مرغوب فيه حتّى في أيّام خلافة الأوّل والثاني، إلى أن جاء عثمان وخالف سيرة النبيّ ﷺ وسيرة شيخيه ولم يحترم مشاعر الأُمّة فأتىٰ بعبدالله وجعله والياً على مصر وأوكل إليه فتح أفريقيّة مع عبدالله بن العبّاس وابن عمر وابن الزبير.

عبدالله بن عامر بن كريز

وهو أيضاً ممّن ذكره الشهرستاني ضمن مخالفات عثمان حيث قال: وتوليته عبدالله بن عامر البصرة حتّى أحدث فيها ما أحدث[1].

وهو ابن خال عثمان ولّاه البصرة عام ٢٩هـ وفي أيّامه تمّ فتح خراسان وفارس وسجستان وكرمان على ما نقل ابن الأثير.

وبعدما قُتل عثمان وبويع بالخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام عزل جميع عمّال عثمان ومنهم عبدالله بن عامر، إلّا أنّ الأخير سرق أموال بيت المال كلّها وأخذها معه إلى المدينة ثمّ عمل مع طلحة والزبير في صرفها لتجنيد جيش الجمل الذي حارب أمير المؤمنين بقيادة عائشة.

---

(١) المصدر السابق.

أُمراء جند عثمان

وكتب الشهرستاني: وكان أُمراء جنوده ـ عثمان ـ: معاوية بن أبي سفيان عامل الشام وسعد بن أبي وقّاص عامل الكوفة، وبعده الوليد بن عُقبة (أخ عثمان لأمّه) وعبدالله بن سعد عامل البصرة..[١].

فهؤلاء عُرفوا بالفساد والمكر والحيلة وإيجاد الاختلاف والحروب ونشر المحرّمات، فإنّ الوليد كان قد سهر في واحدة من لياليه الحمراء إلى الفجر وهو سكران ثمل لا يدري ما يدور حوله ثمّ ذهب إلى المسجد فصلّى بالمسلمين جماعة وهو ثمل فصلّىٰ بهم صلاة الصبح أربع ركعات ثمّ التفت إليهم قائلاً: هل أزيدكم..[٢].

فهؤلاء مضافاً إلى مفاسدهم واستهتارهم فإنّهم كما وصفهم الشهرستاني قائلاً: «وكلّهم خذلوه ـ لعثمان ـ ورفضوه حتّى أتىٰ قدره عليه، وقُتل في داره وثارت الفتنة..»[٣].

وهكذا بدأ هذا السرطان الجديد يدبّ في الأُمّة الإسلامية بأذرعه الأمويّة القذرة التي ما برحت من التنكيل بالإسلام والمسلمين وما برحوا ـ بني أُميّة ـ يعملون على زعزعة الصفّ الإسلامي الواحد وإيجاد التخلخل فيه وزرع الطائفية والقومية والأفكار الجاهلية لبثّ الافتراق والاختلاف الذي روى من بني أُمية ماؤه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٨ ص٢٢٩ ط دار إحياء الكتب العربية، ومروج الذهب ج٢ ص٣٣٤.

(٣) الملل والنحل ج١ ص٢٦.

فقد عملوا جاهدين لحرب صفّين والجمل وغير ذلك من قتل الأبرياء ورجالات الأُمّة الأفذاذ ومفاخرها وأبطالها، وتنصيب الصبيان على الولايات والمراكز المهمّة بدوافع قومية قَبليّة حتّىٰ صارت أفعال بني أُميّة على مرّ العشرات من السنين أحد أسباب افتراق الأُمّة.

سؤال أحد الحاضرين: إذا كان الاختلاف والافتراق حصل بسبب فساد بني أُميّة فلماذا بقي هذا الاختلاف أثناء حكومة الإمام عليّ عليه السلام؟

الجواب: إنّ ما فعله عمّال عثمان وهم فروع الشجرة الملعونة من بني أُميّة وبني العاص لم يكن بالسهل إزالته خلال حكومة الإمام عليّ عليه السلام، ومع ذلك فإنّ الإمام صمّم وعمل علىٰ رفع الظلم والفساد وقلع مظاهر البذخ والثراء وإلغاء المحسوبيّات، إلّا أنّهم لم يمهلوا الإمام الفرص الكافية لنشر العدل فأثاروا ضدّه حرب الجمل ثمّ حرب صفّين وهكذا أفرزت الحرب الأخيرة حرباً ضروساً وهي النهروان، ولهذا ظلّ الإمام علي عليه السلام أثناء فترة خلافته يعمل على قتال الناكثين والمارقين والقاسطين وهم أُسّ الفساد والافتراق.

دراسة حول الاختلاف العاشر ـ خلافة أمير المؤمنين

وهو الاختلاف الذي ذكره الشهرستاني سابقاً، وقبل ذلك علينا أن نوضّح لكم أمراً مهمّاً وهو أنّ أمير المؤمنين لمّا جاء إلى الخلافة كانت الحالة العامّة لدى الناس هي التذمّر من سياسة عمّال عثمان، والجميع كان يحلم بالعدل والمساواة والأمن والسلام.

فلمّا قُتل عثمان أقبل الناس بكامل اختيارهم إلى بيت الإمام عليّ عليه السلام يبايعونه، ولمّا تمّت البيعة له صعد المنبر وقال: .. فأنتم عباد الله والمال مال الله يُقسّم بينكم بالسويّة لا فضل فيه لأحد على أحد وللمتّقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتّقين أجراً ولا ثواباً وما عند الله خير

للأبرار وإذا كان غد إن شاء الله فاغدوا علينا، فإنّ عندنا مالاً نقسمه فيكم ولا يتخلّفن أحد منكم عربي ولا عجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن إذا كان مسلماً حرّاً[1].

ثمّ عزل أموال عثمان الخاصّة عن أموال بيت المال وأعطى القسم الأوّل للورثة ثمّ بدأ في اليوم الثاني بالعطاء فبدأ بالمهاجرين ثمّ الأنصار ثمّ بقيّة المسلمين لم يفرّق في عطائه بين الغني والفقير أو الكبير والصغير فأعطى لكلّ واحد ثلاثة دنانير ولم يفضّل أحداً على أحد[2].

وهكذا قسّم الإبل والأسلحة وبقيّة الغنائم التي استأثر بها عثمان ففرح الفقراء بهذا العدل واستبشر المؤمنون بهذه السيرة وحلم المسلمون بالأمن والأمان والضمان والمحبّة، ومن جهة ثانية اشتدّ غضب الطبقات الثرية التي رأت الخطر في سيرة الإمام عليعليه السلام لأنّه يقف أمام طموحاتهم الحقيرة وأحلامهم القذرة وجشعهم اللا محدود فكانوا ينظرون إلى الدنانير الثلاثة وملئهم الاستهزاء بها بعدما كانوا يقبضون من عثمان المئات والألوف، ولذا كان العدل في نظرهم يُعدّ خطراً على مصالحهم.

وكانت سيرة أمير المؤمنينعليه السلام بالنسبة إليهم جرس الإنذار، لأنّهم لم يألفوا العدل والحقّ والصدق والإسلام الحقيقي، بل كانت سيرة عثمان قد أبعدتهم عن كلّ ذلك ولهذا وجدوا في أمير المؤمنين عليّعليه السلام خطراً وكان عثمان يقف وراء هذه النظرة بسلوكه معهم. ولكي يتّضح لكم ذلك أذكر بعض المقتطفات من سيرة عثمان القائمة على البذخ والإسراف:

فإنّه ـ عثمان ـ أعطىٰ ثلاثمائة ألف (٣٠٠/٠٠٠) درهم إلى الحكم بن أبي

---

(١) البحار ج٣٢ ص١٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) المصدر ص١٨.

العاص مع أنّه ملعون وطريد رسول الله ﷺ[١].

وأعطى خمس غنائم أفريقيا وخمس غنائم بلاد أرمينية البالغة مائتي ألف (٢٠٠/٠٠٠) دينار مع مائة ألف درهم (١٠٠/٠٠٠) إلى مروان بن الحكم الملعون[٢].

وأعطى لعبد الله بن خالد بن أُسيد الأموي أربعمائة ألف (٤٠٠/٠٠٠) درهم.

وأعطىٰ مائة ألف درهم لطلحة بن عبيد الله، ومائة ألف درهم لسعيد بن العاص، ومائتي ألف درهم لأبي سفيان وستمائة ألف درهم للزبير بن العوّام ومائة ألف درهم لزيد بن ثابت الأنصاري[٣].

---

(١) أُنظر شرح النهج ج ١ ص ٢٩٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٢) المصدر نفسه، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢٦.

وكان عثمان ينظر إلى الإمام علي ﷺ نظرة استخفاف وكان يُفضِّل هذا الطريد الملعون ـ مروان ـ عليه وقد صرّح هو ـ عثمان ـ بذلك حينما قال لعلي في واحدة من المحاورات الساخنة «فوالله ما أنت عندي بأفضل منه ـ أي من مروان»!! فغضب علي بن أبي طالب وقال: إليَّ تقول هذا القول وبمروان تعدلني فأنا والله أفضل منك وأبي أفضل من أبيك وأُمّي أفضل من أُمّك... /انظر مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٢.

قال ابن أبي الحديد: وأمّا مروان فأخبث عقيدة وأعظم إلحاداً وكفراً وهو الذي خطب يوم وصل إليه نبأ قتل الحسين فقال: يا محمّد يوم بيوم بدر، وهذا القول مشتقّ من الشعر الذي تمثّل به يزيد لعنه الله /انظر شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٢ دار إحياء الكتب العربية /المترجم.

(٣) قال المؤرِّخ المسعودي في مروج الذهب: إنّ عثمان يوم قُتِل كان له عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرىٰ وحُنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلّف خيلاً كثيراً وإبلاً.

←

وأعطى لأصهاره كلّ واحد مائة ألف درهم، ومثل هذه الأرقام كان عثمان يُعطي ويهب لمن يحبّه ويرتضيه ولمن يتولّاه فقط، بينما يمنع الدراهم المعدودات على مَن خالفه، فعلى هذه الطريقة اشترى عثمان إيمان قوم وضمائر آخرين واستذلّ شموخهم عبر المال، فارتبطوا بالدنيا وعاشوا لأجلها.

ولهذا رأوا في عدل أمير المؤمنين خطراً محدقاً بهم، وعرفوا من سيرة الإمام عليّ عليه السلام أنّ ثراءهم سوف يقف عند حدٍّ ما، لأنّه عليه السلام سيجعل عطاءهم مثل عطاء أفقر المسلمين.

وبعبارة أُخرى كانت سيرة عثمان هي التي أفرزت أعداء جُدداً لعليّ عليه السلام وهي التي حرّضت الأعداء التقليديّين له ودفعت هذه الطبقة المنتفعة بأموال المسلمين نحو إعداد الحرب ضدّ الخليفة العادل والسعي بكلّ جهد لعرقلة مسيرة الخليفة العادل ومضايقته بخلق الفتن وإثارة بعض المشاكل وتفجير الواقع، كما عمل المنافقون سابقاً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

← وبلغت ثروة الزبير أيّام عثمان خمسين ألف دينار، وخلّف ألف فرس وألف عبد وأمة..

وبلغت ثروة طلحة أنّ غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك وبناحية الشراة أكثر ممّا ذكرنا.

وعبدالرحمن بن عوف كان علىٰ مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة من الغنم.

وابتنىٰ سعد بن أبي وقّاص داره بالعقيق.. وجعل أعلاها شرفات.

وخلّف زيد بن ثابت حين مات من الذهب والفضّة ما كان يكسّر بالفؤوس غير ما خلّف من الأموال والضياع / المروج ج ٢ ص ٣٣٢.

وذكر المسعودي في مروجه ج ٢ ص ٤١٩ عن زهد الإمام عليّ عليه السلام: «لم يلبس عليه السلام في أيّامه ثوباً جديداً ولا اقتنىٰ ضيعة ولا ريعاً» / المترجم.

اعتراض أهل الدنيا

وكان أوّل عمل بادر به هؤلاء الأثرياء أن اعترضوا علىٰ هذه العدالة وسخطوا على الإنصاف وقاوموا المساواة وجاءوا إلى أمير المؤمنين معترضين: كيف يساوي بينهم وبين العبد المحرّر والمُعتق والمسلم الفقير؟

فاعترض عليه طلحة والزبير وعبدالله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وجماعة من قريش وآخرون من بني أُميّة وبني العاص وغيرهم ممّن يبطن الحقد والبغض لعليّ عليه السلام الذي قتل آباءهم أو إخوانهم في حرب بدر وأُحد والأحزاب، وممّن أُترفوا على موائد عثمان وأصحاب الجاه العريض الذي بنوه لأنفسهم على حساب جوع وفقر بقيّة المسلمين لاسيّما أهل البيت عليهم السلام.

ماذا قال المنافقون والأمويّون لعليّ عليه السلام؟

وفي اليوم التالي: فبينما الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة فجلسا ناحية عن علي عليه السلام ثمّ طلع مروان وسعيد وعبدالله بن الزبير فجلسوا إليهما ثمّ جاء قوم من قريش فانضمّوا إليهم فتحدّثوا نجياً ساعة ثمّ قام عبدالله بن عمر وقال لعليّ عليه السلام: إنّي ناصح لك إنّ بيعتك لم يرض ـ بها ـ كلّهم فلو نظرت لدينك ورددت الأمر شورىٰ بين المسلمين، فقال له عليه السلام: ويحك وهل ما كان عن طلب منّي لهم؟ ألم يبلغك صنيعهم، قم عنّي يا أحمق ما أنت وهذا الكلام[1]، ثمّ توجّه إليه الوليد بن عُقبة وقال له: يا أبا الحسن إنّك قد وترتنا جميعاً أمّا أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً وخذلت أخي يوم الدار بالأمس، وأمّا

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠ ط دار إحياء الكتب العربية.

سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وكان ثور قريش، وأمّا مروان فسخّفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال في أيّام عثمان وأن تقتل قتلته وإنّا إن خفناك تركتنا والتحقنا بالشام.

فقال عليه السلام: أما ما ذكرتم من وتري إيّاكم فالحقّ وتركم. وأمّا وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حقّ الله عنكم ولا عن غيركم، وأمّا قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ولكن لكم عليّ إن خفتموني أن أؤمنكم وإن خفتكم أن أسيّركم[1].

فمن خلال هذه المحاورة الصريحة التي أدلىٰ فيها الوليد ما يجول في قلوبهم اتجاه الإمام علي، يظهر لكم الحقد والبغض الذي ينطوي عليه هؤلاء القوم وعدم قبولهم العدل والمساواة والحقّ.

بعد ذلك أمر الإمام علي عليه السلام عمّار بن ياسر أن يذهب إلى المسجد وينادي طلحة والزبير.

محاورة بين الإمام علي(ع) وطلحة والزبير

فلمّا جاءا إليه قال عليه السلام لهما: نشدتكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتماني إليها وأنا كارهٌ لها؟ قالا: نعم، فقال عليه السلام: غير مجبرين ولا مقسورين فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما؟ قالا: نعم، قال: فما دعاكما بعد إلى ما أرى؟ قالا: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضي في الأُمور ولا تقطعها دوننا وأن تستشيرنا في كلّ أمر ولا تستبدّ بذلك علينا ولنا من الفضل علىٰ غيرنا ما

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٧٨ وشرح نهج البلاغة ج٧ ص٣٨ ط دار إحياء الكتب العربية.

قد علمت فأنت تقسّم القسم وتقطع الأمر وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

فقال عليه السلام: لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً فاستغفرا الله يغفر لكما ألا تخبرانني أدفعتكما عن حقّ وجب لكما فظلمتكما إيّاه؟ قالا: معاذ الله، قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسي شيء؟ قالا: معاذ الله، قال: فما الذي كرهتما من أمري حتّى رأيتما خلافي؟ قالا: خلافك عمر بن الخطّاب في القسم إنّك جعلت حقّنا في القسم كحقّ غيرنا وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا... فقال عليه السلام: أمّا ما ذكرتموه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنّكم دعوتموني إليها وجعلتموني عليها فخفت أن أردّكم فتتخلّف الأمّة فلمّا أفضتْ إليَّ نظرتُ في كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فأمضيت ما دلّاني عليه واتّبعته ولم أحتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنّة برهانه واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه.

وأمّا القسم والأسوة فإنّ ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء قد وجدتُ أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم مجيد.

وأمّا قولكما جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواءً بيننا وبين غيرنا فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في القسم ولا آثرهم بالسبق والله سبحانه موفٍ السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلّا هذا أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وألهمنا وإيّاكم الصبر[1].

---

(١) شرح النهج ج٧ ص٤١ ـ ٤٢، دار إحياء الكتب العربية.

فخرجا من عنده وهما يكتمان البغض والحقد، وعملا في المدينة على زعزعة الأمور وتشويه صورة الإمام عليعليه السلام عند العامّة، فيما كتب أتباع معاوية ومحبّو بني أُميّة إلى معاوية رسائل يذكرون له ما حصل بين طلحة والزبير وبين الإمام عليعليه السلام، فأمر معاوية أن تُكتَب رسالة مزوّرة عن لسانه موجّهة إلى الزبير كتبوا فيها:

رسالة مزوّرة من معاوية إلى الزبير

لعبد الله بن الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان:

سلام عليك أمّا بعد: فإنّي قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوثقوا كما يستوثق الحلف، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقنّك إليها ابن أبي طالب فإنّه لا شيء بعد هذين المصرين وقد بايعت لطلحة بن عبيدالله من بعدك فاظهر الطلب بدم عثمان وادع الناس إلى ذلك، ولكن منكما الجدّ والتشمير أظفركم الله وخذل مناويكما[1]، فلمّا وصل هذا الكتاب إلى الزبير أعلم به طلحة وأخفياه عن الإمام عليّعليه السلام.

طمع طلحة والزبير في الولاية

وقد ذكر المؤرّخون أنّ طلحة والزبير كانا يظنّان أنّ أمير المؤمنينعليه السلام سوف يولّيهما البصرة والكوفة، فلمّا عرفا خلاف ذلك أرسلا محمّد بن طلحة وقالا له: لا تقلّ له يا أمير المؤمنين وقل له: يا أبا الحسن لقد فال فيك رأينا وخاب ظنّنا أصلحنا لك الأمر ووطّدنا لك الإمرة وأجلبنا على عثمان حتّىٰ قتل فلمّا طلبك الناس لأمرهم جئناك وأسرعنا إليك وبايعناك وقُدنا إليك أعناق العرب

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١ ص٢٣٠ ط دار إحياء الكتب العربية.

ووطئ المهاجرون والأنصار أعقابنا في بيعتك حتّى إذا ملكت عنانك استبددت برأيك عنّا ورفضتنا رفض التريكة وملّكت أمرك الأشتر وحكيم بن جبلة وغيرهما من الأعراب ونزّاع الأمصار فكنّا فيما رجوناه منك كما قال الأوّل:

فكنت كمهريق الذي في سقائه لرقراقِ آلٍ فوق رابيةٍ صلدِ

فلمّا جاءه محمّد بن طلحة وأبلغه ذلك قال عليه السلام: إذهب إليهما فقل لهما: فما الذي يرضيكما؟ فذهب وجاء وقال: إنّهما يقولان: ولِّ أحدنا البصرة والآخر الكوفة، فقال: والله إنّي لا آمنهما وهما عندي بالمدينه فكيف آمنهما وقد ولّيتهما العراقيين؟ إذهب إليهما فقل: أيّها الشيخان احذرا من الله ونبيّه على أمّته ولا تبغيا المسلمين غائلةً وكيداً وقد سمعتما قول الله ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾ فقام محمّد بن طلحة فأتاهما ولم يعد إليه وتأخّرا عنه أيّاماً ثمّ جاءاه فاستأذناه في الخروج إلى مكّة للعمرة[1] وحدث منهما ما حدث كلّ ذلك طلباً وطمعاً في الولايات.

أمير المؤمنين يدعو علىٰ طلحة والزبير

ولمّا رأى الإمام عليه السلام منهما الانحراف والتصميم على نكث البيعة ومحاربته رفع يديه بالدعاء قائلاً: «اللّهمّ اقعص الزبير بشرّ قتلة واسفك دمه علىٰ ضلالة وعرّف طلحة المذلّة وادخر لهما في الدار الآخرة شرّاً من ذلك إن كانا ظلماني»[2].

---

(١) شرح النهج في أواسط شرح المختار ١٩٨ ج٣ ص٥٧٦ ط بيروت والبحار ج ٣٢ ص ٢٤.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ١ ص٧٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

طلحة والزبير يستعدّان للحرب

وعندما انطلقا إلى مكّة وأعلنا رفضهما لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام التحق معهما بنو أميّة وهم الأعداء التقليديّون لعليّ عليه السلام أمثال عبدالله بن عامر ويعلى بن أُميّة وأمثالهما وكذا التحقت بهما عائشة وكثير من الأعراب وأنصار عثمان، وانطلق القوم بعدها إلى حفصة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فعزمت أن تلتحق بعائشة وتذهب معهم إلى البصرة إلّا أنّ عبدالله بن عمر منعها من ذلك وبعثت إلى عائشة أنّ عبدالله حال بيني وبين الخروج[1] إلّا أنّها ـ حفصة ـ أرسلت إليهم رأيها فقالت: رأيي تبع لرأي عائشة[2] وقدّم لهم يعلى بن أُميّة ستّمائة ألف وستّمائة بعير[3] وأعطاهم عبدالله بن عامر مالاً كثيراً وإبلاً[4].

وحاولوا استدراج أمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً إلّا أنّها رفضت ذلك وكان موقفها إيجابياً لصالح أمير المؤمنين، وهكذا تمّت العدّه لحرب الخليفة ـ عليّ ـ بقيادة عائشة والزبير وطلحة.

عداء عائشة لعثمان ومن ثمّ لعليّ عليه السلام

وكانت عائشة من أكبر المحرّضين ضدّ عثمان فكانت تقول: اقتلوا نعثلاً(*)

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٨ ـ ٩ دار الكتب العلمية والكامل ج٣ ص١٠١.

أقول: ذكر المسعودي أنّ ابن عامر جهّزهم بألف ألف درهم ومائة من الإبل وغير ذلك ج٢ ص٣٥٧ / المترجم.

(٢ و٣ و٤) المصدر نفسه.

(*) نعثل: قالت عائشة: يا نعثل! يا عدو الله! إنما سماك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسم نعثل اليهودي الذي كان باليمن / البحار: ج٣٢ / ١٣٦. وقال محمد بن أبي بكر لعثمان: على أي دين أنت يا نعثل، وما يدريك يا نعثل / البداية والنهاية لابن الأثير: ج٧ ص٢٠٧، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٩٣.

قتله الله فقد كفر[1] ولمّا وصلها خبر مقتل عثمان كانت بمكّة قالت: أبعده الله ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلّام للعبيد[2]، ثمّ هي نفسها لمّا وصلها خبر بيعة الناس لعليّ عليه السلام قالت: لوددتُ أنّ السماء انطبقت على الأرض إن أتمّ هذا، قُتل ابن عفّان مظلوماً[3].

ولم تكن كراهيّتها لعليّ عليه السلام جديدة بل إنّها منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كانت بين الفينة والأُخرى تصرّح بما يجول في قلبها من حقد وبغض لعلي عليه السلام، وإلّا فإنّها هي المحرّضة على قتل عثمان ثمّ هي التي رفعت راية مظلوميّته!! فما هذه التناقضات؟ وفي مثل هذه الظروف وجد طلحة والزبير أنّ الفرصة مناسبة لإقناع عائشة بضرورة الوقوف ضد الحاكم العادل والخليفة الحقّ علي عليه السلام، لذلك أتيا علياً فقالا: إنّا نريد العمرة فأذن لنا في الخروج فقال: والله ما أرادا العمرة ولكنّهما أرادا الغدرة!! فلحقا بعائشة بمكّة فحرّضاها على الخروج ضدّ

---

(١) تاريخ الفتوح لابن أعثم الكوفي ص١٥٥ والطبري في تاريخه ج٣ ص١٢ دار الكتب العلمية ١٩٨٨، وابن الأثير في النهاية ج٤ ص١٥٦ وشرح النهج ج٢ ص٧٧ ط مصر، وتذكرة الخواص وأخبار الزمان والأوسط للطبراني وابن عساكر، والإمامة والسياسة ج١ ص٥٢، وآخرون.

أقول: جاء في تاريخ اليعقوبي أنّ مروان طلب من عائشة أن تعين عثمان لمّا كان محصوراً فقالت: لعلّك ترى أنّي في شك من صاحبك، أما والله لوددت أنّه مقطّع في غرارة من غرائري وأنّي أطيق حمله فأطرحه في البحر /تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٧٦، ولما قُتل ووصل خبر قتله إليها قالت: بُعداً وسُحقاً / المترجم.

(٢) المصدر نفسه ص١٨٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٨٠، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٥٢ والكامل في التاريخ ج٣ ص١٠٠ دار الكتب العلمية بيروت / المترجم.

الإمام عليّ عليه السلام[1].

وبلاشك فإنّ البسطاء سوف يتأثّرون بـ(أمّ المؤمنين) التي ستحارب أمير المؤمنين عليه السلام!! فحاولت عائشة أن تستميل معها أمّ سلمة أيضاً ليكون جانبها قويّاً أمام الناس العوام والمغفّلين والبلداء.

أُمّ سلمة تُذكِّر عائشة بفضائل عليّ عليه السلام

وقد حاولت عائشة أن تزلق معها قدم المرأة الصالحة أمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فذهبت إليها وهي بمكّة وجلست عندها تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت أمّ سلمة: إنّك كنت بالأمس تُحرّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول وما كان اسمه عندك إلّا نعثلاً وإنّك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عليه السلام أفأذكّركِ؟ قالت: نعم، قالت: أتذكرين يوم أقبل ـ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ونحن معه حتّى إذا هبط من قُديد ذات الشمال خلا بعلي يناجيه فأطال فأردتِ أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما فما لبثتِ أن رجعتِ باكية فقلتُ: ما شأنك؟ فقلتِ: إنّي هجمت عليهما وهما يتناجيان فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله إلّا يوم من تسعة أيّام أفما تدعني يابن أبي طالب ويومي؟!!

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّ وهو غضبان محمرّ الوجه فقال: ارجعي وراءك والله لا يبغضه أحدٌ من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلّا وهو خارج عن الإيمان. فرجعتِ نادمة ساقطة؟! قالت عائشة: نعم، أذكر ذلك.

ثمّ قالت أمّ سلمة: وكنتُ أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت تغسلين رأسه وأنا أحيس له حيساً وكان الحيس يعجبه فرفع صلى الله عليه وآله وسلم رأسه وقال: ياليت شعري

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٨٠ وشرح النهج ج١ ص٢٣٢ ط دار إحياء الكتب العربية.

أيتكنّ صاحبة الجمل الأذنب تنبحها كلاب الحوأب فتكون ناكبة عن الصراط، فرفعتُ يدي من الحيس فقلتُ: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك ثمّ ضرب ﷺ على ظهرك وقال: إيّاك أن تكونيها إيّاك أن تكونيها يا حميراء، أمّا أنا فقد أنذرتك.

وقالت أمّ سلمة: وكنتُ أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في سفر له وكان عليّ يتعاهد نعليّ رسول الله فيخصفها ويتعاهد أثوابه فيغسلها فنقبت له نعل فأخذها يومئذٍ يخصفها وقعد في ظلّ سمرة وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه ﷺ فقمنا إلى الحجاب ودخلا يحادثانه فيما أراد ثمّ قالا: يارسول الله إنّا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يُستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً؟

فقال ﷺ لهما: أما إنّي قد أرىٰ مكانه ولو فعلت لتفرّقتم عنه كما تفرّقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران، فسكتا ثمّ خرجا فلمّا خرجنا إلى رسول الله ﷺ قلتِ له وكنتِ أجرأ عليه ﷺ منّا: مَن كنتَ يارسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل، فنظرنا فلم نرَ أحداً إلّا علياً، فقلتِ: يارسول الله ما أرى إلّا علياً؟ فقال ﷺ: هو ذاك فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

فقالت أمّ سلمة: فأيّ خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت عائشة: إنّما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله[١].

توضيح دقيق حول حديث خاصف النعل

وهنا أشير إلى نقطتين حول هذا الحديث المروي عن أمّ المؤمنين أمّ سلمة التي كانت بعد أمّ المؤمنين خديجة في الفضل:

أوّلاً: جواب رسول الله ﷺ: إنّي قد أرىٰ مكانه ولو فعلت لتفرّقتم عنه

---

(١) شرح النهج ج٦ ص٢١٧ دار إحياء التراث العربي.

وهذا يعني أنّ المقصود هو رجل ثالث غير أبي بكر وعمر وهو عليّ عليه السلام بدليل خطابه لهما (لتفرّقتم) فهما من جملة المتفرّقين عن هذا الخليفة. وعليه تكون النتيجة: أنّهما لم يكونا خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل هما من جملة مَن سيفترق عن الخليفة الشرعي.

وقد شبّه هذا التفرّق بتفرّق بني إسرائيل عن هارون، وقد تقدّم منّا الإشارة إلى حديث المنزلة في هذا الكتاب وفي كتاب ليالي بيشاور عندما قال صلى الله عليه وآله وسلم: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي. فاعتبره وصيّه وخليفته كما كان هارون كذلك لموسىٰ عليه السلام.

سؤال أحد الحاضرين: يبدو لي أنّ صدر الحديث لا يتّفق مع ذيله فإنّ صدره في إثبات الخلافة لعليّ من باب التشبيه بهارون ولكن ذيله عبارة عن نفي لأيّ نبوّة بعده، فأرجو أن توضّح لنا هذا التعارض؟

الجواب: لمّا شُبّه عليّ بهارون في صدر هذا الحديث علينا أن نعرف منازل هارون حتّى يتّضح لكم ذيل الحديث أيضاً.

أمّا منازل هارون كما جاء في القرآن والعهد القديم والأخبار فهي:

١ ـ منزلة الأخوّة فهارون شقيق موسىٰ.

٢ ـ منزلة النبوّة فهارون كان نبيّاً، إلّا أنّ المرسل هو موسى والحجّية له.

٣ ـ منزلة الوزارة والخلافة مضافاً إلى كونه نبيّاً.

وعندما أطلق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قوله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى فهو يعني هذه المنازل الثلاث فأنت أخي وأنت خليفتي ووزيري إلّا أنّك لستَ بنبيّ إذ لا نبوّة بعدي، ولا يخفى أنّ أخوّته الايمانية لا كونه شقيقاً أو أخاً على نحو الحقيقة، فيبقىٰ منزل الخلافة ثابتاً وهو المقصود من حديث المنزلة، وتجسّدت خلافة هارون حينما عزم موسى على الذهاب إلى ميقات ربّه مع سبعين رجلاً من صفوة بني إسرائيل فخلّف هارون في بني إسرائيل ليقوم مقامه، ولكن بعد

مدّة قليلة أضلّهم السامري وخدعهم بشبهته، فوقف هارون أمام هذا الانحراف وحذّر السامري من مغبّة هذا الضلال، إلّا انّه تمادىٰ في غيّه حتّىٰ حاول مع الجهلة الذين كانوا معه أن يقتلوا هارون، إلّا أنّه تصرّف معهم بكلّ حنكة وحكمة فحفظ نفسه ومَن آمن معه من شرّ الغوغاء إلى أن عاد موسىٰ.

وهذا ما قصده النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أي انّك يا عليّ بعدي ستمرّ بما مرّ به هارون فسوف تفترق الأُمّة عنك وتُهدّد بالقتل كما حصل لهارون.

والآن بعد هذا الموجز لا يبقى أيّ تناقض بين صدر الحديث وذيله كما تصوّرتم.

ولهذا السبب قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لو فعلتُ لتفرّقتم عنه، تماماً كما تفرّق بنو إسرائيل واتّبعوا السامري وعبدوا العجل وهدّدوا هارون بالقتل.

وقد ذكر ابن قتيبة أنّ القوم بعدما تمّت البيعة لهم جاءوا بعليّ عليه السلام مكرهاً إلى المسجد فقال له عمر: بايع فقال علي: فإن لم أفعل؟ فقال عمر: نقتلك إذن، فقال عليّ: أتقتلون عبد الله وأخا رسوله؟ فقال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسول الله فلا، بينما التزم أبو بكر بالسكوت بعدها توجّه أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال ما قاله هارون: يابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[1].

ولذلك لو دقّق المنصفون في هذه الحوادث الواقعة وطابقوها مع حوادث بني إسرائيل وبالذات ما حصل مع هارون لوجدوا الحال واحدة.

ثانياً: وفي ذيل حديث خاصف النعل نجد أنّ أُمّ سلمة تستفسر ـ من بعدما رأت عليّاً عليه السلام ـ من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم انّها لم تشاهد سوى عليّاً فقال لها: هو ذاك وفيه

---

(١) الإمامة والسياسة ج١ ص١١، مؤسسة الوفاء، بيروت، أوفست على طبعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

من الدلالة الواضحة على المطلوب.

هذا وقد ذُكر حديث خاصف النعل بعدّة طرق مختلفة وكثيرة[١]، إلّا أنّها متّحدة المعنى، فمنها ما روي عن منصور بن الربعي بن حرّاش قال: عندما كنّا مع عليّ في الرحبة قال عليه السلام: لمّا كان يوم الحديبيّة خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو وأناس من رؤساء المشركين فقالوا: يارسول الله خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا وليس بهم فقه في الدين وإنّما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فإن لم يكن لهم فقه في الدين سنفقّههم، ثم قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين قد امتحن الله عزّوجلّ قلبه على الإيمان، قالوا: مَن هو يارسول الله؟ قال له أبو بكر: مَنْ هو يارسول الله؟ فقال عمر: مَن هو يارسول الله؟ قال: هو خاصف النعل، وكان أعطىٰ نعله عليّاً ليخصفها، قال: ثمّ التفت إلينا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: إنّ رسول الله قال: من كذب عليَّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار[٢].

وقد نقله جمع من المحدّثين بهذا الشكل عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله قال أبو بكر: أنا هو يارسول الله؟ قال: لا، قال عمر: أنا يارسول الله؟ قال: لا، ولكنّه خاصف النعل وكان أعطىٰ عليّاً نعله يخصفها[٣].

---

(١) جامع الأصول لابن الأثير، ج٨ ص٦٤٨، فضائل علي عليه السلام، ط: المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٩٨٣، وينابيع المودة للقندوزي ج١ ص٧٠، الأعلمي، وتذكرة الخواص، ص٤٥، ط ١٤١٨هـ.

(٢) كفاية الطالب باب ١٣ ص٩٦.

(٣) ذخائر العقبى ص١٣٩ ط مكتبة الصحابة بجدّة تحقيق أكرم البوشي، والرياض

حاصل ما تقدّم

يمكن أن نجمع ما تقدّم من الكلام في نقاط مختصرة وواضحة:

١ ـ كان معلوماً لدى كافّة الصحابة أنّ علياً أشدّ القوم إيماناً وأكثرهم إخلاصاً وحبّاً لله، وأنّ قلبه أشدّ القلوب امتحاناً.

٢ ـ وليس من الصحابة أحد مثل عليّ في هذه الخصائص والمزايا.

٣ ـ وأنّ أليق القوم بحبّ الله ورسوله وأكثرهم نجاحاً في الابتلاءات هو عليّ عليه السلام، فلذا كان مورد انتخاب من قِبل الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

سؤال أحد الحاضرين: ألم يكن الخلفاء الراشدون كلّهم يشتركون في محاربتهم للكفّار والمنافقين وتمّت على أيديهم الفتوحات الإسلامية، وكانت هذه الحروب كلّها في طريق القرآن بل دفاعاً عن القرآن ونشره في تلك البلدان، فلماذا خصّصتم الإمام علياً بكون حروبه على تأويل القرآن؟

الجواب:

أوّلاً: أنا لم أخصّص ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام، بل الله ورسوله خصّصا له ذلك، وإنّي لأعجب من كلامكم بعدما نقلت لكم الأحاديث وألقيتها على مسامعكم.

ثانياً: ليس حديثنا عن الفتوحات الإسلامية بل محور الحديث عن حروب

← النضرة ص١٣٥، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٧م، والحاكم في المستدرك، ج٤ ص٩٠، رقم ٤٦٧٩، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٨م، وينابيع المودّة ج١ ص٧٠، الأعلمي ١٩٩٧م، والبيان الجلي في أفضلية مولى المؤمنين علي، لابن رويش الأندلسي ص٦٦، ط ١٤١٩ هـ، والنسائي في الخصائص ص٢١٩، ط: دار الثقلين، تحقيق جعفر الحسيني.

التأويل التي خاضها الإمام عليعليه السلام ضدّ المنافقين من المسلمين الذين حاولوا أن يؤوّلوا الآيات القرآنية بما يتّفق مع مصالحهم، ولم يمرّ أي أحد بمثل ما مرّ به أمير المؤمنينعليه السلام ولذلك اختصّ بذلك دون غيره.

وأزيدك علماً أنّ النبيّصلى الله عليه وآله وسلم شبّه حروب عليعليه السلام كحروبه مع الكفّار طبقاً لقوله تعالى: ﴿يا أيّها النبيّ جاهد الكفّار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنّم وبئس المصير﴾[1].

فقد قاتل أمير المؤمنينعليه السلام المنافقين بأمر رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم حيث قالصلى الله عليه وآله وسلم: إنّك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ثمّ لا يخفىٰ عليكم أنّ هذا الخبر ورد تارةً عن رسول الله في خطابه مع عليّ وتارةً رواه أمير المؤمنين عن النبيّ كما في خطبته القاصعة في نهج البلاغة حيث قال: ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأمّا الناكثون فقد قاتلت وأمّا القاسطون فقد جاهدت وأمّا المارقة فقد دوخت.

ثمّ علّق ابن أبي الحديد بقوله: قد ثبت عن النبيّصلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لهعليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين[2].

فقد ذكر الگنجي الشافعي عن سعيد بن جبير عن عبدالله بن عبّاس قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم لأمّ سلمة: هذا عليّ بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، يا أُمّ سلمة هذا علي أمير المؤمنين وسيّد المسلمين ووعاء علمي ووصيّي وبابي الذي أوتى منه وأخي في الدنيا والآخرة ومعي في المقام الأعلىٰ يقتل القاسطين والناكثين

---

(١) التوبة: ٧٣.

(٢) أُنظر أُسد الغابة ج٤ ص١١٤ وتاريخ بغداد ج٨ ص٣٤٠، وشرح نهج البلاغة ج٢ ص٢٠٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

والمارقين[١].

وكذلك جاء في مناقب الخوارزمي عن رسول الله ﷺ: هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي[٢].

وأيضاً جاء في كفاية الطالب عن أبي سعيد الخدري، أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلنا: يارسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع مَنْ؟ قال ﷺ: مع عليّ بن أبي طالب خاصّة ومعه يُقتل عمّار بن ياسر[٣].

وذكر خطيب خوارزم بإسناده عن أبي أيّوب الأنصاري في خلافة عمر وعثمان أنّه قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع عليّ بن أبي طالب[٤].

وأيضاً جاء في كفاية الطالب مسنداً عن مخنف بن سليم أنّه قال:

أتينا أبا أيّوب الأنصاري وهو يعلف خيلاً له قال: فقلنا عنده فقلت له: يا أبا أيّوب قاتلت المشركين مع رسول الله ﷺ ثمّ جئت تقاتل المسلمين؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ أمرني بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالسعفات بالطرقات بالنهروانات وما أدري أين هو؟[٥].

فيتّضح من مجموع هذه الأخبار وكذا ما تقدّم من حديث خاصف النعل أنّ حروب أمير المؤمنين الثلاث لم تكن سياسيّة كما يزعم بعض أهل السنّة بل هي

---

(١) كفاية الطالب ب٣٧.

(٢) المناقب الفصل ١١ ص١١٨.

(٣) كفاية الطالب باب ٣٨.

(٤) مناقب الخوارزمي ص١١٨.

(٥) كفاية الطالب باب ٣٧ وتاريخ ابن كثير ج٧ ص٢٠٦ وتاريخ بغداد ج١٣ ص١٨٦.

جهاد من أجل حفظ القرآن فإنّها حروب التأويل كما أخبر بها النبيّ ﷺ، وتعدّ هذه منقبة للإمام علي عليه السلام لم ينلها من تقدّمه من الخلفاء، ولم تكن الفتوحات مثل حروب علي عليه السلام.

رسالة أُمّ سلمة إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام

ثم بعثت أُمّ سلمة رسالة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام بعدما يئست من نصح عائشة ورأت منها العزم على حرب الخليفة، وجاء في رسالتها:

أمّا بعد فإنّ طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة ومعهم ابن الحزان عبدالله بن عامر بن كريز ويذكرون أنّ عثمان قُتل مظلوماً وأنّهم يطلبون بدمه والله كافيهم بحوله وقدرته ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج وأمرنا به من لزوم البيوت لم أدع الخروج إليك والنصرة لك ولكنّي باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً[١].

ثمّ ذكر ابن أبي الحديد أنّ عمر هذا اشترك مع أمير المؤمنين في جميع حروبه إلى أن أرسله والياً من قِبله على البحرين.

وبعد ذلك أرسلت أُمّ سلمة رسالة[٢] إلى عائشة تنصحها فيها وتذكّرها

---

(١) شرح نهج البلاغة، وقريب منه في الكامل ج٣ ص١١٤.

(٢) كتبت أم سلمة إلى عائشة: إنك جُنة بين رسول الله ﷺ وبين أمته وإن الحجاب دونك لمضروب على حرمته وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه وسكّن عقيراك فلا تصحريها، لو أذكرتك قولة من رسول الله ﷺ تعرفينها لنهشت نهش الرقشاء المطرقة، ماكنتِ قائلة لرسول الله ﷺ لو لقيك ناحته قلوص قعودك من منهل إلى منهل قد تركتِ عُهيداه وهتكت ستره، إن عمود الدين لا يقوم بالنساء، وصدعه لا

←

الحقّ وهي محاولة أخيرة منها لصرف عائشة عن هذه الفتنة التي أثارتها، إلّا أنّ هذه الرسائل والنصائح لم تجد طريقاً إلى قلب عائشة ولم تذعن للحقّ، بل سارت بمن معها يتقدّمهم طلحة والزبير، إلى أن وصلت إلى منطقة الحوأب التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً حينما قال: أيتكنّ تنبحها كلاب الحوأب[1]، فسألت عن المنطقة فقيل لها إنّها الحوأب إلّا أنّها مضت في طريقها وقد تركت الحقّ وراء ظهرها حتّى وصلت البصرة، فقاموا بأوّل جريمة بشعة، فقد ذكر المؤرّخون أنّ أصحاب عائشة قتلوا سبعين رجلاً من أصحاب الإمام علي عليه السلام الذين كانوا يحرسون بيت المال، فقد ذكر المسعودي: فقتل منهم سبعون رجلاً غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبراً من بعد الأسر وهؤلاء أوّل من قُتل ظلماً في الإسلام[2].

ثمّ قتلوا أربعمائة شخصاً من شيعة عليّ بأمر عائشة ظلماً وعدواناً. وأمّا والي البصرة الذي نصّبه أمير المؤمنين وهو الصحابي الجليل عثمان بن حنيف فقد هجموا على بيته وأخرجوه إلى عائشة فقالت: لا تقتلوه بل انتفوا شعره، فنتفوا شعر رأسه ولحيته وشاربه ورموشه، لا لجرم سوى حبّه لعليّ عليه السلام، وهكذا قتلوا حكيم بن جبلة الرجل الطيّب الشجاع وهو من قبيلة عبد القيس، فقتلوه مع سبعين من أصحابه وأولاده بجرم المحبّة والموالاة لأمير المؤمنين عليه السلام[3].

← يرأب بهن، حُماديات النساء خفض الأصوات وخفر الأعراض، اجعلي قاعدة البيت قبرك حتى تلقينه وأنتِ على ذلك. شرح نهج البلاغة ج٦ ص٢١٩ دار إحياء الكتب العربية.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٦٣ ط بيروت، والكامل ج٣ ص١٠٣.

(٢) مروج الذهب ج٢ ص٣٥٨.

(٣) ذكر ابن الأثير في الكامل ما نصّه: وقيل لمّا أُخذ عثمان بن حنيف أرسلوا إلى ←

فلمّا وصلت هذه الأنباء إلى مسامع الأمير عليه السلام أرسل سهل بن حنيف مع جيش إلى المدينة لفضح جرائم جيش عائشة وحفظ المدينة من هذه الفتن، فلمّا وصلها عملوا على مراسلة عائشة، فقام بعض الصحابة بإرسال الكتب التي ملؤها النصيحة والموعظة والتذكير لعائشة للحيلولة دون وقوع الحرب. ومن جملة من أرسل إليها عبدالله بن عبّاس وزيد بن صوحان وأنس بن مالك وعمران بن الحصين فقد راسلوا عائشة وطلحة يمنعونهما من إشعال فتيل الحرب وشقّ عصا المسلمين، إلّا أنّهم لم يتأثّروا بهذه الرسائل وصمّموا على الحرب.

دعاء أمير المؤمنين على أنس بن مالك

بينما انفلت أنس بن مالك من ذلك الجمع وجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وعندما سُئل عن ذلك قال: تذكّرت ما كنتُ نسيته من حديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في عليّ عليه السلام فقال له الإمام: إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة[1]، فأُصيب بالبرص فاضطرّ إلى أن يسدل على وجهه حجاباً يواري خلفه قباحة منظره، وكانت هذه الاستجابة السريعة من الله تعالى كاشفة عن نفاق وكذب أنس بن مالك لأنّه أيضاً من جملة أعداء أمير المؤمنين، فقد عاش مائة

← عائشة يستشيرونها في أمره فقالت: اقتلوه، فقالت امرأة: نشدتك الله في عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت لهم: احبسوه، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه /الكامل ج٣ص١٠٨، دار الكتب العلمية ١٩٨٧م، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٨١، وتاريخ الطبري ج٣ص١٨ دار الكتب العلمية ١٩٨٨م /المترجم.

(١) كان ذلك في البصرة.

وثلاث سنين ونُقل عنه أكثر من ألف ومائتين حديث إلّا أنّه لم ينقل ولم يرو حتّىٰ حديثاً واحداً عن أمير المؤمنينعليه السلام مع كثرة ما تكلّم به الإمام من روايات وخطب ورسائل.

وقد قال ابن أبي الحديد: وذكر جماعة من شيوخنا البغداديّين أنّ عدّة من الصحابة والتابعين والمحدِّثين كانوا منحرفين عن عليّعليه السلام قائلين فيه السوء ومنهم من كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلاً مع الدنيا وإيثاراً للعاجلة فمنهم أنس بن مالك ناشد عليّعليه السلام الناس في رحبة القصر: أيّكم سمع رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه؟ فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها وأنس بن مالك في القوم لم يقم فقال له: يا أنس ما يمنعك أن تقوم فتشهد، وقد حضرتها؟ فقال: يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت فقال: اللّهمّ إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا تواريها العمامة. قال طلحة بن عمير: فوالله لقد رأيت الوضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه[1].

وروي أنه عليه السلام قال في الرحبة عندما قالعليه السلام للناس أنشدكم الله ولا أنشد إلّا من سمعَت أُذناه ووعىٰ قلبه أيّكم سمع رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه؟ فقام إليه اثنا عشرة رجلاً شهدوا بذلك منهم أبو أيّوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وخالد بن زيد وقيس بن سعد بن عبادة وعبدالله بن بديل...

بينما ظلّ أنس جالساً ولم يشهد فقال له أمير المؤمنين: ألم تشهد ذلك اليوم فما منعك أن تشهد مع هؤلاء؟

فقال: كبرت ونسيت، فقال الإمام: اللّهمّ إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا تواريها العمامة[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٤ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) كان ذلك في الكوفة.

فقال طلحة بن عمير: فوالله رأيناه في اليوم الثاني وقد أُصيب بالبرص[1].

وأمّا عذره بكبر السنّ فهو كذب لأنّ عمره آنذاك كان (٤٦) عاماً وهو عمر طبيعي جدّاً لا يكون معه النسيان كما تذرّع به أنس.

وهكذا لم تؤثّر رسائل الإمام عليّ وغيره إلى عائشة وجيش الناكثين وتورّطوا في أكبر فتنة حصلت، فقد كان مع علي عليه السلام (٨٠) من أهل بدر و(٢٥٠) ممّن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرة الرضوان و(١٥٠٠) من الصحابة وآخرين.

بداية الحرب وعدد المقتولين

وقبل الحرب حاول أمير المؤمنين ذو القلب الرؤوف أن يدفع الفتنة ويحول دون وقوع الحرب فبعث إلى جيش عائشة من يناشدهم الله في الدماء، ثمّ بعث مسلم وهو أحد أصحابه ذهب يدعوهم وبيده مصحف فرموه بسهم فقتلوه، ومع كلّ هذا أمر الإمام أفراد جيشه أن لا يبدؤوهم الحرب ولا يرموا بسهم إلى أن جاء عبدالله بن بديل وهو من أصحاب الإمام علي عليه السلام بأخ له مقتول وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم فقتل فقال الإمام عليه السلام: اللّهمّ اشهد وأعذروا إلى القوم.

فبدأت الحرب في وضح نهار يوم الجمعة في العشرين من جمادى الأُولىٰ عام ٣٦هـ وانتهت في نفس اليوم عند مغرب الشمس بانتصار أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن استشهد من جيش الإمام علي عليه السلام خمسة آلاف نفس وقُتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفاً[2]، وقيل غير ذلك فمن الأزد أربعة آلاف ومن بني ضبّة

---

(١) حديث المناشدة في الرحبة، راجع الغدير ج ١ ص١٦٦ ـ ١٨٦.

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٧١ وجاء في الكامل: كان جميع القتلىٰ عشرة آلاف

ألفان ومن بني ناجية أربعمائة ومن بني بكر ثمانمائة ومن بني حنظلة سبعمائة ومن بني عدي تسعمائة وقيل غير ذلك[١].

وأمّا طلحة والزبير فكلاهما لقيا مصيرهما المحتوم وقُتلا في هذه الحرب كما قال أمير المؤمنين (من حفر بئراً لأخيه وقع فيه).

سؤال أحد الحاضرين: كيف قتِل طلحة والزبير؟

الجواب: أمّا الزبير فإنّ أمير المؤمنين أرسل إليه قبل الحرب وقال: ليبرز إليّ الزبير فبرز إليه مدجّجاً فقيل لعائشة: قد برز الزبير إلى عليّ عليه السلام، فصاحت: وازبيراه فقيل لها: لا بأس عليه منه إنّه حاسر والزبير دارع. فقال له: ما حملك يا أبا عبدالله علىٰ ما صنعت؟ نشدتك الله أتذكر يوم مررتَ بي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متّكئ علىٰ يدك فسلّم عليّ وضحك في وجهي فضحكتُ إليه لم أزده علىٰ ذلك فقلتَ: لا يترك علي بن أبي طالب يارسول الله زهوه، فقال لك: مه إنّه ليس بذي زهو أمّا إنّك ستقاتله وأنت له ظالم، فاسترجع الزبير وقال: لقد كان ذلك ولكن الدهر أنسانيه..[٢].

فرجع الزبير واعتزل الحرب وقد حاولت عائشة وابنه عبدالله أن يثيرا فيه الغضب ويردّاه إلى ميدان الحرب فلم يستطيعا إلى ذلك سبيلاً.

واعتزل الزبير في وادي السباع فالتقىٰ به عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير للصلاة فقال: أتؤمّني أو أؤمّك؟ فأمّه الزبير فقتله عمرو في الصلاة وقيل إنّه قتله وهو نائم وحمل خاتمه وسيفه إلى أمير المؤمنين عليه السلام يطلب بذلك الجائزة فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سيف طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والله ما

← نصفهم من أصحاب علي عليه السلام ونصفهم من أصحاب عائشة ج٣ ص١٤٢ / المترجم.

(١) أُنظر تاريخ الطبري ج٣ ص٥٨.

(٢) شرح النهج ج٢ ص١٦٧ دار إحياء الكتب العربية.

كان ابن صفية جباناً ولا لئيماً ولكن الحين ومصارع السوء، أما إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: بشّر قاتل ابن صفية بالنار[١].

فلمّا سمع عمرو ذلك ولّى فاراً ثمّ التحق بالخوارج ويقال إنّه عاش إلى أيّام مصعب بن الزبير[٢].

مقتل طلحة

وأمّا طلحة فإنّه كان يحرّض الناس على القتال يوم الجمل ولكن لاقىٰ جزاءه حيث سدّد إليه مروان بن الحكم سهماً أصابه[٣] فلمّا ثقل قال لمولاه اردفني وابغني مكاناً لا أعرف فيه فلم أر كاليوم شيخاً أضيع دماً منّي[٤].

فركب مولاه وانتهىٰ به إلى دار خربة في البصرة فمات فيها[٥] وكان مروان يعرف أنّ طلحة من المحرّضين علىٰ قتل عثمان ولذلك حاول أن ينتقم منه، بعد ذلك ذهب مروان إلى أبان بن عفّان وقال له: اليوم قتلنا واحداً من قتلة عثمان.

الصحابي المتمرّد لا يكون من أهل النجاة

سؤال أحد الحاضرين: من خلال كلامك المتقدّم يظهر أنّك تشير إلى سوء عاقبة طلحة والزبير وأنّ قتلهما كان عاقبة سوء مع أنّهما من أصحاب النبيّ ﷺ وأقربائه فكيف وصفتهما بذلك؟

---

(١) شرح النهج ج١ ص٢٣٥ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) شرح النهج ج٢ ص١٦٨ دار إحياء الكتب العربية.

(٣) الكامل ج٣ ص١٣١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.

(٤) الطبري ج٣ ص٥٢ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م

(٥) المصدر نفسه.

الجواب: الصحبة من الفضائل والكمالات والشرف ولكن لا مطلقاً، بل ضمن شروط وحدود، فالصحابي المطيع لله ولأمر رسوله ﷺ يستحقّ ذلك، على أن يستقيم إلى أواخر حياته على هذه الطاعة في حياة النبي أو في مماته، وأمّا الصحابي المتمرّد والمتجاهل والمتناسي لأوامر النبيّ ﷺ والطالب للدنيا والجاه والمنصب والشهرة والمال فهذا لا ينال شيئاً من شرف الصحبة، فقد قال رسول الله ﷺ: يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد.

فطلحة والزبير من جملة الأصحاب الذين كانوا يجالسون النبيّ ﷺ وسمعوا منه العديد من الأحاديث في فضل ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام لاسيّما حديث الغدير حينما قال ﷺ: اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، ومع ذلك فإنّهما وقفا منه موقف المعادي في حرب الجمل محاولين تصفيته وحرّضوا (بعملهم هذا) الناس على بغضه ومعاداته، فهؤلاء لا ينالون شرف الصحبة لتركهما أوامر النبي ﷺ الذي كان يقول: لا يحبّ علياً إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا كافر[1].

وكان مع عائشة أيضاً من جملة من سمع هذه الأحاديث إمّا مباشرة أو

---

(١) مودّة القربىٰ المودّة ٣٠ والمغازلي في المناقب والحمويني في الفرائد، ج١، ومسند أحمد ج١ ص٩٥ وص١٣٨ والاستيعاب ج٣٠ ص٣٧ ذيل الإصابة وتاريخ بغداد ج١٤ ص٤٢٦ وأُسد الغابة ج٤ ص٣٠ وسنن النسائي ص١١٧ ج٨ وخصائص العلوي ص٢٧ والإصابة ج٢ ص٥٠٩ وحلية الأولياء ج٤ ص١٨٥ ثمّ قال: هذا حديث صحيح متّفق عليه.

والدرّ المنثور ج٦ ص٦٦ وتاريخ الخلفاء، الطبعة الثانية وشرح النهج ج٤ ص٢٦٤ وتذكرة ابن الجوزي ص١٥ والجامع الكبير للسيوطي ص١٥٢ وجامع الترمذي ج٢ ص١٣ وكفاية الطالب باب ٣ وينابيع المودّة في عدّة صفحات ونقله آخرون بألفاظ مختلفة.

بواسطة واحدة، هذا وقد كرّر النبيّ ﷺ هذا المعنىٰ بعدّة ألفاظ مختلفة مثل (لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق) (يا علي لا يحبّك منافق ولا يبغضك مؤمن) (لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق) (لا يحبّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن)[١].

وذكر نور الدين بن الصبّاغ المالكي قول رسول الله ﷺ لعلي: يا عليّ حربك حربي ودمك دمي وأنا حرب لمن حاربك لا يحبّك إلّا طاهر الولادة ولا يبغضك إلّا خبيث الولادة، لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»[٢] وقريب منه حديث الخيمة حينما كان رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين تحت خيمة فقال ﷺ: أنا حربٌ لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم[٣]، بل هناك المئات من قبيل هذه الأحاديث، ومع كلّ ذلك سعى لحرب عليٍّ طلحةُ والزبيرُ وعائشةُ!! أفلا يمكن أن نقول عن كلّ واحد منهم انّه منافق أو كافر وفقاً لأحاديث النبيّ الأكرم؟! ولأنّهم في حربهم لعليّ كأنّهم يحاربون النبيّ ﷺ كما قال وكلّ من حاربه كافر؟!!

الأدلّة على انحراف طلحة والزبير

سؤال أحد الحاضرين: يُقال إنّ عمل هؤلاء الصحابة كان اجتهاداً، وإنّهم اجتهدوا وتأوّلوا فأخطأوا وإلّا لم يصدر منهم هذا الخطأ عن عمد ثمّ إنّهما تابا.

الجواب: هل يمكن أن نعدّ الخروج والتعدّي على الخليفة الشرعي والإمام بالحقّ والناطق بالصدق تأويلاً أو اجتهاداً؟ وكيف يمكن ذلك مع إصرار أمير

---

(١) تقدّمت مصادره.

(٢) الفصول المهمّة ص ٢١.

(٣) مسند أحمد ج ٢ ص ٤٤٣ والمستدرك ج ٣٠ ص ١٤٩ والإصابة ج ٤ ص ٣٦٧ ضمن كلامه عن فاطمة الزهراء نقلاً عن الترمذي عن زيد بن أرقم.

المؤمنين وغيره ممّن ذكروهم وحذّروهم ونبّهوهم من مغبّة هذا العمل؟

وكيف يمكن أن نمرّر هذه الأخطاء الفظيعة التي راح ضحيتها ١٣٠٠٠ من أهل البصرة ممّن والى أهل البيت عليهم السلام عبر هذه التبريرات والمصطلحات؟

هل صار قتل النفس المحترمة وارتكاب هذه الكبائر في عرفكم من الأمور المتسامح فيها بهذه الحجج والكلمات؟ وهل تحوّل نقض العهد والبيعة والميثاق وبثّ الفساد في الأرض من قبيل الأخطاء الصغيرة المغتفرة؟

ألم تقرأوا كتاب الله حيث فيه: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويُفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾[1].

وهذه الآية صريحة في كلّ من نقض عهد الله وهي البيعة للنبيّ أو الإمام الحقّ وسعىٰ في قطع ما أمر الله به وبثّ الفساد فعليه اللعنة وسوء الدار.

ولا نجازف لو قلنا إنّ هؤلاء الصحابة كانوا من مصاديق هذه الآية فإنّهم نقضوا البيعة وأثاروا الفتنة وعملوا على شقّ العصا وأثاروا الفساد بحربهم لأمير المؤمنين، بينما أمر الله المسلمين أن يدخلوا في السلم كافّة.

والعجيب أنّ طلحة والزبير بايعا أمير المؤمنين ثلاث مرّات ومع ذلك نقضوا هذه البيعة.

فالبيعة الأولى لهما كانت يوم الغدير عندما بايع المسلمون عليّاً بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأوّل من بايعه عمر ثمّ أبو بكر ثمّ طلحة ثمّ الزبير.

والبيعة الثانية لهما يوم قُتل عثمان وهرع الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكان أوّل من بايعه طلحة حتّى قيل: أوّل من بدأ بالبيعة يد شلّاء[2]، ومن بعده الزبير.

---

(١) الرعد: ٢٥.

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص٦٩٧ ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.

والبيعة الثالثة يوم عزما الغدر بأمير المؤمنين عليه السلام لمّا استأذنا منه أن يأذن لهما بالرحيل إلى العمرة فجدّدا له البيعة نفاقاً منهما، وقد تقدّم الكلام عن ذلك[1].

فلم تطل المدّة حتّىٰ نقضا كلّ هذه البيعات الثلاث وسعيا وراء المصالح مع عائشة التي لم تتحرّز في إظهار العداء لأمير المؤمنين عليه السلام والتي حذّرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الفتن سابقاً.

وأمّا الحديث عن توبتهما فإنّما هي محاولة يائسة قام بها البعض لترقيع سمعة طلحة والزبير في قبال ما صدر منهما في الجمل ووقوفهما موقف العداء لأمير المؤمنين عليه السلام الذي يُعدّ العداء له كفراً ونفاقاً، فمن يقول إنّهما تابا؟ إنّما هي دعوى بلا دليل.

هل تاب الزبير؟

سؤال أحد الحاضرين: ألم تذكر الآن أنّ أمير المؤمنين نصح الزبير قبل الحرب وبعدها مضى الزبير إلى الصحراء وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بشّرَ قاتله بالنار، ألا يكفي كلّ ذلك لإثبات توبة الزبير؟

الجواب: أمّا أنّه مضى إلى الصحراء واعتزل الحرب فصحيح ولكن هذا لا يدلّ على كونه تائباً، بل تتجسّد التوبة في انتقاله إلى جانب أمير المؤمنين والانضواء تحت لوائه والمشاركة معه في حرب أعدائه إذ لا توجد مرتبة بين الحقّ والباطل، ثمّ إنّه كان في طليعة المحرّضين لحرب عليّ عليه السلام فحرّض عائشة والناس وخطب الخطب المهمّة من أجل تحريك الناس ضدّ أمير المؤمنين بذرائع متعدّدة، فكان اللّازم عليه أن يعلن خطأه ويدعو الناس إلى ترك الحرب

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣٢ ط دار إحياء الكتب العربية.

مثلما جمعهم للحرب وينقل لهم ما ذكّره به الإمام عليّ عليه السلام في فضائله ومناقبه وحرمة حربه ووجوب طاعته، لا أنّه يعتزل ويذهب ساكتاً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

سؤال أحد الحاضرين: يُحتمل أنّه خاف وخشي على نفسه فيما لو قام بذلك فلذلك سكت ومضى لحاله دون أن يُنبّه غيره.

الجواب: **أوّلاً:** الزبير لم يكن من هذا الطراز، أي أنّه لم يكن جباناً حتّى يخاف.

وثانياً: لمّا عزم الزبير على الاعتزال تكلّم معه ابنه عبدالله وكذا طلحة وعائشة كلّهم طلبوا منه البقاء والمشاركة في الحرب ولمّا شاهدوا منه الإصرار اتّهموه بالجبن والخوف إلّا أنّه لم يعتنِ بذلك ومضى لسبيله.

وحتّى لو سلّمنا معكم وقلنا إنّ الزبير خاف على نفسه القتل وجبن ـ مع أنّه احتمال ضعيف للغاية لما عُرف عن شجاعة الزبير ـ ولكن كان بإمكانه أن يلتحق بأمير المؤمنين وجيشه دون أن يخطب بجيش البصرة أو يوضّح لهم موقفه، بل يكتفي بالانضمام إلى الإمام علي عليه السلام لأنّ الجهاد مع الخليفة الشرعي وإمام العدل والحقّ واجب شرعي كما كان واجباً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أنّه يعتزل الموقف ويذهب إلى الصحراء.

ثمّ إنّ للتوبة علائم يُعرف من خلالها التائب منها العمل على الضدّ، فعندما يقلع الإنسان عن الذنب فإنّه يميل إلى ضدّه وهو الطاعة، فالزبير عندما اعتزل جيش البصرة لم يدخل في جيش الإمام أي لم يعمل على الضدّ وهي الطاعة فلم تظهر منه علائم التوبة حتّى يجزم البعض بتوبته.

وأمّا ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: بشّر قاتل ابن صفية ـ وهو الزبير ـ بالنار، فلا يحسن الاستدلال بهذا في إثبات توبة الزبير إذ لا علاقة ولا دلالة ولا أيّ إشارة إلى ذلك.

بل غاية ما في الأمر أنّ قتل النفس من الكبائر المحرّمة جدّاً حتّى عُدّ قتل النفس المحترمة كقتل الناس جميعاً، وعليه فلا يجوز قتل أيّ إنسان إلّا بإذن الولي الشرعي كالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام الشرعي حتّى في الحروب، وقد حصلت عدّة حوادث تدلّل على هذا المعنى منها ما قام به شهيد الحمار حيث انطلق أحد المسلمين في حرب أُحد بدون إذن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ورخصته نحو الكفّار وقتل رجلاً منهم ليغنم حماره فقُتل فعبّر عنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه قتيل الحمار فلم يكن له أي أجر، وهكذا قاتل الزبير وهو عمرو بن جرموز فإنّه قتله بدون إذن أمير المؤمنين عليه السلام وكان يسعىٰ من عمله هذا أن يحصل على جائزة معيّنة من الإمام، بينما عُدّ تصرّفه هذا مثل تصرّف قتيل الحمار.

ويمكن أن يُجاب عن ذلك بغير هذا، لأنّ عمرو بن جرموز قُتل مع الخوارج أو مع مصعب بن الزبير وبالتالي على كلا الفرضين فهو من أصحاب النار فمن هذه الجهة قال: بشّر قاتل ابن صفية بالنار[1].

عائشة لم تتب من حرب الجمل

هذا كلّه حول طلحة والزبير، أمّا عائشة فهي الأخرى لم تتبْ من فعلها العظيم والدماء التي أُريقت بسببها، نعم ذكر الشهرستاني وغيره أنّها شعرت بالخطأ وندمت وتابت..

ولكن هذه مجرّد دعوىٰ خالية من الدليل والبرهان علىٰ غرار ما قالوا عن توبة طلحة والزبير، بل قامت الأدلّة والشواهد التاريخية علىٰ خلاف ذلك أي عدم ندمها وعدم توبتها وعدم احترامها لعليّ عليه السلام فقد روي أنّه لمّا وصلها خبر استشهاده فرحت وأنشدت:

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١ ص٢٣٦ ط دار إحياء الكتب العربية.

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر[1]

ويقال هذا الكلام عندما يصل الإنسان إلى هدفه وينال مراده ويحقّق أُمنيته. فبعد عناء السفر وأتعابه التي تدعو المرء إلى أن يتوكّأ على العصا من شدّة الجهد، فبعد ذلك يرمي بهذه العصا عندما يصل إلى مقصده وينال الراحة التامّة.

وقد أشار ابن مسكويه في تجارب الأُمم والدميري في حياة الحيوان حيث ذكرا أنّ عائشة أشارت بذلك إلى راحة بالها وفراغ ذهنها لأنّها كانت تنتظر مثل هذا الخبر، كما تقرّ عين المنتظر بقدوم المسافر الذي هو بانتظاره، وبذلك قرّت عين عائشة برحيل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام!!

وذكر المؤرِّخون أنّها قالت: فمَنْ قتله؟ قيل: رجل من مراد فأنشدت:

فإن يك نائياً فلقد بغاه غلام ليس في فيه التراب

وكانت زينب ابنة أُمّ سلمة في محضرها فاستغربت هذا السلوك من عائشة فقالت لها: ألعليّ تقولين هذا؟!

فقالت: إنّي أنسىٰ، فإذا نسيت فذكّروني[2].

والآن أيّها السادة الكرام أين توبة عائشة؟ بل العكس فإنّها أظهرت سرورها بقتل علي عليه السلام وكانت تنتظر في حياتها مثل هذا الخبر ممّا يعني بغضها لعليّ وحقدها عليه وإلّا فإنّ محبّ عليّ عليه السلام لا يفرح بموته بل يحزن.

وبلا أدنىٰ تردّد نقول: إنّ عذر عائشة الأخير أقبح من فعلها الأوّل لأنّها لم تكن من القضايا التي تدخل حيّز النسيان، فموت الشخص العظيم ـ خليفة

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص١٥٩ دار الكتب العلمية ١٩٨٨م، ومقاتل الطالبيّين، ص٢٦، ط: النجف ١٩٦٥م.

أقول: وذكره أيضاً الدميري في حياة الحيوان ج ١ ص٦٨ ط القاهرة.

(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص١٥٩ دار الكتب العلمية بيروت، ومقاتل الطالبيين، ص٢٦.

المسلمين ـ هل يدعو إلى السرور؟! ومن ثمّ يقال إنّها نست، ولم تكن عائشة متقدّمة في العمر حتّى تنسىٰ ولم يكن عليّ مجهول الحال حتّىٰ يشك الإنسان فيه.

إذن فعندما نتكلّم عن الأفعال السيّئة التي قامت بها عائشة نتكلّم على أصل ثابت ودليل قاطع لا من وحي التعصّب كما يزعم أهل السنّة ويتّهموننا بذلك، وإلّا فلماذا لا نقول هذا الكلام عن حفصة مع أنّها كانت مؤيّدة لعائشة؟ وذلك لأنّها لم تخض ما خاضته عائشة التي هتكت سترها وخالفت ربّها ورسوله وخرجت مع الرجال الأجانب لحرب حبيب الله ورسوله، مع علمها بمنزلة علي ومع ما تقدّم من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتحذيره إيّاها ومع تقدّم نصائح القوم وتذكير أُمّ سلمة لها و... ومع كلّ ذلك خالفت وحاربت فهل في ذلك مجال للاجتهاد أو الخطأ؟ ثمّ أظهرت الفرح والسرور بقتل علي عليه السلام فأين توبتها إذن؟

إيذاء عائشة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

ولم تقتصر عائشة في مخالفتها وحربها لعثمان أو لأمير المؤمنين، بل كانت تقسو في معاملتها مع النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وكانت تخاطبه بكلمات جافّة تدلّ على عدم احترامها وإيمانها، وقد تناولتُ بعض الوقائع في كتابي ليالي بيشاور وهنا أكتفي بذكر شاهدين:

فقد ذكر الغزالي بعض الأخبار الذامّة لعائشة منها إيذائها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وقد ذكر المتّقي الهندي وأبو يعلى وأبو الشيخ والنسائي وآخرون ـ بقليل من الاختلاف ـ أنّ أبا بكر ذهب يوماً إلى بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد حدث

---

(١) إحياء العلوم ج٢ باب ٣ كتاب آداب النكاح ص١٣٥.

اختلاف بين النبيّ وعائشة فوجّهت عائشة في حضور أبيها إلى النبيّ ﷺ كلمات قاسية فكانت تقول له ﷺ: إِعدل!! وأحياناً تقول: أنت الذي تزعم أنّك نبيّ الله؟!![1].

فأمثال هذه العبائر التي تتضمّن الإهانة والاستخفاف بمقام النبيّ ﷺ لأكبر دليل على انحراف عائشة.

وكذا ذكر السيوطي في جمع الجوامع والنسائي في الخصائص وأحمد في المسند وغيرهم آخرون: أنّ أبا بكر ذهب يوماً إلى حجرة رسول الله ﷺ وقبل أن يدخل عليه سمع صوت ابنته عائشة عالياً وهي تخاطب النبيّ ﷺ: والله لقد علمت أنّ عليّاً أحبّ إليك من أبي ومنّي، فلمّا دخل عليهما تغيّر لونه وقال لها: أترفعين صوتك على رسول الله فضربها على وجهها حتّىٰ خرج الدم من أنفها[2].

فإذا كان هذا سلوكها مع سيّد الكائنات فماذا تنتظرون منها أن تفعل مع أمير المؤمنين عليه السلام؟

---

(١) كنز العمّال ج٧ ص١١٦ ومسند أبو يعلى وكتاب الأمثال وخصائص النسائي.
أقول: قولها: اعدل، دليل على إسقاطها لعدالته ﷺ والعياذ بالله وإلّا لما طالبته بذلك، وهي نفس الكلمة التي قالها ذو الثدية للنبي ﷺ وعليك أن تنظر إلى مدى الجرأة والتعدّي الذي تمثّلت به عائشة وقولها «تزعم» فإنّ أهل اللغة والأدب يقولون إنّ هذه الكلمة إذا جاءت في الكلام يُراد منها تكذيب المقابل، وكأنّه ﷺ ليس نبيّاً ولكنّه يزعم. وهذا أيضاً دليل على عدم إيمان المرأة.
وقد رووا في الكشّاف عن النبيّ ﷺ (زعموا: مطية الكذب) ولكلّ شيء كنية وكنية الكذب: زعموا / انظر حياة الحيوان ج٢ ص٣١٦. المترجم.
(٢) الخصائص لأحمد بن شعيب النسائي ص١٦٢، ط: دار الثقلين ١٤١٩م.

مخلّفات حرب عائشة لعلي(ع)

ممّا تقدّم ظهر لكم أنّ عائشة وطلحة والزبير كانوا السبب الأوّل والأخير وراء حرب الجمل، ومن قبل كانوا من المحرّضين على قتل عثمان، والناس يمتازون بأنّ عقولهم في آذانهم فهم يتّبعون ما يسمعون وبعضهم كانت عقولهم في عيونهم فيسيرون على ضوء ما يشاهدون بلا تفكير.

وبما أنّ عائشة كانت زوجة رسول الله فهي أُمّ المؤمنين وبنت الخليفة الأوّل فعوام الناس لاسيّما من كان في الأمصار ممّن لا إطّلاع له عن مجريات الأحداث في المدينه كانوا يتّبعونها بهذه الاعتبارات، فمن قبل مشوا وراء دعواتها في قتل عثمان، وبعد ذلك أشاعت في الناس أنّها تقاتل عليّاً طلباً لدم عثمان فصار الإمام عليّ عليه السلام وجماعته في نظر هؤلاء من جملة القتلة وهكذا أوجدت في الإسلام شرخاً جديداً وهو نصب العداء لأمير المؤمنين وجماعته بشكل منظّم وجيش جرّار وما خلّفته حرب الجمل من عداء لا تزال إلى اليوم آثاره.

فمع هذه المخلّفات العظيمة هل ترون فائدة في توبتها؟ أم أنّ توبتها تُقبل بغضّ النظر عن هذه المخلّفات والدماء؟ فسواء قلتم إنّها تابت أم لا عليها أن تصلح ما مضىٰ كلّه، وبما أنّ ذلك مستحيل فيكون موضوع التوبة أمراً لا معنى له ولا يصلح كمبرِّر يتمسّك به العثمانيون.

خطبة معاوية في الشام

بعدما تمّ قتل عثمان حملوا قميصه إلى الشام فكان معاوية ينشره على المنبر وهو غارق في الدماء وينادي بالثأر لدم الخليفة ـ المظلوم ـ!

حتّى جمع جيشاً قوامه سبعون ألف ووقف خطيباً فيهم فقال لهم: «يا أهل

الشام قد كنتم تكذّبوني في علي وقد استبانَ لكم أمره والله ما قتل خليفتكم غيره وهو أمر بقتله وألّبَ الناس عليه، وآوىٰ قتلته وهم جنده وأنصاره وأعوانه وقد خرج بهم قاصداً بلادكم لإبادتكم، يا أهل الشام الله الله في دم عثمان فأنا وليّ عثمان وأحقّ من طلب بدمه وقد جعل الله لولي المقتول سلطاناً فانصروا خليفتكم فقد صنع القوم به ما تعلمون فقتلوه ظلماً وبغياً وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتّىٰ تفيء إلى أمر الله.

عثمان يطلب النصرة من معاوية

وكانت هذه الخطبة من معاوية تمويهاً على أهل الشام الأغبياء وإلّا فإنّ معاوية أحد الذين خذلوا عثمان عندما طلب منه الاستمداد والعون بينما أمر معاوية جيشه بعدم دخول المدينة وقد صرّح الشهرستاني عندما ذكر عمّال عثمان بقوله: وكلّهم خذلوه ورفضوه حتّى أتىٰ قدره عليه.

ولمّا أفضى الأمر إلى معاوية أتاه أبو الطفيل الكناني فقال له معاوية: كيف وجدك علىٰ خليلك أبي الحسن؟ قال: كوجد أُمّ موسىٰ علىٰ موسىٰ وأشكو إلى الله التقصير، فقال معاوية: أكنت فيمن حضر قتل عثمان؟ قال: لا، ولكنّي فيمن حضر فلم ينصره، قال: فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة؟ قال: منعني ما منعك إذ تربص به ريب المنون وأنت بالشام قال: أوماترى طلبي بدمه نصرة له؟ قال: بلىٰ، ولكنّك وإيّاه كما قال الجعدي:

لألفينّك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زوّدتني زادا[1]

---

(١) الاستيعاب للقرطبي ج٤ ص٢٥٩، وأبو الطفيل هو عامر بن واثلة الكناني عاصر النبي ﷺ ثمان سنوات ثمّ بعده ﷺ سكن الكوفة وكان من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام

←

ولكن طمع معاوية في منصب الملك والإمارة من جهة وبغضه للإمام عليّ عليه السلام من جهة ثانية جعله يتخذ من قميص عثمان ذريعة ومبرّراً يخدع فيه كلّ مغفّل وضالّ ليصل من خلاله إلى مآربه وأهدافه الخبيثة، بينما كان هو أحد أسباب قتل عثمان.

رسالة معاوية لسعد بن أبي وقّاص وجوابه[1]

ذكر ابن قتيبة أنّ معاوية بعث برسالة إلى سعد بن أبي وقّاص كتب فيها:

أمّا بعد فإنّ أحقّ الناس بنصرة عثمان أهل الشام (وفي سائر الكتب بدل أهل الشام أهل الشورى وهو الصحيح) والذين أثبتوا حقّه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك في الأمر والشورىٰ ونظيراك في الإسلام وخفّت لذلك أُمّ المؤمنين فلا تكرهنّ ما ركبوا ولا تردنّ ما قبلوا فإنّما نريدها شورىٰ بين المسلمين.

فكتب سعد جواباً إلى معاوية:

أمّا بعد فإنّ أهل الشورى ليس منهم أحقّ بها من صاحبه غير أنّ عليّاً كان من السابقة ولم يكن فينا ما فيه فشاركنا في محاسننا ولم نشاركه في محاسنه وكان أحقّنا كلّنا بالخلافة، ولكن مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه حيث شاء لعلمه وقدره، وقد علمنا أنّه أحقّ بها منّا ولكن لم يكن بدّ من الكلام في ذلك

← واشترك معه في كل حروبه وبعد استشهاد الإمام هاجر إلى المدينة وسكن فيها إلى عام ١٠٠هـ وكان فصيحاً فاضلاً شجاعاً أديباً.

أقول: وقد ذكر هذه الواقعة المسعودي في المروج ج٣ ص١٦ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٠ / المترجم.

(١) الإمامة والسياسة ج١ ص١٠٠، مؤسسة الوفاء، بيروت.

والتشاجر فدع ذا، وأمّا أمرك يا معاوية فإنّه أمرٌ كرهنا أوّله وآخره، وأمّا طلحة والزبير فلو لزما بيعتهما لكان خيراً لهما والله تعالى يغفر لعائشة أُمّ المؤمنين.

ولمّا وصلت أخبار هذه الرسائل إلى مسامع أمير المؤمنين عليه السلام كتب عدّة رسائل ينصح فيها معاوية تارةً ويهدّده أُخرى محاولة منه عليه السلام لردعه عن الباطل والغيّ وبعث إليه الرُّسل يذكّرونه فضل أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً إلّا أنّ معاوية أرسل في آخر الأمر رسالة كتب فيها:

ليس بيني وبين عمرو عتاب　　　غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فلمّا قرأه الإمام تلا قوله تعالى: ﴿إنّك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾. بعدها عمل على إعداد جيشه لردع معاوية عليه لعنة الله وفئته الباغية.

وسار معاوية بجيشه حتّى التقى جيش الحقّ والعدل بقيادة أمير المؤمنين في صفّين مع جيش الباطل والبغي بقيادة معاوية عليه لعنة الله في غرّة صفر عام ٣٧ هـ.

سؤال أحد الحاضرين: لقد عوّدتنا على أخلاقك الحميدة وجذبتنا بشمائلك الحسنة طيلة هذه الحوارات ولكنّك الآن فاجأتنا بأنّك تلعن خال المؤمنين وأحد أصحاب النبيّ وكاتب الوحي.

الجواب: من حقّك أن تعترض على لعني لمعاوية وذلك لانغماسكم في التأريخ المزيّف ومتابعتكم لكتب المدارس الأكاديمية التي لا تعطي الإنصاف أو التحليل في حوادث التاريخ، ولكنّ الحقيقة انّ لعن معاوية من الأُمور التي نزل بها القرآن وصرّحت بها الأحاديث النبويّة وقد أشرت إلى ذلك في كتاب ليالي بيشاور.

سؤال: هل بإمكانكم أن تذكروا لنا ما نزل من القرآن في هذا الصدد؟ وكذا الأحاديث النبويّة ليتّضح لنا الحقّ؟

الآيات القرآنية في لعن وذمّ معاوية

الجواب: تنقسم هذه الآيات إلى قسمين:

الأوّل: الآيات الصريحة في لعن عموم بني أُميّة وفي طليعتهم يقف أبو سفيان ومعاوية.

أولاً: مثل قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلّا فتنةً للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً﴾[١].

فقد صرّح أكابر أهل السنّة مثل الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية والسيوطي والقرطبي والفاضل النيشابوري والطبري والبيهقي وابن أبي حاتم وابن عساكر وابن مردويه وآخرين أنّ رسول الله ﷺ رأى في عالم المنام قروداً تنزوا على منبره فتأثّر لذلك، وفي الصباح هبط عليه جبرئيل وأخبره أنّ هؤلاء هم بنو أُميّة وأنّ الشجرة الملعونة هم[٢] وفروعها هم بنو العاص وبنو الحكم وبنو المغيرة، ولا يخفى عليكم أنّ معاوية في طليعة هؤلاء.

ثانياً: وأمّا القسم الثاني من الآيات فهي الآيات التي تشير إلى أفعال معيّنة خبيثة وكلّ من يفعل يستوجب اللعن مثل قوله تعالى: ﴿فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم﴾[٣].

فالآية تشير إلى الحاكم أو الأمير الذي يسعى لإيجاد الفتن والحروب التي

---

(١) الاسراء: ٦٠.

(٢) أُنظر الدرّ المنثور ج٤ ص١٩١ والقرطبي ج١٠ ص٢٨٦ والآلوسي ج١٥ ص١٠٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٣٩ / المترجم.

(٣) محمّد: ٢٢ ـ ٢٣.

تؤدّي إلى قطع الأرحام ونشر الفساد، فكلّ حاكم كان كذلك فعليه لعنة الله. وقد مرّ عليكم أنّ معاوية مارس كلّ ذلك فقد أرسل الكتب والرُّسل لتحريك الناس ضدّ الإمام وأخيراً قام هو بمحاربته. وأهمّ من كلّ ذلك فقد نصب ولده الملعون يزيد أميراً على المسلمين من بعده استمراراً لنشر الفساد.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً﴾[1] وهي شديدة الانطباق على معاوية.

سؤال: كيف صدرت الأذيّة من معاوية لله ولرسوله ومتىٰ؟

الجواب: كان ذلك قبل إسلامه وبعد إسلامه وبشكل مباشر وغير مباشر، أمّا قبل إسلامه فواضح فقد اشترك في إيذاء النبي مع أبيه وأُمّه وأعمامه.. طيلة ١٣ عاماً في مكّة المكرّمة، وبعد الهجرة شارك في الحروب التي قادها أبو سفيان ضدّ الإسلام التي راح ضحيّتها عشرات الشهداء مثل سيّد الشهداء حمزة وغيره.

---

(١) الأحزاب: ٥٧.

أقول: قال رسول الله ﷺ لفاطمة بنت قيس حينما جاءت تستشيره في الزواج من معاوية فقال لها: أمّا معاوية فصعلوك لا مال له.

أُنظر حياة الحيوان الكبرىٰ ج ١ ص٨٥ وص ٢٢١ وج ٢ ص ٢٢٣.

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي: روىٰ شيخنا أبو عبدالله البصري المتكلّم عن نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال: أتيت مسجد رسول الله ﷺ والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد فقال رسول الله ﷺ: لعن الله التابع والمتبوع ربَّ يوم لأُمّتي من معاوية ذي الاستاه.

وقال: روي العلاء بن حريز القشيري أنّ رسول الله ﷺ قال لمعاوية: لتتخذنّ يا معاوية البدعة سنّة والقبح حسناً أكلك كثير وظلمك عظيم / شرح نهج البلاغة ج ٤ ص٧٩ دار إحياء الكتب العربية / المترجم.

إباحة دم معاوية

وبعد عام الفتح ٨هـ أسلم أبو سفيان مكرهاً إذ لا مجال للإصرار على الشرك بعدما قويت شوكة المسلمين، وفي هذه الأثناء لم يكن معاوية في مكّة إلّا أنّه عندما سمع بإسلام أبي سفيان أرسل إليه رسالة وبّخه فيها على قبوله الإسلام.

فلمّا سمع رسول الله ﷺ بذلك أمر بإباحة دم معاوية، ولهذا ضاقت الأرض على معاوية لاسيّما مع توسّع رقعة الإسلام فتوسّل واستغاث بالعبّاس عمّ النبيّ ﷺ، فذهب العبّاس يشفع له عند النبيّ ﷺ، وإكراماً للعبّاس فإنّ النبيّ ﷺ تجاوز عنه، ولكن معاوية ظلّ حقير الحال بين المسلمين مكروه الجانب، الكلّ ينظر إليه نظر الاشمئزاز والاحتقار والذلّة، ممّا حدىٰ به مرّة أُخرى أن يستنجد بالعبّاس، فطلب العبّاس من النبيّ ﷺ أن يجعله كاتباً عنده حتّىٰ يحترمه المسلمون ويتركوا تحقيره وتوهينه فجعله النبيّ ﷺ كاتباً لمراسلاته إلى الملوك[1]، وكان ذلك قبل رحليه ﷺ بأشهر.

مقطع من رسالة أمير المؤمنين لمعاوية

يذكر أمير المؤمنين في هذه الرسالة أنّ معاوية أسلم كرهاً إذ لم يصل قلبه وعقله إلى قناعات تامّة بالنبوّة والدين ولكنّه خاف على نفسه فأسلم لا عن قناعة «وقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانباً واخرج إليّ واعف الفريقين من القتال ليعلم أيّنا المرين على قلبه والمغطّى على بصره فأنا أبو الحسن قاتل جدّك وخالك وأخيك شدخاً يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقىٰ عدوّي، ما استبدلت ديناً ولا استحدثت نبيّاً وإنّي لعلى المنهاج الذي تركتموه

---

(١) شرح النهج ج ١ ص٣٣٨، دار إحياء الكتب العربية.

طائعين ودخلتم فيه مكرهين»[١].

إذاً فلم يكن إسلامه إسلاماً نقيّاً حتّى يتولّد عنده الإيمان الحقيقي، بل هو إسلام ظاهري ولذلك لم يمنعه إسلامه من قتل أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا مع عليّ عليه السلام ولم يمنعه من حرب أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمّا الطريق الثاني لإيذاء معاوية لرسول الله ﷺ فهو يتجسّد في حقده وبغضه وحربه لأهل بيت النبيّ ﷺ، وقد نقل الفريقان أحاديث نبويّة كثيرة جدّاً مضمونها أنّ كلّ من آذى أهل البيت فهو قد آذى النبيّ، مثل قوله ﷺ: من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله[٢] وقوله ﷺ: اشتدّ غضب الله على من آذاني في عترتي[٣] وقوله ﷺ: من آذاني في عترتي فعليه لعنة الله[٤]. وواضح جواز لعن كلّ مَن آذى الله ورسوله وأهل بيته.

إيذاء عليّ هو إيذاء للرسول الأكرم ﷺ

والطريق الثالث الذي مارسه معاوية لإيذاء رسول الله ﷺ هو إيذاؤه لعليّ عليه السلام فإنّ هذا التلازم بين النبيّ ﷺ وأمير المؤمنين واضح جدّاً لدى الفريقين لورود الأخبار الكثيرة بهذا المعنى منها قوله ﷺ: من آذىٰ عليّاً فقد آذاني[٥]، وقوله ﷺ لعمرو الأسلمي لمّا جاءه يشكو عليّاً فردّ عليه ﷺ:

---

(١) كنوز الحقائق للديلمي نقله عن فردوس الديلمي.

(٢) فردوس الأخبار للديلمي، ج١ ص٥٣، ط: دار الفكر ١٩٩٧م.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الاستيعاب للقرطبي، ج٣ ص٢٠٤، ط: دار الكتب العلمية، ومسند أحمد والجامع الصغير للسيوطي وتاريخ الخلفاء له وكنوز الدقائق للمناوي وينابيع المودّة وكفاية الطالب باب ٦٨، والرياض النضرة ص١٠٥، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧.

ياعمرو أما والله لقد آذيتني؟ فقلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يارسول الله؟ قال: بلىٰ، من آذى علياً فقد آذاني[1].

هذه نماذج لعشرات أمثالها نقلها أكابر الفريقين وهي واضحة الدلالة مشهورة بين المسلمين لأنّها تكرّرت من النبيّ ﷺ بتكرّر الداعي فهي علىٰ مرأىٰ ومسمع من معاوية وغيره، ومع ذلك لجأ معاوية إلى إيذاء الإمام عليّ عليه السلام بعدم الطاعة وتحريض الناس ضدّه وتجميع أعدائه ومحاربته في صفّين وسبّه على المنابر...

فهو بذلك يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله..﴾ ولا يمكن حمل هذا العداء المتأصّل والسبّ المتكرّر للولي الأكرم عليه السلام على التأويل أو الاجتهاد.

القرآن يلعن الظالمين

وهناك آيات قرآنية كثيرة يلعن الله فيها الظالمين وهي منطبقة على معاوية فيكون مشمولاً باللعن مثل قوله تعالى: ﴿فأذّن مؤذّن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾[2]، وقوله: ﴿ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أولئك يُعرضون على ربّهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم ألا لعنة الله على

---

(١) المستدرك ج٤ ص٨٩ رقم ٤٦٧٧ دار المعرفة بيروت ١٩٩٨، وتلخيص المستدرك للذهبي وأحمد في المسند.

أقول: وحديث (من آذى علياً فقد آذاني) تجده في مختصر المحاسن المجتمعة ص١٦١ دار ابن كثير بيروت، والاستيعاب الطبعة الحديثة ج٣ ص٢٠٤ دار الكتب العلمية وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص٦٣١ وفضائل الصحابة لأحمد ج٢ ص٦٣٣ ط السعودية /المترجم.

(٢) الأعراف: ٤٤.

الظالمين﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾[2] وقد أجمع المسلمون أنّ معاوية وجماعته هم الفئة الباغية التي حاربت خليفة المسلمين ظلماً وعدواناً، وهكذا عمليات القتل والإبادة التي أمر بها معاوية للزهّاد من شيعة عليعليه السلام كلّ ذلك ظلم فيكون من جملة الملعونين إذن.

بل حتّى لو أغمضنا الطرف عن كلّ هذه المجازر يكفي لإثبات ظلم معاوية انّه نصّب على المسلمين مجموعة من المجرمين الأشقياء سفّاكي الدماء الذين أجرموا بحقّ المسلمين وأشاعوا الرذيلة والإرهاب والخوف في نفوس المسلمين، ويقف في طليعة هؤلاء ـ وهم سيّئات معاوية ـ زياد بن سمية المعروف بزياد ابن أبيه وُيسر بن ارطأة.

مَن هو زياد بن أبيه؟!

في أيّام شبابه كان من الملازمين لأمير المؤمنين عليّعليه السلام وكان من المطيعين لأوامره وتوجيهاته إلى أنّ استشهدعليه السلام وجاء ابنه الإمام الحسنعليه السلام وجرىٰ ما جرى له وبعد ذلك انتقل زياد في ولائه إلى معاوية بن أبي سفيان وتخصّص في إراقة الدماء حتّىٰ هرب الناس من سطوته وإرهابه إلى الجبال والمغارات.

ولم يكن مثل هذا السلوك المنحرف غريباً عن أولاد الزنا، فإنّ أُمّ زياد (سميّة) كانت في الجاهلية من ذوات الرايات مشهورة بالزنا حتّى مضىٰ على زياد أربع وأربعون عاماً ينادونه (زياد بن أبيه) وظلّ أبوه مجهول الحال لكثرة

---

(١) هود: ١٨.

(٢) غافر: ٥٢.

الواردين على أُمّه سميّة يمارسون معها الفاحشة مع وجود زوجها وقد نسب البعض زياد إلى أمّه فقالوا عنه زياد ابن سميّة.

اعتراض أحد الجالسين: عفواً سماحة السيّد، أتذكّر عندما كنت أدرس في مدينة (مهاباد) كان أستاذ التاريخ ينسب زياد إلى أبي سفيان وأنّه أخ لمعاوية وكان يعدّه من دهاة العرب ويكنّ له الاحترام؛ بينما تنسبه أنت إلى الزنا.

الجواب: بلا شك كان أستاذك من أهل السنّة والجماعة أليس كذلك؟

ج: نعم كان من أهل السنّة وممّن يمتدح بني أُميّة ويعدّهم من قادة العرب.

جواب السيّد: إنّ أبرز نقطة يمكن ملاحظتها بين صفوف أهل السنّة هو أنّهم يقرأون التأريخ بلا تحقيق وتدقيق، وبلا عناء البحث والمقارنة، وبلا شكّ فإنّ مثل هذه المطالعات تكون قاصرة وناقصة ولا توصل صاحبها إلى حقائق الأُمور وواقعيّة الحدث. بينما يحتاج الباحث والمطالع التأريخي إلى نظرة فاحصة ونقد جريء، وهذا ما يفتقده أهل السنّة والجماعة فإنّهم يكرّرون ما هو موجود في التاريخ ويتحاشون النقد بل يعملون على إظهار الحقائق الفاسدة بمظهر آخر ويسعون إلى تحسين صورة رموزهم مثل معاوية وزياد وآخرين، وهكذا يكتفي أتباعهم بالسماع دون المطالعة والفحص والتتبّع، فمثلاً أنت عندما سمعت هذا من معلّمك هل طالعت وقرأت كتب التاريخ لتعرف من هو زياد؟

الجواب: لا، لم أقرأ أيّ كتاب حول هذا الموضوع.

إذن عليكم أن تعرفوا مثل هذه الحقائق ومن كتب كتبها علماؤكم[1] ولكن مع ذلك فسأذكر بعض القضايا المرتبطة بهذه الحوادث لعدم اطّلاعكم عليها.

---

(١) مثل تاريخ الطبري ج٤ والكامل في التاريخ وأُسد الغابة ج٢ ومعرفة الصحابة وشرح نهج البلاغة ج١ وتاريخ اليعقوبي ج٢ وتاريخ مروج الذهب وكتب أُخرى.

حالات سميّة أُمّ زياد

ذكر عموم المؤرِّخين بقليل من التفصيل أو الاختصار في الألفاظ ونحن نقل ما ذكره ابن الأثير:

وكان ابتداء حاله أنّ سميّه أمّ زياد كانت لدهقان زندورد بكسكر فمرض الدهقان فدعا الحارث بن كلدة الطبيب الثقفي فعالجه فبرئ فوهبه سميّة فولدت عند الحارث أبا بكرة واسمه نفيع فلم يقرّ به ثمّ ولدت نافعاً فلم يقرّ به أيضاً، فلمّا نزل أبو بكرة إلى النبيّ ﷺ حين حضر الطائف قال الحارث لنافع: أنت ولدي وكان قد زوّج سميّة من غلام له اسمه عبيد وهو رومي فولدت له زياداً وكان أبو سفيان بن حرب سار في الجاهلية إلى الطائف فنزل على خمّار يقال له أبو مريم السلولي فقال أبو سفيان لأبي مريم: قد اشتهيت النساء فالتمس لي بغياً. قال له: هل لك في سميّة؟ فقال: هاتها على طول ثديها وذفر بطنها. فأتاه بها فوقع عليها فعلّقت بزياد ثمّ وضعته[1] وأنتم تلاحظون أنّها كانت في ذمّة زوجها عبيد الرومي ومع ذلك واقعها أبو سفيان ولهذا السبب نسبه البعض إلى سميّة وبعضهم إلى عبيد وبعضهم قالوا إنّه ابن أبيه.

اعتراض أحد الجالسين: من خلال كلامكم يتّضح أنّ زياداً ولد على الفراش وكان لأمّه زوج أيضاً وهو عبيد فكيف قلتم انّه ابن زنا مع ما روي عن

---

(١) الكامل في التأريخ ج٣ ص٣٠٠ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨.

أقول: وقد جاء في مروج الذهب ج٣ ص٦: وكانت سميّة من ذوات الرايات بالطائف تؤدّي الضريبة إلى الحارث ابن كلدة وكانت تنزل في محلّة يقال لها حارة البغايا /المترجم.

النبيّ ﷺ أنّه قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر[١].

الجواب: ما تقوله صحيح ولكنّنا لسنا وحدنا نقول عنه انّه ابن زنا بل أكابر علماء المسلمين من أهل السنّة كما نقلت لكم، بل وأوّل من أثار هذه القضية هو معاوية عندما أراد استلحاق زياد بأبي سفيان أقام الشهود[٢] على أنّه من أبي سفيان، فإذا كان زياد ينتسب إلى أبي سفيان حقيقة فالأمر لا يحتاج إلى إشهاد، وإن لم يكن كذلك فلا معنى لما فعله معاوية.

ثمّ إنّ زياداً طيلة (٤٤) عاماً هو يُنسب إلى عبيد بينما قلب معاوية هذه النسبة وادّعى انّه ابن أبي سفيان أليس ذلك إقراراً منه بالزنا.

وما ذكرته من حديث النبيّ ﷺ (الولد للفراش وللعاهر الحجر) يصلح لإثبات ما نقوله نحن، فإذا كان زياد قد ولد على فراش عبيد كيف جاز لمعاوية إلحاقه بأبي سفيان؟ أليس هذا إقراراً بالزنا؟

مع أنّ علماءكم ذكروا حديثاً عن النبيّ ﷺ يقول: ألا ومن ادّعى إلى غير أبيه أو تولّى غير مواليه رغبة منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرف ولا عدل[٣].

إذن فكلّ من يغيِّر نسبه فعليه لعنة الله.

---

(١) صحيح البخاري ج٣ ص١٦٨ كتاب الفرائض ومسلم ج١ ص ٤٧١ باب الرضاع، والنسائي ج٢ ص ١١٠ والبيهقي ج٧ وسنن أبي داود ج١ باب اللعان.

(٢) فقد شهد أبو مريم السلولي على أنّه شهد أبا سفيان وهو يتغشّى سميّة أيّام الجاهلية. انظر مروج الذهب ج٣ ص٧ / المترجم.

(٣) صحيح البخاري ومسلم وسنن النسائي والترمذي وأبي داود ومسند أحمد نقلاً عن الصواعق المحرقة ج٢ ص٦٣٤، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٩٧.

سؤال أحد الحاضرين: أرجو أن تبيِّن لنا هذه الحادثة ولماذا سعىٰ معاوية لمثل هذا الفعل؟

الجواب: إنّ الدافع الذي حرَّك معاوية لعملية استلحاق زياد بنفسه واعتباره أخاً له هو تحشيده لأكبر عدد ممكن من الأتباع لمواجهة الإمام الحسن عليه السلام، فمعاوية رجل أقام سياسته على المكر والدهاء والحيل، فلمّا رأى أنّ زياداً بإمكانه تجميع قطاعات عريضة من الأتباع لجبهته ضدّ الإمام الحسن عليه السلام سعىٰ وراء استلحاق زياد لهذا الهدف، فهي ورقة سياسيّة ولعبة ماكرة استخدمها معاوية، وإلّا فلماذا كان معرضاً طيلة (٤٤) عاماً عن هذه الفكرة؟ هذا وقد دلّت التواريخ الإسلامية أنّ سميّة لم تكن زوجة أبي سفيان أبداً.

سؤال: وكأنّكم تجزمون حول هذه المسألة مع أنّه يُحتمل أن تكون سميّة قد تزوّجت من أبي سفيان في فترة من الزمن.

اعتراض أبي بكرة على أخيه زياد

الجواب: لقد ذكرت لكم من مصادركم التأريخية حقيقة حال سميّة وعندما نجزم بذلك لأنّ التأريخ جزم به، ومع ذلك فإنّ هناك شواهد تدلّل على ما ذكرناه لكم مثل اعتراض أبي بكرة لمّا سمع أنّ معاوية استلحق أخاه زياداً فلمّا سمع أبو بكرة أنّ زياداً جاء للحجّ جاء إلى بيته وأخذ ابناً له وقال له: يا بنيّ قل لأبيك: إنّني سمعت أنّك تريد الحجّ ولابدّ من قدومك إلى المدينة ولا شك أن تطلب الاجتماع بأُمّ حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإن أذنت لك فأعظم به خزياً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن منعتك فأعظم به فضيحة في الدنيا وتكذيباً لأعدائك، فترك زياد الحجّ وقال: جزاك الله خيراً فقد أبلغت في

النصح[١].

اعتراض بني أُميّة على معاوية

وذكر بعض المؤرخين أنّ زياداً أراد الاستئذان على أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان زوجة رسول الله ﷺ فلم تأذن له، هذا وقد تأثّر بنو أُميّة على ما قام به معاوية من استلحاق زياد به فقال عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص لمعاوية: لو لم تجد إلّا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلّة وذلّة. ثم اعترض مروان بن الحكم على معاوية وجرى بينهما حوار قال في نهايته معاوية: ألم تسمع قول من قال:

ألا أبلغ معاوية بن صخر ... لقد ضاقت بما تأتي اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عف ... وترضى أن يقال أبوك زان
فأشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها حملت زياداً ... وصخر من سمية غير دان

اعتراض يونس بن عبيد

ومن جملة من اعترض على معاوية علناً يونس بن عبيد أخو صفيّة بنت عبيد بن أسد بن علاج الثقفي ـ وكانت صفيّة مولاة سميّة ـ فقال: يا معاوية قضىٰ رسول الله ﷺ أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقضيت أنت أنّ الولد للعاهر

---

(١) الكامل في التاريخ ج٣ ص٣٠٢.

أقول: قال ابن الأثير صاحب التاريخ الكامل: وكان استلحاقه أوّل ما رُدّت به أحكام الشريعة علانية فإنّ رسول الله ﷺ قضىٰ بالولد للفراش وللعاهر الحجر.

ثمّ قال: وهذا مردود لاتّفاق المسلمين على إنكاره ولأنّه لم يُستلحق أحد في الإسلام مثله ليكون به حجّة / المصدر نفسه ص٣٠١ ـ ٣٠٢ / المترجم.

وأنّ الحجر للفراش، مخالفة لكتاب الله تعالى وانصرافاً عن سنّة رسول الله ﷺ بشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان.

فقال معاوية: والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيئاً وقوعها، فقال يونس: هل إلّا إلى الله ثمّ أقع؟ قال: نعم[1].

وهذا منطق الظالمين الذين يفشلون وينهارون أمام منطق الحقّ والدليل الصادع، وكان تهديد معاوية بهذه اللهجة رسالة لكلّ الناس أنّ كلّ من يعترض عليه فإنّ مصيره القتل والموت، ولكن مع ذلك فقد حفظ التأريخ لنا هذه الحقائق وسطّرها الشعراء والمؤرّخون.

سؤال أحد الحاضرين: لا يعقل أنّ معاوية وهو من دهاة العرب والخليفة المعروف بذكائه ينسب إلى نفسه زياداً ويعتبره أخاً له وهو أجنبيّ عنه. نعم، يحتمل أنّ مقصوده هو أخوه بالإيمان.

الجواب: قد تقدّم الكلام حول هذه القضية وقلتُ انّ معاوية أقام الشهود على أنّ زياداً ابن أبي سفيان، بينما لو كان أخاه إيمانياً لما عاد الأمر بحاجة إلى إقامة الشهود وأمام الناس حتّى أنّ معاوية تمسّك بشهادة أبي مريم السلولي ومن خلالها أثبت للناس أخوّة زياد له.

ولكن ما يدعو للدهشة والعجب أنّ الشهود شهدوا على أنّ أبا سفيان زنا بسميّة فهم شهدوا بإثبات الزنا وكان زياد جالساً يستمع إلى كيفيّة الزنا بأُمّه! فأين غيرة هؤلاء الرجال؟ ألا ترون أنّ أي رجل لو قيل له أنّ أُمّك زانية فإنّه سيغضب ويثور ويضرب ويهجو و...

بينما زياد كان يتلقّى هذا الخبر بكلّ هدوء وراحة أعصاب وهكذا يفتخر أمام معاوية بفساد أبيه ولا أدري أين غيرتهم وإحساسهم.

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص٧ دار الأندلس بيروت.

استيضاح أحد الحاضرين: من خلال كلامكم اتّضح لنا أنّ زياداً هو ابن عبيد الثقفي وعبيد هو زوج سميّة كان معها في الطائف، وطبيعيّاً فإنّ زياد ابنه على الظاهر، ولكن لا نعلم ما الذي دفع معاوية لاستلحاقه به وبهذه الطريقة التي لطّخ بها سمعة الخلافة وخالف الشرع وأثبت الزنا لأبيه؟

الجواب: ما يؤسف له أنّ المؤرّخين اكتفوا بذكر الحادثة فقط كما هي عادتهم ولم يركّزوا على التحليل أو الإشارة إلى الأسباب والأغراض والأهداف، مع أنّ سبب اندفاع معاوية لاستلحاق زياد واضح جدّاً.

وأنا سوف أذكره لكم ـ بعد إذنكم ـ:

بدأ حكم بني أُميّة وعلى رأسهم معاوية الذي توسّل بكلّ الأسباب الخبيثة للوصول إلى رأس السلطة فمارس الاحتيال والتزوير والحرب والدهاء وتعاون معه كافّة بني أُميّة إلّا زياد بن أبيه فإنّه كان من عمّال أمير المؤمنين عليه السلام فقد ولّاه الأهواز وفارس وكان هواه مع الإمام علي عليه السلام ولم يعر أي اهتمام لمعاوية، ومضافاً إلى ذلك فإنّه من دُهاة العرب وخطبائهم المبرزين وكان سخيّاً شجاعاً، قائماً بأمور مصره بأحسن ما يكون حتّى استشهد أمير المؤمنين عليه السلام وجاء الإمام الحسن عليه السلام إلى السلطة وواصل نهج أبيه إلّا أنّ زياداً لم يصمد أمام الدنيا هذه المرّة وراح منزلقاً في ركابها طالباً البروق.

ففي عام ٤٠ هـ عندما كاتب معاوية أغلب الأمصار مهدّداً إيّاهم طالباً منهم الخضوع لولايته وإمارته فكتب إليه: من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان! إلى زياد بن عبيد أمّا بعد: فإنّك عبد قد كفرت النعمة واستدعيت النقمة ولقد كان الشكر أولىٰ بك من الكفر وإنّ الشجرة لتضرب بعرقها وتتفرّع من أصلها. إنّك لا أمّ لك بل لا أب لك قد هلكت وأهلكت وظننت أنّك تخرج من قبضتي ولا ينالك سلطاني هيهات ما كلّ ذي لب بصير رأيه ولا كلّ ذي رأي ينصح في مشورته أمس عبد واليوم أمير خطّة ما ارتقاها مثلك يابن سمية وإذا أتاك كتابي

هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة وأسرع الإجابة فإنّك إن تفعل فدمك حقنت ونفسك تداركت وإلّا اختطفتك بأضعف ريش ونلتك بأهون سعي وأُقسم قسماً مبروراً أن لا أُوتي بك إلّا في زمارة تمشي حافياً من أرض فارس إلى الشام حتّى أُقيمك في السوق وأبيعك عبداً وأردّك إلى حيث كنت فيه وخرجت منه والسلام.

وأوّل ما يلفت الانتباه في هذه الرسالة أنّ معاوية نسب نفسه إلى أبي سفيان ونسب زياد إلى عبيد ممّا يعني أنّ فكرة الاستلحاق لم تختمر بعد في ذهن معاوية، بل انّها كانت في العدم ولم تخطر على باله بعد وهو يعني أنّ زياد لا تربطه أي علاقة بمعاوية[1].

إذ كان معاوية يعتقد أنّ الطريقة الأولى - وهي طريقة التهديد والرعب - ستأتي بالنتائج المطلوبة، ولكنّه لمّا عرف أنّ زياداً لم يعر أي اهتماماً إلى تهديده عزم على طريقة ثانية وهي الاستلحاق ومحاولة احتواء زياد بهذا الشكل، والظريف بالأمر أنّ معاوية يعلن لزياد أنّه لا أُمّ له ولا أب فحتّىٰ عندما خاطبه بابن عبيد إنّما ذلك من باب الشهرة لا على وجه التحقيق. ومع ذلك فقد دفعته أهدافه وسياسته الماكرة أن يعلن أمام الناس دون أدنىٰ حياء أنّ زياداً ابن أبي سفيان!!

وحاول معاوية برسالته أن يشير إلى الجانب الحسّاس في حياة زياد وهو تعييره بأمّه سميّة البغية وقد أراد إثارته وأنّه يملك ورقة الضغط عليه، إلّا أنّ هذا الأمر المهمّ والحسّاس كان بالنسبة إلى زياد من الأُمور العادية والطبيعيّة جدّاً فكان أدهىٰ من معاوية في ذلك.

---

(١) نهج البلاغة رقم الكتاب ٤٤ ص ٥٧١ باهتمام الدكتور صبحي الصالح.

جواب زياد لمعاوية

فلمّا قرأ زياد رسالة معاوية نادى الصلاة جامعة ثمّ ارتقى المنبر وقال: إنّ ابن آكلة الأكباد وقاتلة أسد الله ومظهر الخلاف ومسرّ النفاق ورئيس الأحزاب ومن أنفق ماله في إطفاء نور الله كتب إليَّ يرعد ويبرق عن سحابة جفل لا ماء فيها وعمّا قليل تصيّرها الرياح قزعاً والذي يدلّني على ضعفه تهدّده قبل القدرة أفمن إشفاق علي تنذر وتعذّر كلّا ولكن ذهب إلى غير مذهب وقعقع لمن روىٰ بين صواعق تهامة كيف أرهبه وبيني وبينه ابن بنت رسول الله ﷺ وابن ابن عمّه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار، والله لو أذن لي فيه أو ندبني إليه لأرينّه الكواكب نهاراً ولأسعطنّه ماء الخردل دونه الكلام اليوم والجمع غداً والمشورة بعد ذلك إن شاء الله ثمّ نزل من على منبره وجلس في مجلسه وأمر بكاتبه ثمّ أملىٰ عليه قائلاً ـ في ردّ رسالة معاوية ـ:

أمّا بعد فقد وصل إليَّ كتابك يا معاوية وفهمت ما فيه فوجدتك كالغريق يغطّيه الموج فيتشبّث بالطحلب ويتعلّق بأرجل الضفادع طمعاً في الحياة، إنّما يكفر النعم ويستدعي النقم من حادّ الله ورسوله وسعىٰ في الأرض فساداً، فأمّا سبّك لي فلولا حلم ينهاني عنك وخوفي أن أُدعى سفيهاً لأثرت لك مخازي لا يغسلها الماء، وأمّا تعييرك لي بسميّة فإن كنت ابن سميّة فأنت ابن حمامة، وأمّا زعمك أنّك تختطفني بأضعف ريش وتتناولني بأهون سعي، فهل رأيت بازياً يفزعه صغير القنابر أم هل سمعت بذئب أكله خروف، فامض الآن لطيتك واجهد جهدك فلست أنزل إلّا بحيث تكره ولا أجتهد إلّا فيما يسوؤك وستعلم أيّنا الخاضع لصاحبه الطالع إليه والسلام.

ولمّا قرأ معاوية هذه الكلمات أصابه اليأس وشعر بالخيبة وعرف أنّ زياداً ليس ممّن يخشاه ويهابه أو يحترمه وبالتالي فكّر معاوية بطريقة أُخرى لاحتواء

زياد، وبعبارة أُخرى للسيطرة على ما تحت إمارة زياد، فاستعان بالماكر المحتال المغيرة بن شعبة.

مَن هو المغيرة بن شعبة؟

هو أحد أربعة عُدّوا من دهاة العرب وممّن يحتالون بكلّ وسيلة للفوز بالدنيا، فعندهم الغاية تبرّر الوسيلة.

سؤال: هل من الممكن أن تذكر لنا الثلاثة؟

الجواب: معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وزياد بن أبيه ورابعهم المغيرة بن شعبة.

وهؤلاء الأربعة كانوا من ضمن مجموعة العقبة الذين دبّروا محاولة لاغتيال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة، وعُرف المغيرة بالحنكة السياسية والآراء الدنيوية الصائبة وكانت آراؤه السياسيّة في المواقف الصعبة معروفة وكان الكثير من العرب مَن يرجع ويستعين به، إلّا أمير المؤمنين عليه السلام الذي أعرض عن آراء المغيرة التي لم يكن لها أي اتّصال بالمعاد ولم تستق روحها من المبادئ الإنسانية الشريفة.

سؤال أحد الحاضرين: متىٰ قدّم المغيرة آراءه إلى أمير المؤمنين ولماذا؟

الجواب: وذلك عندما تمّت البيعة لأمير المؤمنين علي عليه السلام وعزم عليه السلام أن يعزل عمّال عثمان بن عفّان ويردّ الحقوق إلى أهلها، فجاءه المغيرة وقال له: إنّ لك حقّ الطاعة والنصيحة وإنّ الرأي اليوم تحوز به ما في غد وإنّ المضاع اليوم تضيع به ما في غد أقرر معاوية على عمله وأقرر ابن عامر علىٰ عمله وأقرر العمّال على أعمالهم حتّى إذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت، فقال له أمير المؤمنين: والله لا أُداهن في ديني ولا أعطي الرياء في أمري[1]. وفي

---

(١) مروج الذهب ج٢ ص٣٥٤، دار الأندلس.

رواية أُخرى قال له: أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه؟ قال: لا، قال.. «وما كنتُ متّخذ المضلّين عضداً»[١].

وكانت نصيحة المغيرة تنفع من كانت الدنيا هدفه والرئاسة مقصده والتغلّب طموحه، بينما كان العدل والحقّ ورضا الله هدف أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه يرى ترك معاوية وأمثاله من الولاة الظلمة على مناصبهم مشاركة منه معهم، ولذلك أعرض عن المغيرة وترك نصيحته فقام المغيرة وهو ينشد:

نصحتُ علياً في ابن هند مقالة ... وزدت فلا يسمع لها الدهر ثانية
وقلت أرسل إليه بعهده ... على الشام حتّىٰ يستقرّ معاوية
ويعلم أهل الشام أن قد ملكته ... وأمّ ابن هند عند ذلك هاوية
فتحكم فيه ما تريد فإنّه ... لداهية فارفق به أي داهية
فلم يقبل النصح الذي جئته به ... وكانت له تلك النصيحة كافية

ثمّ أعرض المغيرة عن بيعة الإمام علي عليه السلام فلم يبايعه وغادر إلى مكّة[٢]، ومن ذلك الحين ابتعد عن أمير المؤمنين وناصبه العداء والتحق بمعاوية فيما بعد وأصبح والياً على الكوفة من قِبل معاوية إلى أن توفّي عام ٥٠ أو ٥١هـ، ثمّ أخذ يلعن ويسبّ أمير المؤمنين علياً والحسن والحسين من على منبر الكوفة وهو الذي كان يضيّق على حجر بن عدي وأصحابه حتّى قتلهم معاوية بسببه.

وقد قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: عن أبي جعفر النقيب: قد صحّ عندنا أنّ المغيرة لعنه على منبر العراق مرّات لا تحصىٰ[٣].

---

(١) بحار الأنوار ج٣٢ ص٣٤.

(٢) الكامل ج٣ ص٨٨، دار الكتب العلمية ١٩٨٧.

(٣) شرح النهج ج١ ص٣٦٠ ط مصر وج٣ ص٦٩.

←

وقدَّم المغيرة خدمات جليلة لمعاوية منها عملية استلحاق زياد بمعاوية وذلك عندما هدَّد معاوية زياداً كما تقدّم الكلام منّا، جاء المغيرة إلى زياد بعد أن كان عند معاوية وواعده بترتيب الأمر له وقال لزياد: ارمِ بالغرض الأقصى ودع عنك الفضول فإنّ هذا الأمر لا يمدّ إليه أحد يداً إلّا الحسن بن علي فخذ لنفسك قبل التوطين، فقال زياد: فأشر عليَّ، قال: أرى أن تنقل أصلك إلى أصله وتصل حبلك بحبله وأن تعير الناس منك أُذناً صمّاء فقال زياد: يابن شعبة أأغرس عوداً في غير منبته ولا مدرّة فتحييه ولا عرق فيسقيه؟ ثمّ إنّ زياداً عزم على القبول وأخذ برأي ابن شعبة..[1].

زنا المغيرة بن شعبة في البصرة

وكانت نصيحة المغيرة لزياد من باب الحرص على زياد لأنّه كان يعرف دهاء معاوية وإجرامه وأنّه قد يقتل زياداً غيلة فلذلك اقترح عليه ذلك، وكان سبب هذا الحرص ردّاً للجميل الذي قدّمه زياد للمغيرة عام ١٧هـ أيّام خلافة عمر بن الخطّاب لمّا حضر المغيرة أمام عمر وهو متّهم بالزنا فامتنع زياد أن يشهد ضدّ المغيرة وبذلك وهبه فرصة جديدة للحياة.

سؤال أحد الحاضرين: ما تفاصيل هذه الحادثة التي امتنع زياد أن يشهد فيها على المغيرة؟

الجواب: استناداً إلى ما ذكره أصحاب الموسوعات التأريخية كالطبري

← أقول: وقد ذكر ابن أبي الحديد ما لفظه: وقد برئ كثير من أصحابنا من قوم من الصحابة أحبطوا ثوابهم كالمغيرة بن شعبة / الشرح ج١ ص٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

(١) مروج الذهب ج٣ ص٧، دار الأندلس.

وابن الأثير وابن أبي الحديد وغيرهم؛ ذكروا ضمن حوادث سنة ١٧هـ أنّ المغيرة بن شعبة كان والياً على البصرة من قِبل عمر بن الخطّاب وكان ذات يوم في بيته وهو مجاور لبيت أبي بكرة وكانا في مشربتين متقابلتين لهما في داريهما في كلّ واحدة منهما كوّة مقابلة الأخرى فاجتمع إلى أبي بكرة نفر يتحدّثون في مشربته فهبّت ريح ففتحت باب الكوّة فقام أبو بكرة ليصفقه فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوّة مشربته وهو بين رجلي امرأة فقال للنفر: قوموا فانظروا فقاموا فنظروا ثمّ قال: اشهدوا قالوا: مَن هذه؟ قال: أمّ جميل ابنة الأفقم ـ وكانت أمّ جميل غاشية للمغيرة وتغشى الأمراء والأشراف ـ فلمّا خرج المغيرة إلى الصلاة حال أبو بكرة بينه وبين الصلاة وقال: لا تصلّ بنا فكتبوا إلى عمر بذلك فأرسل عمر أبا موسى الأشعري محلّ المغيرة واستدعى المغيرة والشهود وكانوا كلًّا من أبي بكرة وشبل بن معبد البجلي ونافع بن كلدة وزياد بن أبيه.

فسأل عمر أبو بكرة ـ وهو من صحابة رسول الله ﷺ ـ: كيف رأيته؟ فقال: إنّي رأيته بين رجلي أمّ جميل وهو يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة ثمّ دعا بشبل بن معبد فشهد بمثل ذلك وشهد نافع بمثل ذلك، ولم يشهد زياد مثل شهادتهم، بعدما سمع كلاماً من عمر عرف منه أنّ عمر غير راغب في إقامة الحدّ على المغيرة، حيث قال لزياد لمّا استدعاه: ما عندك يا سلح العقاب؟ فقال زياد: رأيته جالساً بين رجلي امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان واستين مكشوفتين وسمعتُ حَفَزاناً شديداً، قال: هل رأيت الميل في المكحلة؟ قال: لا، فأمر عمر بترك المغيرة[١].

وممّن ذكر إرادة عمر بن الخطّاب في عدم رغبته في رجم المغيرة ونبّه زياد

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٤٩٣ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.

بن أبيه على ذلك أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني حيث ذكر أنّ عمر لمّا سمع شهادة الأوّل تغيّر وجهه ولمّا سمع الثاني بان الانكسار في عمر وهكذا كلّما سمع شهادة رجل تغيّر وجهه ولمّا دخل زياد من الباب رفع عمر صوته عالياً: ما عندك يا سلح العقاب[1]، فلمّا رأى زياد التغيّر في ملامح عمر وسمع منه هذه العبارة عرف أنّ عمر لا يرغب في الاقتصاص من المغيرة بدهائه وذكائه، وقد حفظ المغيرة هذا الفضل لزياد.

معاوية يراسل زياداً

وبعدما اتّفق معاوية مع المغيرة على إرضاخ زياد لحكومته بعث بيد المغيرة كتاباً وهدايا ثمينة إلى زياد جاء في الكتاب «من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان ـ ثمّ ذكر له الوعود والإغراءات ـ فإنّ بني عبد شمس أبغض إلى بني هاشم من الشفرة إلى الثور الضريع وقد أوثق للذبح فارجع رحمك‌الله إلى أصلك واتّصل بقومك ولا تكن كالموصل يطير بريش غيره.

---

(١) الأغاني، ج١٤، ص٣٢٨، ط: دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصري.

ذكر ابن أبي الحديد: قال أبو جعفر: وكان المغيرة بن شعبة يلعن علياً عليه السلام لعناً صريحاً على منبر الكوفة وكان بلغه عن عليّ عليه السلام في أيّام عمر أنّه قال: لئن رأيت المغيرة لأرجمنّه بالحجارة ـ يعني واقعة الزنا بالمرأة التي شهد عليه فيها أبو بكرة ونكل زياد عن الشهادة.

وقال أبو جعفر أيضاً؛ وكان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل النزر منها ويرضي معاوية بذكر علي بن أبي طالب / انظر شرح النهج ج٤ ص٦٩ ـ ٧٠ دار إحياء الكتب العربية / المترجم.

ظلم زياد بن أبيه في حكومة البصرة

وبعد مرور بعض الشهور على مهزلة الاستلحاق ومسرحية إهدار الكرامة الإنسانية التي قام بها معاوية والمغيرة وزياد بن أبيه، جعل معاوية زياداً والياً على البصرة عام ٤٥هـ ثمّ جمع له الهند والبحرين وعُمان وقدم زياد البصرة فخطب خطبة بتراء لم يذكر الحمد فيها ثمّ أخذ يهدّدهم ويرعبهم وعيّن أربعة آلاف شرطة يطوفون في سكك البصرة ليلاً يقتلون كلّ من خرج ليلاً بعد صلاة العشاء[١] حيث قال لهم: إيّاي ودلَج الليل فإنّي لا أوتى بمدلج إلّا سفكت دمه..[٢]، ثمّ أمر شرطته أن يقطعوا رأس كلّ من خالف أمره فطرح أمام باب قصره في اليوم الأوّل (٧٠٠) رأساً وفي اليوم الثاني طرح (٥٠) رأساً وفي اليوم الثالث طرح رأس واحد أمام باب القصر وهكذا استقامت له الأُمور بالقتل والإرهاب.

وفي عام (٤٩هـ) توفّي المغيرة بن شعبة والي الكوفة فضمّ معاوية ولاية

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ص١٩٨.

(٢) المصدر نفسه ص١٩٧.

وذكر الطبري: أنّهم وجدوا أعرابياً في الليل فأتى به زياداً فقال: هل سمعت النداء؟ -أي بعدم الخروج ليلاً- قال: لا والله، قدمت بحَلوبة لي وغشيني الليل فاضطررتها إلى موضع فأقمت لأصبح ولا علم لي بما كان من الأمير. قال: أظنّك والله صادقاً ولكن في قتلك صلاح هذه الأمّة ثمّ أمر به فضربت عنقه!!

وذكر الطبري واصفاً زياد: وأخذ بالظنّة وعاقب على الشبهة وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً.. /المصدر السابق.

وذكر المقدسي وهو مؤرّخ سنّي معروف: كان زياد غشوماً ظلوماً هضوماً جبى العراق مائة ألف ألف.. وكان ينال من علي عليه السلام فضربه النقّاد ذو الرقبة يعني الفالج فقتله بالكوفة /البدء والتاريخ ج٦ ص٢ دار صادر بيروت /المترجم.

الكوفه إلى زياد أيضاً ليوسّع رقعة ظلمه إليها وليريق أكبر قدر ممكن من دم الأبرياء والمؤمنين، فكان زياد يقيم ستّة أشهر في البصرة وستّة أشهر في الكوفة[١]، وكان أوّل من شدّ أمر السلطان وأكّد الملك لمعاوية وألزم الناس طاعته جبراً وقسراً وشهر السيف بوجه كلّ من خالف لاسيّما شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام لأنّه كان أدرى بهم وبأسمائهم فقد عاش وسطهم أيّام صلاحه فكان يطاردهم ويتعقّبهم ويتتبّع أخبارهم فأينما وجد أحداً منهم قتله، فقد ذكر المؤرّخ ابن أعثم الكوفي: أنّه كان يقطّع أعضاءهم ويسمل عيونهم.

وبسبب هذا الإرهاب والقساوه الفظيعة فرَّ شيعة عليّ عليه السلام إلى الجبال والصحاري والبلاد النائية فكان من جملة الفارّين سعيدِ بن أبي سرح مولىٰ حبيب بن عبد شمس وهو من الموالين المخلصين لأمير المؤمنين علي عليه السلام، فلمّا سمع سعيد بقدوم زياد إلى الكوفة خرج منها إلى المدينة وذهب إلى الإمام الحسن عليه السلام وقصّ عليه الأخبار الإجرامية التي مارسها زياد في البصرة، فلمّا عرف زياد ذلك أمر بهدم دار سعيد وحبس زوجه وأولاده وأخ سعيد وبعد التوسّط والتشفّع عنده تركهم.

رسالة الإمام الحسن لزياد

لما ادعى معاوية زياداً وولاه طلب زياد رجلاً كان دخل في صلح الحسن وأمانه فكتب الحسن عليه السلام فيه إلى زياد ولم ينسبه إلى أب فكتب إليه زياد: أما بعد: فقد أتاني كتابك في فاسق تؤوي مثله الفساق من شيعتك وشيعة أبيك فأيم الله لأطلبنه ولو بين جلدك ولحمك فإن أحب لحم إلي أن آكله للحم أنت منه[٢].

---

(١) الكامل ج٣ ص٣١٧.

(٢) أشراف الأنساب، ج٣ ص٥٢.

رسالة معاوية لزياد

فأرسل الإمام الحسن عليه السلام رسالة زياد إليه إلى معاوية ليطلعه على خباثة عامله فلمّا قرأها معاوية تأثّر على رغم عدائه هو الآخر لأهل البيت عليهم السلام لكنّه تأثّر لعدم واقعية الرسالة فكتب جواباً إلى زياد يوبّخه:

«فأكثرت العجب منك وعلمت أنّ لك رأيين أحدهما من أبي سفيان والآخر من سمية فأمّا الذي من أبي سفيان فحلم وحزم، وأمّا الذي من سميّة فما يكون من رأي مثلها من ذلك كتاب الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق ولعمري إنّك لأولىٰ بالفسق من أبيه».

ثمّ تعرّض إلى موضوع سعيد بن أبي سرح وأمره بإطلاقه وعدم التضييق عليه وجاء في آخر الرسالة: «وأمّا كتابك إلى الحسن باسمه واسم أمّه ولا تنسبه إلى أبيه، فإنّ الحسن ويحك من لا يرمى به الرجوان وإلى أي أمّ وكلته، لا أمّ لك أما علمت أنّها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذاك أفخر له لو كنت تعلمه وتعقله»، ثمّ ختم رسالته بهذه الأبيات:

أمّا حسن فابن الذي كان قبله ... إذا سار سار الموت حيث يسير

وهل يلد الريبال إلّا نظيره ... وذا حسن شبه له ونظير

ولكنّه لو يوزن الحلم والحجا ... بأمرٍ لقالوا يذبل وثبير

وكلّ عاقل عندما يقرأ هذه الرسالة يقطع أنّ هؤلاء القوم الذين حاربوا وعادوا أهل البيت كانوا أولاد زنا، إذ مع علمهم بهذه المنازل الشامخة والكمالات العالية قتلوهم وحاربوهم وشرّدوهم وهم أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ليس استنتاجاً منّي بل هو ما قاله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ: «لا يحبّك إلّا طاهر الولادة ولا يبغضك إلّا خبيث الولادة»[1].

---

(١) قال ابن عبّاس بينما نحن بفناء الكعبة ورسول الله صلى الله عليه وآله يحدّثنا إذ خرج علينا ممّا

استشهاد عمرو بن الحمق الخزاعي

لقد ذكر المؤرِّخون كالطبري والعسقلاني وابن عبد البرّ وابن الأثير وغيرهم أنّ عمرو بن الحمق جاء بعد صلح الحديبيّة إلى رسول الله ﷺ وأسلم على يديه وبقي مدّة مع النبيّ ﷺ حفظ منه بعض الأحاديث والأحكام ثمّ هاجر إلى الكوفة ـ كما ذكر ذلك الكشّي عليه الرحمة ـ ولم تكن الكوفة بتلك المنزلة والشهرة، وظلّ فيها سنين، بعدها اشترك إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفّين والنهروان وبعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام عمل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي وجماعة من الشيعة على نشر فضائل الإمام علي عليه السلام مقابل ما قام به بني أُميّة من المنع والسبّ للإمام[1].

← يلي الركن اليماني شيء عظيم كأعظم ما يكون من الغيلة قال: فتفل رسول الله ﷺ وقال: لُعنت فقال علي: ما هذا يارسول الله؟ قال: أوما تعرفه يا عليّ؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: هذا إبليس فوثب إليه فقبض على ناصيته وجذبه فأزاله عن موضعه وقال: يارسول الله أقتله؟ قال: أوما علمت أنّه قد أُجّل إلى الوقت المعلوم؟ قال: فتركه من يده فوقف ناحية ثمّ قال: مالي ولك يابن أبي طالب والله ما أبغضك أحد إلّا وقد شاركت أباه فيه اقرأ ما قاله الله تعالى ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ / تاريخ بغداد ج٣ ص٢٨٩، دار الكتب العلمية / المترجم.

(١) أقول: قال ابن أبي الحديد المعتزلي:

قد صحّ أنّ بني أُميّة ـ لعنهم الله ـ منعوا من إظهار فضائل علي عليه السلام وعاقبوا على ذلك الراوي له حتّى أنّ الرجل إذا روى عنه عليه السلام حديثاً لا يتعلّق بفضله عليه السلام بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول: عن أبي زينب!!

فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة لانقطع نقلها للخوف والتقيّة من بني مروان مع طول المدّة وشدّة

←

إلى أن جاء المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة وأسّس اللعن والسبّ لأمير المؤمنين عليه السلام على المنابر فكان عمرو وجماعته يقفون بوجه هذا الخبيث الملعون ويحرّضون الناس على عدم السكوت إلى أن توفي المغيرة وجاء زياد بن أبيه فسمع أنّ مجموعة من الصحابة يمنعون ويعترضون على لعن وسبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فأمر بالقبض على حجر بن عدي ومجموعة معه وأرسلهم إلى الشام ومارس السيف بين صفوف الشيعة كما تقدّم ففرّ أغلب الشيعة إلى خارج الكوفة وكان من جملتهم عمرو بن الحمق، فعندما سمع أنّ شرطة زياد تبحث عنه قال: الفرار ممّا لا يُطاق من سنن المرسلين فخرج مع رفاعة بن شدّاد إلى جهة الموصل وبعدها استُشهد هناك، وقد ذكروا قصّيتن لكيفيّة استشهاده:

الأُولى: ذكروا أنّه عندما كان يسير مع رفاعة في طريقه إلى الموصل رأى خلفه رجال بني أُميّة تلاحقه فطلب من رفاعة أن يفرّ ويتركه معهم، ثمّ نزل هو من الفرس والتحق بأحد الجبال واختبأ بمغارة وهناك لسعته حيّة فماتِ على أثرها، ثمّ جاء الرجال وصعدوا الجبل خلفه فشاهدوه ميّتاً فحزّوا رأسه وأخذوه معهم إلى زياد ومن ثمّ إلى معاوية وكان أوّل رأس في الإسلام حمل من بلد إلى بلد.

الثانية: ما ذكره ابن الأثير والطبري من أنّ عمرو بن الحمق ورفاعة خرجا إلى الموصل فاختفيا بجبل هناك فرفُعَ خبرهما إلى عامل الموصل فسار إليهما فخرجا إليه فأمّا عمرو فكان قد استسقىٰ بطنه ولم يكن عنده امتناع، وأمّا رفاعة فكان شابّاً قويّاً فركب فرسه ليقاتل عن عمرو فقال له عمرو: ما ينفعني قتالك

← العداوة، ولولا أنّ الله تعالى في هذا الرجل عليه السلام سرّاً يعلمه من يعلمه لم يرو في فضله حديث... / انظر شرح النهج ج ٤ ص ٧٣ ط دار إحياء الكتب العربية.

عنّي انج بنفسك فحمل عليهم فأخرجوا له فنجا وأُخذ عمرو أسيراً إلى عامل الموصل عبد الرحمن بن عثمان الثقفي الذي يُعرف بـ(ابن أُمّ الحكم) وهو ابن أُخت معاوية فكتب معاوية إليه أنّه زعم أنّه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه فأطعنه كما طعن عثمان فأُخرج وطُعن فمات في الأُولى أو الثانية[1] ثمّ بُعث رأسه إلى معاوية وأرسله معاوية إلى زوجة عمرو بن الحمق التي كانت سجينة عنده.

والآن عليكم أن تحكموا بعقولكم وإنصافكم على هؤلاء الذين لوّثوا سمعة الإسلام وقتلوا الأبرياء وأراقوا دماء الصالحين من أجل حكومة بني أُميّة وعلى رأسها معاوية عليه الهاوية وأسّسوا الإرهاب والعنف في الأُمّة.

صانع الأحاديث سمرة بن جندب

وأيضاً من جملة المنافقين الذين خذلوا الإسلام وأطاحوا بالمؤمنين وسفكوا الدماء الطاهرة هو سمرة بن جندب، يروي ابن أبي الحديد: قال أبو جعفر: وقد روي أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتّى يروي أنّ هذه الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدُّنيا ويُشهد اللهَ على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام. وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحبّ الفساد﴾[2]. وأنّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم لعنه الله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ

---

(١) الكامل ج٣ ص٣٢٩، وقد ذكر ابن عبد البرّ في الاستيعاب أنّ قبر عمرو في الموصل وهو ظاهر وأوّل من بناه أبو عبدالله سعيد بن حمدان ابن عمّ سيف الدولة وناصر الدولة أولاد حمدان عام ٣٣٦هـ.

(٢) البقرة: ٢٠٤ـ٢٠٥.

الله﴾[1] فلم يقبل ـ سمرة ـ فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف درهم فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروىٰ ذلك[2]، مع أنّه لم يجرؤ أي مفسِّر محبّ أو مبغض على مثل هذا الكلام الخطير. وفي هذا أكبر دلالة على خروج سمرة من الإسلام، وكان أبو حنيفة ينقل عن كلّ الصحابة سوى ثلاثة: أبي هريرة وأنس وسمرة.

مجازر سمرة في البصرة

لمّا استخلف معاوية زياداً على البصرة والكوفة كان يقضي ستّة أشهر في البصرة ومثلها في الكوفة وعندما ارتحل إلى الكوفة عيّن على البصرة مكانه سمرة بن جندب، فلمّا استخلفه أكثرَ القتل فيها، فقال ابن سيرين: قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف فقال له زياد: أما تخاف أن تكون قتلتَ بريئاً؟ فقال سمرة: لو قتلتُ معهم مثلهم ما خشيتُ.

وقال أبو السوار العدوي: قتل سمرة من قومي في غداةٍ واحدة سبعة وأربعين كلّهم قد جمع القرآن[3].

فهذه الأعمال كفيلة بتنبيه الغافلين والمعاندين الذين مازالوا يصفون سمرة ابن جندب بأنه من صحابة النبيّ ﷺ وهي كافية للحكم عليه بأنّه من أهل النار كما قال النبيّ ﷺ لجماعة فيهم أبو هريرة وسمرة وكانوا عشرة: آخركم موتاً في النار. وفعلاً كان آخرهم موتاً سمرة بن جندب[4]، فقد ذاق نار الدنيا

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) شرح النهج ج٤ ص٧٣ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٣) الكامل ج٣ ص٣١٨ ومثله في الطبري.

(٤) دلائل النبوّة للبيهقي ج٦ ص٤٥٨ دار الكتب العلمية ١٩٨٥م.

قبل نار الآخرة ، فقد ذكروا أنّ سمرة استجمر فغفل عنه أهله حتّى أخذته النار[١].

فهؤلاء هم أعوان معاوية الذي شدّ سلطانه بالكذب على الله ورسوله ومعاداة أولياء الله وأحبّائه، وهذا التاريخ أمامنا ينطق بالحقّ.

بُسر بن أرطاة

ومن جملة عمّال معاوية الظالم الحقود بُسر بن أرطاة، وهو من الجلّادين الأشقياء الذين باعوا دينهم لدنيا غيرهم فما أخسرهم، ولقد عُرف بُسر بقساوة القلب وخشونة الطبع وبخباثة الفطرة وشرّانية السلوك وكان محبّاً لإراقة الدماء وارتكاب المحرّمات، فقد وصفه ابن أبي الحديد المعتزلي بقوله: وكان قاسي القلب فظّاً سفّاكاً للدماء لا رأفة عنده ولا رحمة[٢].

وكان بُسر شديد العداوة والبغض لأمير المؤمنين علي ولمن والاه فهذا دليل نفاقه وخباثة نطفته كما قال النبيّ ﷺ.

وقد اشترك مع معاوية في حربه ضدّ الحق المتمثّل بعليّ بن أبي طالب في صفّين، ومن المضحك أن يصفه البعض بالبطولة والشجاعة بينما التاريخ بين أيدينا لا ينقل عنه إلّا الجرائم ضدّ الأطفال والنساء والأبرياء إذ لم يُنقل عنه أي

← أقول: ذكر البيهقي في دلائل النبوّة ج٦ ص ٤٦٠: حدّثنا سليمان بن حرب حدّثنا عامر بن أبي عامر قال: كنّا في مجلس يونس بن عبيد في أصحاب الخز فقالوا: ما في الأرض بقعة نشفت من الدم ما نشفت هذه ـ يعنون ـ دار الإمارة قُتل فيها سبعون ألفاً فجاء يونس فقلت له: يا أبا عبدالله يقولون كذا وكذا؟ قال: نعم من بين قتيل وقطيع، قيل له: ومَن فعل ذلك؟ قال: زياد وابن زياد وسمرة!! /المترجم.

(١) دلائل النبوّة ج٦ ص ٤٦٠.

(٢) شرح النهج ج ٢ ص٦ دار إحياء الكتب العربية.

موقف شامخ، نعم هذه الجرائم والمخازي يعدّها البعض بطولة، ولا بأس هنا أن نشير إلى أبرز موقف لهذا البطل الوهمي بُسر بن أرطاة وهو:

كشف العورة سلاح النجاة

في يوم صفّين كان بُسر مع معاوية فأمره أن يلقى عليّاًعليه السلام في القتال، وقال له: سمعتُك تتمنّى لقاءه، فلو أظفرك الله به وصرعته حصلت على دنيا وآخرة، ولم يزل به يشجّعه ويمنّيه حتّى رآه، فقصده في الحرب، فالتقيا فصرعه عليّعليه السلام بضربة سقط فيها على الأرض ولمّا أجهز عليه الإمامعليه السلام رفع بُسر ثيابه وأظهر عورته كما صنع ابن العاص فأعرض عنه الإمامعليه السلام[1] حتّى أنشد ابن الكلبي:

أفي كلّ يومٍ فارس ليس ينتهي ... وعورته وسط العجاجة بادية
يكفّ لها عنه عليّ سنانه ... ويضحك منه في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه ... وعورة بُسر مثلها حذو حاذية
فقولا لعمرو ثمّ بُسر ألا انظرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا إلّا الحيا وخصاكما ... هما كانتا والله للنفس واقية
ولولاهما لم ينجُ من سنانه ... وتلك بما فيها عن العود نامية
متى تلقيا الخيل المشيحة صُحبة ... وفيها عليٌّ فاتر كالخيل ناحية
وكونا بعيداً حيث لا تبلغ القنا ... نحوركما إنّ التجارب كافية[2]

فمع هذا المستوى السحيق من العار والجبن هل يبقىٰ مجال للقول عن

---

(١) الاستيعاب ج١ ص٢٤٥ دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.
(٢) المصدر نفسه.

بُسر لعنه الله: كان بُسر من الأبطال الطغاة[1] أين بطولته؟ اللّهمَّ إلّا أن تكون له بطولات في كشف العورة أمام كلّ خطر يهدِّد حياته!

ومن مواقفه الجبانة التي ملؤها الخزي والذعر والجبن هو أنه لمّا سمع أمير المؤمنين عليه السلام أنّ بُسراً يريق دماء المسلمين في اليمن وأطرافها بعث حارثة بألفين ووهب بن مسعود بألفين صوب اليمن، فلمّا سمع بُسر بذلك ترك اليمن فارّاً هنا وهناك حتّى التحق بالشام ووصل إلى معاوية[2]. ومن تتبّع السيَر والتواريخ يلاحظ المجازر التي قام بها بُسر وعمليات الإبادة والحرق والتهجير و... فهل يصدق على مثل هذا الفاسق وصف الشجاعة والبطولة؟

مجازر بُسر في اليمن

لقد ذكر المؤرِّخون[3] أنّ معاوية أرسل بُسراً إلى اليمن لقتل شيعة عليّ عليه السلام[4] وهكذا صنعاء فأتى أهل جَيشان وهم شيعة لعلي عليه السلام[5]. وهكذا الحجاز فكانت حصيلة ما قام به بُسر من مجازر أن قتل ثلاثين ألفاً.

وقال ابن أبي الحديد: بعثه معاوية في جيش كثيف وأمره أن يقتل كلّ من كان في طاعة عليّ عليه السلام فقتل خلقاً كثيراً[6].

وكان من جملة وصايا معاوية لبسر: واقتل شيعة علي حيث كانوا، وقال له

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) شرح النهج ج٢ ص١٦ دار الجيل، والكامل ج٣ ص٢٥١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.

(٣) كالطبري وابن الأثير وابن أبي الحديد وابن حجر وابن عبد البر وآخرين.

(٤) الاستيعاب ج١ ص٢٤٣.

(٥) شرح النهج ج٢ ص١٦ دار الجيل.

(٦) المصدر ص٦ ـ ٧.

أيضاً: سر حتّى تمرّ بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به وانهب أموال كلّ من أصبت له مالاً ممّن لم يكن دخل في طاعتنا.. وارهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكّة واجعلها شُرداً..[1] وهكذا صنع بُسر لعنه الله فقد قتل الناس لاسيّما الشيعة وأحرق البيوت ونهب الأموال وسبى الأعراض، وكان أبو أيّوب الأنصاري الصحابي الجليل والي المدينة من قِبل أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا سمع بقدوم بُسر وهو بهذه الوحشية والقساوة ورأى أن لا طاقة لأهل المدينة بمحاربته خرج منها إلى الكوفة وجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا وصل بُسر إلى المدينة أحرق بيت هذا الصحابي الجليل ومعه منازل ودور آخرين وأجبر الناس على بيعة معاوية بحدّ السيف[2]، ثمّ خرج من المدينة بعد أن عاث فيها الفساد ونصّب أبا هريرة والياً عليها بعد أن كان الأخير مغموراً في طرق وسكك المدينة.

ومن بعد المدينة اتّجه بُسر صوب اليمن وفي الطريق كان يقتل كلّ من شايع عليّاً عليه السلام، حتّى قال الطبري: وقتل بُسر في مسيره ذلك جماعة من شيعة علي باليمن، وذكر ابن الأثير في البداية والنهاية: ويقال إنّ بُسراً قتل خلقاً من شيعة علي في مسيره هذا، وهذا الخبر مشهور عند أصحاب المغازي والسير.

وأكبر وحشية وقساوة سجّلها اللعين بُسر في تاريخه الأسود هو قتله لابني عبيدالله بن عبّاس في اليمن.

---

(١) المصدر السابق، وانظر الاستيعاب ج ١ ص ٢٤٤.

أقول: جاء في الإصابة: وكان معاوية وجّهه إلى اليمن والحجاز وأمره أن ينظر مَن كان في طاعة عليّ عليه السلام فيوقع بهم ففعل ذلك / ج ١ ص ٤٢٢ دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.

(٢) المصدر نفسه.

قتله ابني عبيدالله بن عبّاس

فلمّا وصلت أنباء بُسر بن أرطاة إلى اليمن خرج عبيدالله بن عبّاس فارّاً إلى عليّ عليه السلام وترك عياله في صنعاء وكان لديه طفلان صغيران هما (سليمان وداود) أو (قثم وعبد الرحمن) وأمّهما جويرية ابنة خالد بن قرظ الكنانية فأودعتهما عند أحد الرجال خوفاً عليهما، فلمّا وصل بُسر إلى اليمن وقتل كلّ الشيعة فيها وكان قد سمع بقصّة الطفلين فطلبهما وقتلهما بلا رحمة بعد قتل الرجل الكناني الذي تكفّل بهما، ولمّا وصل خبرهما إلى أمّهما أنشدت:

يا مَن أحس بابني اللذين هما ... كالدرّتين تشظّى عنهما الصدف

يا مَن أحسّ بابني اللذين هما ... مخ العظام فمخّي اليوم مزدهف

يا مَن أحسّ بابني اللذين هما ... قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف

مَن دلّ والهة حيرى مولّهة ... على صبيّين ذلّا إذ غدا السلف

نُبئتُ بُسراً وما صدّقتُ ما زعموا ... من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا

أحني على ودجي ابنيَّ مرهفة ... من الشفار كذاك الإثم يعترف[1]

انتهاكه لحرمة المسلمات

ولم يتوقّف المسلسل الدامي والمخازي التي مارسها الملعون بُسر ولم يشبع قلبه الخبيث من ارتكاب عظائم الأمور حتّى مارس سبي النساء المسلمات المؤمنات، فقد جاء في الاستيعاب: أرسل معاوية بُسراً بن أرطاة إلى اليمن فسبى نساء مسلمات فأقمن في السوق فكنّ أوّل مسلمات سبين في الإسلام[2].

---

(١) الكامل في التاريخ ج٣ ص٢٥١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧

(٢) الاستيعاب ج١ ص٢٤٣.

والآن وبعد كلّ هذه المخازي والمجازي والكبائر التي أمر بها معاوية ومارسها بُسر[١] وأمثاله هل يصدق على مثل هؤلاء اسم الاجتهاد أو الصحابة؟ حاولوا أن تنصفوا الموقف والتاريخ بعيداً عن التعصّب، فهذا هو معاوية على حقيقته وهذه هي خدماته للإسلام والمسلمين!! وتقدّم منّا تطبيق آيات الظالمين عليه ولعلّها الآن تكون أكثر وضوحاً لكم بعدما سمعتم بهذه المسيرة الدموية المخزية التي شوّهت الإسلام وأبادت الصحابة وشرّدتهم وخذلتهم.

دعاء أمير المؤمنين(ع) على بُسر

وجاء في الكامل لابن الأثير: بعدما وصل خبر قتل ابني عبيدالله بن عبّاس إلى أمير المؤمنين عليه السلام حزن عليهما وتأثّر ثمّ رفع يديه ودعا على بُسر فقال: «اللّهمّ اسلبه دينه وعقله» فأصابه ذلك وفقد عقله[٢].

ونقل ابن أبي الحديد دعاء الإمام على بُسر:

اللّهمّ إنّ بُسراً باع دينه بالدنيا وانتهك محارمك وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده ممّا عندك، اللّهمّ فلا تُمته حتّى تسلبه عقله ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار، اللّهمّ العن بُسراً وعمراً ومعاوية وليحلّ عليهم غضبك ولتنزل بهم نقمتك وليصبهم بأسك ورجزك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين» فلم يلبث بُسر بعد ذلك إلّا يسيراً حتّى وسوس وذهب عقله فكان يهذي بالسيف ويقول: اعطوني سيفاً أقتل به، لا يزال يردّد ذلك حتّى اتُّخذ له سيف من خشب

← أقول: وجاء في الخبر: فيُكشف عن سوقهن فأيّتهنّ كانت أعظم ساقاً اشتُريت على عظم ساقها ـ إنّا لله وإنّا إليه راجعون ـ.

(١) أقول: جاء في الإصابة: كان ـ بُسر ـ يلي لمعاوية الأعمال وله أخبار شهيرة في الفتن / ج ١ ص ٤٢٢.

(٢) تاريخ الكامل ج٣ ص٢٥٢ دار الكتب العلمية ١٩٨٧م.

وكانوا يدنون منه المرفقة فلا يزال يضربها حتّىٰ يغشىٰ عليه فلبث كذلك إلى أن مات[١].

مَن قتل مؤمناً متعمّداً فهو خالد في النار

وأيضاً من الأدلّة الأخرى على جواز لعن معاوية ـ مضافاً لما تقدّم منّا ـ والحكم عليه بالخلود بالنار هو قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾[٢]، فالآية تقرّر أنّ القتل العمدي من الكبائر يستحقّ بسببه القاتل الخلود في النار واللعن والعذاب الأليم، وقوله تعالى: ﴿إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيّين بغير حقّ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشّرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾[٣] وهذه الآية أيضاً تصرّح بخلود قتلة المؤمنين في النار، ثمّة آية ثالثة كأنّها تعطي حجم هذا الجرم العظيم قال تعالى: ﴿من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعاً﴾[٤].

ومن جهة السُنّة النبويّة أيضاً فالأمر في غاية الوخامة كما عرضه القرآن، فقد ذكر النسائي في سننه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقول الزور»[٥]، ويشتدّ الإثم والعذاب إذا كان

---

(١) شرح النهج ج٢ ص١٨ دار الجيل.

(٢) النساء: ٩٣.

(٣) آل عمران: ٢١، ٢٢.

(٤) المائدة: ٣٢.

(٥) سنن النسائي ج٨ ص٤٥ رقم ٤٨٦٧ دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.

المقتول مؤمناً بريئاً من الصالحين، فقد روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: والذي نفسي بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا.

إذن يمكن القول وبالدليل القاطع استناداً إلى الآيات والروايات أنّ معاوية من الملعونين والمطرودين من الرحمة الإلهية ومن المغضوب عليهم ومن المخلّدين في نار جهنّم، والعجب أنّه روي عنه ـ معاوية ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «كلّ ذنب عسى الله أن يغفره إلّا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمّداً»[1] وروي عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده لو اجتمع على قتل مؤمن أهل السماء والأرض ورضوا به لأدخلهم الله جميعاً جهنّم»[2].

بينما نرى معاوية الراوي لمثل هذه الأحاديث قد قتل المؤمنين عمداً وظلماً من أجل المنصب والمال!!

سؤال أحد الحاضرين: كيف يمكن تصوّر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقائم مقامه يفعل هذه الكبائر؟ بينما المطلوب منه حفظ الدين الإسلامي والمسلمين فكيف مع صريح القرآن والسنّة يرتكب مثل هذه الموبقات العظام؟

الجواب: نعم خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحقيقي لا يفعل ذلك بل يعمل عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أمّا معاوية فهو ليس خليفة رسول الله ولا هو قائم مقامه بل هو رجل انتهز الفرصة وألّب الناس وخدعهم واستولى علىٰ كرسي الحكم، وأعماله تدلّل على أنّه كان حاكماً جائراً وسلطاناً ظالماً وسفّاكاً لدماء الصحابة والمؤمنين

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٣٩١ رقم ٨٠٣١ دار الكتب العلمية.

(٢) المصدر نفسه ص٣٩٢ رقم ٨٠٣٦.

أقول: وذيل الحديث الأخير كما في المستدرك هو: والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أكبّه الله في النار.

الأبرياء انتقاماً وثأراً لحرب بدر وأُحُد والأحزاب..

سؤال أحد الحاضرين: نرجو من جنابكم أن تذكروا لنا بعض أسماء المؤمنين الذين قتلهم معاوية حتّى تنكشف الحقيقة لنا؟

الجواب: تنقسم الجرائم الدموية التي مارسها أو أمر بها معاوية إلى ثلاثة أقسام:

أوّلاً: القتل الجماعي، كما مرّ عليكم حيث أمر بُسر بقتل كلّ من خالفه.

ثانياً: قتل المؤمنين المتألّقين وأصحاب المكانة الشامخة في الدين والإيمان والعلم لاسيّما من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

سؤال أحد الحاضرين: أرجو أن تذكر لنا بعض الأسماء؟

سمّ الإمام الحسن بأمر معاوية

نعم هناك الكثير ممّن أمر بقتلهم معاوية من أهل الفضل والإيمان، ولكنّي أذكر لكم مثالاً وهو الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب سبط النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة، ففي عام ٤٩هـ انقدحت فكرة الوراثة في الحكم في ذهن معاوية فصمّم أن يعهد بالأمر إلى ولده الملعون يزيد، ولكن هذا الأمر لا يمكن إجراؤه ما دام الحسن عليه السلام على قيد الحياة، إذ كان ضمن الشروط التي تعاهد عليها الإمام الحسن ومعاوية أن تنتقل الخلافة من بعد معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام ولذلك كان وجود الإمام الحسن عليه السلام مانعاً من انتقال السلطة إلى يزيد لعنه الله.

ولذلك سعى إلى تصفية الإمام الحسن عليه السلام بطريقة السمّ فحاول مرّات عديدة لسمّه إلّا أنّها لم تؤدّ إلى وفاته عليه السلام إلى أن استطاع بالتعاون مع مروان بن الحكم الذي أغرىٰ زوجة الإمام الحسن عليه السلام جعدة بنت الأشعث لعنهما الله بأنّها إن وضعت السمّ للحسن عليه السلام وقتلته فإنّ معاوية يزوّجها من ولده يزيد لعنه الله،

فقبلت وقامت بالدور، فدفع معاوية سمّاً خاصّاً جاء به لهذه المهمة وكان سمّاً أسود من جبل هلاهل في الصين[1] فدفعه إلى مروان والأخير دفعه إلى جعدة وقامت هذه الملعونة بوضعه في ظرف الماء الذي كان يشرب منه الإمام الحسن عليه السلام، فلمّا شرب منه سرى السمّ في عروقه وجسمه كلّه حتّى تمزّقت أحشاؤه فكان يلفظ أحشاءه وقطع الدم في طست وضعوه أمامه فلم يمض كثيراً من الوقت عليه حتّى أوصىٰ وصيّته واستُشهد مظلوماً.

ولمّا وصل خبر وفاته أرسل معاوية مائة ألف درهم إلى جعدة ولم يزوّجها من ولده يزيد واعتذر إليها أنّه لا يستطيع أن يأمن على ولده يزيد من قتلت مثل الإمام الحسن عليه السلام!!

سؤال من أحد الحاضرين: سمّ الإمام الحسن من قبل معاوية هل انفرد الشيعة به أم ذكره علماء السنّة أيضاً؟

الجواب: نعم، ذكره أكابر علماء السنّة والجماعة أيضاً.

سؤال: من أين يُعلم أنّ معاوية هو الذي أعطاه لجعدة وأمرها بقتل الحسن عليه السلام؟ إذ من المحتمل أنّ جعدة هي التي أقدمت على مثل هذه الجريمة لخباثة طينتها.

---

(١) لقد ذكر الحكيم مؤمن في التحفة ومير محمد حسين الخراساني الشيرازي في مخزن الأدوية عن مخاطر بعض الأعشاب التي لو استُعملت خطأً فإنّها تؤدّي إلى أخطار فظيعة وذكرا أربعة أنواع للسموم وأشدّها السمّ الأسود الموجود في جبل هلاهل في الصين فإنّه لو وضعوه على قرن الثور لخرج الدم من أنفه، ولو وُضع علىٰ سرج الفرس لوقع الراكب من ظهره، وذكرا أنّ استعماله يتطلّب لبس القفّازات ولا يمكن مسّه باليد لأنّه لو وقع منه بمقدار خردل ودخل جوف الإنسان فإنّه يقطّع أمعاءه، وكان معاوية قد أعطى هذا السمّ إلى جعدة ثمّ شربه الإمام الحسن عليه السلام. / المؤلّف

الجواب: قلتُ أنّ أكابر علماء السنّة ذكروا أنّ معاوية أمر جعدة بذلك ولا يوجد أي تعصّب في القضية وسأذكر لكم بعض المصادر منها: ربيع الأبرار للزمخشري وابن عساكر في تاريخه وابن أبي الحديد في شرح النهج والاستيعاب ومقاتل الطالبيّين وتذكرة الخواص[1] وغيرهم.

فرح معاوية بوفاة الإمام الحسن عليه السلام

ولم يكتف معاوية بقتل الإمام الحسن سبط النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وإنّما طار فرحاً يوم وصله نبأ رحيل الإمام الحسن عليه السلام عن هذه الدنيا، فقد ذكر ابن قتيبة وابن عبد ربه والزمخشري والراغب الإصفهاني والدميري[2] بألفاظ متفاوتة قليلاً أنّ مروان لمّا أرسل خبر رحيل الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية، أظهر ـ معاوية ـ فرحاً وسروراً حتّى سجد وسجد من كان معه!!

اعتراض ابن عبّاس علىٰ معاوية

فلمّا وصل هذا الخبر إلى مسامع ابن عبّاس الذي كان آنذاك في الشام (وكان قد ذهب بصره) ذهب إلى معاوية فلمّا رآه معاوية قال له: يابن عبّاس هلك الحسن!! فقال ابن عبّاس: نعم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ثمّ قال: قد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته، أما والله ما سد جسده حفرتك ولا زاد نقصان أجله في عمرك ولقد مات وهو خيرٌ منك ولئن أُصبنا به لقد أصبنا بمن

---

(١) أنظر مقاتل الطالبيّين ص٤٧، ومروج الذهب ج٢ ص٤٢٧ دار الأندلس، وتاريخ ابن الوردي ج١، ص١٥٨، وأنساب الأشراف ج٣، ص٤٨، وتاريخ أبي الفداء ج١، ص١٨٣.

(٢) الإمامة والسياسة ج١ ص١٧٤، العقد الفريد، ربيع الأبرار، المحاضرات للراغب، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٨٣، ط: القاهرة.

كان خيراً منه جدّه رسول الله ﷺ فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة ثمّ شهق ابن عبّاس وبكىٰ[١].

سؤال أحد الحاضرين: من المعلوم أنّ لكلّ عمل لابدّ من وجود نتيجة فما هي النتيجة التي جناها معاوية في قتله الحسن عليه السلام فإنّه لم يكن آنذاك محارباً له إذن لماذا قتله؟ وماذا حصل من قتله؟

الجواب: **أوّلاً**: من المعلوم أنّ وجود العالم أمام الجاهل هو بحدّ ذاته يُعدّ أمراً ينزعج منه الجاهل البليد، وهذا أحد أسباب مخالفة الجهلة لحركة الأنبياء علىٰ طول التاريخ لأنّ الجاهل يشعر بالحقارة والنقص أمام العالم، فالحسن عليه السلام كان أعلم أهل زمانه وأشهر الناس سخاءً وجوداً وورعاً وزهداً و... وعلى العكس كان معاوية، وهذا بالطبع يقلق معاوية لأنّه يشعر بحقارته.

وثانياً: قلتُ سابقاً إنّ أحد بنود المعاهدة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية هو أن تكون الخلافة للحسن عليه السلام من بعد معاوية بينما سعىٰ معاوية لتنصيب يزيد ملكاً من بعده وبالتالي كان عليه أن يتجاوز الإمام الحسن عليه السلام فسعى لقتله بهذه الطريقة، فقد ذكر ابن أبي الحديد وأبو الفرج الاصفهاني: وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن عليه شيء أثقل من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقّاص فدسّ إليهما سمّاً فماتا منه[٢].

قتل حجر بن عدي

ومن المؤمنين المخلصين في إيمانهم وإسلامهم الذين أمر بقتلهم معاوية هو حجر بن عدي الزاهد المعروف وستّة من رفاقه[٣]، وكان حجر من أصحاب

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٧٥، مؤسسة الوفاء.

(٢) مقاتل الطالبيّين ص ٣١.

(٣) أُسد الغابة ج ١ ص ٦٩٨ دار الكتب العلمية.

النبيّ ﷺ وكانت دعوته مستجابة[١] شديد العبادة يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة وكان طاهر الأعضاء دائماً وطاهر القلب حتّى قيل عنه: حجر الخير[٢] وقد ذكره أهل التراجم كافّة بالخير والمدح والثناء والإطراء كابن الأثير والطبري وابن حجر العسقلاني وابن عبد البر والحاكم وابن كثير وابن قتيبة وغيرهم.

ولم يقدح أحد من المحدِّثين أو المؤرِّخين في وثاقة وإيمان وطهارة واستقامة حجر، لقد كان محبّاً لأمير المؤمنين عليه السلام حيث شارك معه في حروبه الثلاث فكان معه في الجمل وهو أحد اُمراء جيشه في صفّين وكان قائد الميسرة في النهروان[٣]، وكان حبّه وإخلاصه لأهل البيت عليهم السلام هو الذنب الوحيد الذي قتله لأجله معاوية!! فقد كان حجر يدافع عن أمير المؤمنين عليه السلام ولا يرضىٰ بسبّه، من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان المغيرة بن شعبة شديد العداء والبغض لأمير المؤمنين عليه السلام وشيعته، فهو أوّل من سنّ سبّ هذا الإمام العظيم وأمر الناس بذلك إذ كان والي الكوفة من قِبل معاوية كما بيّنا ذلك سابقاً وكان يترحّم علىٰ عثمان ويلعن قتلته ثمّ ينال من أمير المؤمنين عليه السلام وكان الناس بين خائف مغفل ومتّقٍ يعمل بالتقية و... في صمت رهيب مقابل ما يقوم به هذا الطاغية الفاسق، ولم يتصدّ له إلّا حجر وأصحابه الذين كانوا علىٰ درجة عالية من الوعي والشجاعة والعلم والولاء الخالص للإسلام، فقد نهض يوماً من بين الناس وقاطع المغيرة قائلاً: إنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله﴾ وأنا أشهد أنّ مَن تذمّون أحقّ بالفضل ومن تزكّون أولى بالذمّ، بل إيّاكم ذمّ الله ولعن[٤]، وأيضاً كان لحجر مثل

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) أسد الغابة ج١ ص٦٩٧ رقم ١٠٩٣ دار الكتب العلمية ١٩٩٤م.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) تاريخ الكامل ج٣ ص٣٢٦ وتاريخ الطبري ج٣ ص٢١٨.

هذا الموقف في آخر أيّام المغيرة فقد نال المغيرة لعنه الله من أمير المؤمنين عليعليه السلام وقام بالترحّم والمدح لعثمان، فقام حُجر فصاح صيحةً بالمغيرة سمعها كلّ مَن بالمسجد وخارجه وقال له «مر لنا أيّها الإنسان بأرزاقنا فقد حبستها عنّا وليس ذلك لك وقد أصبحت مولعاً بذمّ أمير المؤمنينعليه السلام» فقام أكثر من ثلثي الناس يقولون: صدق حجر وبرّ مُر لنا بأرزاقنا فإنّ ما أنت عليه لا يجدي علينا نفعاً، وأكثروا من هذا القول وأمثاله حتّى نزل المغيرة وهكذا كان حجر يحرّك الوجدان الإسلامي ويصرخ بالحقّ لا يهاب أحداً، إلى أن توفّي المغيرة عام ٥١هـ ثمّ ولّي الكوفة زياد بن أبيه الذي أصبح في فقه بني أُمية ابن أبي سفيان!!

بين زياد وحُجر[1]

ولمّا ولّي الكوفة زياد الذي لم يكن غريباً عن الأجواء العقائدية فيها فهو من شيعة عليّعليه السلام في الزمان المنصرم وهو اليوم من محبّي معاوية، وفي ذلك الوقت كان زياد على دراية بالقواعد الشيعية لأنّه كان واحداً من هذه القواعد الموالية لأمير المؤمنينعليه السلام، فلمّا قدم الكوفة افتتح عهده بها بالوعيد والتهديد وصعد المنبر وترحّم على عثمان وشرع في لعن علي وشيعته فقام إليه حُجر وردّهُ كما كان يردّ المغيرة، وهكذا كانت هذه المواقف المبدئية تتكرّر من حجر لوجود المؤيّدين لبني أُميّة الذين صار عندهم سبّ الوصي من الأمور الضرورية بل صار لعن وسبّ عليّعليه السلام شعاراً لمعاوية وشيعته أهل الضلال، فكان حجر يقف بالمرصاد لهذه البدع والأهواء، فلمّا سمع زياد بذلك اجتمع مع بعض أهل الكوفة وقال لهم «يا أهل الكوفة أتشجون بيدٍ وتأسون بأُخرىٰ، أبدانكم معي

---

(١) جميع تفاصيل هذه الحادثة تجدها مفصّلة في تاريخ الطبري ج٣ ص٢١٨ ـ ٢٣٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

وأهواؤكم مع حُجر، هذا الهجهاجة الأحمق المذبوب، أنتم معي وإخوانكم وأبناؤكم وعشائركم مع حُجر، هذا والله من دحسكم وغشّكم والله لتظهرن لي براءتكم أو لآتينّكم بقومٍ أُقيم بهم أودَكم وصعركم».

فوثبوا إلى زياد وقالوا: معاذ الله سبحانه أن يكون لنا فيما هاهنا رأي إلّا طاعتك وطاعة معاوية، فقال لهم: فليقم كلّ امرئ منكم إلى هذه الجماعة حول حُجر فليدع كلّ رجل منكم أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتّى تقيموا عنه كلّ مَن استطعتم أن تقيموه، ففعلوا ذلك فأقاموا جُلَّ من كان مع حُجر بن عدي.

وفي المرحلة التالية: قال زياد لشدّاد بن الهيثم الهلالي أمير شرطته: انطلق إلى حجر فإن تبعك فأتني به وإلّا فمر من معك فلينتزعوا عُمد السوق ثمّ يشدّوا بها عليهم حتّى يأتوني به ويضربوا مَن حال دونه، وفعلاً جرت بين الطرفين معركة وزياد قائم على المنبر ينظر إلى أن أخرج أبو العمرطة ـ وهو الوحيد الذي كان يحمل سيفاً من أصحاب حجر ـ حجراً من المسجد وهربا فأرسل خلفه زياد من يقبض عليه، بينما انتهى حجر وأبو العمرطة إلى بيت حجر ولمّا نظر حجر إلى قلّة من معه من قومه قال لهم: انصرفوا فوالله ما لكم طاقة بمن قد اجتمع عليكم من قومكم وما أحبّ أن أعرّضكم للهلاك فذهبوا وانصرفوا.

وخرج حجر إلى منزل سليم بن يزيد ومنه إلى عشيرة بني ذُهل ومنهم إلى عشيرة النخع ثمّ إلى منزل عبدالله بن الحارث أخي مالك الأشتر ولكن كانت هناك أمَة سوداء أخبرت الشرطة التي كانت تتبع حجر من منزل إلى منزل، فخرج إلى قبيلة الأزد فنزلها يوماً وليلة فلمّا أعجزهم أن يقدروا عليه دعا زياد بن أبيه محمّد ابن الأشعث وهدّده بهدم دوره إن لم يأتهم بحجر فطلب منه مهلة ثلاثة أيّام، وهكذا انقضت الأيّام الثلاثة فاجتمع ابن الأشعث وحجر بن يزيد وجرير بن عبدالله وعبدالله بن الحارث إلى زياد فكلّموه وطلبوا إليه أن يؤمن

حُجر بن عدي ويبعث به إلى معاوية فيرىٰ فيه رأيه فوافق زياد، فجاءوا إليه بحجر بن عدي وأمر زياد بحبسه.

وفي اليوم التالي طلب رؤساء أصحاب حجر فطاردهم حتّى فرّوا إلى الجبال فقتل من قتل منهم وقبض على بعضهم وحبسهم مع حُجر.

ولم يكتف زياد بذلك بل عمل أن يرسل تقريراً مزوّراً يشوّه فيه صورة حُجر وأصحابه لدى معاوية ليكون الموت حتميّاً عليهم فطلب بعض كبار الكوفة وهم عمرو بن حُريث وخالد بن عُرفطة وقيس بن الوليد وأبو بردة بن أبي موسىٰ فشهد هؤلاء الأربعة أنّ حجراً جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة ودعا إلى حربه وأنّه خلع الطاعة وكفر بالله و... وكتبوا كتاباً بذلك.

ثمّ طلب زياد أن يقرأوا هذا الكتاب على الناس ثمّ قال زياد: علىٰ مثل هذه الشهادة فاشهدوا وأمرهم بذلك فشهد سبعون رجلاً، وكُتبت شهادة هؤلاء الشهود في صحيفة ثمّ كتبت من ضمن الأسماء أسماء أُناس لم يحضروا ولم يشهدوا؛ منهم شريح بن هاني[١] ولمّا سمع شريح بذلك تأثّر كثيراً وأرسل كتاباً إلى معاوية أخبره به أنّه لم يشهد ضدّ حجر وانّه لم يعرف حجراً إلّا بالصلاح والعبادة و... وأنّه حرام الدم والمال فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه[٢].

بعدها أمر زياد بحمل حُجر وأحد عشرة من أصحابه إلى الشام وأرسل بيد رئيس الشرطة وائل بن حجر الحضرمي تلك الشهادات المزوّرة ضدّ حُجر.

فمضوا بهم حتّىٰ نزلوا في منطقة اسمها ـ مرج عذراء ـ وهي قرية تبعد عن دمشق اثنا عشر ميلاً فحبسوا حُجراً وأصحابه فيها وذهب وائل بن حجر وكثير

---

(١) كان من شيعة أمير المؤمنين المخلصين وكان صوّاماً قوّاماً اشترك في الجمل إلى جانب الإمام عليّ عليه السلام أستشهد هذا الرجل الصالح عام ٧٨هـ أو ٧٩هـ في سجستان.

(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص٢٢٨.

بن شهاب إلى معاوية فأدخلهما وفضّ كتابهما وقرأهما وقرأ كتاب شريح أيضاً ثمّ تبادل الرسائل بينه وبين زياد إلى أن صمّم معاوية أخيراً بقتل حجر فبعث معاوية هُدبة بن فيّاض القضاعي والحصين بن عبدالله الكلابي وأبا شريف البدي وأمرهم أن يذهبوا إلى مرج عذراء ويعرضوا على حجر وأصحابه البراءة من عليّ واللعن له، فإن فعلوا أُحقنت دماؤهم وإلّا قتلوهم، وفعلاً جاءوا إلى حجر وأصحابه وقالوا لهم: إنّا قد أُمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له فإن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم وأنّ ـ معاوية ـ يزعم أنّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهل مصركم عليكم، قالوا: اللّهمّ إنّا لسنا فاعلي ذلك فقاموا الليل كلّه يصلّون ويتعبّدون كما هي عادتهم إلى أن أصبح الصباح فأرسل حجر كتاباً إلى معاوية بيد عامر بن الأسود العجلي من أهل عذراء وكتاباً آخر بيد يزيد بن حجية التميمي يحذّره فيهما ويوعظه من إهدار دمائهم، إلّا أنّ معاوية لمّا قرأ الكتاب قال: زياد أصدق عندنا من حجر!!

فجدّدوا عليهم البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام.

إلّا أنّهم قالوا: بل نتولّاه ونتبرّأ ممّن تبرّأ منه.

فأخذ كلّ رجل منهم رجلاً من أصحاب حجر فقتلوهم ولمّا وصل الأمر إلى حُجر قال لهم: اتركوني أتوضّأ وأُصلّي فإنّي ما توضّأت إلّا صلّيت فتركوه فصلّى ثمّ انصرف وقال: اللّهمّ انّا نستعديك على أُمّتنا فإنّ أهل الكوفة شهدوا علينا وإنّ أهل الشام يقتلوننا أما والله لئن قتلتموني بها فإنّي لأوّل فارس من المسلمين هلك في واديها وأوّل رجل من المسلمين نبحته كلابها[1] فقتلوه صبراً ودفنوه هناك.

وقد ذكر المؤرِّخون أسماء من استشهد مع حُجر وهم:

---

(١) المصدر السابق.

١ ـ شريك بن شدّاد الحضرمي.

٢ ـ صيفي بن فسيل الشيباني.

٣ ـ قبيصة بن ضبيعة العبسي.

٤ ـ محرز بن شهاب السعدي ثمّ المنقري.

٥ ـ كدام بن حيان العنزي.

٦ ـ عبد الرحمن بن حسّان العنزي[1]

سؤال أحد الحاضرين: إذا أردنا أن نحكم حول هذه الحادثة وبدون أي تعصّب نرى أنّ معاوية لا دخل له بالأمر، بينما قضيت أنت على معاوية وجعلت الذنب ذنبه مع أنّه اعتمد على شهادة أكثر من سبعين رجلاً من أهل الكوفة وقد قرأ في هذه الشهادات أنّ حجر من أهل الفساد وممّن يحاولون تحريض وتفجير الواقع ضدّ الخليفة وقد حكم معاوية بالحكم الإسلامي بعد أن اطمأن بهذه الشهادات.

الجواب: ظاهر كلامك صحيح، ولكن عندما ندقّق معاً في تفاصيل الحادثة فأنا وأنتم وجميع المنصفين في العالم نحكم علىٰ معاوية ونعتبره مقصّراً ومذنباً وهو المسؤول عن دماء هؤلاء الصالحين وذلك:

أوّلاً: انّ معاوية هو المسؤول عن الولاة الظلمة الذين عيّنهم ونصّبهم في الولايات المتعدّدة لتقوية سلطانه، فهو على علم ودراية بفسقهم أو ظلمهم، ومع ذلك فإنّه يجعل لهم المناصب الخطيرة والمواقع المهمّة ليحكموا الناس بالإرهاب والقتل كما مرّ الكلام عن بُسر بن أرطاة. وهؤلاء الولاة كانوا يستخدمون كلّ الوسائل القذرة لتحجيم شيعة أهل البيت عليهم السلام ومدّ نفوذ بني أُميّة وقد مرّ بعض الكلام عن ذلك، إذن فمعاوية هو وراء هؤلاء الظلمة الذين

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣١ والإصابة ج ١ والمستدرك وأُسد الغابة وغيرها.

يضطهدون الناس ويعملون بالتزوير والاحتيال لإراقة دماء المظلومين.

ثانياً: قال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[١].

فطبقاً لهذه الآية الكريمة كان المفروض على معاوية أن لا يعتمد على رسائل زياد لاسيّما وهو علىٰ دراية بمستوى الجريمة عنده وبمستوى الصلاح والإيمان عند حُجر بن عدي، وعليه كان المقرّر من ناحية العقل والشرع أن يتثبّت ـ معاوية ـ بأن يرسل من يثق بهم إلى الكوفة ويعرفوا حقيقة الحال، أو يأمر بإحضار حُجر وأصحابه ويسمع منهم، إذ يتعيّن سماع أقوال الطرفين في مثل ذلك.

وفضلاً عن كلّ ذلك قلنا إنّ شريح بن هاني الرجل الصالح بعث برسالة إلى معاوية جاء فيها «لعبد الله معاوية ... من شُريح بن هاني أمّا بعد: فإنّه بلغني أنّ زياداً كتب إليك بشهادتي على حُجر بن عدي وأنّ شهادتي علىٰ حُجر أنّه ممّن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويديم الحجّ والعمرة ويأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر حرام الدم والمال فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه»[٢].

وهذه الرسالة على أقلّ تقدير فإنّها إن لم توجب الإذعان بصدق حُجر وصلاحه فإنّها تولِّد الشكّ لدى معاوية فإنّها ستعارض الرسالة التي بعثها زياد، وفي حالة الشك لا يمكن لأي حاكم أن يجزم بأحد الطرفين ما لم يتثبّت ويتأكّد بالبرهان القاطع والدليل الناصع.

ونعتقد أنّ الأمر لا يحتاج إلى كثير من العناء، بل يكفي أنّ معاوية عارف بسوء وفسق زياد وصلاح الطرف المقابل، فزياد الذي قبل أن يكون أخاً

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) تأريخ الطبري ج٣ ص٢٢٨.

لمعاوية تحت تأثير المغيرة بن شعبة والمصالح المشتركة بينهما يكون واضح الانحراف لدى معاوية، ولكن كلّ هذا لا ينفع لأنّ الأخير هو الذي كان يأمر عمّاله بقتل شيعة علي عليه السلام وكان يأمرهم بلعنه وإعلان البراءة منه ولأجل هذا كان معاوية هو السبب وراء كلّ جريمة وقعت.

سؤال أحد الحاضرين: ما هو الهدف وراء قتل هؤلاء المؤمنين الأبرياء؟

الجواب: الأمر في غاية الوضوح لدى الباحث المنصف والمتتبّع العادل وذلك أنّ معاوية كان قد عزم على إزالة اسم أهل البيت عليهم السلام لاسيّما الإمام عليّ عليه السلام وإزاحة مكانتهم من قلوب الناس ودفن ذكرهم، ولهذا قتل حُجر وأمثاله الذين كانوا من كبار أهل الولاء والإخلاص لعليّ عليه السلام، ويدلّ عليه أيضاً أنّ حُجر طلب ـ وهو في الكوفة ـ أن يلتقي بمعاوية ليوضّح له الأمر، ولكن لم يلتفت زياد ومعاوية إلى ذلك.

وإنّ بعض الرجال المهمّين شفع لبعض أصحاب حُجر فقبل معاوية شفاعتهم بينما تقدّم مالك بن هبيرة ليشفع لابن عمّه حُجر بن عدي فرفضه معاوية ولم يقبل شفاعته، وهذه الأُمور كلّها تدلّ على أنّ معاوية من البداية كان يعمل على تصفية الرجال المهمّين من الشيعة وتغييب الواقع الشيعي.

وأمّا رسالة زياد والشهود فإنّها لا علاقة لها بذلك، غاية ما في الأمر أنّ معاوية كان بحاجة إلى مثل هذه الرسالة ليعرضها لأهل الشام ويخدع بها عقولهم الضعيفة وقد مرّ عليكم كلام المؤرّخين كالطبري وغيره أنّ معاوية كان يأمر عمّاله أن يقتلوا كلّ من والى عليّاً عليه السلام.

رسالة الإمام الحسين إلى معاوية

وأوّل شخص انتقد معاوية على جريمته النكراء هذه هو الإمام الحسين بن علي عليهما السلام فقد أرسل كتاباً إلى معاوية جاء فيه:

«أولست قاتل حجر بن عدي وأصحابه المصلحين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكّدة جرأةً على الله واستخفافاً بعهده»(١).

وعائشة تعترض أيضاً

وكانت عائشة من جملة المعترضين على معاوية فلمّا وصلها الخبر قالت: لولا أنّا لم نغيِّر شيئاً إلّا آلت بنا الأمور إلى أشدّ ممّا كنّا فيه لغيرنا قتل حجر، أما والله إن كان ما علمتُ لمسلماً حجّاجاً معتمراً(٢).

وحين حجّ معاوية مرَّ على عائشة فاستأذن عليها، فأذنت له فلمّا قعد قالت له: يا معاوية أأمنتَ أن أخبئ لك من يقتلك؟!!(٣) قال: بيت الأمن دخلت، قالت: أما خشيت الله في قتل حُجر وأصحابه؟(٤).

اعتراض الحسن البصري على معاوية

ومن جملة المنتقدين لمعاوية، الحسن البصري حيث قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن الحسن البصري أنّه قال: أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادّعاؤه زياداً وقد قال

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٨١، مؤسسة الوفاء.

(٢) تأريخ الطبري ج٣ ص٢٣٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

(٣) أقول: أليس هذا الكلام دليلاً على إباحة دم معاوية؟!

(٤) المصدر السابق.

رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتلهُ حُجراً، ويلاً له من حُجر مرّتين[١].

بقيّة جرائم وموبقات معاوية

ومن موبقاته العظيمة أنّه كان يأمر شيعة عليّ عليه السلام بالبراءة منه واللعن له ويأمر عمّاله كلّهم بذلك كما مرَّ عليكم مع حُجر وأصحابه، وهذا الاتجاه أو الاسلوب الابتزازي له ظاهر وباطن، فأمّا ظاهراً فإنّه لعنه الله كان يسعى لمحو ذكر علي عليه السلام وتصفيته من الواقع الإسلامي وإزالة سمعته واسمه، وأمّا باطناً فإنّه كان يعمل على قلع الإسلام ودثره ومحوه لأنّ دين عليّ بن أبي طالب هو الإسلام بل هو سيّد المسلمين والمتّقين وقائدهم، فلما يطلب من بعض المسلمين إعلان البراءة من عليّ عليه السلام يعني إعلان البراءة من الإسلام، ولهذا علّق الأستاذ الشيخ عبد الوهّاب النجّار على هذه المفارقة في حاشيته على تأريخ الكامل لابن الأثير حيث قال: هذا عنت فاحش من معاوية فإنّا نعلم والناس يعلمون ومعاوية يعلم أنّ دين عليّ عليه السلام الإسلام، فكيف يحمل الناس على البراءة من الإسلام، إنّ هؤلاء الناس الذين قتلتهم الأهواء السياسيّة كانوا أقوى على الحقّ وأقوم قيلاً من معاوية الذي يريق دماءهم على صراحتهم وعدم إدهانهم في دينهم.

قتل مالك الأشتر

وأيضاً من جملة موبقاته وجرائمه أمره باغتيال مالك الأشتر وهو من الشخصيات العريقة في الولاء والحبّ لعليّ عليه السلام، وله قدم راسخة في الايمان

---

(١) المصدر السابق.

وعُرف مالك بالزهد وحُسن التدبير في السياسة مضافاً إلى شجاعته. تبدأ قصّة اغتياله بهذا الشكل:

في عام ٣٨هـ كان محمّد بن أبي بكر وهو عامل لأمير المؤمنين علي عليه السلام في مصر وفي هذه السنة بعث معاوية ستّة آلاف رجل بقيادة معاوية بن حُديج وعمرو بن العاص لأخذ مصر من محمّد بن أبي بكر بالقوّة وضمّها إلى عمرو ابن العاص كما كان معاوية قد واعد عمراً بذلك، فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام ذلك فأرسل كتاباً إلى مالك الأشتر وهو في الجزيرة يطلب منه القدوم، فلمّا قدم الكوفة دخل على الإمام وحدّثه بحديث مصر وقال عليه السلام لمالك: ليس لها غيرك اخرج رحمك الله، فخرج مالك وهو يحمل معه كتاباً من أمير المؤمنين عليه السلام ولّاه مصر بدل محمّد بن أبي بكر[1]، ولمّا سمع معاوية بذلك علاه الهمّ والغمّ[2]؛ لأنّ

---

(١) تجده في نهج البلاغة ـ قسم الكتب ـ وتاريخ الطبري ج٣ ص١٢٧ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، وهذا نصّ الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى أُمّة المسلمين الذين غضبوا لله حين عُصي في الأرض وضرب الجور بأرواقه على البرّ والفاجر فلا حقٌّ يُستراح إليه ولا منكرٌ يُتناهى عنه سلام عليكم فإنّي أحمد الله إليكم الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عبيد الله لا ينام أيّام الخوف ولا ينكل عن الأعادي حِذار الدوائر أشدّ على الكفّار من حريق النار وهو مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا فإنّه سيف من سيوف الله لا نابي الضريبة ولا كليل الحدّ فإن أمركم أن تقدموا فاقدموا وإن أمركم أن تنفروا فانفروا فإنّه لا يقدم ولا يحجم إلّا بأمري وقد آثرتكم به على نفسي لنصحه لكم وشدّة شكيمته على عدوّكم عصمكم الله بالهدى وثبّتكم على اليقين والسلام».

(٢) جاء في الكامل ج٣ ص٢٢٦ ما لفظه: فخرج الأشتر يتجهّز إلى مصر وأتت معاوية عيونه بذلك فعظم عليه وكان قد طمع في مصر فعلم أنّ الأشتر إن قدمها كان أشدّ عليه من محمّد بن أبي بكر.

القتال مع مالك في غاية الخطورة بخلافه مع محمّد بن أبي بكر ولذلك عزم على قطع الطريق على مالك والحيلولة دون وصوله إلى مصر.

فبعث معاوية إلى الجايستار ـ رجل من أهل الخراج ـ فقال له: إنّ الأشتر قد ولّي مصر فإن أنت كفيتنيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت، فاحتلْ له بما قدرت عليه، فخرج الجايستار حتّى أتى القُلزم وأقام به وخرج مالك من العراق إلى مصر فلمّا انتهى إلى القُلزم استقبله الجايستار فقال: هذا منزل وهذا طعام وعلف وأنا رجل من أهل الخراج فنزل به الأشتر فأتاه الدّهقان بعلف وطعام حتّى إذا طعم أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سمّاً فسقاه إيّاه فلمّا شربها مات[1].

ولمّا وصل خبر موت الأشتر إلى معاوية طار فرحاً واشتدّ سروره ثمّ خطب بالناس قائلاً: فإنّه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان، قُطعت إحداهما يوم صفّين ـ يعني عمّار بن ياسر ـ وقُطعت الأخرى اليوم ـ يعني مالكاً ـ[2].

وأظهر الفرح هو وأهل الشام كما ذكر ابن كثير ذلك، بينما ينقل التاريخ عندما وصل خبر موت مالك إلى أمير المؤمنين عليه السلام حزن عليه وقال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون مالك وما مالك؟ وهل موجود مثل مالك؟ لو كان من حديد لكان قيداً أو من حجر لكان صلداً، على مثله فلتبك البواكي»[3].

قتل محمّد بن أبي بكر

بعد قتل مالك الأشتر، تقدّم عمرو بن العاص إلى مصر ونزل بالقرب منها

(١و٢) تاريخ الطبري ج٣ ص١٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، وذكر ابن الأثير في تاريخه بدل الجايستار الحابسات، الكامل ج٣ ص٢٢٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

(٣) الكامل ج٣ ص٢٢٧.

وبعث كتاباً إلى محمّد بن أبي بكر جاء فيه: فتنحَ عنّي بدمك يابن أبي بكر فإنّي لا أحبّ أن يصيبك منّي ظفر إنّ الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا علىٰ خلافك ورفض أمرك وندموا على اتّباعك فهم مسلّموك لو قد التقت حلقتا البِطان فاخرج منها فإنّي لك من الناصحين والسلام.

وبعث مع كتابه كتاب معاوية هو الآخر يهدّده فيه، فلمّا وصل الكتابان طواهما محمّد وبعث بهما إلى أمير المؤمنين عليه السلام وكتب معهما يطلب العون والمدد لمواجهة ابن العاص، ثمّ بعث ردّاً شديد اللهجة على رسالة ابن العاص ومعاوية، بعدها أرسل كنانة بن بشر بألفي رجل وسار هو بألفي رجل، واستقبل كنانة عمرو بن العاص وأخذت الكتائب تفرّ أمام كنانة ورجاله، فلمّا رأىٰ ذلك عمرو بعث إلى معاوية بن خُديج يطلب العون وكان معاوية بن أبي سفيان قد أرسل إلى معاوية بن خُديج يأمره بنصرة عمرو، وهكذا سار معاوية بن خديج - وهو العدوّ التقليدي لأمير المؤمنين وشيعته ـ لنصرة عمرو، فلمّا التحم جيش معاوية وجيش عمرو وصارت أعدادهم تفوق الطرف المقابل حينها قال كنانة «وما كان لنفسٍ أن تموت إلّا بإذن الله كتاباً مؤجّلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يُرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين» فضاربهم بسيفه حتّى استُشهد[1]، ولمّا سمع المصريّون بذلك انفضّوا عن محمّد بن أبي بكر حتّى بقي وليس معه أحد من أصحابه فلمّا رأى ذلك محمّد خرج يمشي في الطريق حتّى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق، وخرج ابن خُديج في طلب محمّد حتّى دلّه بعض العلوج عليه فقبض عليه وكاد أن يموت عطشاً فأقبلوا به نحو فسطاط مصر فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر وكان مع ابن العاص وطلب من عمرو أن يكلّم معاوية في عدم قتل محمّد، فبعث عمرو بن العاص إلى معاوية

---

(١) الطبري ج٣ ص١٣١.

بن خديج أن أرسل إلينا محمّداً سالماً، فقال معاوية: أكذاك قتلتم كنانة بن بشر - وهو ابن عمّه - وأنا أُخلّي محمّد بن أبي بكر؟ هيهات.

فقال لهم محمّد: اسقوني من الماء فقال له معاوية: لا سقاه الله إن سقاك قطرة أبداً إنّكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتّى قتلتموه، والله لأقتلنّك يابن أبي بكر فيسقيك الله الحميم والغساق. قال له محمّد: يابن اليهودية النسّاجة ليس ذلك إليك وإلى من ذكرت إنّما ذلك إلى الله عزّوجلّ يسقي أولياءه ويظمئ أعداءه أنت وضرباؤك ومن تولّاه، أما والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم منّي هذا، فقال معاوية: أتدري ما أصنع بك أدخلك في جوف حمار ثمّ أحرقه عليك بالنار، فقال له محمّد: إن فعلتم بي ذلك فطالما فُعل ذلك بأولياء الله وإنّي لأرجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله عليّ برداً وسلاماً كما جعلها علىٰ خليله إبراهيم وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه إنّ الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامك - معاوية - وهذا وأشار إلى عمرو بن العاص بنار تلظى عليكم، فقال معاوية: إنّي إنّما أقتلك بعثمان، فقال محمّد: وما أنت وعثمان إنّ عثمان عمل بالجور ونبذ حكم القرآن وقد قال الله تعالى: ﴿ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ فنقمنا ذلك عليه فقتلناه وحسّنت أنت له ذلك ونظراؤك... فغضب معاوية فقدّمه فقتله ثمّ ألقاه في جيفة حمار ثمّ أحرقه بالنار[١].

ولمّا وصل خبره إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حزن عليه حزناً شديداً لأنّ محمّداً كان قد تربّىٰ في أحضانه[٢] وكان يقول عنه: محمّد ابني.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حياة الحيوان ج ١ ص ٣٢٤.

←

حزن أسماء بنت عميس علىٰ محمّد

أسماء بنت عميس شخصية شريفة وماجدة في الإسلام[١] وهي أمّ محمّد بن أبي بكر، وقد نقل وروى عنها الحديث كلّ من ابن عبّاس وعبدالله بن جعفر

← أقول: لمّا سمعت أمّ حبيبة - أخت معاوية بن أبي سفيان - زوجة النبيّ ﷺ بقتل محمّد بن أبي بكر أمرت بكبش فشوى وبعثت به إلى عائشة نكاية بها في قتل محمّد وقالت لها: هكذا قد شوىٰ أخوكِ!!! وكانت نائلة تُقبّل رجل معاوية بن خُديج وتقول: بكَ أدركتُ ثاري!!

حياة الحيوان ج ١ ص ٣٥١ ط القاهرة، وتذكرة الخواص، الباب الرابع ص ١٠٧ تمام حديث الخوارج / المترجم.

(١) ذكر ابن الأثير في ترجمة أسماء - في أسد الغابة ج ١ - أنّ أسماء نالت الشرف من عدّة جهات فأختها ميمونة زوجة النبيّ ﷺ وأختها سلمىٰ زوجة حمزة أسد الله وأختها لبابة أمّ الفضل زوجة العبّاس عمّ النبيّ ﷺ، وأمّا هي فزوجة جعفر الطيّار هاجرت معه إلى الحبشة وكان لها من جعفر ثلاثة أولاد هم: عبدالله وهو من أسخياء بني هاشم وهو زوج السيّدة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والآخر هو محمّد والثالث عون، ثمّ تزوّجت من أبي بكر وكان لها منه محمّد بن أبي بكر، وولد محمّد في عام حجّة الوداع.

وذكر بن أبي الحديد في نهج البلاغة أنّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر في غزوة فرأت أسماء في المنام أنّ زوجها يلبس ثوباً أبيض وعليه الخضاب فذهبت إلى عائشة في اليوم الثاني وقصّت عليها الرؤيا فقالت لها عائشة إنّ أبا بكر سوف يُقتل وعندما جاء النبيّ ﷺ وسمع ذلك قال: لا، إنّ أبا بكر سيولد له ولد يجعله الله غيظاً على الكافرين والمنافقين، فكان ذلك محمّد.

وبعد وفاة أبي بكر تزوّجت أسماء أمير المؤمنين عليه السلام فتربّىٰ محمّد في حجر الإمام عليه السلام وكان لأسماء من الإمام عليّ عليه السلام ولد اسمه عون قُتل في كربلاء يوم عاشوراء / المؤلف.

ـ ابنها ـ والقاسم بن محمّد بن أبي بكر ـ حفيدها ـ وعبدالله بن شدّاد وعمر بن الخطّاب وعروة بن الزبير وابن المسيب وغيرهم.

ولمّا وصلها خبر مقتل ابنها العزيز محمّد وبهذه الطريقة البشعة التي تدلّ على حقارة القاتل قالت: إنّ حزننا على قتله على قدر سرورهم، لا بل يـزيد أضعافاً[١].

وأيضاً لمّا وصل خبر مقتله لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام صعد المنبر خطيباً وهو حزين على محمّد حتّى رئي ذلك في وجهه فقال: ألا إنّ مـصر قـد افـتتحها الفجرة أولو الجور والظلم الذين صدّوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوجاً، ألا وإنّ محمّد بن أبي بكر قد استُشهد رحمه الله فعند الله نحتسبه، أما والله إن كان ما علمت لممّن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحبّ هدي المؤمن[٢].

ثمّ كتب إلى ابن عبّاس: أمّا بعد فإنّ مصر افتُتحت ومحمّد بن أبي بكر قد استُشهد فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً[٣].

فمن مجموع ما تقدّم يظهر لكم أنّ جرائم وفظائع معاوية لا يمكن تأويلها بأيّ شكل من الأشكال، وعليه لا يمكن تبرئة ساحته أبداً ولا المسامحة في مثل هذه الجرائم الدموية التي راح ضحيتها عشرات الآلاف، ولا يمكن تذويب هذه الأحداث بعناوين فارغة وشعارات سياسيّة، بل هي تدعو كلّ منصف أن يحكم على معاوية بالضلال والفسق، وقد حاول ـ معاوية ـ ومن جاء بعده أن يبرّروا كلّ هذه الجرائم والفواحش بقميص عثمان الذي صار شمّاعة جيّدة تعلّق عليها

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص١٣٤ والعبارة فيه لأمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص١٣٤.

(٣) نهج البلاغة المختار من كتبه ٣٥.

الجرائم الأموية كلّها برمّتها. والحقيقة أنّه ليس هناك أيّ اتّصال أو أيّ علاقة بين جرائم معاوية وبين عثمان، بل يُعدّ معاوية أحد المضطهدين لعثمان وأحد المسؤولين عن خذلانه وترك نصرته مع قدرته.

سؤال: كيف يمكن قبول هذه الفكرة؟ مع أنّ عثمان هو الذي أقرّ معاوية في الشام وبالمقابل كان معاوية يعمل على تقوية خلافة عثمان في الشام؟

الجواب: نعم، على الظاهر كلامك صحيح لأنّ عثمان هو الذي قرّب بني أميّة وبني العاص إلى الحكم وجعل أُمور المسلمين بأيديهم، حتّى عُدّ ذلك أحد أكبر أخطائه فقد أُعترض عليه لأنّه ولّى اليمن يعلى بن أميّة والشام معاوية بن أبي سفيان وكلاهما فاسقان وهكذا أرخى العنان لمروان بن الحكم الظالم الجائر، وقد تقدّم هذا في كلام الشهرستاني حتّى عيب على عثمان بذلك وحصل الاختلاف والافتراق في الأمّة الإسلامية إلى أن انقلب السحر على الساحر فقُتل عثمان بسبب عمّاله الفسقة.

محاصرة عثمان بن عفّان

لمّا جاء أشراف مصر إلى عثمان بن عفّان يشكون عنده عبدالله بن أبي سرح وسياسته الظالمة جلس عثمان واستمع إليهم وواعدهم ببعض الوعود الفارغة فانصرفوا عنه بينما كتب سرّاً كتاباً ودفعه إلى أحد الأشخاص وطلب منه أن يسلّمه إلى عامله في مصر[1]، وفي الطريق شك المصريّون بهذا الراكب ولمّا فتّشوه وجدوا عنده هذا الكتاب وعليه ختم عثمان إلى عامله بمصر يطلب منه أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فأقبلوا إلى المدينة مرّة أُخرى وحاصروا عثمان وسألوه عن الكتاب فأنكره أشدّ الإنكار إلّا أنّهم لم

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٦٥٥ والكامل ج٣ ص٥٢.

يتركوه وطلبوا منه أن يعزل مروان وأن لا يسمع لقوله، إلّا أنّه امتنع. وهناك تفاصيل تجدونها في مظانّها الخاصّة، حتّى حوصر عثمان في منزله وكان قد بعث إلى معاوية أن يبعث إليه جيشاً يدفع عنه هذا الحصار ويرد المصريّين عنه وكتب إلى عبدالله بن عامر بن كريز يستنجده أيضاً وهو في البصرة، فأمّا أهل البصرة فإنّهم كانوا قد ذاقوا الاضطهاد الأموي فلم يبدو أي استعداد لنصرة عثمان، وأمّا معاوية فلمّا وصله كتاب عثمان فإنّه لم يعتنِ بالأمر كثيراً وقال للرسول: اعلم أنّ عثمان لمّا ولّي هذا الأمر كان حسن السيرة ولكنّه بدّل وغيّر وسار في الناس على خلاف الدين وسيرة من كان قبله وإنّ الله يسلبه ملكه لامحالة، وأنا لا أقدر على أن أردّ إليه ما يريد الله سلبه عنه[1].

ولذا أمر جيشه أن يذهب إلى حدود الشام وأمرهم أن لا يتحرّكوا نحو المدينة[2] وبالتالي قُتل عثمان.

وبعد ذلك استغلّ معاوية قميص عثمان ورفعه أمام جرائمه فكان يقتل ويحارب أهل الحقّ بذريعة الطلب بدم عثمان حتّىٰ صار قميص عثمان مثلاً سائراً فيما بعد على كلّ حالة سلبية ومناقضة للحقّ فيقال عنها: كقميص عثمان.

حتّى ردّه أمير المؤمنين عليه السلام فيما بعد حيث كتب إلى معاوية ما نصّه: وأمّا قولك ادفع إلينا قتلة عثمان فما أنت وعثمان إنّما أنت رجل من بني أُميّة وبنو عثمان أولىٰ بذلك منك فإن زعمت أنّك أقوى علىٰ دم أبيهم منهم فادخل في طاعتي ثمّ حاكم القوم إليَّ أحملك وإيّاهم على الحجّة[3]. وهذه أقوى حجّة وأثبت برهان وبه انقطع معاوية.

---

(١) الفتوح لابن أعثم الكوفي ص٢٠٤.

(٢) ذكر أكثر المؤرّخين أنّ معاوية تثاقل من نصرة عثمان.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص١٠٢.

منزلة عمّار بن ياسر

ويكفي لإدانة معاوية واعتباره من أهل الهاوية هو موضوع عمّار بن ياسر الذي عُدَّ قتله فيصلاً بين الحقّ والباطل لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: عمّار تقتله الفئة الباغية[١] وقد قُتل عمّار في صفّين وهو يحارب جيش الباطل المتمثّل بمعاوية.

ويعدّ عمّار من المسلمين الأوائل والمعذّبين الأوائل حتّى نال شرف السبق إلى الإسلام والإيمان، وقد استُشهدت أُمّه سميّة وهي أوّل شهيدة في الإسلام وكذا والده الماجد ياسر حتّى مرّ عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال: صبراً آل ياسر فإنّ موعدكم الجنّة[٢]، فكان عمّار وأُمّه وأبوه من المبشّرين بالجنّة قبل الهجرة، ثمّ هاجر عمّار إلى المدينة بعد أن وضعوا على جسمه الحديد على الرمال الحارقة في بطحاء مكّة، ولم يكن من آل ياسر إلّا الاستقامة كما قال الله تعالى: ﴿إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون﴾[٣].

وفي المدينة كان عمّار من المقرّبين جدّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلّدَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقّ عمّار أحاديث عظيمة تدلّ على عظمة عمّار ومقامه الشامخ وثبات قدمه في الإيمان ورسوخ العقيدة في قلبه منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ عمار ملئ إيماناً إلى مشاشه[٤]. وقد ذُكر في الاستيعاب وحلية الأولياء والإصابة

---

(١) سنن الترمذي ج٣ ص٥٣٦ رقم ٣٥٧١ تهذيب جامع الأمام الترمذي / دار المعرفة المغرب، وذكره كل أصحاب التراجم والحديث الذين تعرضوا لذكر عمار بن ياسر فراجع.

(٢) تاريخ بغداد ج١ ص١٥٠ دار الكتب العلمية.

(٣) سورة فصّلت: ٣٠.

(٤) سنن النسائي ج٨ ص٨١ دار الكتب العلمية ١٩٩٥م وابن ماجه في السنن ج١

والمستدرك وغيرها.

وقوله ﷺ: مرحباً بالطيّب المطيب[1] وهو دالّ على طهارته ونقائه وإخلاصه في الإيمان.

وقد ذُكر في الحلية والاستيعاب وأُسد الغابة والإصابة والمستدرك وتلخيصه ومسند أحمد وسنن ابن ماجه والبخاري والجامع الكبير والبداية لابن كثير وغيرها، قوله ﷺ: من عادىٰ عمّاراً عاداه الله ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله[2]. وقد ذكره أكابر علماء السنّة كابن عبد البرّ في الاستيعاب وأُسد الغابة وسنن الترمذي والمستدرك وتلخيصه وغيرهم.

وكذلك قوله ﷺ: إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة: إلى عمّار وعليّ وسلمان والمقداد[3] وفي بعض النصوص: عليّ وعمّار وسلمان وبلال[4].

وعلى كلّ حال فهذه النصوص أدلّة دامغة وبراهين ناصعة على منزلة عمّار العظيمة وانّه من أهل الجنّة، وكانت بشارته بالجنّة من أيّام مكّة كما قلنا، وعليه يُعدّ قتل مثل هذا الشخص الطيّب جريمة بحقّ الإنسانية والدين معاً، ومع ذلك فقد تمّ قتل عمّار في حرب صفّين على يد علوج جيش معاوية، فكما نال ياسر وسميّة الشهادة على يد علوج بني أميّة في مكّة فكذلك نال شرف الشهادة عمّار

← ص٦٣ رقم ١٤٧ دار الفكر بيروت ١٩٩٥م، والاستيعاب ج٣ ص٢٢٩ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

(١) تاريخ بغداد ج١ ص١٥١ دار الكتب العلمية، وابن ماجه في السنن ج١ ص٦٣ رقم ١٤٦ دار الفكر بيروت.

(٢) المصدر نفسه ص١٥٢، والاستيعاب ج٣ ص٢٢٩ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

(٣) أُسد الغابة ج٥ ص٢٤٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤.

(٤) الاستيعاب ج٣ ص٢٢٩ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

على يد جيش معاوية. وهكذا يقف معاوية وراء هذه الجريمة باعتباره المحرّض والمتصدّي والمتزّعم لهذا الجيش.

سؤال: متى استشهد ياسر وسميّة؟

الجواب: في أوائل البعثة المباركة في مكّة المشرّفة، فقد أسلمت هذه الأسرة الكريمة (آل ياسر) بعد سبعة وثلاثين شخصاً دخلوا الإسلام عن رغبة صادقة وتحدٍّ صارخ لكلّ الطواغيت والجبابرة آنذاك وقد استشهد ياسر وزوجته الصالحة سميّة تحت التعذيب القاسي بينما فرّ عمّار وأخوه عبدالله إلى المدينة مع من هاجر إليها[1].

سؤال: في أيّ سنة قُتل عمّار؟

الجواب: بناءً على ما ذكره الطبري وابن الأثير وابن أعثم الكوفي وابن أبي الحديد والحاكم النيشابوري وابن حجر وابن عبد البرّ وأضرابهم انّه قُتل عام ٣٧هـ وعمره فوق التسعين في حرب صفّين.

سؤال: عفواً أريد الاستيضاح لا الاعتراض، لقد اعتبرنا ياسراً وسميّة شهيدين لأنّهما قُتلا على يد الكفّار فيكون إطلاق لفظة (الشهيد) عليهما إطلاقاً حقيقياً في محلّه بينما قتل عمّار على يد المسلمين فيكف اعتبرتموه شهيداً؟

الجواب: إنّه سؤال جيّد، وعلينا الآن أن نعطي توضيحاً لمعنى الشهيد لكي يرتفع الإبهام عند كثير من الناس ونكون قد أجبنا أيضاً على سؤالك.

مع الأسف أنّ هذه اللفظة (الشهيد) استُخدمت في زماننا هذا استخداماً خاطئاً بحيث صار الفاسق والفاجر ومن لا يعرف الدين شهيداً أيضاً في العرف السياسي؟ وهكذا المناضلون السياسيّون الذين لا علاقة لهم بالدين ولا يهدفون

---

(١) راجع الاستيعاب ج٣ ص٢٢٨ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

إلى الدفاع عنه أو نشره صاروا شهداء حسب منطق الصحف السياسيّة واللغة الحاكمة فتمّ استعمال هذا اللفظ في غير محلّه إلى درجة أنّهم قد يطلقونه علىٰ من يموت بحادث سيّارة أو حادث طائرة وما شابه ذلك؛ لأنّه كان في مهمّة دولية أو وطنية فهو شهيد بهذا الاعتبار!! حتّىٰ فهم الناس من هذه اللفظة الخداع والسخرية والاستخدام السيئ فصارت اللفظة بمرور الزمن أداة للاستهلاك الدولي أو الوطني وبالتالي صارت تعني ما تعني عند كلّ فريق، ونحن بدورنا صرنا نحذر من استعمالها أو إطلاقها على الشهداء الحقيقيّين كشهداء بدر وغيرهم، إذ يتبادر إلى أذهان الناس أنّ هؤلاء الشهداء مثل شهداء الأحزاب السياسيّة والحركات القومية والوطنية الذين أساءوا استعمالها، بينما الشهيد في الإسلام هو مَن يبيع نفسه ابتغاء مرضاة الله فقط ويطمع في الرضا والمغفرة والتوبة لا غير، ثمّ إنّ للجهاد شروطه الخاصّة وبالتالي للشهيد أيضاً شروطه الخاصّة به وليس هنا محلّ بحث ذلك إلّا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فوق كلّ ذي برّ برّ حتّى يُقتل ـ الرجل ـ في سبيل الله فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه برّ.

فللشهيد مقام رفيع ليس فوقه مقام. نعم، هناك مراتب في الشهادة أعلاها أن يجاهد المسلم بأمر الإمام المعصوم عليه السلام دفاعاً عن الدين وهكذا دفاع العلماء عن حريم الدين والذبّ عنه[1].

وبعد هذه المقدّمة أقول لك: صحيح أنّ عمّاراً قُتل علىٰ يد المسلمين من جيش معاوية إلّا أنّ هؤلاء في حقيقتهم لم يكونوا مسلمين ولا مؤمنين، بل هم خرجوا من ربقة الإيمان واستحقّوا النار بكفرهم وفسادهم وفي مقدّمتهم معاوية وإليك أدلّة ذلك:

---

(١) لقد ألّف العلّامة الشيخ عبد الحسين الأميني كتاباً اسمه شهداء الفضيلة ذكر فيه مجموعة من الشهداء العلماء الذين نالوا شرف الشهادة / المؤلف.

الأدلّة على أنّ معاوية وأتباعه من أهل الباطل

توجد أدلّة كثيرة لإثبات ذلك ولكنّي سأكتفي بالإشارة إلى بعضها:

أوّلاً: ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ عليّ عليه السلام بشكل مكرّر في عدّة محافل ومواقع «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ»[1] «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ»[2]. وهذا يعني دوام استمرار الحقّ والقرآن مع عليّ عليه السلام وبالتالي كلّ من يقف ضدّه فهو باطل؛ لأنّ الحقّ هو علي والقرآن معه وكلّ من يحاربه ويعاديه سواء أكان فرداً واحداً أم جماعة من الناس فنحكم عليهم بالبطلان والضلال والخروج عن الدين والإيمان وفقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله المروي عند الفريقين وهو يُعدّ قاعدة يتمّ من خلالها إفراز وتمييز أهل الباطل والضلال، لاسيّما مَن كان يعرف مقام أمير المؤمنين عليه السلام أمثال معاوية وعمرو بن العاص وأبي هريرة ونظرائهم الذين سمعوا بهذه الأحاديث بنحو أو بآخر ومع ذلك جعلوها خلف ظهورهم وسعوا في إطفاء نور عليّ عليه السلام بكلّ ما أُوتوا من قوّة.

وعليه لا يمكن عدّهم من المسلمين لإصرارهم وعنادهم في محاربة الحقّ والقرآن المتمثّلين بعليّ عليه السلام، يقول الشهرستاني: وبالجملة كان عليّ عليه السلام مع

---

(١) المناقب للخوارزمي ص٢٢٣ وفي سنن الترمذي ج٥ ص٢٩٧: اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار، ومثله في مناقب الخوارزمي ص٥٦. وما ذكره المؤلّف رحمه الله تجده في شرح النهج ج٢ ص٢٩٧، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) كنز العمّال ج١١ رقم ٣٢٩١٢ والمعجم الأوسط للطبراني ج٥ رقم ٤٨٧٧ مكتبة المعارف بالرياض، والصواعق المحرقة لابن حجر ج٢ ص٣٦١ مؤسّسة الرسالة بيروت، ومجمع البحرين في زوائد المعجمين ج٣ دار الكتب العلمية، وتاريخ الخلفاء للسيوطي فصل عليّ بن أبي طالب، ونور الأبصار ص٨٩، والمستدرك ج٤ ص٩٣ رقم ٤٦٨٥، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٨.

الحقّ والحقّ معه[١].

وجاء في تذكرة الخواص قوله ﷺ: اللّهمّ وأدر الحقّ معه ـ مع عليّ ـ حيثما دار وكيفما دار، ثمّ علّق المصنّف بقوله: فيه دليل على أنّه ما جرىٰ خلاف بين عليّ عليه‌السلام وبين أحد من الصحابة إلّا والحقّ مع عليّ عليه‌السلام[٢].

وعلىٰ ضوء ذلك لا نتردّد في كفر معاوية وكلّ مَن كان معه بعد أن وضع النبيّ الأكرم ﷺ هذه القاعدة والتي أقرّها كبار علماء أهل السنّة إذ لا توجد واسطة بين الحقّ والباطل لنجعل معاوية فيها. وليس الأمر قابلاً للاجتهاد بعد وضوحه كالشمس في رابعة النهار، وحتّى لو كان معاوية في شبهة أو جهل من ذلك، فإنّه صار عالماً بعد رسائل أمير المؤمنين له وبقيّة الصحابة، وكيف يشتبه عليه مثل هذا الأمر الواضح بعد أن جعل النبيّ ﷺ عليّاً وأهل البيت كلّهم عدل القرآن؟

سؤال: مَن هو عدل القرآن؟

الجواب: إنّه أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام بلا شك.

سؤال: إنّ مقام أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام لا يُنكر ولكن ما هو دليلك على أنّه هو عدل القرآن؟

الجواب: الدليل هو حديث رسول الله ﷺ المروي من الطرفين حيث قال ﷺ: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لا يفترقان (لن يفترقا) حتّىٰ يردا عليّ الحوض[٣]، فقد ذكره كلّ من الفخر الرازي في تفسيره والحاكم في المستدرك والذهبي في تلخيص المستدرك والخطيب في تاريخ بغداد الجزء

---

(١) الملل والنحل ج١ ص٢٧ دار المعرفة بيروت ١٩٧٥.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي ج١ ص٨٨ ط: الأولى في استانبول.

(٣) مرّت بعض مصادره بالتفصيل.

الرابع والسيوطي في تاريخ الخلفاء والجامع الصغير والصواعق المحرقة ومجمع الزوائد والطبراني في الأوسط وينابيع المودّة وفرائد السمطين ومناقب الخوارزمي وربيع الأبرار والجامع الصغير للسيوطي وفيض القدير وفردوس الأخبار والإمامة والسياسة ومسند أحمد وغيرهم.

فهذا الحديث يعطي معنى الملازمة التامّة بين القرآن والإمام عليّ عليه السلام وأنّ هذه الملازمة مستمرّة إلى يوم القيامة.

وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها فقال: هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض فأسألهما ما خلفت فيهما[1].

وهذا الحديث صريح الدلالة أنّه عليه السلام عدل القرآن والملازم له فيثبت المطلوب.

ثمّ نعود إلى ذكر الأدلّة على إثبات باطل وضلالة معاوية وخروجه عن الإسلام والإيمان.

ثانياً: ومن الأدلّة على كفر معاوية هو سبّه للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم صريحاً وعلناً وعناداً، بل كان يحرِّض عمّاله كالمغيرة وبُسر وغيرهما على هذه البدعة. وكلّ من آذاه وسبّه صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر[2].

---

(١) الصواعق المحرقة ج٢ ص٣٦١ مؤسّسة الرسالة بيروت.

(٢) أقول: يزعم بعض المسلمين أنّ الشيعة كفّار لأنّهم يلعنون الصحابة المنحرفين!! فكيف بمعاوية وهو يسبّ أقدس وأشرف وأفضل الأُمّة بعد النبيّ!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليّ باب حطّة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً. الصواعق المحرقة لابن حجر ج٢ ص٣٦٦ وكنز العمّال ج١١ ص٦٠٣ رقم ٣٢٩١٠ وفردوس الأخبار ص٧٨ رقم ٣٩٩٨ ج٢.

←

سؤال: نحن لم نسمع أنّ معاوية وأتباعه آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أهانوه فضلاً عن سبّه صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: نعم على الظاهر أنّ معاوية لم يسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشكل مباشر بعد أن دخل الإسلام، إلّا أنّه كان يسبّه بشكل غير مباشر.

سؤال: نرجو منك أن توضّح لنا ذلك؟

الجواب: هنا لابدّ من ذكر مقدّمة ليتّضح لكم المطلب وهي أنّ إيذاء أمير المؤمنين عليه السلام بأيّ شكل كان يُعدّ إيذاءً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا ينكر أنّ سبّ الإمام عليّ عليه السلام ومحاربته وتحريض الناس لحربه هو من جملة إيذائه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: من آذىٰ عليّاً فقد آذاني[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من آذىٰ عليّاً فقد آذاني، أيّها الناس من آذى عليّاً بُعث يوم القيامة يهوديّاً أو نصرانياً[2].

وأيضاً ما رواه جماعة من علماء أهل السنّة كالحاكم النيشابوري في المستدرك وتلخيصه للذهبي من قصّة عمرو بن شاس الأسلمي عندما عاد من اليمن فدخل المسجد وفيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ عمرو يشكو عليّاً عليه السلام أمام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: يا عمرو أما والله لقد آذيتني. فقال عمرو: أعوذ بالله

← وهذا الحديث صريح في كفر كلّ مَن لم يدخل إلى ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكيف الحال بالذين خالفوه وحاربوه وسبّوه علناً؟! / المترجم.

(١) كفاية الطالب باب ٦٨ والصواعق المحرقة ج٢ ص ٣٦٠ مؤسسة الرسالة، وينابيع المودّة والاستيعاب ج٣ ص٢٠٤ دار الكتب العلمية، وكنوز الدقائق والجامع الصغير للسيوطي وفرائد السمطين.

(٢) المناقب للخوارزمي، وتاريخ الخلفاء ص٦٧، وفي مناقب ابن المغازلي قال صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي لا يبالي من مات وهو يبغضك مات يهوديّاً أو نصرانياً. ولا يبغضه من قريش إلّا سفحي ولا من الأنصار إلّا يهودي ولا من العرب إلّا دعي ولا من سائر الناس إلّا شقي / فرائد السمطين ج١ ص١٣٥ ط بيروت ١٩٧٨م.

أن أؤذيك يارسول الله! فقال ﷺ: بلىٰ من آذىٰ علياً فقد آذاني[1].

وأيضاً ما رواه أحمد بن حنبل في المسند والهمداني في مودّة القربىٰ والخوارزمي في المناقب وأبو نعيم فيما نزل من القرآن في علي وابن المغازلي في المناقب والحسكاني في الشواهد أنّ رسول الله ﷺ قال: يا علي من آذىٰ شعرة منك فقد آذاني ومَن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فعليه لعنة الله[2].

وهذه النماذج من الأحاديث الكثيرة التي ذكرها علماء المسلمين صريحة في أنّ إيذاء الإمام علي عليه السلام يُعدّ إيذاءً لله وللرسول.

وأنتم أيّها السادة الكرام تعرفون مدىٰ ما بذله معاوية لإزعاج وإيذاء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وبمختلف السُبل كما ذكرنا سابقاً كالدعاية وتأليف الأحاديث ضدّه ومحاربته وقتل أصحابه وأتباعه ولعنه على المنابر وغير ذلك، فهل هذه الأمور إلّا دليل واضح عن الحقد والبغض الذي يكنّه معاوية لله ولرسوله ولأمير المؤمنين؟ وبذلك يستحقّ اللعن والطرد في الدنيا والآخرة ويوجب الحكم عليه بالكفر.

ثالثاً: ومن الأدلّة الأُخرى على كفر معاوية؛ استناداً إلى ما اتّفق عليه الجمهور من قوله ﷺ: يا عليّ حربك حربي وسلمك سلمي[3]. إذن فمعاوية

---

(١) كنز العمّال ج١٥ ص١٢٥ والمستدرك ج٤ ص٨٩ رقم ٤٦٧٧ دار المعرفة، بيروت ١٩٩٨.

(٢) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج٢ ص٩٨ عند قوله تعالى: ﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ...﴾. ونظم درر السمطين لجمال الدين الحنفي القسم الثاني من السمط الأوّل.

(٣) نصّ الحديث: أنا حرب لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم، قاله لعلي وفاطمة والحسن والحسين، أُنظر المستدرك للحاكم ج٣ ص١٦١ رقم ٤٧١٣ ومسند فاطمة ←

في حرب صفّين كان يمثّل الشرك والكفر الذي يحارب رسول الله ﷺ المتمثّل في علي عليه السلام ومعلوم أنّ كلّ من حارب رسول الله ﷺ عالماً عامداً فهو كافر.

رابعاً: ومن جملة الأدلّة أيضاً على كفره هو سبّه لأمير المؤمنين عليه السلام، ومعلوم أنّ سبّه يُعدّ سبّاً للرسول ﷺ والاعتداء عليه يُعدّ اعتداءً على رسول الله ﷺ وفاقاً للأحاديث النبوية الشريفة.

سؤال: نطلب من سماحتكم أن تذكروا لنا هذه الأحاديث.

أحاديث في كفر من سبّ عليّاً

الجواب: نعم، لقد ذكر في المستدرك وتلخيصه بسند صحيح حديثان عن بكير بن عثمان البجلي قال: سمعت من أبي إسحاق التميمي قال: سمعت من أبي عبدالله الجدلي قال: سمعت من أمّ سلمة زوجة رسول الله ﷺ وهي تنادي: يا شبث بن ربعي فأجابها رجل جلف جاف: لبّيك يا أمّاه، قالت: يسبّ رسول الله ﷺ في ناديكم؟ قال: وأنّى ذلك؟ قالت: فعليّ بن أبي طالب، قال: إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا. قالت: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى[1].

وغير ذلك ذكر أكابر علماء أهل السنّة أحاديث متفاوتة في الألفاظ أو

← الزهراء ص١١٦ للسيوطي وسنن الترمذي ج٥ ص ٣٦٠ وكنز العمّال ج١٢ ص٩٧ وغيرها.

والذي ذكره المؤلّف رحمه الله موجود في شرح نهج البلاغة ج٢ ص٢٩٧ دار إحياء الكتب العربية.

(١) المستدرك ج٤ ص٨٧ رقم ٤٦٧٣ دار المعرفة بيروت ١٩٩٨م.

الإجمال والتفصيل كلّها بهذا الصدد منها قوله ﷺ: من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله[١].

وأيضاً روي أنّ ابن عبّاس مرّ على ضفة زمزم فإذا قوم من أهل الشام يشتمون علياً عليه السلام فقال لهم: أيّكم السابّ الله عزّ وجلّ فقالوا: سبحان الله ما فينا أحد سبّ الله، قال: فأيّكم السابّ لرسول الله ﷺ؟ قالوا: سبحان الله ما فينا أحد سبّ رسول الله ﷺ قال: فأيّكم السابّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقالوا: أمّا هذا فقد كان، قال: فأشهد على رسول الله ﷺ سمعته أُذناي ووعاه قلبي يقول لعليّ بن أبي طالب: من سبّك فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله أكبّه الله على منخريه في النار[٢] ثمّ تولّى عنهم وقال لسعيد بن جبير: ماذا رأيتهم صنعوا قال:

نظروا إليك بأعين محمرّة ... نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال زدني، فقال:

خزر العيون نواكص أبصارهم ... نظر الذليل إلى العزيز القاهر

فقال زدني: فقال ليس عندي، فقال ابن عبّاس:

أحياؤهم عار على أمواتهم ... والميّتون مسبّة للغابر[٣]

---

(١) خصائص أمير المؤمنين للنسائي وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص٦٣٤ دار النشر العربي، والصواعق المحرقة ج٢ ص٣٦٠ مؤسسة الرسالة وفضائل الصحابة لأحمد ج٢ ص٥٩٤ ط السعودية، والسنن الكبرى للنسائي ج٥ وكنز العمّال ج١١ رقم ٣٢٩٠٣ ومناقب الخوارزمي ص٨٢ ونور الأبصار ص٨٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٢) كفاية الطالب الباب ١٠ ونور الأبصار ص٩٩ والحاكم في المستدرك وصحيح مسلم ج٧ في فضائل علي والفصول المهمّة للمالكي ص١٢٧.

(٣) كفاية الطالب، الباب ١٠.

سعد بن أبي وقّاص يمتنع من سبّ عليّ

وقد عرف بعض الصحابة أنّ بدعة معاوية هذه ليست إلّا مؤامرة يُراد منها تثبيت ملك بني أُميّة ومحو ذكر أهل البيت الذين يمثّلون الإسلام فامتنع بعض الصحابة من مسايرة معاوية وإن كانوا هم ضدّ الإمام عليّ عليه السلام بنفس الوقت إلّا أنّهم لم يشاركوا في سبّ عليّ عليه السلام. ومنهم سعد بن أبي وقّاص فعندما طلب منه معاوية أن يشتم ويسبّ عليّاً عليه السلام اعتذر سعد بقوله: لا أسبّ ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبُّ إليَّ من حمر النعم، قال له معاوية: ما هنّ يا أبا إسحاق؟ قال: لا أسبّه ما ذكرتُ حين نزل عليه الوحي ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم..﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهمَّ هؤلاء أهل بيتي. ولا أسبّه ما ذكرتُ حين خلّفه في غزوة تبوك غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له علي: يارسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبوّة بعدي. ولا أسبّه ما ذكرتُ يوم خيبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي عليّاً، فأُتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه[1].

وأيضاً كان لسعد موقف آخر وهو أنّه سمع بعض الرجال في المدينة يشتمون عليّاً فوقف عندهم وقال لهم: يا هذا علىٰ ما تشتم عليّ بن أبي طالب؟

---

(١) كفاية الطالب باب ١٠ وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٥ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٠١ والمستدرك على الصحيحين ج٣ ص١١٦ والمناقب للخوارزمي ص٥٩ وأسد الغابة ج٤ ص٢٥ وصحيح مسلم باب فضائل الصحابة.

ألم يكن أوّل من أسلم؟ ألم يكن أوّل من صلّىٰ مع رسول الله ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر حتّى قال: ألم يكن ختن رسول الله ﷺ على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ في غزواته؟ اللّهمّ إنّ هذا يشتم وليّاً من أوليائك فلا تفرّق هذا الجمع حتّى تريهم قدرتك، قال قيس: فوالله ما تفرّقنا حتّىٰ ساخت به (بالذي كان يشتم) دابّته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات[1]، وهكذا كان سعد يقف معارضاً بوجه كلّ مَن يسبّ علياً لعلمه بمقام أمير المؤمنين الشامخ.

فبعد استشهاد الإمام الحسن المجتبىٰ عزم معاوية على حجّ بيت الله ثمّ جاء إلى المدينة وارتقى المنبر وشرع في لعن وشتم وسبّ الإمام عليّ عليه السلام فقيل له: إنّ سعداً في المدينة وهو لا يرضىٰ بذلك، فأرسل إليه ليرىٰ رأيه في هذا الموضوع فأرسل إليه سعد إنّك لو فعلت ذلك فإنّي أخرج من المسجد ولن أدخله ثانية أبداً، فرفع معاوية السبّ في تلك اللحظة، ولمّا مات (سعد عام ٥٤هـ أو ٥٥ أو ٥٨هـ ودفن في المدينة) لعنه ـ معاوية ـ على المنبر وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا![2].

فلمّا سمعت أُمّ سلمة بذلك أرسلت رسالة إلى معاوية جاء فيها: إنّكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك أنّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب ومَن أحبّه وأنا أشهد أنّ الله أحبّه ورسوله[3]. واستمرّ معاوية يلعن ويسبّ ويشتم أمير المؤمنين علياً عليه السلام وجرت بدعته هذه أكثر من ستّين عاماً إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فرفع السبّ، وكما سمعتم فإنّ هذه الأدلّة لكافية في كفر معاوية

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٧.

(٢) ينابيع المودة ص١٨٢.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٧.

وفسقه وخروجه عن ربقة الإسلام والإيمان.

خامساً: وأيضاً من أدلّة كفر وارتداد معاوية، أنّه كان يظهر الإسلام والإيمان ويتظاهر بالعبادات مع أنّه كان يلعن أشرف الناس بعد النبيّ ﷺ ويقتل أزهد الناس من أصحابه وشيعته ويأمر بنهب أموال شيعة علي عليه السلام وما هذا التناقض والازدواجية إلّا النفاق الذي يُعدّ أشدّ من الكفر لقوله تعالى: ﴿إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾[1] وبذلك استحقّ معاوية هذه الدركة من النار.

سؤال: هذه الآية تتكلّم عن المنافقين الذين لم يدخل الإسلام والإيمان في قلوبهم باطناً فهل لديك أدلّة على أنّ هذه الصفة كانت في معاوية أيضاً؟

الجواب: نعم إنّ كلّ من أبغض عليّاً فهو منافق.

سؤال: ما هو الدليل على ذلك؟

الجواب: الدليل هي الأحاديث النبوية الشريفة المصرّحة بذلك.

سؤال: ما هي هذه الأحاديث؟

الجواب: لقد تناولنا ذلك سابقاً فلا نكرّر ولكن أذكر لكم نصّ بعض الأحاديث، قال أمير المؤمنين عليه السلام: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبيّ الأمّي أن لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق.

وقال أبو سعيد الخدري: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلّا بثلاث: بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلاة وبغضهم عليّ بن أبي طالب[2]. وما إلى ذلك، بل وأكثر من هذا كلّه قوله ﷺ: لا يحبّ عليّاً إلّا مؤمن

---

(١) النساء: ١٤٤.

(٢) مرّت مصادره.

ولا يبغضه إلّا كافر[١]، فتكون النتيجة أنّ معاوية كافر ومنافق.

سادساً: وأيضاً من أدلّة خروج معاوية عن الإسلام ما ذكره رسول الله ﷺ في أماكن وأوقات متعدّدة أنّ عليّاً يقاتل علىٰ تأويل القرآن كما قاتل هو ﷺ علىٰ تنزيله وهو يعطي أنّ مَن حارب عليّاً هو كالمشرك الذي حارب النبيّ ﷺ.

سؤال: هل توجد هذه الأحاديث في كتب أهل السنّة؟

الجواب: نعم وبألفاظ متعدّدة وفي العديد من مصادر أهل السنّة.

سؤال: أرجو أن تذكر لنا من هذه الأخبار؟

الجواب: نعم لقد ذكر الإمام النسائي والحنفي في ينابيع المودّة حديث رسول الله ﷺ: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله فقال أبو بكر: أنا فقال ﷺ: لا، فقال عمر: أنا فقال ﷺ: لا، ولكن خاصف النعل، وكان قد أعطى نعله لعلي يخصفها[٢]. وذكره ابن الأثير في أُسد الغابة دون أن يذكر اسم أبي بكر وعمر.

وذكر أحمد بن حنبل في المسند وابن الجوزي في التذكرة والبلخي في الينابيع والنسائي في الخصائص والكنجي في الكفاية وابن أبي الحديد في شرح النهج مسنداً عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ قال لأمّ سلمة: هذا عليّ بن أبي طالب لحمه لحمي ودمه دمي وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، يا أُمّ سلمة هذا عليّ أمير المؤمنين وسيّد

---

(١) مودّة القربى للهمداني الشافعي المودّة ٣، والدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٦٦، سورة محمد ﷺ.

(٢) شرح نهج البلاغة ج٢ ص٢٧٧ دار إحياء الكتب العربية وينابيع المودّة ج١ باب ١١ ص٥٨ ط الأعلمي بيروت.

المسلمين ووعاء علمي ووصيّي وبابي الذي أؤتى منه وأخي في الدنيا والآخرة ومعي في المقام الأعلى يقتل الناكثين والقاسطين والمارقين(١).

ثمّ علّق الشافعي الكنجي بعد إيراده هذا الحديث: وفي هذا الحديث دلالة على أنّ النبيّ ﷺ وعد علياً بقتل هؤلاء الطوائف الثلاث وقول الرسول ﷺ حقّ ووعده صدق وقد أمر ﷺ عليّاً بقتالهم.

وعن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيّوب الأنصاري وهو يعلف خيلاً له قال: فقِلنا عنده فقلت: يا أبا أيّوب قاتلت المشركين مع رسول الله ﷺ ثمّ جئت تقاتل المسلمين؟! قال: إنّ رسول الله ﷺ أمرني بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين(٢).

وجاء في أُسد الغابة عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: عهد إليّ رسول الله ﷺ أن أُقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين(٣).

ومن البديهي جدّاً أنّ رسول الله ﷺ لا يأمر بقتال المسلمين تبعاً للآية ﴿يا أيّها النبيّ جاهد الكفّار والمنافقين...﴾(٤) فهو ﷺ مأمور بقتال الكفّار والمنافقين الذين هم أشدّ كفراً ونفاقاً وفسقاً وبما أنّه أمر عليّاً وبعض الصحابة الذين سمعوا منه الحديث بقتال هذه الفرق الثلاث فنحكم انطلاقاً من القرآن على هذه الطوائف بالضلال والكفر والنفاق ومأواهم جهنّم وبئس المصير، ومن

---

(١) كفاية الطالب باب ٣٧ وكنز العمّال ج٦ ص١٥٤ وكنوز الحقائق ص١٦١.

(٢) كفاية الطالب باب ٣٧ ومثله في أُسد الغابة ج٤ ص٣٣ ط: مصر، وذكره الحاكم النيسابوري في المستدرك أيضاً، والمناقب للخوارزمي ص١٢٢، الفصل الثالث، ط: النجف.

(٣) أُسد الغابة ج٤ ص٣٣ ط مصر وقوله ﷺ له عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين / شرح النهج ج١ ص٢٠١ دار إحياء الكتب العربية.

(٤) التوبة: ٧٣.

الخطأ أن يُطلق عليهم اسم المسلمين وإلّا فهم ليسوا بمسلمين، كيف وقد أمر النبيّ ﷺ بقتالهم. ومن جهة ثانية فقد صرّح النبيّ ﷺ باتّفاق وإجماع المسلمين كلّهم أنّه وصف فرقة معاوية بالبغي، ومعلوم أنّ القرآن يأمرنا بقتال أهل البغي، بل أمرنا بقتال الفرقة الباغية وإن كانت متسمّية بالإسلام[1].

سؤال: ما هو هذا الخبر الذي وصف من خلاله فرقة معاوية بالبغي؟

الجواب: نعم، هو خبر متواتر عند المسلمين بلا أدنى خلاف انّه ﷺ قال لعمّار بن ياسر: ستقتلك الفئة الباغية وأنت من أهل الجنّة[2]. ذكره الحاكم في

---

(١) أقول: قال ابن أبي الحديد: وأمّا أصحاب صفّين فإنّهم عند أصحابنا رحمهم الله مخلّدون في النار لفسقهم فصحّ فيهم قوله تعالى: ﴿وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً﴾ شرح النهج ج١ ص٢٠١ دار إحياء الكتب العربية /المترجم.

(٢) كنز العمّال ج١١ ص٧٢٢ رقم ٣٣٥٣١ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٣٣ وشذرات الذهب ج١ ص٤٥ وسنن ابن ماجة ج١ ص٥٢ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٥١ ومرآة الجنان ج١ ص١٠٠ والكامل ج٣ ص١٨٧.

وامتاز عمّار بصموده على الحقّ وتحمّل الأذى والبلاء في سبيل ذلك من مكّة إلى المدينة وهكذا بعد رحيل النبيّ ﷺ استقام عمّار في متابعة أهل البيت وفي طليعتهم أمير المؤمنين علي عليه السلام فكان عمّار كامل الإخلاص في ولائه له حتّى قال عنه رسول الله ﷺ: إنّ عمّاراً مع الحقّ والحقّ معه، ذكره ابن سعد في الطبقات ج٣ ص١٨٧، واشترك عمّار في حرب صفّين وله من العمر أكثر من تسعين عاماً وهو شديد الاستقامة لم يشك في إيمانه قط وكان يقول: والله لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمتُ أنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل / الكامل ج٣ ص١٨٦ وكان يقول:

اليوم ألقى الأحبّه ... محمّداً وحزبه

وكان يقول: قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ وهذه الرابعة ما هي بأبرّ ←

المستدرك وفي تلخيصه وابن حجر في الإصابة وابن الأثير في أُسد الغابة والاستيعاب وشرح نهج البلاغة والملل والنحل لابن حزم وطبقات ابن سعد وكنز العمّال وتاريخ ابن كثير وسيرة ابن هشام وتاريخ الطبري والكامل وينابيع المودّة وغيرهم.

وعلّق ابن عبد البرّ في الاستيعاب على هذا الحديث بقوله: وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوّته ﷺ وهو من أصحّ الأحاديث.

حتّى قال عمارة بن خزيمة بن ثابت: أنا لا أضلّ أبداً بقتل عمّار فانظروا من يقتله فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتلك الفئة الباغية فلمّا قُتل عمّار، قال خزيمة قد حانت له ـ للقاتل ـ الضلالة ثمّ اقترب وكان الذي قتل عمّار أبو غادية المزني طعنه بالرمح فسقط فقاتل حتّى قُتل وكان يؤمئذٍ يقاتل وهو ابن أربع وتسعين[1].

اضطراب العسكر بسبب وجود عمّار

وبعدما انتشر خبر حديث رسول الله ﷺ في عمّار والكلّ كان يتطلّع إلى

← وأتقى / المصدر نفسه، وكان يرتجز قائلاً:

نحن ضربناكم علىٰ تنزيله ... فاليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحقّ إلى سبيله

ومن أكبر الأدلّة على استشهاد عمّار وأنّه من جملة الشهداء وأنّ حرب صفّين كانت حرب الحقّ المتمثّل بجانب عليّ عليه السلام ضدّ الباطل والكفر المتمثّل بمعاوية هو أنّ أمير المؤمنين لم يغسل عمّاراً بل دفنه بملابسه ودمائه بعد أن صلّى عليه / تاريخ بغداد ج١ ص١٥١ وص١٥٣ / المؤلّف.

(١) المستدرك ج٣ ص٢٢٩ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م، وقريب منه في مناقب الخوارزمي ص١٢٣.

وجود عمّار، فلمّا شاهدوه مع عليّ عليه السلام حصل الشك والاضطراب فخرج الحصين بن مالك والحارث بن عوف فذهب أحدهما إلى حمص والآخر إلى مصر، وخرج بعضهم إلى جهة أمير المؤمنين عليه السلام كعبد الله بن عمر العنسي[١] عندما سمع الحوار بين عمّار وعمرو بن العاص وعرف الحقّ بعدما طرق مسامعه حديث الفئة الباغية فانطلق إلى جهة الحقّ المتمثّل بعلي المرتضىٰ عليه السلام، وكان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمّار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ما هذا ويحك يا عمرو فيقول عمرو: إنّه ـ عمّار ـ سيرجع إلينا فقُتل ذو الكلاع قبل عمّار[٢]، وكان عبدالله بن عمر العنسي قد أرسل إلى ذي الكلاع أشعاراً منها:

ياذا الكلاع فدع لي معشراً كفروا	أو لا فدتك عين فيه تعزير
ما في مقال رسول الله في رجلٍ	شكٌّ ولا في مقال الرسل تخيير

تأويل مضحك للحديث

وبعد استشهاد عمّار دخل الشك والريب في قلوب بعض جيش معاوية منهم عبدالله بن عمرو بن العاص فقال لأبيه معترضاً: يا أبتِ قتلتم هذا الرجل ـ عمّار ـ في يومكم هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قاله، قال: وما قال؟ قال: ألم يكن المسلمون ينقلون في بناء مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لبنة لبنة وعمّار لبنتين لبنتين

---

(١) كان عابداً زاهداً شجاعاً في الشام / انظر تاريخ ابن أعثم الكوفي ص٢٤٢.

(٢) الكامل ج٣ ص١٨٧ ولمّا قُتل ذو الكلاع قال عمرو بن العاص: ما أدري بقتل أيّهما أنا أشدّ فرحاً بقتل عمّار أو بقتل ذي الكلاع والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمّار لمال بعامّة أهل الشام إلى علي».

فغشي عليه فأتاه رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: ويحك يابن سمية الناس ينقلون لبنة لبنة وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبةً في الأجر وأنت ذلك تقتلك الفئة الباغية، فقال عمرو لمعاوية: أما تسمع ما يقول عبدالله؟ قال: وما يقول؟ فأخبره فقال معاوية: أنحن قتلناه؟ إنّما قتله مَن جاء به، فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنّما قتل عمّاراً مَن جاء به[1]، ولمّا وصلت هذه الأخبار إلى مسامع أمير المؤمنين عليه السلام قال: إذاً قتل رسول الله حمزة لأنّه أخرجه[2] وهو إلزام لا جواب عنه وحجّة لا اعتراض عليها[3].

سؤال: هل تسمح لي بسؤال حتّى ترتفع عنّي هذه الشبهة؟

الجواب: لكم المجال في أيّ موقع تحبّون أن تسألوا لرفع الشبهة فاسألوا دون أي تردّد.

سؤال: المعروف أنّ معاوية كان عاقلاً ذكيّاً فكيف يعقل أنّه يتكلّم بكلام يُضحك السامع، إذ بين القاتل وبين مَن يدعو أو يأمر الإنسان إلى ميدان القتال فرق كبير، فكيف أوّلَ معاوية العاقل حديث النبي ﷺ؟ إنّه تأويل عجيب!!

الجواب: **أوّلاً**: لم يكن معاوية كما وصفتَ، لأنّ العقل ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أصل الإنسان لبّه وعقله ودينه ومروّته، وهذه الأوصاف كلّها لانجدها عند معاوية، فليس ما فيه من ذلك العقل[4].

وثانياً: قلنا سابقاً إنّه من دهاة العرب الذين كانوا يمارسون ذكاءهم المتوقّد

---

(١) الكامل ج٣ ص١٨٨.

(٢ و٣) شذرات الذهب ج١ ص٤٥.

(٤) سئل الإمام الصادق عليه السلام: ما العقل؟ فقال: ما عُبد به الرحمن، واكتسب به الجنان. فسأله الراوي: فالذي كان في معاوية [أي ماهو؟] فقال عليه السلام: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل. راجع أصول الكافي، كتاب العقل والجهل، ج١، ح٣ / ١١ ط: الدار الإسلامية / المترجم.

في الدجل والمكر والتزوير والاحتيال وقتل الناس وتبرير الجريمة والخطأ وما إلى ذلك، دون أن يكون لديهم أدنى توجّه إلى رضا الله تعالى ورسوله ﷺ، بل لا يوجد لديهم أيّ توجّه نحو العمل الصالح، وإنّما كان هدفهم المُلك والرئاسة فكانوا يعملون أيّ شيء من أجل ذلك، مع أنّ هذا الملك قد ينتهي بعد أيّام قلائل ويزول عنهم ولو كانوا أصحاب عقول لما فعلوا ذلك ولأدركوا أنّه تفكير خاطئ.

ولذلك فإنّ الإطّلاع على أفعالهم يؤكّد لك أنّهم كانوا يُسخِّرون الدين لأجل أغراضهم الخبيثة فقد وصلت بهم الحالة أن يتّخذوا القرآن العظيم وسيلة وألعوبة لحفظ مناصبهم ومراكزهم وذلك عندما رفعوا المصاحف على الرماح بعدما أراقوا دماء عشرات الآلاف من البشر.

مرور علىٰ واقعة صفّين

ذكر أرباب التواريخ أنّ حرب صفّين استمرّت أربعة عشر شهراً كان قوام جيش أمير المؤمنين (١٢٠/٠٠٠) وكان قوام جيش معاوية (١٥٠/٠٠٠) وقتل خلالها (٩٠/٠٠٠) من جيش البغي والتحقوا بالنار بينما استُشهد من جيش الحقّ (٢٠/٠٠٠) من أهل العراق[1]، ومن هؤلاء كان خمسة وعشرون من صحابة رسول الله ﷺ نالوا شرف الشهادة مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام خلال هذه الفترة يبعث الرسائل والرُّسل إلى معاوية يدعوه إلى الطاعة وترك الحرب والإذعان للحقّ والقرآن، ولكن استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله.

حتّى جاء اليوم الذي وقف الطرفان بعضهم مقابل بعض وذلك في العاشر

---

(١) مروج الذهب ج٢ ص٣٩٣ دار الأندلس بيروت.

من صفر عام ٣٨هـ. فخرج أمير المؤمنين وهو يرتدي ملابس الحرب التي كان يرتديها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويركب فرس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً ويحمل رايته ثمّ أخذ بالوعظ والإرشاد ودعوة الناس إلى التي هي أحسن ...[١].

بعدها قام الأشتر خطيباً فقال: «الحمد لله الذي جعل فيكم ابن عمّ نبيّكم أقدمهم هجرة وأوّلهم إسلاماً، سيفٌ من سيوف الله، صبّه على أعدائه فانظروا إذا حمى الوطيس، وثار القتال وتكسّر المران وجالت الخيل بالأبطال فلا أسمع إلّا غمغمة أو همهمة»[٢].

ثمّ تقدّم أمير المؤمنين وعلىٰ يمينه مالك الأشتر البطل المخلّد وعن شماله ابن عبّاس وقد نشر أمير المؤمنين عليه السلام راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأوّل مرّة وقال للأشتر مخاطباً إيّاه: عندما دنت الوفاة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي: يا أبا الحسن إنّك لتحارب الناكثين والقاسطين والمارقين وأيّ تعب ونصب يصيبك من أهل الشام فاصبر على ما أصابك إنّ الله مع الصابرين[٣].

ليلة الهرير

وهي من أقسى ليالي الحرب وأشهرها في التاريخ حيث استمرّ القتال فيها من النهار إلى الليل ثمّ إلى مطلع الفجر بلا توقّف ولا استراحة فاقتتل الناس تلك الليلة كلّها إلى الصباح فتطاعنوا حتّى تقصّعت الرماح وتراموا حتّى نفد النبل وأخذوا السيوف وعليّ عليه السلام يسير فيما بين الميمنة والميسرة ويأمر كلّ كتيبة أن

---

(١) ذكر المؤلّف بعض كلام أمير المؤمنين عليه السلام وقد تركناه رعايةً للاختصار وهو موجود في الكتب الخاصّة التي تناولت هذه الحادثة.

(٢) ينابيع المودة ج١ ص١٥٥ ط: الأولى في استانبول.

(٣) الفصول المهمة ص٩٤.

تقدم على التي تليها فلم يزل يفعل ذلك حتّى أصبح والمعركة كلّها خلف ظهره!! وكان الأشتر في الميمنة وابن عبّاس في الميسرة وأمير المؤمنين في القلب والناس يقتتلون من كلّ جانب، وكان أمير المؤمنين عليه السلام كلّما قتل واحداً كبّر (الله أكبر) ليزيد من معنويات جيشه حتّى عدّت تكبيراته فكانت خمسمائة تكبيرة[1].

وقد ذكر ابن أعثم الكوفي في تاريخه أنّ المقتولين في ليلة الهرير فقط كانوا (٣٦٠٠٠) من الطرفين، (٤٠٠٠) من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والبقيّة من جيش البغي، ولمّا ارتفعت الشمس ارتفع النصر يلوح لأمير المؤمنين عليه السلام ووصلت طلائع جيشه إلى أواخر جيش معاوية وحسم الموقف وكاد أن ينتهي أهل الشام ومعاوية معهم.

مكر ابن العاص في رفع المصاحف

ولمّا اشتدّ الأمر على معاوية وأفراده وعرفوا أنّ النهاية قد دنت منهم جاء عمرو بن العاص إلى معاوية وقال له: هل لك في أمرٍ أعرضه عليك لا يزيدنا إلّا اجتماعاً ولا يزيدهم إلّا فرقة؟ قال: نعم، قال: نرفع المصاحف، ثمّ نقول: لما فيها هذا بيننا وبينكم فإن أبىٰ بعضهم أن يقبلها وجدتَ فيهم مَن يقول ينبغي لنا أن نقبل فتكون فُرقة بينهم وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنّا إلى أجلٍ!![2]

فرفعوا المصاحف وكانت أكثر من (٥٠٠) مصحف وكان من جملة هذه

---

(١) مروج الذهب، ج٢ ص ٣٨٩، ط: دار الأندلس ١٩٦٥، وينابيع المودة للقندوزي ج١ ص١٥٥ ط: الأولى في استانبول.

(٢) الكامل ج٣ ص١٩٢.

المصاحف وفي مقدّمتها مصحف مكتوب بخطّ عثمان يمسكه عشرة رهط[١] فرفعوها وقالوا: هذا كتاب الله عزّوجلّ بيننا وبينكم[٢].

فافترق جيش أمير المؤمنين إلى مجيب إلى وقف القتال وإلى مخالف، فكان الأشعث بن قيس وزملاؤه المنافقون أوّل مَن دعا إلى وقف القتال وقالوا: نجيب إلى كتاب الله عزّوجلّ ونُنيب إليه.

أمير المؤمنين يحاول أن يكشف اللعبة

ولمّا رفع بعض أصحاب الإمام عليّ عليه السلام أيديهم عن القتال قال لهم عليه السلام: «عباد الله امضوا على حقّكم وصدقكم وقتال عدوّكم فإنّ معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيباً وابن أبي سرح والضحّاك (بن قيس) ليسوا بأصحاب دين وقرآن، أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالاً ثمّ رجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال ويحكم والله ما رفعوها إلّا خديعة ووهناً ومكيدة (كلمة حقٍّ يُراد بها باطل)[٣].

فقال الأشعث بن قيس الكندي وشقيق بن ثور البكري وسفيان بن ثور البكري وبكر بن وائل وجماعة آخرين ممّن انطلت عليهم هذه الخدعة أو نافقوا وداهنوا في تلك اللحظات: لا يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله. فقال لهم أمير المؤمنين: فإنّي إنّما أُقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب، وأخذ أمير المؤمنين يوضّح لهم أنّها لعبة وخديعة اصطنعها ابن العاص لدفع الموت والخسارة عنه وعن معاوية بعد أن بانت طلائع النصر، إلّا أنّ القوم أصرّوا في

---

(١) شرح النهج ج٢ ص٢١٢ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) الكامل ج٣ ص١٩٢.

(٣) الكامل ج٣ ص١٩٣ وشرح نهج البلاغة ج٢ ص٢١٦ دار إحياء الكتب العربية.

المخالفة، ثمّ تكلّم كبراء أصحاب عليّ عليه السلام مثل عدي بن حاتم الطائي وعمرو بن الحمق الكوفي وسعيد بن قيس الهمداني وكردوس بن هاني البكري فتكلّموا مع القوم وحصلت بعض المشادّات الكلامية والمشاجرات إلّا أنّ مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن الحصين انفصلوا بعشرين ألف مقاتل مقنّعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد اسودّت جباههم من السجود يتقدّمهم مسعر وزيد فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين بكلّ وقاحة وجرأة: يا علي أجب إلى كتاب الله عزّوجلّ إذ دُعيت إليه وإلّا دفعناك برمّتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفّان، فقال لهم: ويحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله وأوّل من أجاب إليه وليس يحلّ لي ولا يسعني في ديني أن أُدعى إلى كتاب الله فلا أقبله إنّي إنّما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن فإنّهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ولكنّي قد أعلمتكم انّهم قد كادوكم وأنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون. فقالوا: ابعث إلى الأشتر وقد كان أشرف على عسكر معاوية ليدخله فأرسل الإمام عليه السلام يزيد بن هاني فذهب إليه وقال له الأشتر: ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفي إنّي قد رجوت أن يفتح الله لي، فعاد يزيد فأخبره بمقالة الأشتر فارتفع الرهج من الخوارج واتّهموا علياً أنّه هو الذي أرسله بمواصلة الحرب فأرسل الإمام يزيد مرّة ثانية فجاءه يزيد وقال له: أقبل فإنّ الفتنة قد وقعت. فقال الأشتر: ألرفع المصاحف؟ قال: نعم، قال: والله لقد ظننت أنّها ستوقع اختلافاً وفُرقة، إنّها مشورة ابن العاهر، ألا ترى إلى الفتح؟ ألا ترى ما يلقون؟ ألا ترى ما صنع الله لنا؟ لن ينبغي أن أدع هؤلاء، وانصرف عنهم فقال له يزيد: أتحبّ أن تظفر وأمير المؤمنين يُسلَّم إلى عدوّه أو يُقتل؟ قال: لا والله[1].

---

(١) الكامل ج٣ ص١٩٣ وشرح النهج ج٢ ص٢١٧ دار إحياء الكتب العربية.

وكان مالك شديد الولاء والطاعة لأمير المؤمنين فترك الحرب وعاد إلى أمير المؤمنين عليه السلام وتوجّه إلى الأشعث وأسمعه كلاماً خشناً وردّ عليه الأشعث بمثله حتّى أمره الإمام بالسكوت.

رسالة معاوية إلى أمير المؤمنين

ولمّا نجحت لعبة ابن العاص وآتت ثمارها فرح معاوية أشدّ الفرح وهكذا ابن العاص وأراد معاوية أن يُظهر نفسه أمام هؤلاء البسطاء بمظهر الحريص على الإسلام فأرسل إلى أمير المؤمنين رسالة يدعوه فيها إلى التحكيم جاء فيها «أن يحكم بيننا وبينكم حكمان مرضيّان أحدهما من أصحابي والآخر من أصحابك فيحكما بما في كتاب الله بيننا فإنّه خيرٌ لي ولك وأقطع لهذه الفتنة»(١)، ولمّا عرف الخوارج بذلك رفعوا أصواتهم بالتأييد، فأرسل إليه أمير المؤمنين عليه السلام رسالة جاء فيها:

«إنّك قد دعوتني إلى حكم القرآن ولقد علمتُ أنّك لستَ من أهل القرآن ولستَ حكمه تريد والله المستعان وقد أجبنا القرآن إلى حكمه ولسنا إيّاك أجبنا ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضلّ ضلالاً بعيداً»(٢).

ثمّ ضغطت جماعة ـ الخوارج ـ على أمير المؤمنين بقبول التحكيم واختاروا أبا موسى الأشعري بينما اقترح عليهم الإمام مالك الأشتر أو ابن عبّاس إلّا انّهم رفضوا وأصرّوا على أبي موسىٰ مع تحذير الإمام علي عليه السلام لهم، بعدها قال عليه السلام: «ألا إنّي كنتُ أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً وكنت ناهياً فأصبحت منهيّاً؟ وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون»!!

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٢ ص٢٢٥ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) المصدر نفسه.

التحكيم بين الفريقين

بعدها بعث معاوية بعض القرّاء من أهل الشام وبعث أمير المؤمنين عليه السلام بعض القرّاء من أهل العراق فاجتمعوا وتدارسوا ـ بعيداً عن العقل والرشد والهدىٰ وإنّما دفعتهم العصبية وقادهم الجهل ـ ثمّ اختار أهل الشام عمرو بن العاص حكماً منهم واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، وقد مارس الأشعث بن قيس الإصرار على ذلك كاشفاً عن نواياه الخبيثة ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام فقال لهم الإمام عليه السلام: فإنّه ـ أبا موسىٰ ـ ليس لي برضاً وقد فارقني وخذّل الناس عنّي وهرب منّي حتّى أمنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عبّاس أولّيه ذلك، فلم يقبلوا... ثمّ قال لهم: إنّ معاوية لم يكن ليضع هذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وإنّه لا يصلح للقرشي إلّا مثله فعليكم بعبدالله بن عبّاس فارموه به فإنّ عمراً لا يعقد عقدة إلّا حلّها عبدالله ولا يحلّ عقدةً إلّا عقدها ولا يُبرم أمراً إلّا نقضه... فامتنعوا[1]، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: فإنّكم قد عصيتموني في أوّل الأمر فلا تعصوني الآن إنّي لا أرى أن أولّي أبا موسىٰ، ثمّ اقترح عليهم الأشتر فرفضوا، وكلّما استخدم معهم المنطق وعرض عليهم العقل وطلب منهم التعقّل والتدبّر ما كانوا ليرضوا بذلك أبداً.

وأخيراً لم يجد أمير المؤمنين أيّ نافذة إلى عقولهم إذ لم تبق لهم قبليّتهم أي مجال للتأمّل أو الامتثال لقائدهم العظيم بل انساقوا وراء الغوغاء.

سؤال: إذن يُعلم من ذلك أنّ شيعة أمير المؤمنين قد اتّفقوا علىٰ موضوع تحكيم أبي موسى الأشعري ورضوا به أخيراً.

الجواب: لا أيّها السادة لم يحصل اتّفاق ولا رضا بأبي موسى الأشعري

(١) المصدر السابق ص٢٢٨.

وإنّما فرضه إصرار الأشعث بن قيس وجماعته المنافقين الذين صاروا فرقة الخوارج فيما بعد، وهؤلاء مجموعة من قرّاء القرآن الذين لا يبلغ القرآن تراقيهم وإنّما هم كتلة من المغفّلين البسطاء، وأمّا بقيّة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فإنّهم لم يرضوا بأبي موسى لا سيّما ابن عبّاس ومالك الأشتر والأحنف بن قيس ومنذر بن جارود والطرماح بن عدي وعبدالله بن الحارث الطائي ورفاعة بن شدّاد وعمرو بن الحمق وكردوس بن هاني البكري وشفيق بن ثور وحريث بن جابر وصعصعة بن صوحان العبدي والحارث بن مرّة وشريح بن هاني المذحجي وزجر بن قيس الجعفي وسهل بن حنيف وعبدالله بن حبّاب وخالد بن معمر والحصين بن المنذر وغيرهم جمٌّ غفير كلّهم كانوا مع أمير المؤمنين عليه السلام وقد صرّحوا أثناء خطاباتهم ومحاججاتهم أنّهم ملتزمون ببيعة الإمام وانّه خليفة المسلمين ووصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحتاج الأمر إلى تنصيب حكم ولا إلى أي تحكيم[1]. ولكن لمّا عزم الأشعث لعنه الله على المواجهة مع أمير المؤمنين وإشعال فتيل الحرب مع عشرين ألف مقاتل معه، لأجل ذلك استجاب الإمام وبقيّة الأصحاب إخماداً للفتنة.

سؤال: قلتم إنّ أكثر الأصحاب كان رأيهم مع أمير المؤمنين عليه السلام فلماذا لم يقاتلوا هؤلاء الجماعة ويمنعونهم؟

الجواب: كان إعلان الحرب ضدّ هؤلاء سهلاً يسيراً من قِبل الإمام أو جماعته ولكن في تلك الفترة لم تكن الحرب موافقة للحكمة إذ سيُقال إنّ عليّاً استفاد واستخدم رجاله ما داموا موافقين لرأيه ولكن بمجرّد أن خالفوه في الرأي قتلهم، ولذلك صبر أمير المؤمنين عليه السلام وأعلن لهم عدم رضاه عن التحكيم[2].

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٠.

(٢) ذكر المؤلّف في متن الكتاب بعض الأمور المرتبطة بقضايا صفّين ورأينا أن

سؤال: لقد تكرّر منك ذكر الأشعث بن قيس وأنّه من المنافقين، فهل بالإمكان أن تذكروا لنا بعض سيرته وحالاته لنتعرّف عليه؟

مقتطفات من سيرة الأشعث بن قيس

الجواب:

هو الأشعث[1] بن قيس اسمه معدي كرب الكندي أسلم عام ١٠هـ وأسلم

← نذكرها في الهامش لعدم الترابط بينها وبين ما ذكره سابقاً ولاحقاً؛ منها: أنّ معاوية بعث كتاباً إلى أيمن بن خزيم وكان رجلاً عابداً مجتهداً وقد كان معاوية جعل له فلسطين على أن يتابعه ويشايعه علىٰ قتال عليﷺ فقال أيمن وبعث بها إليه:

ولست مقاتلاً رجلاً يصلّي ... علىٰ سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعليَّ إثمي ... معاذ الله من سفهٍ وطيشِ
أأقتلُ مسلماً في غير جرم ... فليس بنافعي ما عشتُ عيشي

انظر المصدر السابق ص٢٣٢.

وكذلك ذكر قصّة بعث معاوية حلوىٰ مخلوطة بالزعفران إلى أبي الأسود الدؤلي كمحاولة منه لصدّ أبي الأسود عن مشايعة الإمام عليّﷺ وكان لأبي الأسود بنت صغيرة فرحت بالحلوى وأرادت أن تأكل منها فقال لها والدها: إنّ معاوية يريد أن يخدعنا بهذه الحلوىٰ ويصدّنا عن أمير المؤمنينﷺ فلفظتها الفتاة الصغيرة وأنشدت:

أبالشهد المزعفر يابن هند ... نبيع عليك إيماناً ودينا
معاذ الله كيف يكون هذا ... ومولانا أمير المؤمنينا

فكتبها أبو الأسود في رسالة وبعثها إلى معاوية.

وأمام هؤلاء المخلصين يقف على الضدّ والنقيض المنافقون أمثال الأشعث بن قيس صاحب الفتنة / المؤلّف.

(١) كان الأشعث أبداً أشعث الرأس فسمّي بذلك وغلب عليه حتّى نُسي اسمه.

معه ستّون أو سبعون رجلاً من بني كندة، ثمّ ارتدّ بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فبعث إليه أبو بكر جيشاً وانكسرت شوكته وجيء به أسيراً إلى المدينة فعفا عنه أبو بكر، ثمّ زوّجه أُخته أمّ فروة فأنجبت للأشعث ثلاثة أولاد هم محمّد وإسماعيل وإسحاق[١] وبنتاً واحدة هي جعدة.

فأمّا محمّد بن الأشعث، فقد تعاون مع عبيدالله بن زياد ـ لعنهما الله ـ لقتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب سفير الإمام الحسين عليه السلام، كما اشترك في واقعة كربلاء ضدّ الإمام السبط الحسين عليه السلام وحضر الميدان واشترك في الحرب.

وأمّا جعدة فهي زوجة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام وهي التي سمّته وقتلته كما تقدّم ذلك.

وأمّا الأشعث فقد كان يبغض عليّاً عليه السلام ويكنّ له أشدّ الحقد. ولو دققتم لرأيتم في حرب صفّين أمراً عجيباً وهو انّه لمّا أشرفت الحرب على النهاية وبدت طلائع النصر لأمير المؤمنين عليه السلام وأراد معاوية الفرار من الحرب، وقف الأشعث موقفاً غيّر مجرى الأحداث إذ أصرّ مع جماعته على ضرورة التحكيم وإيقاف القتال وبالتالي هو قد أعطىٰ فرصة كافية لمعاوية لأن يعيد شتاته.

نعم، اشترك الأشعث مع أمير المؤمنين ضدّ معاوية ولكنّه كان يمثّل العدوّ الداخلي لأمير المؤمنين وهو يعني الطابور الخامس لصالح معاوية بدليل ما تقدّم.

ولذلك لعنه أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك ابن حائك منافق ابن كافر[٢]. وقد جاء مثل هذا اللعن في قوله تعالى: ﴿إنّ

---

(١) شرح النهج ج١ ص٢٩٦.

(٢) خطبة رقم ١٩ من شرح النهج ج١ ص٢٩١.

الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدىٰ من بعدما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾[١].

وقال شارح النهج ابن أبي الحديد: وكان الأشعث من المنافقين في خلافة عليّ عليه السلام وهو في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما كان عبدالله بن أبي بن سلول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ واحد منهما رأس النفاق في زمانه[٢].

وقال في موقع آخر: كلّ فساد كان في خلافة عليّ عليه السلام وكلّ اضطراب حدث فأصله الأشعث[٣].

وقد أغرى الأشعث عبدالله بن قيس الأشعري المعروف بأبي موسى الأشعري ودفعه إلى التحكيم وكان الأخير مثل الأشعث في نصبه وعدائه لأمير المؤمنين كما تقدّم بعض الكلام عنه.

بين الحديبية وقضيّة التحكيم في صفّين

وقد ذكر المؤرّخون أنّه لمّا حضر الإمام علي عليه السلام ومعاوية للتوقيع على معاهدة الصلح كتب عبدالله بن أبي رافع وهو كاتب أمير المؤمنين: هذا ما تقاضىٰ عليه عليّ أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت أنّه أمير المؤمنين ثمّ قاتلته! وقال عمرو: بل نكتب اسمه واسم أبيه، فطلبوا منه أن يمحي اسم (أمير المؤمنين) فامتنع عبدالله فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله أكبر سُنّة بسُنّة ومثل بمثل إنّ هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتب الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) البقرة: ١٥٩.

(٢) المصدر السابق ص٢٩٧ دار إحياء الكتب العربية.

(٣) المصدر ج٢ ص٢٧٩ دار إحياء الكتب العربية.

وسهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو أعلم أنّك رسول الله لم أُقاتلك ولم أُخالفك، إنّي إذاً لظالم لك إن منعتك أن تطوف ببيت الله الحرام وأنت رسوله ولكن اكتب من محمّد بن عبدالله، فقال لي رسول الله ﷺ: يا علي انّي لرسول الله وأنا محمّد بن عبدالله ولن يمحو عنّي الرسالة كتابي لهم من محمّد بن عبدالله فاكتبها وامح ما أراد محوه، أما أنّ لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد، إنّ ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين واليوم أكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم شبهاً ومثلاً[1]، وكان الأشعث يضغط على عبدالله بن أبي رافع أن يمحو هذا الاسم المبارك[2]. عندها قال عمرو بن العاص لأمير المؤمنين: سبحان الله أتشبّهنا بالكفّار ونحن مسلمون؟ فقال الإمام عليه السلام: يابن النابغة ومتىٰ لم تكن للفاسقين وليّاً وللمؤمنين عدوّاً؟[3]

وهذا تصريح لا غبار عليه في خروج عمرو بن العاص من الإسلام والإيمان، بل وأشدّ من ذلك ما قاله أمير المؤمنين في كفر معاوية وأتباعه كلّهم حيث قالوا له: أتقرّ أنّهم مؤمنون ومسلمون؟ فقال عليه السلام: ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه أنّهم مؤمنون ولا مسلمون ولكن يكتب معاوية ما يشاء ويقرّ بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمّي نفسه بما شاء وأصحابه[4].

توريط أبي موسى الأشعري

ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام بعث أربعمائة رجل عليهم شريح بن هاني ومعه عبدالله بن عبّاس يصلّي بهم ومعهم أبو موسى الأشعري، وبعث معاوية عمرو بن العاص

---

(١) شرح النهج ج٢ ص٢٣٢ والكامل ج٣ ص١٩٥.

(٢) الكامل ج٣ ص١٩٥.

(٣) الكامل ج٣ ص١٩٥ وشرح النهج ج٢ ص٢٣٣ دار إحياء الكتب العربية.

(٤) شرح النهج ج٢ ص٢٣٣ دار إحياء الكتب العربية.

في أربعمائة[١]، فالتقىٰ أبو موسىٰ بعمرو وحاول الأخير إبراز الاحترام المصطنع له والاطمئنان من جانبه وكسبه إلى جهته، مع أنّ عمراً أشهر من أبي موسىٰ بين العرب فلمّا اختلىٰ به عرض عليه أموالاً طائلة ووعوداً مغرية وواعده بالسلطان والولاية والإمارة ثمّ قال له: ألستَ تعلم أنّ عثمان قُتل مظلوماً؟ قال أبو موسىٰ: بلى، قال: فما يمنعك من معاوية وهو وليّ عثمان ثمّ إنّ بيت معاوية من قريش ما قد علمت فإن خشيت أن يقول الناس: ولي معاوية وليست له سابقة فإنّ لك حجّة أن تقول: وجدته وليّ عثمان الخليفة المظلوم، والطالب بدمه، الحسن السياسة، وهو أخو أُمّ حبيبة أُمّ المؤمنين وزوج النبيّ ﷺ، وقد صحبه، وهو أحد الصحابة ثمّ عرّض له بالسلطان فقال له: إن هو وليَّ الأمر أكرمك كرامة لم يكرمك أحدٌ قط مثلها، فقال أبو موسىٰ: اتّق الله يا عمرو أمّا ما ذكرت من شرف معاوية فإنّ هذا الأمر ليس على الشرف يولّاه أهله ولو كان على الشرف كان أحقّ الناس بهذا الأمر أبرهة بن الصباح، إنّما هو لأهل الدين والفضل مع أنّي لو كنت أعطيه أفضل قريش شرفاً لأعطيته عليّ بن أبي طالب، وأمّا قولك: إنّ معاوية وليّ عثمان فولّه هذا الأمر، فإنّي لم أكن أولّيه إيّاه لنسبته من عثمان وأدع المهاجرين الأوّلين، وأمّا تعريضك لي بالإمرة والسلطان فوالله لو خرج لي من

---

(١) المصدر ص٢٤٤.

ابن النابغة: فقد كانت النابغة أُمّ عمرو بن العاص أمة رجل من عنزة فسُبيت فاشتراها عبدالله بن جدعان فكانت بغياً ثمّ عُتقت ووقع عليها أبو لهب وأُميّة بن خلف وهشام بن المغيرة وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل في طهر واحد!! فولدت عمراً فادّعاه كلّهم فحكمت فيه أمّه فقالت: هو للعاص لأنّ العاص كان ينفق عليها وقالوا: كان أشبه بأبي سفيان وفي ذلك يقول أبو سفيان:

أبوك أبو سفيان لاشك قد بدت ... لنا فيك منه بيّنات الشمائل

انظر ربيع الأبرار للزمخشري ج٣ ص٥٥٠ / المؤلّف.

سلطانه ما ولّيته وما كنت أرتشي في الله[١]. وكان أبو موسىٰ يرغب في تنصيب عبدالله بن عمر بن الخطّاب لأنّه انزوىٰ عن الساحة السياسيّة ولم يشترك في الحرب[٢].

سؤال: عفواً سيّدي هل يُعدّ الانزواء والانعزال من شروط الخلافة ومن صفات الخليفة؟

الجواب: كان عليك أن توجّه هذا السؤال إلى أبي موسى الأحمق البليد، إذ لو كان الانعزال والانزواء وعدم الاشتراك في الحروب صفات الخليفة وكلّ من حارب ودخل معترك الصراع فهو لا يستحقّها لكان أكثر أنبياء الله العظام لا يستحقّون خلافة الأرض مثل داود وسليمان وموسىٰ ومحمّد صلوات الله عليهم أجمعين، بينما نجد العكس تماماً فقد أمرهم الله تعالى بالجهاد وقمع المعاندين واستئصال المشركين ومع ذلك هم خلفاؤه في أرضه وأحبّاؤه، إذ لم يمنع ذلك من كونهم خلفاء وقادة، وبهذا المستوىٰ كان يحارب رسول الله المشركين ويأمر أصحابه بالمقاومة والثبات والصبر في الحرب، وهو الذي دفع سيف ذي الفقار إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأمره أن يقاتل به فأراق به دماء المشركين من بني أُميّة وغيرهم[٣]، حتّى جاء معاوية بعد سنين طوال يحاول الانتقام والثأر لتلك الدماء النجسة والأرواح الخبيثة بذريعة (دم عثمان).

إذن الدخول في الصراع وإراقة دماء الكفّار والمنافقين ليس من الصفات

---

(١) شرح النهج ج٢ ص٢٥٢ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) لقد ذكر أكابر علماء المسلمين في أُحد نداء جبرئيل بين السماء والأرض (لا فتى إلّا علي ولا سيف إلّا ذو الفقار) تخليداً للموقف البطولي لأمير المؤمنين عليه السلام بعد أن فرّ كبار الصحابة بذرائع شتّىٰ / انظر المناقب للخوارزمي ص١٠٣

القبيحة بل هي من الصفات الحسنة التي تستحقّ المدح، لأنّ السيف هو الخيار الوحيد مع المعاندين والفاسدين لرفع فسادهم وحماقاتهم من الأرض وحماية الناس الأبرياء من شرّهم، ولكن هذا لا يعني أنّهم عليهم السلام رجال حرب فحسب، وإنّما الحرب هي آخر الخيارات، وعليه فإنّنا نرى النبيّ ﷺ طيلة وجوده في مكّة لم يمارس العنف حتّى في مجال الدفاع عن النفس وذلك دليل على نقاء وطهارة منهج الأنبياء، حتّى قال ﷺ: ما أُوذي نبيّ مثل ما أُوذيت.

ولكنّه بعد ١٣ عاماً مارس الحرب بعنوان الجهاد الدفاعي لحفظ الدين والأنفس واستئصال الكفر والشرك وقتل صناديد وأئمّة الكفر مثل أبي جهل وعتبة والوليد وغيرهم، وجاءت النصوص الشرعية المتظافرة لتقول إنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه.

سؤال: إذن لماذا تكلّم أبو موسىٰ بهذه الطريقة المخالفة لسنن المرسلين؟ فاعتبر عدم الاشتراك في الحرب صفة ممدوحة؟

الجواب: الجواب عند أهل التحقيق والتحليل في غاية السهولة لأنّه من الوضوح على درجة عالية، وذلك لأنّ أبا موسى من جملة الحاقدين والباغضين لأمير المؤمنين علي عليه السلام ولذلك فإنّه كان ينتظر مثل هذه الفرص التي تطيح بالإمام عليه السلام.

فمن أدلّة بغضه وسعيه الدؤوب ضدّ أمير المؤمنين ما فعله أثناء حرب الجمل، فإنّه كان عاملاً لأمير المؤمنين في الكوفة، وعندما توجّهت طلائع جيش الحقّ من صحابة الرسول ﷺ وغيرهم مع أمير المؤمنين عمل أبو موسى في البصرة على تثبيط عزائم الناس وأخذ يحذّرهم من مغبة الالتحاق بعليّ عليه السلام ويمنعهم بطريقة وأخرى.

فبعث إليه سهل بن حنيف رسالة من المدينة يدعوه فيها إلى دعوة الناس من أهل الكوفة باللحوق بإمامهم عليّ عليه السلام في البصرة، إلّا أنّ أبا موسى امتنع

فخرج هاشم بن عتبة المرقال إلى أمير المؤمنينعليه السلام فأخبره بأمر أبي موسىٰ فقالعليه السلام : لقد أردتُ عزله وسألني الأشتر أن أقرّه فردّ عليعليه السلام هاشماً إلى الكوفة وكتب إلى أبي موسىٰ: إنّي وجّهت هاشم بن عتبة ليُنهض مَن قبلك من المسلمين إليَّ فأشخِص الناس فإنّي لم أولّك الذي أنت به إلّا لتكون من أعواني على الحقّ. فدعا أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فقال له: ما ترىٰ؟ قال: أرى أن تتبع ما كتب به إليك، قال: لكنّي لا أرى ذلك!! ثمّ مزّق الكتاب وبعث إلى هاشم يخوّفه ويتوعّده بالسجن.

فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين: إنّي قد قدمت على رجلٍ غالٍ مشاق ظاهر الغلّ والشنآن!!

فبعث أمير المؤمنينعليه السلام ابنه الحسن مع عمّار بن ياسر إلى الكوفة يستنفران الناس وبعث كتاباً في عزل أبي موسىٰ كتب فيه: أمّا بعد فقد كنتُ أرى أن بعدك من هذا الأمر الذي لم يجعل الله عزّوجلّ لك منه نصيباً سيمنعك من ردّ أمري وقد بعثت الحسن بن علي وعمّار بن ياسر يستنفران الناس وبعثت قرظة بن كعب والياً على المصر فاعتزل عَمَلَنا مذموماً مدحوراً، فإن لم تفعل فإنّي قد أمرته أن ينابذك فإن نابذته فظفر بك أن يقطعك آراباً!![1]، وكان أمير المؤمنينعليه السلام من قبل قد بعث إليه محمّد بن أبي بكر ليستنهض الناس في الكوفة فلم يجبه أحد بعد أن مارس أبو موسىٰ فعلته الخبيثة في تثبيط عزائم الناس فكان أبو موسىٰ يقول للناس كلّما سألوه عن الخروج مع عليّعليه السلام : إنّما هما أمران القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا فاختاروا[2] فلا ينفر أحد،

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٣٥ ـ ٣٦ وجاء في مروج الذهب ج ٢ ص٣٥٩: اعتزل عملنا يابن الحائك مذموماً مدحوراً فما هذا أوّل يومنا منك وانّ لك فينا لهنّات وهنيات.

(٢) الكامل ج٣ ص١١٨ وجاء في المستدرك ج٤ ص٨٣ رقم ٤٦٦٠ دار المعرفة

ثمّ أرسل إليه الأشتر وابن عبّاس فكلّماه في استنهاض الناس إلّا أنّه كان يقول للناس: «وهذه فتنة صمّاء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خيرٌ من القاعد والقاعد خيرٌ من القائم والقائم خير من الراكب... فكونوا جرثومة من جراثيم العرب فأغمدوا السيوف...»[١] ثمّ أرسل الإمام ولده الحسن مع عمّار كما قلنا سابقاً.

بعدها قام الإمام الحسن عليه السلام وخطب في مسجد الكوفة وذكّرهم بمناقب أمير المؤمنين عليه السلام في أنّه أوّل مَن صلّى وصدّق بنبوّة الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وأنّه شارك معه في جميع غزواته ـ إلّا تبوك ـ يطلب في كلّ ذلك رضا الله، وأنّه الوحيد الذي تولّى غسل جثمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ساعدته الملائكة فيه وكان الفضل بن عبّاس يأتيه بالماء، وأنّه أنزل جسد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في قبره... وأنّ الناس أقبلت إليه بعد قتل عثمان إقبال الإبل إلى حياض الماء وأنّ طلحة والزبير أوّل مَن بايعه وهما أوّل من نكث حسداً وحقداً وطلباً للدنيا... فلمّا سمع الناس كلام الإمام الحسن عليه السلام قاموا معه إلى قتال أهل الجمل.

ومع ذلك كلّه واصل أبو موسى تثبيطه للناس ونهيه لهم عن الخروج مع أمير المؤمنين عليه السلام وهذا أكبر أدلّة بغضه وحقده لعليّ عليه السلام الذي لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق أو كافر.

فقام إليه عمّار وقال له: اسكت لا أمّ لك إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعليّ عليه السلام: بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[٢].

← بيروت ط عام ١٩٩٨م: عن الشعبي: خطب أبو موسىٰ وهو على الكوفة فنهى الناس عن القتال والدخول في الفتنة فعزله علي عليه السلام.

(١) المصدر السابق.

(٢) مرّت بعض مصادره، وانظر البحار ج٣٢ باب ٧ والمستدرك ج٤ ص١١٥ رقم

خطبة الإمام الحسن عليه السلام

ومن جملة ما قاله الإمام الحسن عليه السلام لأهل الكوفة: أيّها الناس قد كان من أمير المؤمنين عليه السلام ما يكفيكم جملته وقد أتيناكم مستنفرين لكم لأنّكم جبهة الأنصار وسنام العرب وقد نقضا طلحة والزبير بيعتهما وخرجا بعائشة وهي من النساء وضعف رأيهن كما قال الله تعالى: ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾ أما والله لئن لم تنصروه لينصرنّه الله يتبعه من المهاجرين والأنصار وسائر الناس فانصروا ربّكم ينصركم[1].

خطبة قيس بن سعد بن عبادة[2]

ثمّ قام سعد فقال: أيّها الناس انّ هذا الأمر لو استقبلنا به أهل الشورى لكان عليّ عليه السلام أحقّ الناس به لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان قتال من أبىٰ حلالاً فكيف بالحجّة على طلحة والزبير وقد بايعاه طوعاً ثمّ خلعا حسداً وبغياً وقد جاءكم عليّ عليه السلام في المهاجرين والأنصار[3].

كلام أبي موسى الأشعري

ولم يتحمّل أبو موسى الحاقد هذه الكلمات وهي تشيد بأمير المؤمنين عليه السلام فقام وقال: ... إنّ عليّاً إنّما يستنفركم لجهاد أمّكم عائشه وطلحة والزبير حواري رسول الله ومن معهم من المسلمين وأنا أعلم بهذه الفتنة أنّها إذا أقبلت شبهت

← ٤٧٣٠ دار المعرفة بيروت.

(١) الجمل ص١٣٢ للمفيد.

(٢) كان قيس من المخلصين في حبّه لأهل البيت عليهم السلام ثابت الإيمان / المؤلّف.

(٣) الجمل: ص١٣٣.

وإن أدبرت أسفرت وإنّ هذه الفتنة نافذة كداء البطن تجري بهما الشمال والجنوب..[(١)].

زيد بن صوحان[(٢)] يردّ على الأشعري

فقام زيد بن صوحان وكانت يده قُطعت يوم جلولاء أو القادسية وكان رسول الله ﷺ قد أخبر مسبقاً بقطع يده، حيث قال إنّها تسبقه إلى الجنّة[(٣)] قال زيد ردّاً على كلام أبي موسىٰ: يا أبا موسىٰ تريد أن ترد الفرات عن أدراجه، إنّه لا يرجع من حيث بدأ فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد، ويلك ﴿الٓمٓ أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون﴾ أيّها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين وأطيعوا ابن سيّد المرسلين ـ الإمام الحسن ـ وانفروا إليه أجمعون تصيبوا الحقّ وتظفروا بالرشد قد والله نصحتكم فاتّبعوا رأيي ترشدون[(٤)] ثمّ قام

---

(١) المصدر السابق.

(٢) يكنّى أبا سلمان وقيل أبو سليمان وهو أخو صعصعة وسيحان ابني صوحان، أسلم علىٰ عهد رسول الله ﷺ وكان قد أدرك النبيّ ﷺ وصحبه وكان فاضلاً ديّناً خيّراً سيّداً في قومه هو وإخوته، وروي من وجوه أنّ النبيّ ﷺ كان في مسيرة له إذ هوّم فجعل يقول: زيد وما زيدٌ فسُئل عن ذلك فقال: تسبقه يدهُ إلى الجنّة ثمّ يتبعها سائر جسده /أُسد الغابة ج٢ ص٣٦٣ رقم ١٨٤٨ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٤م، والإصابة برقم ١٩١٧، والاستيعاب برقم ٨٥٧ / المترجم.

(٣) مرّ مصدره.

(٤) كانت راية قبيلة عبد القيس في حرب الجمل بيد زيد بن صوحان وقد أُصيب في الحرب بعدّة جراحات بليغة أدّت إلى استشهاده فقال له أمير المؤمنين ﷺ: رحمك الله يا زيد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة، فقال زيد: وأنت فجزاك الله خيراً يا

←

بعده عبد خير وتكلّم راداً بكلامه علىٰ أبي موسىٰ ثمّ تكلّم عمّار وهيثم بن مجمع العامري وهند بن عمرو وغيرهم.

طرد أبي موسىٰ من قصر الإمارة

ومع إصرار أبي موسىٰ على عدم مساندة الإمام عليّ‏عليه‌السلام بل تثبيطه الناس، بعث أمير المؤمنين علي‏عليه‌السلام مالك الأشتر ليطرده من مكانه ويعزله بالقوّة، فانتهى الأشتر إلى قصر الإمارة فدخله وأبو موسى في المسجد يخطبهم ويثبطهم فأخرج الأشتر غلمان أبي موسىٰ من القصر فخرجوا يعدون وينادون: يا أبا موسىٰ هذا الأشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا، فنزل أبو موسىٰ فدخل القصر فصاح به الأشتر: أُخرج لا أُمّ لك أخرج الله نفسك فقال: أجلني هذه العشية، فقال: هي لك ولا تبيتن في القصر الليلة، ودخل الناس ينهبون متاع أبي موسىٰ فمنعهم الأشتر وقال: أنا له جار فكفّوا عنه فنفر الناس مع مالك لمحاربة جيش البصرة[1].

فمن جميع ذلك اتضّح من هو أبو موسى لديكم، وكم هو حجم الحقد والبغض الذي يكنّه ضدّ أمير المؤمنين‏عليه‌السلام فماذا تنتظرون أن يحكم هذا الرجل المنافق في موضوع التحكيم بعد حرب صفّين؟ بلا شكّ أنّه سيصدر حكماً لا يصبّ في مصلحة الإمام وشيعته بل سيسعى ـ أيضاً ـ إلى عزل الإمام‏عليه‌السلام لأنّها

← أمير المؤمنين فوالله ما عرفتك إلّا بالله عليماً وفي أمّ الكتاب عليّاً حكيماً وإنّ الله في صدرك لعظيم والله لم أُقاتل معك عن جهل وإنّما سمعت من أمّ سلمة أنّ رسول الله‏صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاده وانصر من نصره واخذل من خذله فكرهت أن أخذلك فيخذلني الله / المؤلّف.

(١) الكامل ج٣ ص١٢١.

فرصته الوحيدة للإطاحة بأمير المؤمنينعليه السلام وهذا ما حصل بالفعل، فليس الغباء (الذي تمثّل به أبو موسىٰ) هو السبب في موضوع التحكيم بل يضاف إليه البغض الذي تحمله فطرة أبي موسىٰ ضدّ الإمام عليّعليه السلام.

خداع عمرو لأبي موسىٰ

أما عمرو بن العاص فإنه قد وجد ضالّته في أبي موسى إذ عرف أنّه يحمل بين جنباته خبثاً وحقداً وبغضاً لعليّعليه السلام فسعى ليستغل منه هذا الجانب وهو القاسم المشترك بينهما فقال له: أنت تخلع صاحبك من الخلافة وأنا أخلع صاحبي منها أيضاً ونجعل الأمر شورىٰ، فوافق أبو موسىٰ وتقدّما إلى الناس وقال عمرو لأبي موسىٰ: يا أبا موسى أعلمهم أنّ رأينا قد اتّفق فقال أبو موسى: إنّ رأينا قد اتّفق على أمرٍ نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأُمّة فقال عمرو: صدق وبرّ تقدّم يا أبا موسىٰ فتكلّم، وأراد عمرو بذلك أن يقدّمه في خلع عليّ، فلمّا تقدّم أبو موسى ليتكلّم قال له ابن عبّاس: ويحك والله إنّي لأظنّه قد خدعك إن كنتما اتّفقتما على أمرٍ فقدِّمه فليتكلّم به قبلك ثمّ تكلّم به بعده فإنّه رجل غادر ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا بينكما فإذا قمت في الناس خالفك.

وكان أبو موسىٰ مغفّلاً ومبغضاً لعليّ أيضاً لا يضرّه الأمر كثيراً فقال: إنّا قد اتّفقنا وقال: أيّها الناس إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأُمّة فلم نرَ أصلح لأمرها ولا ألمّ لشعثها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية ويولّي الناس أمرهم مَن أحبّوا وإنّي خلعتُ عليّاً ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولّوا عليكم مَن رأيتموه أهلاً، ثمّ تنحّىٰ وقام عمرو فقال: إنّ هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبتُ صاحبي معاوية فإنّه وليّ ابن

عفّان والطالب بدمه وأحقّ الناس بمقامه[١].

وبرواية ابن أعثم الكوفي في تاريخه أنّ عمرو بن العاص خلع خاتمه من يده وقال: كما خلعت خاتمي هذا خلعت علياً!! ثمّ لبس خاتمه وقال أثبتُ معاوية. وما إن سمعه أبو موسىٰ حتّى أدرك أنّه مخدوع وكان عمرو طيلة هذه الفترة يضحك عليه ويخدعه فقال لعمرو: لا وفّقك الله غدرت وفجرت إنّما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فأجابه عمرو: إنّ مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً[٢] وكان تشبيهاً في موقعه المناسب لأنّه يحكي صفة الغباء في أبي موسىٰ، ثمّ تسابّا بينهما حتّى روى البعض انّهم تضاربا بالأيدي والأرجل.

ما بعد التحكيم

بعد ذلك غضب أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته ووجّهوا كلمات التأنيب والتحقير لأبي موسى المغفّل الحاقد، فكان يقول: فما أصنع وافقني على أمرٍ ثمّ نزع عنه. فقال ابن عبّاس: قبّح الله رأي أبي موسىٰ حذّرته وأمرته بالرأي فما عقل فكان أبو موسىٰ يقول: حذّرني ابن عبّاس غدرة الفاسق[٣].

فقالوا له: ألم ينصحك ابن عبّاس يا حمار الأشعرية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد علم حماقتك فلذلك كرهك للحكومة ولكنّه أُكره. فمن شدّة خجله وندامته ركب بعيره وانطلق إلى مكّة لكي لا يرى أمير المؤمنين عليه السلام.

عندها تحرّك شريح بن هاني وهو من المخلصين لعليّ عليه السلام فحمل علىٰ

---

(١) أنظر تفصيله في الكامل ج٣ ص٢٠٦.

(٢) المصدر ص٥٥٢ وتاريخ الطبري ج٣ ص١١٣.

(٣) تاريخ الطبري ج٣ ص١١٣.

عمرو ابن العاص بالسوط يضربه وحمل ابنٌ لعمرو على شريح فضربه بالسوط أيضاً وحجز الناس بينهم، وكان شريح يقول بعد ذلك: ما ندمتُ علىٰ شيء ندامتي علىٰ ضرب عمرو بالسوط ولم أضربه بالسيف[1].

ولمّا وصلت أنباء الحكمين إلى الكوفة انتفض الشيعة وخطب كبارهم خطابات ثورية تدعو إلى رفض التحكيم وأعلنوا استعدادهم لخوض الحرب ضدّ معاوية مرّة أُخرىٰ، ووجّهوا أشدّ كلمات النقد إلى الأشعث بن قيس الذي وقف وراء قضية التحكيم واختار الأشعري كحكم في الأمر لاسيّما كردوس بن هاني الذي حمل على الأشعث بن قيس بكلمات حادّة رامياً اللوم عليه واعتبره السبب الرئيسي فيما حصل وحلّ بالمسلمين ثمّ أنشد:

ألا ليت من يرضىٰ من الناس كلّهم ... بعمرو وعبدالله في لجّة البحر
رضينا بحكم الله لا حكم غيره ... وبالله ربّاً والنبيّ وبالذكر
وبالأصلع الهادي عليّ إمامنا ... رضينا بذاك الشيخ في العسر واليسر
رضينا به حيّاً وميّتاً وانّه ... إمام هدىً في الحكم والنهي والأمر
فمن قال لا قلنا بلى إنّ أمره ... لأفضل ما نعطاه في ليلة القدر
وما لابن هند بيعة في رقابنا ... وما بيننا غير المثقفة السمر
وبيض تنزل الهام عن مستقرّه ... وهيهات هيهات الولا آخر الدهر
أتت لي أشياخ الأراقم سبّة ... أُسبّ بها حتّى أُغيّب في القبر

خطبة أمير المؤمنين بعد التحكيم

ولمّا وصلت هذه الأنباء المحزنة إلى مسامع أمير المؤمنين تألّم كثيراً ثمّ قام خطيباً فقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل وأشهد

---

(١) الكامل ج٣ ص٢١٠.

أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره وأنّ محمّداً عبده ورسوله، أمّا بعد:

فإنّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرّب تورث الحيرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ونخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يُطاع لقصير أمر فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتّى ارتاب الناصح بنصحه وظنّ الزند بقدحه فكنتُ أنا وإيّاكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى   فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد[1]

ظهور الخوارج

ولعلّ أعجب من كلّ عجب هو أمر الخوارج وهم أولئك الذين انطلت عليهم الخديعة السابقة وهي رفع المصاحف وألحّوا على أمير المؤمنين عليه السلام بوجوب إيقاف القتال في صفّين وأصرّوا على التحكيم واختاروا أبا موسى الأحمق، وكان يتقدّم هؤلاء الأغبياء الأشعث بن قيس كما قلنا، وبعد انتهاء التحكيم الذي أقاموه ودعوا إليه قام بعضهم وأطلق شعار «لا حكم إلّا لله» وكان أوّل من تكلّم بذلك ذو الثدية، ورفضوا التحكيم كما رفضوا كلّاً من معاوية باعتباره من الفرقة الباغية الكافرة وهكذا كفّروا عليّاً عليه السلام لأنّه قبل بالتحكيم مع أنّهم هم الذين دفعوه وألحّوا عليه بقبول التحكيم فاستذوق بعض السفلة والجهلة هذا الشعار (لا حكم إلّا لله) والتفّوا حول حرقوص بن زهير (ذي الثدية) ومسعر بن فدكي وزرعة بن البرج الطائي حتّى اجتمع حولهم خلق كثير من البهائم البشرية ووقفوا ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام الذي تمثّل الحقّ والصدق فيه حتّى قال عنه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ» «عليّ مع القرآن

---

(١) شرح النهج خطبة رقم ٣٥.

والقرآن مع عليّ»[١].

وقال الشهرستاني واصفاً الخوارج: ممّن كان معه في حرب صفّين وأشدّهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين الأشعث بن قيس ومسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين[٢].

وذكر الطبري في تاريخه: أنّ زُرعة بن البُرج الطائي وحُرقوص بن زهير السعدي دخلا على أمير المؤمنين فقالا له: لا حكم إلّا لله فقال عليه السلام: لا حكم إلّا لله، فقال حرقوص: تُب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتّىٰ نلقى ربّنا. فقال لهم الإمام: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إنّ الله يعلم ما تفعلون﴾[٣] فقال حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هو ذنب ولكنّه عجز من الرأي، وضعف من الفعل، وقد تقدّمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه.. ثمّ خرجا من عنده بعدما لم ينفع معهما الدليل والبرهان والمنطق والحوار، وقد قال أمير المؤمنين لزرعة: ما أشقاك كأنّي بك قتيلاً تسفي عليك الريح[٤].

سؤال: كيف تحوّل هؤلاء الأتباع إلى أعداء في وقت قصير مع مشاهدتهم الآيات وسماعهم الدلائل الواضحات في أحقّية أمير المؤمنين عليه السلام؟

---

(١) مرّت مصادره، وانظر فرائد السمطين ج١ ص١٧٦ ط بيروت، تحقيق المحمودي.

(٢) الملل والنحل ج١ ص١١٤ الفصل الرابع دار المعرفة بيروت ١٩٧٥م.

(٣) النحل: ٩١.

(٤) الطبري ج٣ ص١١٣ ـ ١١٤.

الجواب: **أوّلاً**: هؤلاء لم يكونوا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الحقيقيّين ولا من محبّيه المخلصين وإنّما اعتبروا أنفسهم من شيعته وأتباعه بأن أقحموا أنفسهم في ركابه وتحت لوائه كما حصل ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة للمنافقين الذين اتّبعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدون أي قناعة عقلية أو نفسية بل دفعتهم المصالح أو حرّكهم العقل الجمعي، لذلك نراهم في ساعة الابتلاء والامتحان يفشلون وينخرطون مع الفارّين من سوح الميادين ومن كلّ موقف خطير.

ومن يقرأ صفات المنافقين في الصدر الأوّل ـ عصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يلاحظ أنّهم كانوا يقفون أحياناً بوجه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بكلّ وقاحة وجرأة بل ويعترضون على بعض القرارات النبويّة كما حصل ذلك في صلح الحديبية إذ قام جملة من المسلمين واعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبوله الصلح وامتنعوا حتّىٰ من تنفيذ أوامره، وهكذا الخوارج فإنّهم منافقون نخلتهم الحروب وفضحتهم المواقف وكشفت زيفهم عدالة أمير المؤمنين عليه السلام.

وثانياً: وعندما نطالع يوميّات المنافقين نلاحظهم أنّهم كانوا يحافظون بقدر إمكانهم على الظواهر العبادية كالصلاة والصيام والحجّ بل ومن خلالها يعدّون من جملة المسلمين فينخدع بهم الجاهل البسيط.

وهكذا الخوارج فأكثرهم كان من قرّاء أو حفّاظ القرآن الكريم ويغلب عليهم الزهد والتقشّف ليكسبوا بذلك قلوب العوام، ولكنّهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، هكذا أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عهده.

سؤال: كيف أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا يمكن أن توضّح لنا ذلك؟

إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الخوارج

الجواب: لقد نقل الفريقان في مصادرهم المعتبرة أحاديث مختلفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمثلاً ذكر البخاري في باب علامات النبوّة ومسلم وأحمد بن

حنبل في المسند وشرح النهج لابن أبي الحديد[١] والبغوي في مصابيح السنّة وغيرهم ذكروا: أنّ رسول الله ﷺ عندما كان يقسّم الغنائم حضر عنده ذو الخويصرة (حرقوص بن زهير ذو الثدية وهو من قبيلة تميم) وقال: يارسول الله اعدل! فقال ﷺ: ويلك ومَن يعدل إذا لم أعدل وقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر: ائذن لي فأضرب عنقه. فقال رسول الله ﷺ: دعه فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلواتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدكم إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثمّ ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على خير فرقة من الناس[٢].

قال أبو سعيد: أشهد سمعتُ من النبيّ ﷺ وأشهد أنّ علياً قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبيّ ﷺ[٣].

وذكر في العقد الفريد والإصابة في ترجمة ذي الثدية حرقوص بن زهير وهكذا مسند أبي يعلى عن أنس بن مالك قال: كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبّده واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه، فوصفاه بصفته فلم يعرفه فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل قلنا: هو هذا.

قال: إنّكم لتخبروني عن رجل انّ في وجهه لسفعة من الشيطان، فلمّا جاء ونزل لم يُسلّم على أحد فقال له النبيّ ﷺ: أنشدك الله هل قلت حين وقفت

---

(١) شرح النهج ج٢ ص٢٦٦ دار إحياء الكتب العربية والبحار ج٣٣ ص٣٣٥.

(٢) صحيح البخاري ج٢٤ كتاب استتابة المرتدين ص٥٢ رقم ٦٥١٨ دار إحياء التراث العربي بيروت بشرح الكرماني.

(٣) المصدر نفسه.

على المجلس ما في القوم أحد أفضل منّي أو خير منّي؟ قال: اللّهم نعم، ثمّ دخل يصلّي فقال رسول الله ﷺ: مَن يقتل الرجل؟ فقال أبو بكر: أنا فدخل عليه فوجده يصلّي فقال: سبحان الله أقتل رجلاً يصلّي وقد نهىٰ رسول الله ﷺ عن قتل المصلّين فخرج فقال رسول الله ﷺ: ما فعلت؟ قال: كرهت أن أقتله وهو يصلّي وأنت قد نهيت عن قتل المصلّين قال: مَن يقتل الرجل؟ قال عمر: أنا فدخل فوجده واضعاً جبهته، فقال عمر: أبو بكر أفضل منّي فخرج فقال له النبيّ ﷺ: مه؟ قال: وجدته واضعاً وجهه لله فكرهت أن أقتله، فقال: مَن يقتل الرجل؟ فقال علي: أنا، فقال: أنت إن أدركته، فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: مه؟ قال: وجدته قد خرج قال: لو قُتل ما اختلف من أُمّتي رجلان كان أوّلهم وآخرهم[1].

وأخيراً تزعّم هذا الرجل الضالّ المضلّ فرقة الخوارج فيما بعد حرب صفّين وقُتل فيها وسيق إلى النار، إذن فالصلاة والزهد والعبادة لا تعصم الإنسان إذا كانت لغير وجه الله أو إذا كانت عن جهل أو نفاق.

وجاء في كتاب تلبيس إبليس والعقد الفريد عن ابن عبّاس لمّا بعثه أمير المؤمنين للتفاهم مع الخوارج وهدايتهم قبل الحرب قال: لم أرَ قط أشدّ منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنّها ثفن الإبل وعليهم قمص مرحضة مشمّرين مسهمة وجوههم من السهر[2].

وجاء في كنز العمّال وتلبيس إبليس والأوسط للطبراني وغيرها عن جندب

---

(١) الإصابة ج٢ ص٣٤١ رقم ٢٤٥٢ تحت اسم (ذو الثدية) دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥م وشرح نهج البلاغة ج٢ ص٢٦٧ دار إحياء الكتب العربية، والبحار ج٣٣ ص٣٢٧.

(٢) العقد الفريد ج٢ ص٣٨٨، ٣٨٩، ط: دار الكتاب العربي ١٩٥٦م.

ابن زهير الأزدي الغامدي ـ وهو من كبار التابعين والمخلصين في الولاء لأمير المؤمنين عليه السلام والشجعان المعروفين اشترك في الجمل وصفّين ـ: لمّا كنّا مع أمير المؤمنين أمام الخوارج فإذا لهم دويّ كدويّ النحل من قراءة القرآن[1].

نعم بهذا الشكل يخدعون أنفسهم ويخدعون المغفّلين ويكسبون قطاعات واسعة من الجهلة المحاربين الذين يعتقدون بقداسة هؤلاء، وقد غاب عنهم أنّ ترجمة القرآن إلى واقع عملي والالتزام بآياته في مقام الفعل هو الأصل من تنزيله، ولذلك نجد الخوارج في مقام العمل لا تظهر عليهم آثار القرآن بل لا يلتزمون به أبداً فيقتلون الأبرياء والصحابة والنساء والأطفال وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحروب كافّة أن لا يتعرّضوا إلى الشيوخ المسنّين والأطفال والجرحى والنساء، ولو أُسر مثل هؤلاء فمن الأدب والخُلق الإسلامي أن يُحترموا كثيراً، بينما نجد الخوارج قد قتلوا أُناساً أبرياء وبقروا بطن المرأة الحامل وقتلوا الأطفال.

سؤال: أرجو أن تذكر لنا بعض هذه الأُمور كيف قتلوا النساء والأطفال؟

الجواب: فمن باب المثال أكتفي بذكر هذه الحادثة المؤلمة:

استشهاد عبدالله بن خبَّاب

لمّا أقبل بعض الخوارج من البصرة إلى الكوفة لقوا عبدالله بن خبّاب[2]

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) خبّاب والد عبدالله كان من خيار أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو سادس من أسلم في مكّة وكان من الفقراء والمعذّبين فيها. قال الشعبي: إنّ خبّاباً صبر ولم يعط الكفّار ما سألوا فجعلوا يلزقون ظهره بالرّضف حتّى ذهب لحم متنه (والرضف هي الحجارة التي حُميت بالنار).

←

ومعه امرأته فقالوا له: مَن أنت؟ قال: أنا عبدالله بن خبّاب صاحب رسول الله ﷺ فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ فأثنى عليهم خيراً فذبحوه فسال دمه في الماء وقتلوا المرأة وهي حامل متمّ فقالت: أنا امرأة ألا تتّقون الله؟ فبقروا بطنها(١)، وعبدالله هذا هو أوّل مولود ولد في الإسلام مع ابن الزبير وقد سمّاه رسول الله ﷺ عبدالله وقال لوالده: أنت أبو عبدالله(٢).

وقد تربّىٰ هذا الوليد المبارك في بيت ملؤه الإيمان وشرب حبّ الوصيّ عليه السلام منذ نعومة أظفاره، وقد ذُكرت حادثة قتله في المصادر بين الإجمال والتفصيل، فقد ذكر البعض أنّه لمّا خرج كان علىٰ حمار له ومعه امرأته فلمّا صادفوه أولئك النفر من الخوارج خاف منهم فقالوا له: لا روع عليك هل سمعت حديثاً عن أبيك عن النبيّ ﷺ؟ قال: نعم قال ﷺ: إنّ فتنة تكون

← وكان رسول الله يألفه فأخبرت به مولاته فكانت تأخذ الحديدة المحمّاة فتضعها على رأسه فشكا ذلك إلى رسول الله فقال: اللّهمّ انصر خبّاباً وشهد مشاهد رسول الله كلّها وكذا شهد الجمل وصفّين وتوفّي عام ٣٩هـ ودفن في ظهر الكوفة فقال عنه أمير المؤمنين عليه السلام: رحم الله خبّاباً فقد أسلم وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلي في جسمه ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً / أُسد الغابة ج٢ ص١٤٧ رقم ١٤٠٧ دار الكتب العلمية بيروت.

(١) المصدر نفسه ج٣ ص٢٢٣ رقم ٢٩١٧ والإصابة ج٤ ص٦٤ رقم ٤٦٦٦ بعد أن طلبوا منه حديثاً فقال: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون من بعدي قومٌ يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

وقد ذكر قصّة قتل عبدالله بن خبّاب كلٌّ من الطبري والكامل وأُسد الغابة وشرح النهج وتلبيس إبليس والفتوح والإصابة وغيرهم كما ستأتي بعض هذه المصادر لاحقاً.

(٢) الإصابة ج٤ ص٦٤ رقم ٤٦٦٦ دار الكتب العلمية بيروت.

يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً[١].

وعلى رواية ابن أبي الحديد المعتزلي: إنّ فتنة جاءت القاعد فيها خيرٌ من القائم.. الحديث وقال غيره بل حدّثهم: إنّ طائفة تمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقرأون القرآن صلاتهم أكثر من صلاتكم... الحديث[٢].

فقالوا له: ما تقول في أبي بكر وعمر وعثمان، فأثنىٰ عليهم، ثمّ قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنّه أعلم بالله منكم وأشدّ توقّياً على دينه وأنفذ بصيرة[٣] ثمّ ذبحوه على شاطئ النهر[٤].

وفي تاريخ الكامل: قالوا له: والله لنقتلنّك قتلة ما قتلناها أحداً فأخذوه وكتّفوه ثمّ أقبلوا به وبامرأته وهي حُبلىٰ متمّ حتّىٰ نزلوا تحت نخل مواقير فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فتركها في فيه فقال آخر: أخذتها بغير حِلّها وبغير ثمن فألقاها، ثمّ مرّ بهم خنزير لأهل الذمّة فضربه أحدهم بسيفه فقالوا: هذا فساد في الأرض، فلقي صاحب الخنزير فأرضاه فلمّا رأىٰ ذلك منهم ابن خبّاب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرىٰ فما عليَّ منكم من بأسٍ إنّي مسلم ما أحدثتُ في الإسلام حدثاً ولقد أمنتموني، قلتم: لا روع عليك، فأضجعوه فذبحوه فسال دمه في الماء وأقبلوا إلى المرأة فقالت: أنا امرأة ألا تتّقون الله فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث نسوة من طيء وقتلوا أُمّ سنان الصيداوية[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص١١٩ دار الكتب العلمية ١٩٨٨.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٦٩ دار إحياء الكتب العربية.

(٣) الكامل في التاريخ ج٣ ص٢١٨.

(٤) شرح النهج ج٢ ص٢٨٢ دار إحياء الكتب العربية.

(٥) الكامل ج٣ ص٢١٨ والطبري ج٣ ص١١٩.

فهذه نماذج من أفعال هؤلاء القرّاء الذين لا يتجاوز القرآن حناجرهم الذين مرقوا من الدين وقد قال الله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لستَ مؤمناً﴾[١] وقد صرّح عبدالله لهم بأنّه مسلم ومع ذلك قتلوه وامرأته وطفلها، فهذه الأفعال ليست من الإسلام في شيء وهؤلاء القوم ليسوا من القرآن والإسلام في شيء تماماً.

ولمّا وصلت هذه الأنباء إلى مسامع أمير المؤمنين عليه السلام تألّم وتأثّر كثيراً، وقال: اللّهم ربّ البيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور والكتاب المسطور، أسألك الظفر على هؤلاء الذين نبذوا كتابك وراء ظهورهم وفارقوا أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

إتمام الحجّة على الخوارج

ولم يرغب الإمام عليه السلام في قتالهم قبل إتمام الحجّة عليهم مع ما لزمهم من الحجج فبعث إليهم الإمام الحسن عليه السلام وعبدالله بن جعفر تارةً، وأُخرى عبدالله بن أبي عقب وصعصعة بن صوحان. ولا نريد أن نذكر كلمات هؤلاء الرجال العظام لئلّا يطول بنا المقام، ثمّ أرسل إليهم بعض الرسائل في الموعظة والنصيحة عسى أن يرجعوا إلى عقولهم ويهتدوا إلى الحقّ، إلّا أنّهم كانوا يردّون بأقسئ الكلمات وأخشنها. عندها أمر أمير المؤمنين عليه السلام بقتالهم بعد أن وصلت إليه ثلاث رميات منهم وهم ينادون لا حكم إلّا لله ولو كره المشركون، فبعث إليهم ابن عبّاس ليكلّمهم فقال ابن عبّاس: إنّي أخاف هؤلاء القوم، فقال له: إذهب وأنا من خلفك، فذهب واحتجّ عليهم بالدلائل الواضحة والبراهين اللائحة إلّا انّهم أصرّوا على مقابلة الإمام والتحدّث معه.

---

(١) النساء: ٩٤.

احتجاج الخوارج على أمير المؤمنين

فرجع ابن عبّاس ونقل ما حدث لأمير المؤمنينعليه السلام وقال له: إنّ القوم يرغبون في التحدّث معك، فذهب إليهم الإمام وسلّم عليهم فقالوا له: ... فإنّ عمراً لمّا أبى عليك أتقول في كتابك هذا ما كتبه عبدالله علي أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت علي بن أبي طالب فقد خلعت نفسك؟ فقالعليه السلام: لي في رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم أسوةٌ حين أبىٰ عليه سُهيل بن عمرو أن يكتب: هذا كتاب كتبه محمّد رسول الله وسهيل بن عمرو، وقال له: لو أقررت بأنّك رسول الله ما خالفتك ولكنّي أقدّمك لفضلك فاكتب محمّد بن عبدالله فقال لي: يا علي امح (رسول الله) فقلت: يارسول الله لا تشجعني نفسي على محو اسمك من النبوّة قال: فقضىٰ عليه فمحاه بيده ...[1]. وبهذا انتهت شبهتهم الأولى فقالوا: هذه لك خرجت منها.

ثمّ قالوا له: إنّك شككت في نفسك حين قلت للحكمين: انظرا فإن كان معاوية أحقّ بها فأثبتاه وإن كنتُ أولىٰ بها فأثبتاني.. فقالعليه السلام: إنّ ذلك لم يكن شكّاً منّي ولكنّي أنصفت في القول، قال الله تعالى: ﴿وإنّا أو إيّاكم لعلى هدىً أو في ضلالٍ مبين﴾ ولم يكن ذلك شكّاً وقد علم الله أنّ نبيّه على الحقّ، قالوا: وهذه لك.

ثمّ قالوا: إنّك جعلت الحكم إلى غيرك وقد كنت عندنا أحكم الناس؟ فقال: فهذا رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم قد جعل الحكم إلى سعد بن عبادة يوم بني قريظة وقد كان أحكم الناس وقد قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنة﴾ فتأسّيت برسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم. قالوا: وهذه لك بحجّتنا.

---

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٢٧٥ دار إحياء الكتب العربية.

ثمّ قالوا: إنّك حكّمت الرجال في دين الله ولم يكن ذلك إليك؟ فقال عليه السلام: فما حكّمت الرجال وإنّما حكّمت كلام ربّي الذي جعله الله حكماً بين أهله وقد حكّم الله الرجال في طائر فقال: ﴿ومن قتله منكم متعمّداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدلٍ منكم﴾ فدماء المسلمين أعظم من دم طائر، قالوا: وهذه لك بحجّتنا.

ثمّ قالوا: إنّك قسّمت بيننا الكراع والسلاح يوم البصرة ومنعتنا النساء والذريّة؟ فقال: فإنّي مننتُ على أهل البصرة كما منَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أهل مكّة فإن عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم ولم نأخذ صغيراً بكبير وبعد فأيّكم كان يأخذ عائشة في سهمه؟ قالوا: وهذه لك بحجتنا.

ثمّ قالوا: إنّك كنت وصيّاً فضيّعت الوصيّة؟ فقال عليه السلام: فأنتم كفرتم وقدّمتم عليَّ وأزلتم الأمر عنّي وليس على الأوصياء الدعاء إلى أنفسهم إنّما يبعث الله الأنبياء عليهم السلام فيدعون إلى أنفسهم والوصي مدلول عليه مستغن عن الدعاء إلى نفسه وذلك لمن آمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولقد قال الله عزّ ذكره: ﴿ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ فلو ترك الناس الحجّ لم يكن البيت ليكفر بتركهم إيّاه ولكن الناس كانوا يكفرون بتركهم البيت لأنّ الله تعالى نصبه لهم علماً وكذلك نصّبني علماً حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ أنت منّي بمنزلة الكعبة تؤتىٰ ولا تأتي، فأذعنوا فرجع بعضهم وبقي منهم أربعة آلاف لم يرجعوا[1].

ثمّ قال عليه السلام: نحن أهل بيت النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة ومعدن العلم والحكمة نحن أُفق للحجاز بنا يلحق البطيء وإلينا يرجع التائب أيّها القوم. ثمّ قال لهم: وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيتم

---

(١) رواه الطبرسي في الاحتجاج ج١ ص١٨٧ بيروت.

عليَّ إباء المخالفين المنابذين حتّى صرفت رأيي إلى هواكم وأنتم معاشر أخفاء الهام سفهاء الأحلام ولم آت لا أباً لكم بجرا ولا أردتُ بكم ضرّاً[١].

ثمّ بشّرهم بالقتل في صبيحة اليوم الثاني:

إنّي نذير لكم أن تصبحوا تلفيكم الأمّة غداً صرعىٰ بأثناء هذا النهر.. بغير بيّنة من ربّكم[٢].

وفي الصباح اصطفّ من بقي مع الخوارج يطلبون القتال وكان ذلك في التاسع من شهر صفر ٤٠هـ ـ في يوم النوروز ـ، فلم تنفع معهم كلّ الحجج الدامغة فهم كما قال الله تعالى: ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا أنّ حزب الشيطان هم الخاسرون﴾.

فوقف جيش أمير المؤمنين عليه السلام أمامهم وخرج الإمام فنادىٰ فيهم وطلب أن ينعزلوا فرقتين مَن كان معه في صفّين ومَن لم يحضرها معه فانفرجوا، ثمّ قال لهم: امسكوا عن الكلام وانصتوا لقولي بأفئدتكم إليَّ فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها، ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف ـ حيلة وغيلة ومكراً وخديعة ـ إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم، والتنفيس عنهم فقلتُ لكم: هذا أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان وأوّله رحمة وآخره ندامة فأقيموا على شأنكم والزموا طريقتكم وعضّوا على الجهاد بنواجذكم ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق إن أُجيب أضلّ وإن ترك ذلّ وقد كانت هذه الفعلةُ وقد رأيتكم أعطيتموها، والله لئن أبيتها ما وجبت عليَّ فريضتها ولا حمّلني الله ذنبها ووالله إن جئتها إنّي للمحقّ الذي يُتّبع وإنّ الكتاب لمعي، ما

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص ١٢٠ ـ ١٢١ وقريب من ألفاظه في الكامل ج٣ ص ٢٢٠.

(٢) الطبري ج٣ ص ١٢٠.

فارقته مذ صحبته..[١].

ولكن كان الشيطان قد فعل فعلته مع هؤلاء، وكانوا هم مرتعاً له فقست قلوبهم فهي كالحجارة لا يفقهون شيئاً كأنّهم خشبٌ مسندة فامتنعوا عن الجواب.

بعدها أعطى أمير المؤمنين عليه السلام الراية لأبي أيّوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لهم: من جاء هذه الراية منكم ممّن لم يقتل فهو آمن ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن[٢]، فانصرف قسم كبير منهم وبقي ألفان وثمانمائة وعلى رواية أربعة آلاف[٣] زحفوا نحو أمير المؤمنين عليه السلام ومع ذلك لم يرغب الإمام في إراقة دمائهم ودفعته عاطفته ورحمته إلى محاولة أخيرة فقال لأصحابه وقد مسك بيديه قرآناً: أيّكم يأخذ هذا القرآن ويذهب إلى القوم ويدعوهم إلى الله ورسوله فيُقتل ومكانه في الجنّة؟

فقام فتىً من بني عامر بن صعصعة فقال: أنا يا أمير المؤمنين، فلمّا رآه الإمام فتىً يافعاً قال له اجلس في مكانك، ثمّ أعاد كلامه الأوّل فلم يقم إلّا هذا الفتىٰ ثمّ كرّره ثالثاً فقام الفتىٰ وقال: لبّيك، فقال له الإمام: إنّك مقتول، فأخذ القرآن بيده وتقدّم إلى القوم ودعاهم إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فرشقوه بالسهام على يده ووجهه ومزّقوا القرآن بسهامهم فعاد الفتى إلى الإمام وسقط من جواده ميّتاً ليدخل الجنان من أوسع أبوابها[٤].

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٢٢، ط: دار الأسوة، ١٤١٥هـ.

(٢) تاريخ الطبري ج٣ص١٢١.

(٣) مروج الذهب ج٢ ص٤٠٦.

(٤) المناقب للخوارزمي ص١١٨ ـ ١١٩ ورويت الحادثة في حرب الجمل والله

بداية الحرب ونهايتها

ثمّ شدّوا على جيش أمير المؤمنين فنهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فما لبثوا أن أناموهم فكأنّما قيل لهم: موتوا فماتوا، وكان أمير المؤمنين قد قال لأصحابه: والله لا يُقتل منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة[١].

وفعلاً لم يقتل من أصحاب الإمام إلّا تسعة أو سبعة ولم يفلت من الخوارج إلّا ثمانية[٢].

وكان أخطر عناصر الخوارج رجلان هما حرقوص بن زهير ذو الثدية وعبدالله بن وهب لعنهما الله وقد قتلهما أمير المؤمنين عليه السلام وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر عن ذلك كما صرّح أمير المؤمنين: يقتله خير أُمّتي من بعدي[٣] أي لذي الثدية، وأمّا الفارّون فقد انطلق اثنان منهم إلى خراسان وبقيا في سجستان، واثنان مضيا إلى اليمن واثنان مضيا إلى عمان واثنان مضيا إلى الجزيرة قرب الفرات، وواحد فرّ إلى تل قافان.

والخوارج الذين تشكّلوا بعد سنين طويلة من نسل هؤلاء الرجال الذين فرّوا من الحرب، وكان أمير المؤمنين قد أخبر بذلك بعد نهاية الحرب فقد سجد سجدة الشكر لله تعالى فقال له أحد أصحابه: قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر، فقال الإمام عليه السلام: كلّا، والذي نفسي بيده وإنّهم لفي أصلاب الرجال وأرحام

← العالم / المترجم.

(١) شرح النهج ج٢ ص٢٧٣ دار إحياء الكتب العربية، وذكر الطبري ج٣ ص١٢٣ أنّ المقتولين من جيش الإمام سبعة.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) شرح النهج ج٢ ص٢٦٨ دار إحياء الكتب العربية.

النساء لا تخرج خارجة إلّا وقد خرجت بعدها مثلها حتّىٰ تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأسمط، يخرج إليه رجل منّا أهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة[١]. ثمّ قسّم أمير المؤمنين عليه السلام غنائم الحرب بين أصحابه.

نتيجة ما تقدّم والإجابة عن السؤال الثاني لأصل موضوع الكتاب عن سبب تفرّق الأُمّة

هذا حاصل ما تفرّع وما فرضته طبيعة البحث حول الاختلافات العشرة التي ذكرها الشهرستاني وذكرناها عنه لبيان الحقيقة عن الأسباب الرئيسيّة وراء تفرّق الأمّة إلى ثلاث وسبعين فرقة كما تقدّم، وقد رأيتم كيف أنّ الاختلافات كان بعضها يتبع بعض فلولا الاختلاف الأوّل لما وصلت الأمّة إلى الاختلاف الثاني وهكذا، إذ إنّ الاختلاف الأوّل أعطى لبعض الأفراد الجرأة والوقاحة على الاعتراض.

سؤال: ما هو قصدكم عن الاختلاف الأوّل الذي أوجب التفرقة؟

الجواب: لقد ذكره الشهرستاني في الملل والنحل وذكرناه أيضاً في بداية الكتاب وذلك عندما طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرض موته كتفاً ودواة ليكتب كتاباً لاتضلّ بعده الأُمّة أبداً فمنع عمر بن الخطّاب من ذلك وقال إنّه صلى الله عليه وآله وسلم يهجر أو غلبه الوجع أو المرض حسبنا كتاب الله!!![٢]

وعلى أثر هذه الجرأة من عمر بن الخطّاب افترق الرجال إلى فريقين

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠٧ دار الأندلس بيروت ١٩٦٥.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٦ المقدمة الرابعة، دار الفكر.

بعضهم قال ما قاله عمر وبعضهم أمر بكتف ودواة طاعةً لأمر النبيّ ﷺ إذ إنّ أمره واجب الطاعة من جهة، ولأنّ في كتابة مثل هذا الكتاب هداية للأُمّة، فما فعله عمر بن الخطّاب في ذلك اليوم أدّى إلى أمرين:

١ ـ دفع الناس إلى الوقاحة والجرأة والاعتراض على أوامر رسول الله ﷺ وعلى كلّ قائد وخليفة ديني يريد مصلحة الأُمّة.

٢ ـ وشتّت الوحدة الإسلامية التي صنعها رسول الله ﷺ بأخلاقه وجهاده وفرق ـ عمر ـ بفعله هذا بين الرجال إلى أن انجرّ الأمر إلى حصول الافتراق الثاني في الأُمّة.

وبهذا الجواب المختصر نكون قد أجبنا عن السؤال الثاني حول سبب افتراق الأُمّة وعرفتم مَن هو الموجد لهذا الافتراق.

سؤال: كيف يُعقل أنّ الخليفة عمر المعروف بسياسته وحنكته يكون سبباً لافتراق الأُمّة مع أنّه خليفة رسول الله ﷺ؟

الجواب:

أوّلاً: إنّ هذه الكلمة التي قالها عمر يومذاك قالها ولم يكن خليفة، غاية ما في الأمر أنّه كان والد زوجة النبيّ ﷺ وبالتالي كان فرداً من أفراد الأُمّة، لا غير.

ثانياً: لقد دفعته الأغراض السياسيّة ليقف دون كتابة هذا الكتاب المهمّ حول خلافة الأُمّة، ولكن هذا العمل بحدّ ذاته ـ سواء كان بقصد أو لا ـ أدّى إلى حصول التفرقة فاستفاد بقيّة المنافقين من هذه الأجواء.

إنّ المنافقين الذين كان يرأسهم عبدالله بن أُبي بن سلول كانوا دائماً يبحثون عن الفرص الاستثنائية ومن خلالها يدفعون بعض الأشخاص إلى مواقع خطيرة، والتي بدورها توجد الاختلاف والتفرقة.

فعندما قال عمر كلمته هذه في مرض النبيّ ﷺ استغلّ المنافقون الفرصة وصاروا إلى جانب عمر وكرّروا وأيّدوا ما قاله، بينما التزم جماعة من الصحابة رأياً مخالفاً لرأي عمر ومن هناك بدأت بوادر ظهور الاختلاف بين أكبر فرقتين اليوم أعني الشيعة والسنّة، وعمل هذا الفريق العمري الذي استُغل من قِبل بني أُميّة والخوارج والنواصب لتشويه حقائق الشيعة منذ ذلك الوقت وإلى اليوم، حتّى كنتم أنتم ضحية هذه الأكاذيب والدعايات التي قالت لكم إنّ الشيعة ظهرت أيّام خلافة عثمان على أثر دعوة عبدالله بن سبأ اليهودي لعنه الله في مصر.

الشيعة هم أهل السُنّة

فالشيعة هم الذين يتابعون محمّداً وآل محمّد ﷺ من اليوم الأوّل لهم وهم الذين يتّبعون رسول الله ﷺ في جميع أقواله وأفعاله ويسيرون بهدي سنّته وسيرته، فهم أهل السنّة إذن، بينما عمل المنافقون على خلط الأوراق فجاءوا بسنّة عمر وادّعوا أنّ السنّي هو من اتّبع سنّة عمر أو سيرة الشيخين خلافاً للمعنى الصحيح للسُنّة وهي متابعة رسول الله ﷺ وأهل بيته من بعده.

فالسنّي الذي يلتزم بسيرة عمر بن الخطّاب ليس من السنّة في شيء لأنّ سُنّة عمر غير سُنّة النبيّ ﷺ، فالنبيّ ﷺ لمّا يأمر بإحضار كتف ودواة ليكتب كتاباً لا تضلّ الأمّة بعده أبداً، بلا شك أنّ هذا الأمر جاء عن طريق الوحي وبالتالي فهو أمر إلٰهي ومع ذلك تجرّأ عمر ووقف أمام النبيّ ﷺ ومنع من تحقّق كتابة الكتاب، والحال أنّه من غير المعقول أن يقف المسلم هذا الموقف السلبي ويردّ الأمر الإلهي، فأطلقوا على كلّ من سار خلف سيرة عمر أنّه سنّي وعلىٰ كلّ مَن خالف سيرة عمر أنّه رافضي!!

إذن عليكم أن تدركوا حقائق التاريخ بدقّة علمية وبتفحّص بعيداً عن التعصّب والأغراض الجانبية وما يمليه علينا الاتجاه السائد الذي نحن فيه فإنّ العودة إلى أحداث سنة ١١ هـ وبالذات في مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تعطي الإنسان زخماً ورصيداً من التأمّل الفاعل الذي يكشف لك النوايا والدوافع التي وقفها بعض الرجال الذين منعوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة هذا الكتاب.

سؤال: ما المانع أن يتّحد الشيعة والسنّة اليوم وتُرفع جميع هذه الاختلافات لنعيد إلى الأمّة الإسلامية مجدها المسلوب منها وقوّتها العظيمة؟

الجواب: هذا الذي تتكلّم عنه هو هدف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الغرض الذي أراده الله لنا إذ قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾[1] وقال تعالى: ﴿إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لستَ منهم في شيء﴾[2].

وقد جسّد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هذا الغرض من خلال سيرته فقد جمع العرب في الدين الواحد على اختلاف أذواقهم وعاداتهم، ولكن مع الأسف ذهبت هذه الجهود الجبّارة بفعل المنافقين وشياطين الإنس والجنّ فقد رموا بحجر التفرقة وكان أوّلها في يوم مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدّم.

تعصّب بعض أهل السنّة يحول دون وحدة المسلمين

وأمّا قولك إنّا نرفع الاختلافات فيما بيننا فهو أمر جيّد بحدّ ذاته ولكنّ الأمر أكثر تعقيداً ممّا تتصوّر فإنّ الهوّة بيننا اليوم أصبحت واسعة والفاصلة كبيرة جدّاً وقد سعى البعض لتوسيع الفرقة وتكريس الاختلاف انطلاقاً من (فرق تسد) كبني أُميّة الذين كان مثل هذا الاختلاف يصبّ في مصلحتهم وتوسيع رقعة

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

حكمهم، بل سرى هذا الاختلاف والافتراق إلى نفس أبناء وطوائف المذهب السنّي فإنّ الاختلافات فيما بين المذاهب السنّية لعلّه أكثر من الاختلاف بين الشيعة والسنّة انطلاقاً من العقائد والتفسير والكلام وإلى الفقه، ولو ألقيت نظرة إلى هذه الكتب الثلاثة (الفَرق بين الفِرَق) للبغدادي و(الفصل) لابن حزم و(الملل والنحل) للشهرستاني لوجدت أنّهم يذكرون خمسين مذهباً من مذاهب أهل السنّة وبعضهم يكفِّر البعض الآخر ضمن كتبهم الخاصّة في المواقع الخاصّة أيضاً[1].

فالمطلوب أوّلاً من زعماء وكبراء أهل السنّة أن يعقدوا مؤتمراً خاصّاً فيما بينهم ليتحاوروا حول الاختلافات التي مضىٰ عليها أكثر من ألف عام فيما بينهم كمذاهب سنّية، ويخرجوا في نهاية الأمر بمذهب سنّي واحد فيكون الطريق إلى التفاهم والوحدة مع الشيعة يسيراً جدّاً، وإلّا فلو فكّرنا كشيعة أن نتّحد مع إخواننا أهل السنّة ينتابنا التحيّر مع مَن نتّحد؟ فلو مددنا أيدينا إلى الأشاعرة لنتّحد معهم فإنّ الأمر يغيض المعتزلة وسوف يخالفوننا بلا شكّ وهكذا العكس، وهكذا لو فعلنا واتّحدنا مع الحنفية أو المالكية أو الحنبلية أو الشافعية فكلّ فرقة ستنظر إلى الأمر من زاويتها الخاصّة فالمشكلة إذن ليست فينا والاتّحاد لا ينحصر سببه فينا وإنّما هو فيما بين المذاهب السنّية نفسها.

ولو أغمضنا العين عن كلّ ذلك واتّصلنا مع الجميع فإنّ الوهابية ستخالف، بل وستعمل لضرب هذه الوحدة لأنّهم ينظرون إلى أنفسهم كمذهب مستقلّ.

ولعلّ أكبر شاهد على صدق الأمر هو ما حصل قبل عدّة سنين عندما أفتى الشيخ محمود شلتوت زعيم الأزهر في مصر بجواز العمل بمذهب الشيعة الاثني عشرية وأنّهم مسلمون.

---

(١) سيتناول المؤلف هذا البحث حول فرق أهل السنة.

فقامت ضدّه أقسى الحملات الإعلامية من قبل الوهابيّة عبر جرائدها الصادرة في الرياض وهكذا من قِبل بعض أهل السنّة هنا وهناك انّه لماذا تُعدّ مذهب الشيعة (الروافض المشركين) من الإسلام!!

والحال أنّه لم يحصل أي اتّحاد بعد، ولم يُرفع أي اختلاف فكيف تتصوّرون الأمر إذا اتّحدنا؟!!

نصّ فتوى الشيخ شلتوت
بجواز العمل بمذهب الشيعة الاثنى عشرية

١ ـ إنّ الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتّباع مذهب معيّن بل نقول: إنّ لكلّ مسلم الحقّ أن يقلّد بأيّ مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدوّنة أحكامها في كتبها الخاصّة، ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب (أي المذاهب الأربعة) أن ينتقل إلى غيره ـ أي مذهب كان ـ ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢ ـ إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية مذهب يجوز التعبّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنّة فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتخلّصوا من العصبية بغير الحقّ لمذاهب معيّنة، فما كان دين الله وشريعته مبايعة لمذهب أو مقصورة على مذهب فالكلّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرّونه في فقههم ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات[1].

---

(١) أقول: نشرت نصّ الفتوى مجلّة الشراع اللبنانية في عددها ١١٩ الصادر عام ←

→ ١٩٨٤ ـ السنة الثالثة وإليك صورة منه:

فتوى الشيخ محمود شلتوت

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب شيخ الجامع الأزهر

نصّ الفتوى التي أصدرها السيّد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر، في شأن جواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية.

قيل لفضيلته: إنّ بعض الناس يرى أنّه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية، ولا الشيعة الزيدية، فهل توافقون فضيلتكم عل هذا الرأي على إطلاقه، فيمنعون تقليد مذهباً الشيعة الإمامية الاثني عشرية مثلاً؟

فأجاب فضيلته:

١ ـ إنّ الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه مذهباً معيّناً، بل يقول إنّ لكلّ مسلم الحقّ في أن يقلّد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدوّنة أحكامها في كتبها الخاصّة، ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره ـ أي مذهب كان ـ ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢ ـ إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإماميّة الاثني عشرية مذهب يجوز التعبّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنّة فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتخلّصوا من العصبية بغير الحقّ لمذاهب معيّنة، فما كان دين الله وشريعته مبايعة لمذهب أو مقصورة على مذهب فالكلّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرّونه في فقههم ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.

توقيع الشيخ شلتوت

***

←

الاعتراض على الشيخ شلتوت من أهل السنّة

وبمجرّد أن انتشر خبر الفتوى حتّىٰ قامت قيامة البعض الذين أشربوا حبّ الاختلاف والافتراق وسرت الخطّة الأموية في قلوبهم وعقولهم، فقامت الصرخات من بلدان متعدّدة مثل (...) ضدّ الشيخ شلتوت ومنها ما كتبه إليه أبو الوفاء المعتمدي حيث ذكر في رسالته الاعتراضية أنّ علماء الشيعة يكتبون كتباً تزيد من افتراق الأُمّة ونعراتها الطائفية مثل كتاب الغدير وكتاب ليالي نيشاوي!! - أي بيشاور - وهكذا أحيوا الكتب القديمة عندهم مثل كتاب النقض وكتاب إحقاق الحقّ وكلّ هذه الكتب تكرّس حالة الاختلاف، فلماذا أفتيت بجواز العمل بمذهبهم ... وما إلى ذلك من تهجّم.

وأمّا الشيخ شلتوت فإنّه قد أجابه بجواب مختصر وأوضح له الفتوى وقد طبعت رسالة الإسلام جوابه[1] [.....]

← السيّد صاحب السماحة العلّامة الجليل الاستاذ محمّد تقي القمّي،
السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية.
سلام الله عليكم ورحمته.
أمّا بعد، فيسرّني أن أبعث إلى سماحتكم بصورة موقع عليها بإمضائي من الفتوى التي أصدرتها تأتي بشأن جواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية، راجياً أن تحفظوها في سجّلات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أسهمنا معكم في تأسيسها ووفّقنا الله لتحقيق رسالتها.
والسلام عليكم ورحمة الله.
شيخ الجامع الأزهر
محمود شلتوت

(١) رسالة الإسلام العدد ٣ و٤ السنة ١٢ بتاريخ جمادى الآخرة ١٣٨٠ هـ. طبع

بيان مختصر عن كتاب النقض

وأمّا هذه الكتب التي أشار إليها أبو الوفاء فأحببت أن أعرّفكم بها بشكل مختصر، فأمّا كتاب النقض فهو معروف بـ(مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض) تأليف العالم الجليل والواعظ النبيل الشيخ عبد الجليل بن أبي الحسين بن أبي الفضل القزويني الرازي، كتبه في أواخر القرن السادس الهجري دفاعاً عن المذهب الشيعي الحقّ ورداً على اتّهامات رخيصة شنّها بعض أهل السنّة المتعصّبين، إبان الحكم السلجوقي، وقد أجاب المؤلِّف على جميع الإشكالات والاتّهامات بأسلوب علمي رصين وأحاط بكلّ ما له علاقة بالبحث وهو دليل إحاطته العلمية وبراعته. إذ كان لديه إحاطة تامّة بالتاريخ والرجال.

بيان مختصر عن إحقاق الحقّ

وأمّا كتاب إحقاق الحقّ فهو من تأليف العالم الكبير حجّة الإسلام ومتكلِّم الشيعة ومحيي الشريعة القاضي سيّد نور الله الحسيني المرعشي الشوشتري الشهيد في أكبر آباد من بلاد الهند عام ١٠١٩هـ. وهو أيضاً صنّفه رداً على الاتّهامات التي وجّهها المتعصّبون من أهل السنّة ضدّ المذهب الشيعي. وحول هذا الكتاب يوجد كلام كثير نورده لفائدته إليكم ولكن علينا أن نذكر مقدّمة عن ذلك وهي تدور عن العلّامة الحلّي رحمه الله.

← القاهرة.

[...] بين المعقوفتين كلام للمؤلّف رحمه الله أجاب فيه على أبي الوفاء ورأينا أنّ الأمر لا علاقة له بأصل موضوع الكتاب فلم نترجمه لاسيّما وانّ الحادثة مضىٰ عليها عشرات السنين وأنّ أبا الوفاء هذا غير معروف الحال حتّى نهتمّ بالأمر / المترجم.

العلاّمة الحلّي

هو جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن زين الدين علي بن محمّد بن المطهر الحلّي المشهور بالعلاّمة يُعدّ من مفاخر الشيعة ومجدّداً للمذهب المقدّس في أوائل القرن السابع الهجري، ولد في شهر رمضان عام ٦٤٨هـ وتوفي في محرّم عام ٧٢٦هـ ودفن في النجف الأشرف قرب قبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الأيوان الذهبي، ونحن نعجز عن وصف هذا الرجل الكبير صاحب الخدمات الجليلة وذلك لأنّه جمع العلوم العقلية والنقلية والصفات الحميدة والأخلاق السامية حتّى أحبّه العدوّ والصديق وأطروا عليه إطراءً عالياً، فقد كان على درجة من العلم والزهد والورع والتقوى ما يشار إليه بالبنان.

ومن خدماته الكبيرة أنّه كان السبب وراء بروز المذهب الشيعي إلى الأجواء الطبيعيّة بعد حالات القمع والإرهاب التي مارسها بنو أُميّة وبنو العبّاس ضدّ الشيعة والمذهب الشيعي، وكان هذا البروز والانفراج إبان سلطنة الملك الجايتو محمّد المشهور بـ(خدابنده). ومن بركات هذا العالم الجليل أن سرى المذهب الشيعي إلى بلاد إيران بفضله بعدما قدَّم الأدلّة القانعة والبراهين الساطعة للملك المغولي (خدابنده) عن حقيقة الشيعة ممّا أدّى إلى تشيّع الملك على يديه.

فنعمت الفرقة الناجية بالحريّة في ظلّ هذا الملك بعد قرون متمادية من القمع والإرهاب والعنف.

سؤال: ألا يمكن أن تتفضّل علينا بشرح مختصر عن هذا الملك؟ فمن هو؟ وفي أيّ زمان كان؟ وكيف تشيّع؟

ظهور المغول والتتار

الجواب: جاء في التواريخ ـ مثل روضة الصفا وحبيب السير وغيرهما ـ أنّ مغول وتتار كانا توأمين، ولمّا دنت الوفاة لوالدهما (النجه خان) المنحدر من نسل يافث بن نوح شيخ الأنبياء على نبيّنا وآله وعليه السلام أوصىٰ بجميع ما يملك لولديه مغول وتتار، فحكما الاخوان سنين عديدة وكان للأوّل تسعة أولاد وللثاني ثمانية أولاد، ومن هؤلاء تشعّبت العائلة المغولية والتتارية وسكنوا الجبال والصحاري وكانوا من عبّاد الأصنام ولم تكن لهم عقائد سليمة ولا فطرة مستقيمة، بل كانوا يأكلون مطلق الحيوانات حتّى الكلاب والدببة والخنازير[1] ولم يكن عندهم عقد للزواج وإنّما سفاح عام وليست هناك ضوابط للنكاح فالرجل ينكح ما شاء ولربما يتزوّج أُمّه بعد رحيل والده، ويشربون الخمر ويغيرون على القبائل فيقتلون وينهبون، وهكذا عاشت قبيلتا المغول والتتار يحكم القبيلتين كلّ مَن كانت له القوّة والسلطة بحيث يقهر المقابل. وبطبيعة الحال فإنّ المجتمع يضمّ بين أفراده الصالحين على رغم إفراط المفسدين وشيوع حالات الانزلاق الخُلقي، فعاشوا بهذه الطريقة قروناً متمادية حتّى ظهر جنگيزخان عام ٥٩٩هـ ، وكان جنگيزخان من نسل المغول. سيطر على أطراف العائلة المغولية وأخضعها لسلطانه ثمّ تحرّك إلى قبيلة التتار فسيطر عليهم أيضاً وأسّس مملكته بفترة زمنية قصيرة جدّاً، ثمّ وطّد ملكه بالسياسة والحنكة ولبس التاج المرصّع وجلس مجلس الملوك حتّى لقّبه أحد المرتاضين في يوم من الأيّام بـ(جنگيزخان) يعني ملك الملوك واشتهر به ثمّ بعث سفراءه إلى الملوك والزعماء للدول المجاورة لمملكته ومنها إيران التي كان يملكها

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٨ ص ٢٢١ دار إحياء الكتب العربية.

آنذاك محمّد خوارزم شاه فكانت علاقته مع السلطان محمّد جيّدة[١]، وفي تلك الفترة ضعفت حكومة بني العبّاس الثانية وكان الخليفة الرمزي والتقليدي آنذاك هو الناصر لدين الله العبّاس أحمد وهو الواحد والثلاثون في تسلسله ضمن ملوك بني العبّاس وامتازت خلافته بالضعف والانهيار ممّا أدّى بالسلطان محمّد شاه إيران أن يعقد بيعة مع السيّد علاء الملك الترمذي وهو من العلويّين ودعمه بشكل كبير كمحاولة لإقصاء الخليفة العبّاسي فسعىٰ ناصر الدين للانتقام من السلطان محمّد فأرسل رسولاً إلى ملك المغول جنگيزخان وحرّضه لحرب السلطان محمّد، إلّا أنّ جنگيزخان لم يتسرّع ولم يندفع لاسيّما وأنّه تربطه مع السلطان محمّد علاقات سياسيّة جيّدة.

إلى أن أخطأ السلطان محمّد في حقّ المغول ولم يعتنِ بشأنهم بل قتل أفراده من تجّار المغول ٤٥٠ شخصاً في بغداد أثناء تردّدهم في التجارة[٢]، ممّا أغاض جنگيزخان فبعث رسولاً إلى السلطان محمّد ليطّلع على سبب قتل هؤلاء، إلّا أنّ الشاه المغرور دفعه غروره إلى قتل هذا المبعوث بلا أيّ دليل وسبب وجيه، بل بدافع الاغترار والتباهي والتحدّي[٣]، ولذا تحرّك جنگيزخان نحو الحرب وكان ذلك عام ٦١٥هـ فقصد إيران محارباً ومنتقماً.

هجوم المغول على إيران

فأمر جنيگزخان قوّاده وأمراء جيشه أن يقتلوا كلّ مَن يصادفهم ويهدّموا معالم البلد، فكانوا يمرّون بالمدن والقرى وكلّ مَنْ لم يرضخ لهم يقتلونه فأبادوا

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٨ص ٢٢٠ دار إحياء الكتب العربية.
(٢) المصدر نفسه ص٢٢١.
(٣) المصدر نفسه ص٢٢٢.

الناس وخرّبوا القرى وقتلوا النساء والأطفال وحتّى الحيوان لاسيّما في هرات ونيشابور وقزوين وبغداد.

فكانت لهم مجازر مروّعة لم يرتكبها أي ظالم في التاريخ، حتّى بخت نصر أو الضحّاك أو الأمير تيمور وبُسر بن أرطاة وأبي قتيبة وأبي مسلم والحجّاج وأبي العبّاس السفّاح وغيرهم لم يأتوا ما أتىٰ عليه المغول، فإنّهم لم يفرّقوا بين أحد بل كانوا يقتلون كلّ مَن خالفهم، فكانوا يضعون رؤوس القتلى الأبرياء في المنجنيق ويرمون بها المدن والأسوار فعمّ الرعب والخوف في الناس وكانوا يدخلون المدينة فيخربونها على بكرة أبيها، فمثلاً لمّا دخلوا نيشابور استمرّ قتل الناس فيها اثني عشر يوماً، وعلى ما ذكره في روضة الصفا أنّ القتلىٰ في نيشابور بلغ عددهم مليوناً وسبعة وأربعين ألف عدا الأطفال والنساء!! والسبب في هذه المجزرة أنّ سهماً أصاب (تقاجار) صهر جنگيزخان فمات فأراد جنگيزخان أن يثأر له فقتل كلّ أهل نيشابور عدا أربعين رجلاً كانوا من أصحاب الحرف الفنّية فبعثهم إلى تركستان، وخرّبوا معالم البلدة خلال سبعة أيّام متواصلة وفتحوا الماء عليها وحرثوا الأرض وزرعوها ليمحوا كلّ أثر منها، وبقي القتلى على الأرض حتّى اصطبغت من دمائهم وكانت رائحتهم تصل على بعد مسافات طويلة حتّى مات بعض الناس المارّين من هناك بسبب رائحة الموتى المتفسخين.

ثمّ أجهزوا على قوّات خوارزم شاه والجيش العبّاسي وقوّات الإسماعيلية الملاحدة فأبادوا الجميع واستقرّ الحكم لهم بلا منازع، وفُتحت بغداد بواسطة هولاكو بعد أن قتل المستعصم بالله وهكذا انتهت الاسطورة العبّاسية التي امتدّت (٥٠٠) عاماً، كما هجموا على آذربيجان واحتلوها قهراً وحكم فيها سبعة

عشر حاكماً من أولاد وأحفاد جنگيزخان لمدّة مئة وخمسين عاماً[١]، ولكن بمرور السنين تأثّر المغول بالأفكار الإسلامية ودخلوا في حوارات مع العلماء والصالحين في مختلف الأصعدة حتّى اهتدى بعضهم إلى طريق الصواب، فمثلاً لمّا دخل هولاكو بغداد كان فيها آنذاك العالم الشيعي الكبير نصير الدين الطوسي فتكلّم معه باسلوب جعله يرفع اليد عن قتل الإيرانيّين، وبالتالي دخل الإسلام واعتنقه.

ومن جملتهم أيضاً (غازان خان) ابن هولاكو اعتنق الإسلام على أثر حواره مع العالم الشيعي الكبير صدر الدين الزنجاني عام ٦٩٤هـ، وكان (غازان خان) ملك عصره فأعلن إسلامه وتمسّكه بشريعة خاتم الأنبياء وأمر بضرب السكّة بـ (لا إله إلّا الله محمّد رسول الله) وكان يكتب في أعلىٰ رسائله ومكاتيبه هذه العبارة (الله أعلىٰ) وأمر بأن يكون الدين الرسمي للبلاد هو الإسلام، وكانت له ميول نحو التشيّع والمذهب الجعفري لأنّه كان محبّاً لأهل البيت عليهم السلام، ولكن لم تكن الظروف السياسيّة تسمح لهم بالإعلان عن ذلك رسمياً إلى أن جاء زمن الحاكم (الجايتو) خدابنده الذي أطلق على نفسه اسم محمّد وذلك عام ٧٠٣هـ الذي حكم إيران وهو ابن (أرغون خان) ابن (اباخان) ابن (هولاكو) ابن (تولي خان) ابن (جنگيزخان) الذي وصفه صاحب روضة الصفا وحبيب السير ومنتخب التواريخ، بأنّه على خلاف سيرة آبائه فقد امتاز باللطف والرحمة والعدالة وجمع الخصال الحميدة وسار في الناس سيرة طيّبة محارباً لكلّ ألوان الفساد والمنكر، ومقرّباً العلماء والصالحين وأجرى الأحكام الإسلامية الشرعية

---

(١) لمن أراد الوقوف على تفصيل الحروب والوقائع بين المغول والمسلمين لاسيّما في بلاد إيران فليراجع شرح نهج البلاغة ج٨ ص٢١٨ دار إحياء الكتب العربية تحت عنوان [فصل في ذكر جنگيزخان وفتنة التتار] / المترجم.

في البلاد وعمَّر البلاد فبنى المساجد والمشافي والمدارس حتّى قيل إنّه بنى أكثر من ألف بناية في مختلف المجالات، وكان في ذكر الموت دائماً.

فهذه خلاصة عن المغول والتتار وكيفيّة وصولهم إلى الحكم وبالذات عن السلطان محمّد الجايتو.

سبب تشيّع خدابنده

وأمّا عن السؤال الآخر وهو سبب تشيّعه، فقد ذكرتُ هذا الموضوع في كتاب ليالي بيشاور ولا بأس بذكره هنا أيضاً لأنّكم سألتموني. كان سبب تشيّعه بعدما سمع المناظرات بين العلّامة الحلّي وعلماء أهل السنّة حول عدّة قضايا اختلافية وعلى أثرها عرف الحقّ من خلال هذه المناظرات والاحتجاجات.

سؤال: ما موضوع هذه المناظرات وما هي الأدلّة التي اقتنع بها السلطان؟

الجواب: لقد ذكر المؤرِّخون والعلماء الكبار هذه المناظرات منهم العلّامة الكبير آية الله السيّد محسن الأمين العاملي (المتوفي عام ١٣٧١هـ والمدفون في دمشق ناحية السيّدة زينب) في أعيان الشيعة نقلاً عن العالم الكبير المولىٰ محمّد تقي المجلسي في شرحه لكتاب الصدوق (من لا يحضره الفقيه) حيث قال: كما أنّه كان سبب إيمان سلطان محمّد جايلتو (جايتو) أنّه غضب على امرأته وقال لها أنت طالق ثلاثاً ثمّ ندم وجمع العلماء فقالوا لابدّ من المحلّل، فقال: عندكم في كلّ مسألة أقاويل مختلفة أفليس لكم هنا اختلاف؟ فقالوا: لا، وقال أحد وزرائه: إنّ عالماً بالحلّة يقول ببطلان هذا الطلاق فبعث كتابه إلى العلّامة الحلّي وأحضره، ولمّا بعث إليه قال علماء العامّة إنّ له مذهباً باطلاً ولا عقل للروافض ولا يليق بالملك أن يبعث إلى طلب رجل خفيف العقل، قال الملك: حتّى يحضر. فلمّا حضر العلّامة بعث الملك إلى جميع علماء المذاهب الأربعة وجمعهم، فلمّا دخل العلّامة أخذ نعليه بيده ودخل المجلس، وقال: السلام

عليكم وجلس عند الملك فقالوا للملك: ألم نقل لك أنّهم ضعفاء العقول؟

قال الملك: اسألوا منه في كلّ ما فعل، فقالوا له: لِمَ ما سجدتَ للملك وتركت الآداب؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان ملكاً وكان يُسلّم عليه وقال الله تعالى: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم تحيّةً من عند الله مباركة﴾ ولا خلاف بيننا وبينكم أنّه لا يجوز السجود لغير الله.

قالوا له: لِمَ جلست عند الملك؟ قال: لم يكن مكان غيره. وكلّ ما يقوله العلّامة بالعربي كان يترجمه المترجم للملك.

قالوا له: لأيّ شيء أخذت نعلك معك وهذا ما لا يليق بعاقل بل إنسان؟

قال: خفت أن يسرقه الحنفية كما سرق أبو حنيفة نعل رسول الله ﷺ. فصاحت الحنفية: حاشا وكلّا متىٰ كان أبو حنيفة في زمن رسول الله ﷺ بل كان تولّده بعد المائة من وفاة رسول الله ﷺ. فقال العلّامة: فنسيت لعلّه كان السارق الشافعي، فصاحت الشافعيّة وقالوا: كان تولّد الشافعي في يوم وفاة أبي حنيفة وكان أربع سنين في بطن أمّه ولا يخرج رعايةً لحرمة أبي حنيفة فلمّا مات خرج وكان نشوءه في المائتين من وفاة رسول الله ﷺ!! فقال: لعلّه كان مالك، فقالت المالكية بمثل ما قالته الحنفية فقال: لعلّه كان أحمد بن حنبل فقالوا بمثل ما قالته الشافعية.

فتوجّه العلّامة إلى الملك فقال: أيّها الملك علمت أنّ رؤساء المذاهب الأربعة لم يكن أحدهم في زمان رسول الله ﷺ ولا في زمان الصحابة فهذه إحدى بدعهم أنّهم اختاروا من مجتهديهم هذه الأربعة، ولو كان منهم ـ من أهل السنة ـ من كان أفضل منهم ـ من الأئمة الأربعة ـ بمراتب لا يجوّزون أن يجتهد بخلاف ما أفتاه واحد منهم فقال الملك: ما كان واحد منهم في زمان رسول الله ﷺ والصحابة؟ فقال الجميع: لا، فقال العلّامة: نحن معاشر الشيعة تابعون لأمير المؤمنين عليه السلام نفس رسول الله ﷺ وأخيه وابن عمّه ووصيّه، وعلى أيّ

حال فالطلاق الذي أوقعه الملك باطل لأنّه لم تتحقّق شروطه ومنها العدلان فهل قال الملك بمحضرهما؟ قال: لا، وشرع في البحث مع علماء العامّة حتّى ألزمهم جميعاً فتشيّع الملك وبعث إلى البلاد والأقاليم حتّى يخطبوا للأئمّة الاثني عشر في الخطبة ويكتبوا أساميهم عليهم السلام في المساجد والمعابد[١]..

وممّن حضر ذلك المجلس نظام الدين عبد الملك المراغي قاضي القضاة، الذي حاور العلّامة رحمه الله في موضوع الإمامة وأتى بمختلف الشبهات والإشكالات على العلّامة الحلّي، إلّا أنّ العلّامة دفعها كلّها وأجاب عنها بالدلائل الواضحة والبراهين الساطعة حتّى أذعن نظام الدين لما أورده العلّامة من أدلّة قانعة إلّا أنّه تمسّك بما تمسّك به سلفه حفاظاً على طريقتهم في إضلال العوام وتفرقة الأمّة.

وأمّا الملك فإنّه أمر أن يكون المذهب الجعفري هو المذهب الرسمي في البلاد بعد أن سمع أدلّة الطرفين وأذعن عقله وقلبه إلى الدلائل التي قدّمها العلّامة رحمه الله ثمّ أمر بضرب السكّة المنقوش عليها أسماء الأئمّة عليهم السلام على أحد طرفيها وفي الطرف الآخر كتب «السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم الجايتو سلطان غياث الدنيا والدين خدابنده محمّد خلّد الله ملكه».

وعندي شخصيّاً اثنين من هذه السكك المباركة.

وقد دوّنت أسماء الأئمّة الكرام عليهم السلام في معبد (پيرمكران لنجان) ومعبد (شيخ نور الدين نطنزي) وعلى منارة دار السيادة التي بناها أخو السلطان

---

(١) روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه ج٩ ص٣٠ كتاب الطلاق المطبعة العلمية قم ١٣٩٨هـ.

خدابنده غازان خان محمود وأتمّها السلطان خدابنده[١].

ثمّ أمر هذا السلطان بتشكيل مدرسة متنقّلة تسير مع الموكب المهيب لهذا السلطان تضمّ كبار العلماء والفضلاء، وقدّم طلباً للعلّامة الحلّي أن يقوم بالتدريس في هذه المدرسة أيضاً فاستجاب وجاء من الحلّة إلى إيران ثمّ عاد إلى الحلّة وجاء الملوك الصفويّون من بعد المغول فالتزموا المذهب الجعفري أيضاً وقدّموا خدمات جليلة للبلاد والعباد.

كان هذا جواباً على سؤالكم عن سبب تشيّع السلطان خدابنده ولا بأس أن أذكر شيئاً من حياة العلّامة فقد عاش العلّامة ٧٤ عاماً قضاها بالعلم والورع والتقوى والتأليف وترويج مذهب الجعفرية فقد ألّف وصنّف أكثر من مائة كتاب في مختلف العلوم والفنون كالفقه والأُصول والفلسفة والمنطق والتفسير والحديث والدراية والرجال والأدعية والفضائل لأهل البيت عليهم السلام وإثبات الإمامة وعلم الكلام وغيرها، وكلّها في غاية الإتقان حتّى بقي صداها وأهمّيتها إلى يومنا هذا.

ومن جملة كتبه المهمّة كتاب (نهج الحق وكشف الصدق) الذي جمع فيه المسائل الخلافية في الأصول والفروع والعقائد بين السنّة والشيعة وأجاب عن الشبهات والإشكالات بأتمّ الدلائل وأجمل البراهين حتّى جاء الفضل بن روزبهان الشيرازي الاصفهاني عام ٩٠٩هـ وهو من علماء الشافعية بل من أكابرهم في عصره فكتب كتاباً ردّاً على نهج الحقّ وأسماه بـ(إبطال نهج الباطل) وقد امتاز كتابه كما ينبئ عنوانه على العصبية والوقاحة والاتّهامات الرخيصة[٢].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) أقول: وقد ردّ العالم الكبير محمّد حسن المظفر على إبطال الباطل بكتاب أسماه دلائل الصدق في ثلاث مجلّدات / المترجم.

استشهاد القاضي سيّد نور الله الشوشتري مؤلِّف كتاب إحقاق الحقّ

وفي أواخر القرن العاشر الهجري تمّ قتل العالم الكبير والمجتهد الفذّ جامع المنقول والمعقول العابد الزاهد المحدِّث الفقيه الأصولي القاضي سيّد نور الله الحسيني المرعشي رحمه الله الذي كرّمه أكبر شاه ملك الهند وعيّنه قاضياً في تلك البلاد، وبعدما مات هذا الملك واستلم زعامة البلاد جهانگير شاه تيموري سعىٰ بعض أهل السنّة إلى هذا الملك ـ الذي كان على المذهب السنّي ـ وقالوا له إنّ القاضي نور الله رافضي كافر، فأمر الملك بقتله فأحضروه حافياً وضربوه بالحديد على جسده حتّى مات وقيل إنّهم قطعوا رأسه عن بدنه!!

وليست هذه أوّل قارورة كُسرت في الإسلام، اللّهم العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد وآخر تابعٍ له على ذلك، اللّهمَّ العن بني أُميّة والنواصب والخوارج الذين دأبوا من يومهم على قتل شيعة أهل البيت عليهم السلام.

فهذا العالم الكبير لمّا وصلته نسخة من كتاب روزبهان (إبطال الباطل) تأثّر كثيراً من الأسلوب الوقح الذي استخدمه روزبهان لردّ العلّامة الحلّي والكلمات الحادّة النابية التي دوّنها، فعزم على ردّ هذا الكتاب ردّاً علميّاً منطقيّاً خالياً من العناد والسباب والشتم والاتّهامات الرخيصة فكتب كتاب (إحقاق الحقّ) خلال سبعة أشهر وطُبع عام ١٠١٤هـ في بلدة (أكبر آباد) من الهند، وهناك قُتل هذا العالم ودفن وقد زرتُ قبره عام ١٣٤٥هـ فقد كان مزاراً عامّاً للمسلمين الشيعة والسنّة وحتّى عبّاد الأصنام وقد نقش على حجره هذا البيت:

الظالم أطفئ نور الله

وقرة عين النبيّ مقطوع الرأس ـ ١٠١٩

وقد طبع (إحقاق الحقّ) عدّة مرّات على أهمّيته فقد طبع عام ١٢٧٣هـ. في إيران والطبعة الثانية في مصر ولكن أُسقط منه بعض المطالب.

ثمّ طبع ثالثاً عام ١٣٢٦هـ . [1] ورابعاً مع تعليقات العلّامة الشيخ محمّد حسن المظفّر الذي أسماه بـ(دلائل الصدق) عام ١٣٧٩هـ، ثمّ طبعة خامسة مع تعليقات وملحقات العلّامة آية الله شهاب الدين المرعشي النجفي في قم عام ١٣٧٨هـ.

حول كتاب الغدير

وأمّا كتاب الغدير الذي ذكره أبو الوفاء فهو عبارة عن أحد عشر مجلّداً كبيراً، وعند مطالعة هذه الدورة المهمّة يجد القارئ في:

القسم الأوّل: نصوص رسول الله ﷺ حول واقعة الغدير من طرق الفريقين وهي واقعة غدير خمّ في حجّة الوداع التي خطبها النبيّ ﷺ في منطقة خمّ وأوضح فيها فضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حين قال ﷺ : ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلىٰ يارسول الله، فقال: مَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه... ثمّ تناول المؤلّف في مجلّده الأوّل أسانيد هذا الحديث من طرق أهل السنّة[2].

القسم الثاني: ثمّ ذكر المؤلّف الرسائل والأشعار التي تطرّقت لواقعة الغدير

---

(١) تصدّى لطبعه العالم الفاضل الشيخ حسن بن شيخ دخيل الحجامي النجفي / المؤلّف.

(٢) وعلى غراره عبقات الأنوار لآية الله السيّد مير حامد حسين الهندي إذ أفرد مجلّدين لهذا الحديث دراسة في السند والمتن وقد تناولت ذلك في ليالي بيشاور وسيأتي لاحقاً في الجزء الثاني من هذا الكتاب أيضاً / المؤلّف.

فبدأ من حسّان بن ثابت وإلى ما شاء الله فأورد أشعارهم وكلماتهم في هذا الصدد.

القسم الثالث: ثمّ أورد تحت كلّ شعر من الأشعار التي تناولت الفضائل حديثاً نبويّاً يشير فيه إلى الفضيلة التي تناولها الشاعر في أبياته، وكان يتطرّق حسب المناسبة إلى الإشكالات أو الاتّهامات التي كان الخصوم يوردونها على بعض الفضائل، فكان يردّها ويدفعها بالأدلّة والبراهين.

هذا وقد أجاد العلّامة الأميني ﷺ فيما كتبه ويُعدّ عمله هذا جهاداً في سبيل الله أسأل من الله تعالى أن يثيبه عليه.

ونحن بدورنا نقول لكلّ من يقدح أو يتهجّم على الغدير أمثال أبي الوفاء: هل قرأتم الغدير؟ وأيّ قسم منه قرأتم؟ وأين الإشكال في هذا الكتاب؟ وهلّا نظرتم بعين البصيرة والإنصاف إلى الأدلّة وإلى المصادر المستقاة من كتب أهل السنّة؟

حول كتاب ليالي بيشاور

وما أثار تعجّبي واستغرابي من أبي الوفاء أنّه ذكر اسم كتابي (ليالي بيشاور) في جملة رسالته إلى الشيخ شلتوت، واعتقد أنّه لم يقرأ الكتاب أبداً ولم يره أيضاً لأنّ عنوانه (كتاب ليالي بيشاور في الدفاع عن التشيّع) يحكي لك أنّه حالة دفاعية وليس هجوماً، لأنّه عبارة عن مناظرات بيني وبين بعض علماء أهل السنّة بعدما طلبوا منّي المناظرة والحوار خلال عشرة ليالي في منطقة بيشاور الحدودية بين باكستان وأفغانستان عام ١٣٤٥ هـ، فهو كتاب يدفع الاتّهامات التافهة التي كانوا يروّجونها في أوساط تابعيهم بأنّ الشيعة يهود أو مشركون أو كفّار وما إلى ذلك، فهل صار الدفاع عن المذهب في نظر أبي الوفاء وأمثاله تفريقاً للأمّة الإسلامية؟ وهل صارت هذه الكتب الدفاعية كالغدير وإحقاق الحقّ

وليالي بيشاور ـ التي ملؤها الدليل والبرهان ـ كتباً خطيرة؟ أم أنّ دفع تهمة اليهودية والكفر عنّا صارت ممنوعة؟!

ومن أكبر الأدلّة على أنّ أبا الوفاء هذا لم يرَ كتاب ليالي بيشاور ولم يقرأه انّه ذكره باسم (ليالي پيشاوي) ممّا يعني أنّه لا يعرف حتّى اسم الكتاب فضلاً عن مضامينه، إذن هو التعصّب لا غير يدفع هؤلاء إلى شنّ الهجمات علينا بلا أيّ دليل وبدون أيّ إنصاف، ويحكمون على أتباع مذهب أهل بيت النبيّ الأكرمﷺ بأنّهم روافض ويهود ومشركون، وانّك لتجد بالمئات من كتب أهل السنّة التي تفوح منها رائحة العصبية ضدّنا وتقرأ أنواع السباب والتهم المختلفة علينا بلا أيّ رادع، يحتفظون بمثل هذه الكتب التي تكرّس الاختلاف والانشقاق في الأمّة.

إشارة إلى بعض كتب أهل السنّة
التي هاجموا بها الشيعة

وإليكم بعض أسماء الكتب السنّية التي هاجموا فيها إخوانهم الشيعة بدافع التعصّب المقيت فزادت ـ هذه الكتب ـ الطين بلّة وعمّقت الاختلاف والخلاف؛

١ ـ دفع الضلال / ملّا شمس الدين الهروي.

٢ ـ التمهيد في الردّ على المعطّلة والرافضة والمعتزلة والخوارج / أبو بكر الباقلاني.

٣ ـ الردّ على الروافض / الشيخ محمّد زاهد الكوثري.

٤ ـ إيثار الحقّ على الخلق في ردّ الخلافات إلى المذهب الحقّ / سيّد محمّد بن مرتضى اليماني وبمقدّمة الشيخ عبد الستار الهندي.

٥ ـ الإبانة / الشيخ أبو الحسن الأشعري بمقدّمة الدكتور محمّد جمال الدين.

٦ ـ الفَرق بين الفِرق / أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي.
٧ ـ الإنصاف / القاضي أبو بكر الباقلاني بمقدّمة محمّد الكوثري.
٨ ـ عقائد المسلمين والمشركين / الفخر الرازي بمقدّمة الشهرستاني.
٩ ـ الملل والنحل / محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني بمقدّمة القاضي محمّد عدوي.
١٠ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم الأندلسي.
١١ ـ العقد الفريد / شهاب الدين بن عبد ربه المالكي.
١٢ ـ البداية والنهاية / عماد الدين بن كثير أبي الفداء الدمشقي.
١٣ ـ شرح المقاصد / التفتازاني مع مقدّمة الشيخ سليم.
١٤ ـ حركات الشيعة المتطرّفين / د. محمّد جابر عبد العال.
١٥ ـ عقود الجوهر المنيفة / سيّد محمّد مرتضى الزبيدي مع مقدّمة الشيخ محيي الدين.
١٦ ـ إنكار فضائل أهل البيت عليهم السلام / ابن تلميذ الحضرمي.
١٧ ـ فرق المسلمين والمشركين / مقدّمة وتعليق الشيخ مصطفىٰ بيك عبد الرزّاق.
١٨ ـ الصواعق المحرقة / ابن حجر المكّي الذي كتبه بأمر السلطان سليم العثماني في ردّ الشيعة مع مقدّمة الشيخ عبد الوهاب الشيخ عبد اللطيف أستاذ في الأزهر.
١٩ ـ المغني / القاضي عبد الجبّار بن أحمد.
٢٠ ـ الانتصار / أبي الحسين عبد الرحيم الخيّاط المعتزلي.
٢١ ـ منهاج السنّة / ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي.
٢٢ ـ السنّة والشيعة / محمّد رشيد رضا صاحب تفسير المنار.
٢٣ ـ الوشيعة في نقد عقائد الشيعة / موسىٰ جار الله بن فاطمة التركستاني.

٢٤ ـ محاضرات تأريخ الأمم الإسلامية / الشيخ محمّد الخضري.

٢٥ ـ الصراع بين الإسلام والوثنية / عبدالله علي القصيمي.

٢٦ ـ أسئلة موسىٰ جار الله.

٢٧ ـ فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام / أحمد أمين المصري.

٢٨ ـ الجولة في ربوع الشرق الأدنىٰ / محمّد ثابت المصري.

٢٩ ـ المهدي والمهدوية / أحمد أمين المصري.

٣٠ ـ تحفة اثنا عشرية / شاه صاحب الهندي.

٣١ ـ الفتاوي الحامدية / نوح الحنفي المفتي.

٣٢ ـ رسالة الصراط المستقيم / القاضي جلال الدين الحنفي.

٣٣ ـ الاتّحاد / محمّد مردوخ (مردود) الكردستاني.

[...][1] تمّ بحمد الله الجزء الأوّل من كتاب الفرقة الناجية، رغم المرض الذي ألمّ بيّ ورافقني لمدّة طويلة، وإنّي أشكر الله تعالى على ذلك.

وقد تمّ في شهر رمضان المبارك عام ١٣٨٢ هـ. بقلم الفقير العبد الفاني محمّد الموسوي سلطان الواعظين الشيرازي ـ طهران.

هذا هو الجزء الأول من «الفرقة الناجية» ويليه الجزء الثاني وفيه تتمة المباحث، وتمت ترجمته في شهر صفر من عام ١٤٢٢ هـ الموافق عام ٢٠٠١ للميلاد، في جوار سيدتنا فاطمة المعصومة بقم المقدسة على يد أقل العباد علماً وعملاً فاضل الفراتي.

---

(١) [...] مابين المعقوفتين كلام للمؤلف عن بعض هذه الكتب وأسلوبها الحاد حذفناه لكيلا نخرج عن صلب الموضوع / المترجم.



الفهرس

قصّة الكتاب ٧
البداية.. ١٠
الحديث في مصادر أهل السنّة ١٥
مصادر الحديث في كتب الشيعة....................... ٢٠
نتيجة البحث ٢٨
الجواب عن السؤال الثاني............................. ٣١
ردّ حديث أصحابي كالنجوم............................ ٣٧
نقل أحاديث في ارتداد بعض الصحابة ٣٩
دراسة حول الخلاف الأوّل ـ مرض النبيّ صلى الله عليه وآله ٦٠
دراسة حول الخلاف الثاني ـ إمارة أُسامة............. ٦٥
دراسة حول الاختلاف الثالث ٦٨
قول عمر: إنّ محمّداً لم يمت! ٦٨
اختلاف جديد بسبب كلمة عمر........................ ٦٩
الحكم في امرأة ولدت لستّة أشهر..................... ٧٤
علم الخلفاء ٧٥
سلوني قبل أن تفقدوني ٧٧
عن الحجر الأسود ٨١

أمانة عند امرأة ٨٢
عمر مع حذيفة بن اليمان ٨٥
سؤال اليهودي من الخلفاء ٨٦
عود على بدء ٨٨
دراسة حول الخلاف الخامس ـ الإمامة ـ ٩٠
تأريخ أهل المدينة ٩٠
حادثة سقوط الجنين وإحراق بيت فاطمة ١٠٥
دراسة الاختلاف السادس ـ فدك ١٠٨
فضل أهل البيت عليهم السلام ١١٤
دراسة حول الاختلاف السابع ـ قتل مانعي الزكاة ١١٨
في نزول قوله تعالى: إذا ضربتم في سبيل الله ١٢٠
مقابلة الأحاديث بعمل أبي بكر ١٢٢
اختلاف الأُمّة دليل على عدم الإجماع ١٢٤
عظمة مالك بن نويرة في الإسلام ١٢٧
قصّة قتل خالد بن الوليد لمالك ١٢٩
الإشارة إلى بعض النقاط السوداء ١٣١
دفاع أهل السنّة عن خالد بن الوليد!! ١٣٤
دراسة حول الاختلاف الثامن ـ الخلافة ١٤٧
النتائج المترتّبة على هذا الاستخلاف ١٥١
الشورى العمرية ١٥٤
دراسة حول الاختلاف التاسع ـ الشورى العمريّة ١٥٧
حديث المنزلة ١٦٤
حديث الغدير ١٦٩

علي أفضل الصحابة مطلقاً ١٧١
حديث الطائر المشوي ١٧٢
حديث الراية ١٧٤
عمر كان يسعى لاستخلاف عثمان ١٨٣
قبر عثمان بن عفّان!! ١٨٦
عود على بدء ١٨٧
عثمان يخالف سيرة الشيخين ١٩١
إيذاء ونفي أبا ذرّ ١٩٥
ضرب وسبّ عثمان لكبار الصحابة ١٩٧
ضرب عمّار بن ياسر ١٩٨
التفاوت السياسي بين الخلفاء الثلاثة ١٩٩
عدم احترام عثمان لعلي عليه السلام ٢٠٠
سبب سكوت الإمام علي عليه السلام عن أعدائه ٢٠٤
تأسّي أمير المؤمنين عليه السلام بالأنبياء ٢٠٨
رسالته عليه السلام إلى أهل مصر ٢١١
عبدالله بن سعد بن أبي سرح ٢١٢
عبدالله بن عامر بن كريز ٢١٣
أُمراء جند عثمان ٢١٤
دراسة حول الاختلاف العاشر ـ خلافة أمير المؤمنين ٢١٥
اعتراض أهل الدنيا ٢١٩
ماذا قال المنافقون والأمويّون لعليّ عليه السلام؟ ٢١٩
محاورة بين الإمام علي عليه السلام وطلحة والزبير ٢٢٠
رسالة مزوّرة من معاوية إلى الزبير ٢٢٢

طمع طلحة والزبير في الولاية........................ ٢٢٢
أمير المؤمنين يدعو علىٰ طلحة والزبير........................ ٢٢٣
طلحة والزبير يستعدّان للحرب........................ ٢٢٤
عداء عائشة لعثمان ومن ثمّ لعليّ عليه السلام........................ ٢٢٤
أمّ سلمة تُذكِّر عائشة بفضائل عليّ عليه السلام........................ ٢٢٦
توضيح دقيق حول حديث خاصف النعل........................ ٢٢٧
حاصل ما تقدّم........................ ٢٣١
رسالة أُمّ سلمة إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام........................ ٢٣٤
دعاء أمير المؤمنين علىٰ أنس بن مالك........................ ٢٣٦
بداية الحرب وعدد المقتولين........................ ٢٣٨
مقتل طلحة........................ ٢٤٠
الصحابي المتمرّد لا يكون من أهل النجاة........................ ٢٤٠
الأدلّة على انحراف طلحة والزبير........................ ٢٤٢
هل تاب الزبير؟........................ ٢٤٤
عائشة لم تتب من حرب الجمل........................ ٢٤٦
إيذاء عائشة للنبيّ صلى الله عليه وآله........................ ٢٤٨
مخلّفات حرب عائشة لعلي عليه السلام........................ ٢٥٠
خطبة معاوية في الشام........................ ٢٥٠
عثمان يطلب النصرة من معاوية........................ ٢٥١
رسالة معاوية لسعد بن أبي وقّاص وجوابه........................ ٢٥٢
الآيات القرآنية في لعن وذمّ معاوية........................ ٢٥٤
إباحة دم معاوية........................ ٢٥٦
مقطع من رسالة أمير المؤمنين لمعاوية........................ ٢٥٦

إيذاء عليّ هو إيذاء للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ٢٥٧
القرآن يلعن الظالمين ٢٥٨
من هو زياد بن أبيه ٢٥٩
حالات سميّة أمّ زياد ٢٦١
اعتراض أبي بكرة على أخيه زياد ٢٦٣
اعتراض بني أُميّة على معاوية ٢٦٤
اعتراض يونس بن عبيد ٢٦٤
جواب زياد لمعاوية ٢٦٨
مَن هو المغيرة بن شعبة؟ ٢٦٩
زنا المغيرة بن شعبة في البصرة ٢٧١
معاوية يراسل زياداً ٢٧٣
ظلم زياد بن أبيه في حكومة البصرة ٢٧٤
رسالة الإمام الحسن لزياد ٢٧٥
رسالة معاوية لزياد ٢٧٦
استشهاد عمرو بن الحمق الخزاعي ٢٧٧
صانع الأحاديث سمرة بن جندب ٢٧٩
مجازر سمرة في البصرة ٢٨٠
بُسر بن أرطاة ٢٨١
كشف العورة سلاح النجاة ٢٨٢
مجازر بُسر في اليمن ٢٨٣
قتله ابني عبيدالله بن عبّاس ٢٨٥
انتهاكه لحرمة المسلمات ٢٨٥
دعاء أمير المؤمنين عليه السلام على بُسر ٢٨٦

مَن قتل مؤمناً متعمّداً فهو خالد في النار ٢٨٧
سمّ الإمام الحسن بأمر معاوية.. ٢٨٩
فرح معاوية بوفاة الإمام الحسن عليه السلام ٢٩١
اعتراض ابن عبّاس علىٰ معاوية ٢٩١
قتل حجر بن عدي.. ٢٩٢
بين زياد وحُجر.. ٢٩٤
رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية ٣٠٠
وعائشة تعترض أيضاً.. ٣٠١
اعتراض الحسن البصري على معاوية................................. ٣٠١
بقيّة جرائم وموبقات معاوية.. ٣٠٢
قتل مالك الأشتر... ٣٠٢
قتل محمّد بن أبي بكر ٣٠٤
حزن أسماء بنت عميس علىٰ محمّد.................................... ٣٠٧
محاصرة عثمان بن عفّان ٣٠٩
منزلة عمّار بن ياسر ٣١١
الأدلّة على أنّ معاوية وأتباعه من أهل الباطل ٣١٥
أحاديث في كفر من سبّ عليّاً ٣٢٠
سعد بن أبي وقّاص يمتنع من سبّ عليّ ٣٢٢
اضطراب العسكر بسبب وجود عمّار ٣٢٨
تأويل مضحك للحديث.. ٣٢٩
مرور علىٰ واقعة صفّين ٣٣١
ليلة الهرير ٣٣٢
مكر ابن العاص في رفع المصاحف................................... ٣٣٣

أمير المؤمنين يحاول أن يكشف اللعبة ٣٣٤
رسالة معاوية إلى أمير المؤمنين ٣٣٦
التحكيم بين الفريقين ٣٣٧
مقتطفات من سيرة الأشعث بن قيس ٣٣٩
بين الحديبية وقضيّة التحكيم في صفّين ٣٤١
توريط أبي موسى الأشعري ٣٤٢
خطبة الإمام الحسن عليه السلام ٣٤٨
خطبة قيس بن سعد بن عبادة ٣٤٨
كلام أبي موسى الأشعري ٣٤٨
زيد بن صوحان يردّ على الأشعري ٣٤٩
طرد أبي موسىٰ من قصر الإمارة ٣٥٠
خداع عمرو لأبي موسىٰ ٣٥١
ما بعد التحكيم ٣٥٢
خطبة أمير المؤمنين بعد التحكيم ٣٥٣
ظهور الخوارج ٣٥٤
إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله عن الخوارج ٣٥٦
استشهاد عبدالله بن خبّاب ٣٥٩
إتمام الحجّة على الخوارج ٣٦٢
احتجاج الخوارج على أمير المؤمنين ٣٦٣
بداية الحرب ونهايتها ٣٦٧
نتيجة ما تقدّم والإجابة عن السؤال الثاني لأصل موضوع الكتاب عن سبب تفرّق الأمّة ٣٦٨
الشيعة هم أهل السُنّة ٣٧٠

تعصّب بعض أهل السنّة يحول دون وحدة المسلمين............ ٣٧١
نصّ فتوى الشيخ شلتوت بجواز العمل بمذهب الشيعة الاثنى عشرية... ٣٧٣
الاعتراض على الشيخ شلتوت من أهل السنّة ٣٧٥
بيان مختصر عن كتاب النقض ٣٧٦
بيان مختصر عن إحقاق الحقّ.......................... ٣٧٦
العلّامة الحلّي.................................. ٣٧٧
ظهور المغول والتتار............................ ٣٧٨
هجوم المغول على إيران ٣٧٩
سبب تشيّع خدابنده............................. ٣٨٢
استشهاد القاضي سيّد نور الله الشوشتري مؤلّف كتاب إحقاق الحقّ..... ٣٨٦
حول كتاب الغدير ٣٨٧
حول كتاب ليالي بيشاور.......................... ٣٨٨
إشارة إلى بعض كتب أهل السنّة التي هاجموا بها الشيعة ٣٨٩